مكتبة الجاحظ
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول

الحيوان

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى نظمها المجمع اللغوى ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء الثالث

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
عباس ومحمد محمود الحلبى وشركاهم - خلفاء



تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الثالث

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

٢

باب

ذِكر الحمام[١]

وما أودَعَها الله عزَّ وجلَّ[٢] من ضُروبِ المعرفة ، ومِن الخِصال المحمودة ، لِتعرفَ[٣] بذلك حكمةَ الصَّانِع ، وإتقانَ صُنْعِ المدبِّر[٤] .

(استنشاط القارئ ببعض الهزل)

وإن كُنَّا قد أملَلْناك بالجِدِّ وبالاحتجاجاتِ الصحيحة والمرَوَّجة[٥] ؛ لتكثُّر الخواطر ، وتشحَذَ العقول — فإنّا سننشِّطكَ[٦] ببعض البَطالات ، وبذكر العلل الظَّريفة ، والاحتجاجاتِ الغريبة ؛ فربَّ شعرٍ يبلُغ بفَرْطِ غباوةِ صاحبه [من السرور والضحك والاستطراف] ، مالا يبلغه [حشدُ] أحرِّ النوادر ، وأجمَعِ[٧] المعاني .

---

(١) س : « نبدأ وبالله التوفيق بذكر الحمام » ل : « من الله التوفيق بذكر الحمام » .

(٢) ل : « وماأودعه الله جل ذكره » .

(٣) فى الأصل : « ولتعرف » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط : « وإتقانه وصنعه المدبر » . وفى س : « وصنعة المدبر » .

(٥) المروجة : التى روجها صاحبها ، وجعلها تسير فى الناس . ويقال : روج الدراهم : جعلها تنفق فى السوق . وفى ط ، س : « الممزوجة » . والأشبه ماأثبت من ل .

(٦) كذا فى ل . وفى ط : « فاستنشطتك » . وفى س : « فاستنشطك » .

(٧) ط : « وأجود » . وماكتبت من ل أقرب إلى لغة الجاحظ .

وأنا أستظرِفُ أمرَين استظرافاً شـديداً : أحدهما استماعُ حديثِ الأعراب . والأمرُ الآخَر احتجاجُ متنازِعَينِ فى الـكلام ، وهما لا يحسنانِ منه شيئاً ؛ فإنَّهما يُثيرانِ من غَريبِ الطِّيب(١) ما يُضحِك كلَّ ثَكْلانَ وإن تشدَّد ، وكلَّ غضبانَ وإن أحرقَه لَهيبُ الغضَب . ولو أنَّ ذلك لا يحلّ(٢) لـكان فى باب اللَّهو والضَّحِك والسُّرورِ والبَطالة والتشاغُل ، مايجوز فى كلِّ فنّ(٣) .

وسنذكر من هذا الشكل عِللاً ، ونُورِدُ عليك من احتجاجاتِ الأغبياءِ حُجَجاً . فإنْ كنتَ ممَّن يستعمِل الملالةَ ، وتَعْجَل إليه السآمة ، كان هذا البابُ تنشيطاً لقلْبك ، وَجماماً لقوَّتك . ولنبتدِئْ النَّظرَ فى باب الحمام وقد(٤) ذهب [عنك] الـكَلالُ وحدَثَ النشاط .

وإن كنْتَ صاحبَ علمٍ وجِدٍّ ، وكنت(٥) ممرَّناً موقَّحاً ، وكنتَ إلفَ تفـكيرٍ وتنقيرٍ ، ودراسةِ كتُب ، وحِلفَ تبيُّن(٦) ، وكان ذلك عادةً لك لم يضِرْكَ مكانُه من الـكِتاب ، وتَخطِّيه(٧) إلى ما هو أولى بك .

---

(١) المراد بكلمة « الطيب » هنا : الهزل والفـكاهة ، كما فى هذا الجزء ص ٣٩ . وفى القاموس « وفاكه : طيب النفس ضحوك » ، ويقال : طايبه : أى مازحه وجاء فى البيان ٣ : ٣٤٥ : « وكان فتى طيب من ولـد يقطين لايصحو » وطيب بمعنى فـكه مزاح . وأصل معناه السهل المعاشرة . وانظر الحيوان ٤ : ٥٨ .

(٢) س : « ولولا أن ذلك ليحل » ؟ والإشارة بكلمة « ذلك » إلى احتجاج المتنازعين .

(٣) ط ، ل : « مايجوز كل فن » .

(٤) كذا فى س . وفى ل ، ط : « فقد » .

(٥) هذه الـكلمة ساقطة من ل .

(٦) التبين : التفهم . وفى ط ، س : « تبيين » . وما أثبت من ل أشـبه بكلام الجاحظ .

(٧) التخطى : مصـدر تخطى بمعنى تجاوز . والتخطية : مصدر خطاه ، بمعنى دفعه =

(ضرورة التنويع فى التأليف)

وعلى أنِّى قد عزمتُ ـ والله الموفِّق ـ أنِّى أوشِّح هذا الكتابَ وأفصِّلُ أبوابَه ، بنوادِرَ من ضُروبِ الشِّعر ، وضروبِ الأحاديث ؛ ليخرج قارئُ هذا الكتاب من باب إلى باب ، ومن شكل إلى شكل ؛ فإنِّى رأيتُ الأسماعَ تملُّ الأصواتَ المطْرِبَة والأغانىَّ الحسنة والأَوتارَ الفَصيحة ، إذا طال ذلك[1] عليها . وما ذلك إلاَّ فى طريق الراحة ، التى إذا طالت أورثت الغفلة .

وإذا كانت الأَوائلُ قد سارتْ فى صغارِ الكتب هذه السِّيرةَ ، كان هذا التَّدبيرُ لِمَا طالَ وكثُر أصلَحَ ، وما غايتُنا مِن ذلك كلِّه إلاَّ أن تَستَفيدُوا خيراً .

وقال أبو الدَّرداء : إنِّى لأُجمُّ نفسى ببَعْض الباطل ، كراهةَ أنْ أحِمل عليها من الحق ما يملُّها !

(ادّعاء أبى عبد الله الكرخىّ الفقه)

فمن الاحتجاجات الطيِّبة[2] ، ومن العِلل الملهيــة ، ما حدَّثنى به ابن المــدينى[3] قال : تحوَّل أبو عبد الله الكرْخىُّ اللِّحيــانىُّ إلى

= وأماطه . وإذا حــلت غيرك على أن يخطو قلت أخطيته . وكلمة « تخطيــه » هى فى س : « تخطيته »، وهو تحريف ماأثبت من ل ؛ ط .

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) الطيبة هنا بمعنى الهزلية . وانظر ماسبق فى ص ٦ . وهذه الكلمة هى فى ط ، ل : « الطيبة » مصحفة .

(٣) هو على بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن بكر بن سعد أبو الحسن السعدى ، مولاهم =

الَحرْبيَّة[١] فادَّعى أنّه فقيه ، وظنّ أنّ ذلك يجوزُ له ؛ لمكانِ لحيته وسَمْته .
قال : فألقى على باب داره البواريّ[٢] ، وجلس [وجلس] إليه [بعضُ]
الجيران ، فأتاه رجلٌ فقال : يا أبا عبدِ الله ! رجلٌ أدخـل إصبَعَه فى أنفه
فخرَج عليها دمٌ ، أىَّ شىءٍ يصنع[٣] ؟ ! قال : يحتجم . قال : قعدتَ
طبيباً أو قعدتَ فقيهاً ؟

(جواب أبى عبد الله المروزىّ)

وحدَّثنى شمئون[٤] الطبيب قال : كنتُ يوما عند ذى اليَمينين طاهرِ
ابن الحسين[٥] فدخل عليه أبو عبد الله المروَزِىّ فقال [طاهر] : يا أبا عبدِ الله

= ويعرف بابن المدينى ، بصرى الدار ، وهو أحد أئمة الحديث فى عصره ، والمقدم على حفاظ وقته ، أخذ عنه أحمد بن حنبل ، وكان لايسميه ، إنما يكنيه تبجيلا له . اتصل بالقاضى أحمـد بن أبى داود ، وله معه أخبار كثيرة . ولد سنة إحـدى وستين ومائة ، وتوفى سـنة أربع وثلاثين ومائتين . انظر تاريخ بغداد ٦٣٤٩ .

(١) الحربية : محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب ، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخى الراوندى ، أحد قواد المنصور . انظر الخبر أيضا فى البيان ٢ : ٣٢١ . س : « الحربية » ل : « الحريبة » صوابهما فى ط . ونحو هـذا الخبر للشعبى فى العقد ٦ : ١٥٢ .

(٢) البورى ، والبورية : والبارى ، والبارية والبارياء والبورياء : الحصير المنسوج .

(٣) س : « يصنعه » . وانظر قصة شبيهة بهذه فى أخبار الظراف ص ٢٦ .

(٤) المعروف فى هذا الاسم : « شمعون » .

(٥) هو طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعى ، من كبار الوزراء ، كان أديبا حكيما شجاعا ، وهو الذى وطد الملك للمأمون العباسى ، وهو الذى قتـل الأمين ، وعقد البيعة للمأمون ، فولاه شرطة بغداد ثم جعله واليا على خراسان ، فحدثته =

مذْ كَمْ دخلتَ العراق ؟ قال : منذ عِشرين سنةً ، وأنا صائم منذ ثلاثين سنة[١] . قال : يا أبا عبدِ الله ، سألناك عن مسألةٍ فأجبتَنا عن مسألتين !

(جواب شيخٍ كندى)

وحدَّثنى أبو الجهجاه[٢] قال : ادَّعى شيخٌ عندنا أنّه من كندة ، قبلَ أن ينظرَ فى شىءٍ من نسبِ كِنْدة ، فقلت له يوماً وهو عندى : ممن أنت يا [أبا] فلان ؟ قال : من كندة . قلت : من أيِّهم أنت ؟ قال : ليس هذا موضعَ [هذا] الكلام ، عافاك الله !

(جواب خَتَنِ أبى بكر بن بريرة)

ودخلتُ على خَتَنِ [أبى بكر بن][٣] بريرة ، وكان شيخاً ينتحل قول الإباضيَّة ، فسمعتُه يقول : العجبُ ممن يأخذه النَّومُ وهو [لا] يزعم [أنَّ] الاستطاعة مع الفعْل[٤] ! قلت : ما الدليل على ذلك ؟ قال : الأَشعار الصحيحة . قلت : مثل ماذا ؟ قال : مثل قوله :

= نفسه بالاستقلال بها ، وحالت دون ذلك منيته . وسمى ذا اليمينين لأنه ضرب شخصا فى وقعته مع على بن ماهان بالسيف فقده نصفين ، وكانت الضربة بيساره فقال فيه بعض الشعراء :

* كلتا يديك يمين حين تضربه *

فلقبه المأمون : ذا اليمينين . انظر وفيات الأعيان . وفى ثمار القلوب ٢٣٢ - ٢٣٣ تعليلان آخران . وانظر الطبرى ١٠ : ١٤١ و ١٥٥ فى حوادث ١٩٥ والديارات للشابشتى ٩١ - ٩٢ . ولد طاهر سنة ١٥٩ وتوفى سنة ٢٠٧ .

(١) ل : « وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة » .

(٢) س : « أبو الجهجا » وهو تحريف . ولأبى الجهجاه حديث فى البخلاء ص ٣٦ .

(٣) الزيادة من مثل هذا الموضع ص ٢٢ س : ٣

(٤) من أصول المعتزلة أن استطاعة الفعل تسبق الفعل ، وجمهور الإباضيين على أن =

* مَا إِنْ يقَعْنَ الأَرْضَ إلاّ وفقا[١] *

ومثل قوله :

* يَهوِين شتَّى ويقعْن وفقا *

ومثل قولهم فى المثل : « وقَعَا كعِكْمَىْ عَير[٢] »]

وكقوله[٣] أيضاً :

مِكرّ مِفَرٍّ مُقْبلٍ مُدْبرٍ معاً
كَجُلمودِ صَخْر حَطَّه السَّيلُ من علِ[٤]

وكقوله :

أكفُّ يدى عن[٥] أنْ تمسَّ أكفهم
إذا نحنُ أهوَينا وحاجتنا[٦] مَعَا

ثم أقبل علىَّ فقال : أما فى هذا مقنع ؟ قلت : بلى ، وفى دون هذا !

= الاستطاعة مع الفعل ، وشذ منهم الحارثية فإنهم وافقوا المعتزلة . الفرق ٨٤ . وكلمة « الفعل » هى فى ط ، س : « العقل » وتصحيحه من ل ، ومن عيون الأخبار ٢ : ٥٦ حيث يوجد هذا الخبر .

(١) ط ، س : « فرطا » ، والوجه فيه ماأثبت من ل .

(٢) العكم ، بالكسر : العدل بكسر العين . والعير : الحمار . ووقعا : أى حصلا ، فهما فى التوازن والتعادل سواء . أو بمعنى سقطا ؛ لأن العكمين فى الأكثر إذا حل أحدهما سقطا معا . والمثل يضرب للمتساويين . أمثال الميدانى ٢ : ٢٨٩ . ويقال : وقع المصطرعان عكمى عير وكعكمى عير : وقعا معاً لم يصرع أحدهما صاحبه . لسان العرب . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « كعظمى عير » وهو تحريف .

(٣) هو امرؤ القيس . والبيت الآتى من معلقته المشهورة .

(٤) هذا الشطر ليس فى ل .

(٥) ل ، س : « من » .

(٦) ل : « وحاجاتنا » .

(جواب هشام بن الحكم)

وذكر محمَّدُ بنُ سلاَّم عن أبانِ بنِ عثمانَ قال : قال رجلٌ من أهل الكوفة لهشامِ بن الحكم[١] : أتُرَى اللهَ عزَّ وجلّ فى عدْله وفضلِه كلَّفنا مالا نطيقُ ثمَّ يعذِّبُنا ؟ ! قال : قدْ واللهِ فعل، ولكنَّا لانستطيع أنْ نتكلَّم به ! ٤

(سؤال ممرور لأبى يوسف القاضى)

وحدَّثنى محمَّد بن الصباح قال : بينا أبو يوسفَ القاضى يسيرُ بظَهْر الكوفة — وذلك بعدَ أن كتبَ كتابَ الحِيَل[٢] — إذ عرضَ له ممرورٌ عندنا أطيب الخلْق ، فقال له : يا أبا يوسف ، قد أحسنتَ فى كتاب الحيل[٢] ، وقد بقيتْ عليكَ مسائلُ فى الفِطَن ، فإنْ أذِنت لى سألتُك عنها . قال : قد أذنتُ لكَ فَسَلْ . قال : أخبرْنى عن الحِرِ كافرٌ هو أو مؤمن ؟ فقال أبو يوسف : دينُ الحرِ دينُ المرأة ودينُ صاحبةِ الحِر : إن كانت كافرةً فهو كافر ، وإن كانت مؤمنةً فهو مؤمن . قال : ماصنعت

---

(١) هشام بن الحكم : صاحب مذهب الهشامية ، وهم فرقة من الغالية عند الشهرستانى ، ومن المشبهة عند الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ٢٠ ، ومن الإمامية الرافضة عند صاحب الفرق . وكان يقول بالتجسيم والتشبيه ، وآراؤه مفصلة فى الفرق ٤٧ — ٥٣ ، والملل والنحل ٢ : ٢١ — ٢٣ .

(٢) هى الحيل الشرعية ، التى يتخلص بها من بعض الأحكام ، أو من بعض المحظورات ، ومن نماذج ذلك ماكتبه ابن دريد فى كتابه « الملاحن » المطبوع فى مصر سنة ١٣٤٧ . وفى س : « الحيل » وهو تصحيف .

شيئاً . قال : فقل أنت إذَنْ ، إذْ لم ترض بقولى[١] . فقال : الحرُّ كافر . قال : وكيف علمت ذلك ؟ قال لأنَّ المرأةَ إذا ركعَتْ أو سجَدت استدبر الحرُّ القِبلةَ واستقبلت هى القبلة ، ولو كان دينُه دينَ المرأة لصنع كما تصنع . هذه واحدةٌ يا أبا يوسف. قال : صدقت . [قال] : فتأذن[٢] لى فى أخرى؟ قال : نعم . قال : أخبرنى[٣] عنك إذا أتيتَ صحراءَ فهجمْتَ على بَول وخِراء كيف تعرف أبولُ امرأةٍ هو أم بول رجل ؟ قال : والله ما أدرى ! قال أجل والله ما تدرى ! قال : [أ] فتعرف أنت ذاك ؟ قال : نعم ، إذا رأيت البول قد سال على الخِراء وبين يديه فهو بولُ امرأة ، وخِراء امرأة . وإذا رأيت البولَ بعيداً من الخِراء فهو بول رجل وخِراء رجل . قال : صدقت !

قال : وحكى لى جوابَ مسائلَ فنسيت[٤] منها مسألةً ، فعاودته فإذا هو لا يحفظها .

(جواب الحجاج العبسى)

وحدَّثنى أيُّوبُ الأعورُ ، قال قائل للحجاج العبْسى[٥] : ما بال شعر الاسْتِ[٦] إذا نبتَ أسرع والتفّ ؟ قال : لقربه من السَّماد[٧] والماء هَطِلٌ عليه[٨] ! !

(١) ط ، ل : « فقل أنت إذا لم ترض بقولى».
(٢) أراد الاستفهام .
(٣) ل : « خبرنى » .
(٤) ل : « نسيت » .
(٥) ل : « لحجاج العبسى »، ويظهر أنه من المخنثين .
(٦) ل : « است المرأة » .
(٧) السماد ، بالفتح : أصله سرقين الدواب . وأريد به هنا النجو ، وفى ط : « السماء » وهو تحريف ما فى ل .
(٨) ماء هطل : متتابع القطر عظيمه . وفى ل : « ويسقى من عل » . وحديث =

(جواب نوفل عريف الـكناسين)

وحدَّثنى محمَّد بن حسَّان قال : وقفتُ على نوفلٍ عَريفِ الـكنَّاسين ، وإذا مُوسْوَس قد وقف عليه ، وعندَه كلُّ كنَّاس بالـكَرْخ ، فقال له الموسوَس : ما بال بنتِ وردان[١] تدعُ قعرَ البئر وفيه كُرٌّ[٢] خِراء وهو لها مُسْلَمٌ وعليها موفر ، وتجىء تطلب اللُّطاخة التى فى آست أحدنا وهو قاعدٌ على المَقْعَدة[٣] ، فتلْزم نفسها الـكُلفةَ الغليظة ، وتتعرَّض للقتل ، وإنَّما هذا الذى فى أستاهنا قيراطٌ من ذلك الدرهم ، وقد دفعنا إليها الدِّرهم [وافيا][٤] وافراً . قال : فضحك القوم ، فحرَّك نوفلٌ رأسَه ثم قال : أتضحكون ؟ ! قدْ واللهِ سأل الرجل[٥] فأجيبوا ! وأمَّا أنا فقد ــ والله ــ فكَّرت فيها منذ ستِّينَ [سَنَةً][٦] ، ولـكنَّـكم لاتنظرون فى شىءٍ من أمر صناعتـكم . لاجَرَمَ أنَّـكم لاترتَفِعُون أبداً ! [قال له الموسوَس : قلْ ــ يرحمُك الله ــ فأنتَ زعيمُ القوم] ، فقال نوفل : قد علمنا أنَّ الرُّطَب

= الحجاج هذا ساقط من س . وتجد فى محاضرات الراغب ٢ : ١١٧ — ١١٨ حديثا مثله يروى عن « مخنث » .

(١) بنت وردان يقال لها فى مصر « خنفس » . معجم المعلوف ٣٦ .

(٢) الـكر : بالضم : مكيال للعراق ، أو ستة أوقار حمار ، أو ستون قفيزا ، أو أربعون إردباً . وفى ط : ل : « كل » وهى تصحيف . وأثبت مافى س .

(٣) المقعدة : عنى بها ما وضع له اسم « المرحاض » فى عصرنا هذا . وفى ط ، س : « المقعد » . وأثبت مافى ل . وأصل المقعد والمقعدة مكان القعود .

(٤) ط : « وقد دفعنا إليها من الدرهم وافراً » وهو تحريف .

(٥) ط : « الراجل » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٦) الزيادة من ل ، س وفى ط : « منذ سنين » .

أطْيبُ من التَّمر ، والحديثَ أطرف(١) من العتيق ، والشيءَ من مَعْدنِه أطيَب ، والفاكهةَ من أشجارِها أطرف(٢) . قال : فغضب شريكُه(٣) مسبِّح(٤) الكنَّاس ثم قال : والله لقد وبَّختنا ، وهوَّلتَ علينا ، حتى ظنَنَّا أنَّك ستُجيب بجوابٍ لايحسنُه أحد ، ما الأمرُ عندَنَا وعند أصحابنا هكذا .

٥

قال : فقال لنا الموسوس : ما الجواب عافاكم(٥) الله ؛ فإنِّى مانمتُ البارحةَ من الفِكرَة(٦) فى هذه المسألة ؟ قال مسبِّح(٧) : لو أنَّ لرجلٍ ألفَ جاريةٍ حسناء(٨) ثم عتَقْنَ عندَه لبَرُدَتْ شهوتُه عنهنَّ وفترت ، ثمَّ إن رأى واحدةً دونَ أخسِّهن فى الحُسْن صبا إليها(٩) وماتَ من شهوتها . فبنت وردانَ تستظرف(١٠) تلك اللطاخة(١١) وقد ملَّت الأولى(١٢) ؛ وبعضُ الناسِ

---

(١) كذا فى ط ، س وفى ل : « أطرا » .

(٢) ل : « ألذ » .

(٣) ط ، س : « شريك » ، وهو تحريف صوابه من ل .

(٤) كذا ضبط الاسم فى ل . وجاء فى ط ، س : « مسيح » . ولمسبح هذا حديث فى الجزء الأول من الحيوان ص ٢٤٥ .

(٥) س : « فقال له الموسوس : ماالجواب عافاك » .

(٦) ل : « الفكر » .

(٧) انظر التنبيه رقم ٤ من هذه الصفحة .

(٨) ط : « جوارى حسانا » وهو تحريف ، إذ أن تمييز الألف مفرد مجرور . وصوابه فى ل ، س .

(٩) ل : « واثبها » مكان : « صبا إليها » .

(١٠) كذا بالأصل . ولعلها « تستطرف » .

(١١) س : « اللطافة » . وهو تحريف ماأثبت من ط ، ل .

(١٢) ل : « الأول » .

الفطيرُ أحبُّ إليه[١] من الخمير . وأيضاً إنّ الكثيرَ يمنَع الشَّهوة ، ويورث الصُّدوف[٢] . قال : فقال الموسوس — واستحسَنَ جوابَ مسبِّح ، بعد أن كان لايرى جواباً إلّا جواب نوفل[٣] — : لاتعرفُ مِقدارَ العالِم حتَّى تجلسَ إلى غيره ! أنتم أعلم أهل هذه المدَرة ، ولقد[٤] سألتُ علماءَها عنهُ منذُ عشرينَ سنةً فما تخلَّصَ أحدٌ منهم إلى مثلِ ماتخلَّصْتم إليه . وقدْ واللهِ — أنْعَمْتم عيني ، وطابَ بكم عيشى ! وقد علمنا أنّ كلّ شيءٍ يُستَلَبُ استلابا أنَّه ألذ وأطيب . ولذلك صارَ الدَّبيبُ إلى الغِلمان ونيكُهم على جهة القهر[٥] ألذ [وأطيب] ، وكلُّ شيءٍ يصيبهُ الرَّجلُ فهو أعزُّ عليه من المال الذى يرثه أو يوهب[٦] له .

(علة الحجاج بن يوسف)

قال : وحدَّثنى أبانُ بن عثمانَ قال : قال الحجَّاجُ بنُ يوسفَ : واللهِ لَطَاعتى أوجَبُ مِنْ طاعةِ الله ؛ لأنَّ الله تعالى يقول : ﴿ اتَّقُوا اللهَ مَااسْتَطَعْتُمْ ﴾

(١) كذا فى ط . وفى ل ، س : « إليهم » وهما وجهان جائزان ؛ إذ أن لفظ « بعض » يصح أن يراعى فيه الإفراد ، ويصح أن يراعى فيه اكتساب الجمعية مما أضيف إليه من جمع . وينشدون لذلك قول جرير :

إذا بعض السنين تعرقتنا كفى الأيتام فقد أبى اليتيم

انظر الكامل ٣١٢ — ٣١٣ ليبسك ، والخزانة (٤ : ١٦٤ سلفية) وسيبويه ١ : ٢٥ بولاق .

(٢) الصدوف : العزوف عن الشىء والانصراف عنه . وفى ط ، س : « الصدود » وهو بمثل معناه .

(٣) ل : « أنه لاجواب إلا جواب نوفل » .

(٤) ل : « وأنتم أعلم أهل هذه المدرة ، لقد » .

(٥) ط ، س : « الضبط » ، وهو تحريف ماأثبت من ل

(٦) ط ، س : « الذى يوجب له » .

فَجَعَلَ فِيهَا مَثْنَوِيَّةً[١] ؛ وقال : ﴿ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ ولم يَجْعَلْ فيها مثنَوِيَّة[٢] ! ولو قلتُ لرجل : ادخل مِن هذا الباب، فلم يدخل، كَحَلَّ لى دمُه!

(احتجاج مدنى وكوفىّ)

قال: وأخبرنى محمَّد بن سليمانَ بنِ عبد الله النوفلىُّ قال : قال رجلٌ من أهل الكوفة لرجل من أهل المدينة : نحنَ أشدُّ حبًّا لِرَسولِ الله ــ صلى الله عليه وسلم وعلى آلِه ــ مِنْـكُم يا أهلَ المدينة ! فقال المدنىّ : فما بَلَغَ مِنْ[٣] حُبِّكَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ؟ قال : ودِدت أنِّى وَقيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ــ وأنَّه لم يكنْ وصَلَ إليه يومَ أُحُدٍ ، ولا فى غيره من الأيَّام شىءٌ من المكروه[٤] يكرهه إلا كان بى دونَه ! فقال المدنىُّ : أفَعِنْدَكَ غيرُ هذا ؟ قال : وما يكونَ غيرُ هذا ؟ قال : ودِدْتَ أنَّ أبا طالبٍ كانَ آمَنَ فسُرَّ به النبىُّ صلى الله عليه وسلم وأنِّى كافر[٥] !

---

(١) المثنوية : الاستثناء . وهو قوله تعالى : « ما استطعتم » .

(٢) فهم الحجاج أن المراد طاعة أولى الأمر ، وليس كما ظن ، بل المراد : اسمعوا المواعظ وأطيعوا الأوامر الإلهية ، أو اسمعوا لله ولرسوله ولكتابه وأطيعوا الله فيما يأمركم . انظر تفسير الزمخشرى ، والرازى ، والبيضاوى .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) س : « شىء يكرهه » . وفى ط : « بشىء يكرهه » ، ولاتصح هذه الأخيرة إلا ببناء « وصل » للمفعول .

(٥) لفظ « كان » ساقط من ل . وكلمة : « وأنى » هى فى ل : « وأنا » .

(احتجاج رجل من وجوه أهل الشام)

وحدَّثنى أبانُ بنُ عثمان قال : قال ابنُ أبى ليلى[١] : إِنِّى لأُسَايرُ رجلاً من وُجوهِ أهل الشَّام ، إذْ مرَّ بحمَّالٍ معَه رُمَّان ، فتناولَ منه رُمَّانَةً فجعَلها فى كُمِّه . فَعَجِبْتُ من ذلك ، ثمَّ رجعت إلى نفسى وكذَّبت بصرى ، حتَّى مرَّ بسائلٍ فقير[٢] ، فأخْرجها فناوَله إيَّاها . قال : فعلمتُ أنِّى رأيتُها ، فقلتُ له : رأيتُك قَدْ فعلتَ عجباً[٣] . قال : وما هو؟ قلت : رأيتُك أخذْتَ رُمَّانَةً مِنْ حَمَّال وأعطيتها[٤] سائلاً ؟ قال : وإنَّك ممَّن يقولُ هذا القولَ ؟ ٦ أما علِمتَ أنِّى أَخَذْتُها وكانت سيِّئَةً وأعطيتها فكانت عشْرَ حَسَنَاتٍ ؟ قال : فقال ابنُ أبى ليلَى : أمَا علِمتَ أنَّكَ أخذْتَها فكانتْ سيِّئةً وأعطيتَها فلم تُقْبَلَ منك ؟ !

---

(١) ابن أبى ليلى : هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، واسم أبى ليلى يسار . ولى محمد القضاء لبنى أمية ، ثم وليه لبنى العباس . وكان فقيها مفتيا بالرأى . انظر أصحاب الرأى فى المعارف ص ٢١٦ .

(٢) ط ، س : « وكذبت عينى حتى مر به سائل » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٣) ل : « فقلت رأيت منك عجبا » .

(٤) ل : « فأعطيتها » .

(من جهل الأعراب بالنحو)

وقال الربيع[١] : قلت لأعرابىٍّ : أتَهْـمِزُ إسرائيل[٢] ؟ قال : إنِّى إذاً لَرَجُلُ سَوْء ؟ قلت : أتَجُرُّ[٣] فِلَسطين ؟ قال : إنِّى إذاً لَقَوِىٌّ .

(احتجاج رجل من أهل الجاهلية)

قال : وحدَّثنا حمَّادُ بنُ سلَمَة قال : كان رجلٌ فى الجاهليَّة معَه مِحْجَنٌ[٤] يتناوَلُ به مَتاعَ الحاجِّ[٥] سَرِقة ، فإذا قيل له : سرقت ! قال : لمْ أسرِق ، إنَّما سَرَق مِحْجنى ! قال : فقال حماد : لو كانَ هذا اليومَ حيًّا لـكانَ من أصحاب أبى حَنيفة !

(الأعمش وجليسه)

قال : وحدَّثنى محمَّد بن القاسم قال : قال الأعمشُ لجليسٍ له : أما تَشتَهى بنانىَّ[٦] زُرْقَ العُيونِ نَقيَّةَ البطونِ ، سُودَ الظُّهور ، وأرغفةً

---

(١) هو الربيع بن عبد الرحمن السلمى ، كما فى البيان ٢ : ٢٢٠ .

(٢) ط : « أتهمز أم إسرائيل » ، وتصحيحه من س ، ل .

(٣) ط : « فتجر » وأثبت ما فى ل . وقد أراد الربيع بالهمز والجر معناهما الاصطلاحى وفهم الأعرابى من الهمز الغمز ، أو النخس ، أو الدفع ، أو الضرب ، أو العض ، كما فهم من الجر معناه اللغوى .

(٤) المحجن : العصا المعوجة .

(٥) الحاج : الحجاج إلى البيت الحرام . وقد جاء على لفظ المفرد .

(٦) البنى ، بضم الباء : ضرب من السمك . والعامة فى مصر يكسرون باءه . وجمعه « بنانى » . وجاء فى ط : « بناتى » وفى ل : « بنانيا » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

حارّةً ليّنة ، وخَلاًّ حاذقا ؟ قال : بلى ! قال : فانهض بنا . قال الرَّجلُ : فنهَضْتُ معه ودخل منزِلَه . قال : فأومأَ إلَيّ : أنْ خُذْ تِلك السَّلّة . قال : فكشَفها فإذا برغيفين يابسين[1] وسُكُرَّجة كامَخٍ[2] شِبْثٍ[3] . قال : فجعل يأكل . قال : فقال لى تَعالَ كُلْ . فقلت : وأينَ السمك ؟ قال : ماعندى ، [سمك] ، إنما قلت لك : تشتهى !

(رأى حفص بن غياث فى فقه أبى حنيفة)

قال : وسُئل حفْصُ بن غِياث[4] عن فِقه أبى حنيفة ، قال : كانَ أجهَلَ النَّاسِ بما يكون[5] ، وأعرفَهم بما لايكون .

---

(١) ل : « فإذا فيها رغيفان يا بسان » .

(٢) الكامخ ، بفتح الميم : ضرب من مشهيات الطعام ، قوامه البقول والملح واللبن ، وقد تضاف إليه بعض الأبازير . انظر كتاب الطبيخ للبغدادى ص ٦٨ وشفاء الغليل ١٧٠ .

(٣) الشبث ، بالكسر : ضرب من البقول . وجاء فى ل : « شبت » . وفى القاموس : « الشبت كطمر : هذه البقلة المعروفة » . وفى تذكرة داود : « شبت بالمثلثة ويقال بالمثناة » ، فهما لغتان .

(٤) هو حفص بن غياث بن طلق ، وكنيته أبو عمرو . ولاه هارون القضاء ببغداد بالشرقية ، ثم ولاه قضاء الكوفة ، فمات بها سنة ١٩٤ . وكان مثلا فى الزهد والعفة ؛ رووا أنه مرض خمسة عشر يوما فدفع إلى ابنه مائة درهم ، وقال له : أمض بها إلى العامل وقل له : هذه رزق خمسة عشر يوما ، لم أحكم فيها بين المسلمين ، لا حظ لى فيها ! وقد سبق الخبر فى ١ : ٣٤٧ . وانظر البيان : ٢ : ٢٥٣ حيث المسئول هناك « شريك » .

(٥) ل : « كان » .

(علة خشنام بن هند)

وأما علة خُشْنَامَ[١] بن هند ، فإنَّ خشنام بن هِندٍ كان شيخا من الغاليةِ[٢] ، وكان ممَّن إذا أراد أنْ يسمِّىَ أبا بكر وعُمرَ قال : الجبْتُ والطَّاغوت ، ومُنْكر ونكير ، وأُفٌّ وتُفٌّ ، [وكُسَير] وعُوَير[٣] . وكان لا يَزال يُدخِل دارَه حمارَ كسَّاح[٤] ويضربه مائةَ عصاً[٥] على أنَّ أبا بكر وعمرَ فى جوفه . ولم أر قطُّ أشدَّ احترافًا[٦] منه . وكان مع ذلك نبيذِيًّا وصاحبَ حمَام[٧] . ويُشبه فى القَدِّ والخَرْط شُيوخَ الحربيَّة[٨] . وكان من [بنى] غُبَر[٩] [من] صميمهم . وكان له بُنَىٌّ يتبعه ، فكان يزنِّى أمَّه عند[١٠] كلِّ حقٍّ وباطل ، وعِنْدَ كلِّ جِدٍّ وهَزْل . قلت له يوماً — ونحن

---

(١) فى القاموس : « خشنام : علم ، معرب خوش نام ، أى الطيب الاسم » .

(٢) الغالية : فرقة من فرق الشيعة الخمس ، وهى الزيدية والكيسانية والإمامية والغلاة والإسماعيلية . والغالية ، أو الغلاة : هم الذين غلوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الإلهية ، فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالإله ، وربما شبهوا الإله بالخلق . الملل والنحل ١ : ١٩٥ ، ٢ : ١٠ .

(٣) انظر الاستدراكات فى نهاية هذا الجزء .

(٤) الكساح : الكناس . والمكسحة : المكنسة . والكساحة ، بالضم : الكناسة

(٥) ط ، ل : « عصى » . والوجه كتابته بالألف كما فى س .

(٦) الاحتراف ، من الحرفة بمعنى الفقر . انظر المعارف ١٩٧ . وفى ط ، س : « احتراقا » .

(٧) أى يلعب بالحمام ويقامر به .

(٨) الحربية : محلة كبيرة ببغداد ، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخى . انظر ص ٥٨ .

(٩) غبر ، كزفر : قبيلة من يشكر ، كما فى تاج العروس . وفى ط ، س « غير » وتصحيحه من ل .

(١٠) ل : « فى » . يزنيها : يقذفها بالزنى .

عند بنى رِبْعِىّ : وَيْحَكَ ، بأىِّ شىءٍ تستحلُّ أنْ تقذِفَ أُمَّه بالزِّنَا ؟ فقال : لو كانَ علىَّ فى ذلك حَرَجٌ لمــا قذَفْتهَا ! قلت : فلِمَ تزوَّجتَ امرأةً ليس فى قذْفِها حرج ؟ قال : إنِّى قد احتَلتُ حِيلةً حتَّى حلَّ لى من أجلها ما كان يحرم . قلت : وما تلك الحيلة ؟ قال : أنا رجلٌ حديدٌ ، وهذا غلامٌ عارم ، وقد كنت[1] طلَّقت أمَّه فكنتُ إذا افتريتُ عليها[2] أثمت ، فقلت فى نفسى : إن أرَغتها[3] وخدَعتُها حتَّى أنيكَها مَرَّةً واحدةً حلّ لى بعدَ ذلك افترائى عليها[2] ، بل لا يكونُ قولى حينئذٍ فِرْية ، وعلِمتُ أنَّ زَنْيَةً واحدةً لا تَعْدِل عشرة[4] آلافِ فِرْية . فأنا اليَوْمَ أصدُقُ ولستُ أ كْذِب . والصَّادِقُ مأجور. إنِّى واللهِ ما أشكُّ أَنَّ الله إذا علم أنِّى لم أزْنِ بها تلك المرَّة[5] إلاّ مِن خوف الإثم إذا قذفتها[6] — أنَّهُ سيجعَلُ[7] تلك الزَّنيةَ له طاعة[8] فقلت : أنتَ الآن على [يقين] أنّ زناكَ طاعةٌ لله تعالى ؟ قال : نعم . ٧

---

(١) ل : « قد » .

(٢) ل : « عليه » ، والمعنى يصح بكلتا العبارتين .

(٣) أرغتها : أردتها وطلبتها أو خادعتها . وفى ط : « أعبث بها » وفى س : « أعبثها » ، وهما تحريف ما أثبت من ل .

(٤) فى الأصل : « عشر » . والألف مذكر .

(٥) س : « المرأة » ، وتصح بتكلف .

(٦) ل : « قذفته » ، ويصح المعنى بالعبارتين .

(٧) ل : « فتجعل لى » ، وهو تحريف .

(٨) ط ، س : « طاعة لله » ، وهو تحريف ما فى ل .

(حجة الشيخ الإباضى فى كراهية الشيعة)

قال الشَّيخُ الإباضى [وقد ذهب عنى اسمُه وكنيتُه] وهو خَتَن أبى بكر ابن بَرِيرة[١] - وجرى يوماً [شىءٌ من] ذِكرِ التشيُّع والشِّيعة ، فأنكر ذلك واشتدَّ غضبُه عليهم ، فتوهَّمْتُ أنَّ ذلك إنَّما اعتراه للإباضيّة التى فيه ، [وقلت][٢] : وما علىَّ إن سألته ؟ فإنَّه يُقال : إنَّ السائل لا يعْدمُه أنْ يسمَعَ فى الجواب حُجَّةً أو حِيلةً [أو مُلحة][٣] - فقلتُ : وما أنكَرت من التشيُّع و [من ذكر] الشِّيعة ؟ قال : أنكرتُ منه مكان الشِّين التى فى أوّل الكلمة ؛ لأنِّى لم أجد الشِّين فى أوَّل كلمةٍ قطُّ إلاَّ وهى مسخوطة[٤] مثل : شؤم ، وشرٍّ ، وشيطان ، وشغب ، وشحّ[٥] ، وشمال ، وشجَن[٦] ، وشيب ، وشين[٧] ، وشراسة ، وشَنَج[٨] ، وشَكّ ، وشوكة ، وشَبث ، وشرك ، وشارب[٩] ، وشطير ، وشطور ، وشِعرة[١٠] وشانى[١١] ، وشتْم ،

---

(١) ط ، س : « برة » ، وأثبت ما فى ل . انظر ص ٩ س ٩ .

(٢) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) ل : « إلا مسخوطة » .

(٥) كذا فى س ، ط . وفى ل : « وشيخ » .

(٦) ط « شجرة » ، وهو تحريف ما أثبت من س . وفى ل : « وشخت » .

(٧) بدل هاتين الكلمتين فى س ، « وشيب وشتيت » وفى ل : « وشتيت وشيب » .

(٨) الشنج ، بالتحريك : تقبض الجلد . وبدله فى ل : « وشح » .

(٩) فى ل مكان الكلمات الأربع : « وشوك وشازب وشارد » . وفى ط أعيدت كلمة « شوكة » بين « شبث » و « شرك » . الشبث ، محركة : العنكبوت ، أو دويبة كثيرة الأرجل . والشازب ، التى وردت فى ل ، هو الخشن ، أو الضامر اليابس .

(١٠) كذا فى ل . ويراد بها شعر العانة . وفى ط ، س : « شعر » محرفة .

(١١) الشانى ، مخفف الشانئ : المبغض العدو . وفى ط : « شنانى » . وفى ل « شابستى » وأثبت ما فى س . وقد جاء اللفظان معا فى عيون الأخبار ٢ : ٥٦ .

وشتيم[١] ، وشِيطَرْج[٢] ، وشنعة ، وشَناعة ؛ وشأمة[٣] ، وشوصة ، وشتّر وشجوب[٤] وشَجَّة ، وشَطُون ، وشاطن[٥] ، وشنّ[٦] ، وشلَل ، وشِيص[٧] وشاطر ، وشاطرة[٨] ، وشاحب .

قلت [له] : ما سمعتُ متكلِّمًا قطُّ يقول هذا ولا يبلُغه ، ولا يقومُ لهؤلاء القَوم قائمةٌ بعد هذا[٩] !

---

(١) الشتيم : الكريه الوجه .

(٢) الشيطرج : نبت يوجد بالقبور الخراب ، ورائحته ثقيلة حادة ، وطعمه إلى مرارة . وفى س ، ط : « شطرنج » ، وهو تحريف مافى ل .

(٣) زيادة هذه الكلمة من ل ، س . والشأمة والمشأمة ، من الشؤم ، ضد اليمنة والميمنة ، من اليمن .

(٤) الشوصة ، بالفتح وقد يضم : وجع فى البطن ، أو ريح تعتقب فى الأضلاع ، أو ورم فى حجابها . والشتر ، بالفتح : القطع ، أو انقلاب الجفن من أعلى وأسفل وانشقاقه ، أو استرخاء أسفله . وهاتان الكلمتان موضعهما فى ل بعد كلمة : « شاطرة » .

(٥) الشطون : البعيدة . والشاطن : الخبيث .

(٦) الشن ، بالفتح : القربة الخلق الصغيرة .

(٧) الشيص ، بالكسر : أردأ التمر ، ووجع الضرس أو البطن .

(٨) الشاطر : الذى أعيا أهله ومؤدبه خبثا ، وقد يراد بها اللص . وفى ل : « وشاطر وشطارة » . والشطارة : مصدر شطر : صار شاطراً .

(٩) هذا الخبر الذى ساقه الجاحظ – حديثا بينه وبين الشيخ الإباضى – تجده فى العقد ١ : ٣٥٤ قد ساقه الجاحظ أيضا حديثا بين رجل من رؤساء التجار وشيخ شرس الأخلاق كان راكبا مع التاجر فى سفينة . ولست أدرى من أى كتب الجاحظ نقل صاحب العقد هذا الخبر على ذلك الوجه . كما أننا نجد هذا الخبر فى عيون الأخبار ٢ : ٥٦ مصدرا بعبارة : « قال عمرو بن بحر : ذكر لى ذاكر عن شيخ من الإباضية » .

(حيلة أبي كعب القاص)

قال : وتعشَّى أبو كعبٍ القاصُّ بطفشيل[١] كثير اللّوبِيا ، وأكثَرَ مِنه ، وشرِب نبيذَ تمر ، وغَلَّس إلى بعض المساجد ليقصَّ على أهله ، إذ[٢] انفتل الإمامُ من الصلاة فصادف زحامًا كثيرًا ، ومسْجِدًا مَستورًا بالبَواريِّ[٣] من البَرْدِ والرِّيح والمَطر ، وإذا محرابٌ غائرٌ فى الحائط ، وإذا الإمامُ شيخٌ ضعيف ؛ فلمَّا صلّى استدْبرَ المحرابَ وجلسَ فى زاويَةٍ منه يسبِّح ، وقام أبو كعبٍ فَجَعل ظهْرَه إلى وجه الإمام وَوجهه إلى وُجوه القوم[٤] ، وطبَّق وجه المحراب بجِسمه وفَروته وعمامته وكسائِه ، ولم يكن بين فَقحته وبين أنف الإمام كبيرُ شيء ، وَقصَّ وتحرَّك بطنُه ، فأَرَاد أنْ يتفرَّج بفَسوةٍ وَخاف أنْ تصير ضراطا[٥] ، فقال فى قَصصه : قولوا جميعاً : لا إلٰه إلاَّ الله ! وارفَعوا بها أصواتكم : وَفسا فَسوةً فى المحراب فدارت فيه وَجثَمت[٦] على أنف الشيخ وَاحتَملها ، ثمَّ كدَّه بطنُه فاحتاج إلى أخرى فقال : قولوا : لا إله إلاَّ الله ! وَارفعوا بها أصواتكم . فأَرسل فَسوةً أخرى فلم تُخْطِئْ أنْفَ الشيخ ،

---

(١) الطفشيل ، ضبطه بعضهم بكسر الطاء والشين ، وصاحب القاموس جعله (طفيشل) وزان سميدع ، وقال : إنه نوع من المرق . أما صاحب كتاب الطبيخ فقد جعل الطفشيل ضربا من التنوريات ، أى الأطعمة التى تنضج فى التنور . وجاء فى منهاج الدكان ٢٢٠ : « طفشيل : كل طعام يعمل من القطانى ، أعنى الحبوب ، كالعدس والجلبان ، وما أشبه ذلك » . وانظر الحيوان ٥ : ٢٢٦ .

(٢) فى الأصل : « إذا » .

(٣) البوارى : الحصر المنسوجة .

(٤) ل : « الناس » .

(٥) ل : « ضرطة » . وفى س : « ينفرج » بدل : « يتفرج » .

(٦) جثمت : لزمت مكانها . وفى ط : « جشمت » ، والوجه مافى ل ، س .

واختَنقَتْ[١] في المحراب . فخمَّر الشَّيخُ أنفَه[٢] ، فصار لا يدرى ما يصنع . إنْ هو تنفَّس قتلَتْه الرائحة ، وإنْ هو لم يتنفَّس مات كَرْبا . فما زَالَ يُدارِى ذلك ، وأبو كعب يقصُّ ، فلم يلبَثْ أبو كعبٍ أن احتاجَ إلى أخرى . وكلما طالَ لُبْثُه تولَّد في بَطْنِه من النَّفخ على حَسَب ذلك . فقال : قولوا جميعاً : لا إلٰه إلا الله! وارفَعوا بها أصواتكم . فقال الشيخ مِنَ المحراب ـ [وأطْلَعَ رأسَه وقال] ـ : لا تقولوا ! لا تقولوا ! قد قَتلنى ! إنَّما يريد أن يفسُوَ ! ثم جذب إليه ثوبَ أبى كعبٍ وقال : جئت إلى ها هنا لتفسوَ[٣] أو تقصّ ؟ فقال : جئنا لنقص[٤] ، فإذا نزلت بليَّةٌ فلا بدَّ لنا ولكم من الصَّبر ! فضحك الناسُ ، واختَلَط المجلس . ٨

(جواب أبى كعب القاصّ)

وأبو كعبٍ هذا هو الذى كان يقصُّ فى مسجد عتَّابٍ كلَّ أرْبعا[٥] فاحتبَسَ عليهم فى بعض الأيَّام وطال انتظارُهم له . فبينما هُمْ كذلك إذ جاء رسوله فقال : يقول لكم أبو كعب : انصرفوا ؛ فإنِّى قد أصبحْتُ [اليوم] مخموراً !

---

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « اختفت » .
(٢) خمر أنفه : غطاه .
(٣) ل : « تفسو » .
(٤) ل : « نقص » .
(٥) هو مقصور : « أربعاء » .

(علة عبد العزيز)

وأمّا علة عبدِ العزيز بشكست فإنَّ عبدَ العزيز كان له مالٌ ، وكان إذا جاءَ وقتُ الزَّكاة وجاء القَوّادُ بغلامٍ مؤاجَر[١] ، قال : يا غلام ألك أمٌّ ؟ ألك[٢] خالات ؟ فيقول الغلام : نعم . فيقول : خُذْ هذه العشرة الدراهم — أو خُذْ هذه الدَّنانير — مِن زكاةِ مالى ، فادفَعْها إليهنَّ ، وإنْ شئتَ أن تُبْركنى[٣] بعد ذلك على جهة المكارمة ، [فافعل] ، وإنْ شئتَ أنْ تنْصَرِف فانصرف . فيقول ذلك وهو واثقٌ أنَّ الغُلامَ لا يمنَعُه بعد أخْذ الدراهم ، وهو يعلم أنه لن[٤] يبلغ مِن صلاحِ طباع المؤاجَرين أن يؤدُّوا الأمانات . فَغَبر[٥] بذلك ثلاثين سنة وليس له زكاةٌ إلاّ عنـد أمَّهات المؤاجَرين وأخَوَاتهم وخالاتهم .

---

(١) لفظة عباسية ، يقصد بهـا من يستأجره اللاطة . انظر كنايات الجرجانى ص ١٢٠ س ١١ وأخبار أبى نواس لابن منظور ٩ ، ١٧ .

(٢) يقال أبركه : جعله يبرك . وقد كنى بقوله . وفى ط « تلزمنى » وأثبت . مافى س ، ل .

(٣) ل : « لم » .

(٤) ط : « فعبر » وليست من كلام الجاحظ . وأثبت مافى ل ، س ، وغبر . بمعنى بقى وظل .

(احتجاج طيِّب كوفى للتسمية بمحمد)

وحدثنى محمَّد بن عبَّاد بن كاسب قال : قال لى الفضل بن مروان[١] شيخ من طِيَاب[٢] الكوفيِّين وأغْبيَائهم[٣] : إنْ وُلِدَ لك مائَةُ ذكرٍ فسمهم كلَّهم محمداً ، [وكنِّهم بمحمد] ؛ فإنّك سترى فيهم البركة . أوَ تَدْرى لأىِّ شىءٍ كثر مالى ؟ قلت : لا والله ما أدرى . قال : إنَّما كثر مالى لأنِّى سمَّيتُ نَفْسى فيما بينى وبَيْنَ اللهِ محمداً ! وإذا كان اسمى عندَ اللهِ محمداً فما أُبالى ما قال الناس !

(جواب أحمد بن رياح الجوهرى)

وشبه هذا الحديث قول المرْوَزى[٤] : قلت : لأحمد بن رياح الجوهرى اشتريتَ كساءً أبيضَ طبَريًّا بِأَربعمِائَةِ درهم ، وهو عند الناس ــ فيما ترى عيونُهم قُومَسىّ[٥] يساوى مائَةَ درهَمٍ ؛ قال : إذا علم الله أنَّه طبرىٌّ فما علىَّ ممَّا قال الناس ؟ !

---

(١) ل : « مرزوق » .

(٢) الطياب : جمع طيب ، مثل جيد وجياد ، والطيب : الفكه المزاج . انظر البيان ٣ : ١١٥ ، ١٥٢ وسيبويه ٢ : ٢١١ . و ماسبق فى ص ٦ ، ٧ .

(٣) ط ، س : « وأغنيائهم » واعتمدت مافى ل . انظر ص ٦ س ٧ .

(٤) ل : « المرزوق » .

(٥) قومسى : نسبة إلى قومس ، بضم القاف وفتح الميم : كما فى القاموس . أو بضم القاف وكسر الميم كما فى المعجم . وهى صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل .

(احتجاجُ حارسٍ يكنى أبا خزيمة)

وكان عندنا حارسٌ يكنى أبا خَزيمة ، فقلت يوماً — وقد خطَر على بالى — : كيفَ اكتنَى هذا العِلْجُ الأَلْكَنُ بأبى[1] خزيمة ؟ ثمّ رأيتُه فقلت له : خبِّرنى عنك ، أكان أبوك يسمَّى خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فجدُّك أو عمك أو خالك ؟ قال : لا . قلت : فلك ابنُ يسمَّى خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فكان لك مولًى يسمى خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فكان فى قريتِك رجلٌ صالح أو فقيهٌ يسمى خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فلِمَ اكتنيت بأبى[1] خزيمة ، وأنتَ عِلجٌ ألْكَن ، وأنتَ فقيرٌ ، وأنت حارس ؟ قال : هكذا اشتهيت . قلت : فلأَىِّ شىءٍ اشتَهيتَ هذه الكنيةَ من بينِ جميع الكنى ؟ قال : ما يُدرينى . قلتُ : فتَبيعُها السَّاعَة بدينارٍ ، وتَكتَنِىَ بأىِّ كنيةٍ شئت ؟ قال : لا وَاللهِ ، ولا بالدُّنْيا[2] وما فيها !

(جواب الزيادىّ)

٩ وحدثنى مَسْعَدَةُ بن طارق ، قلت للزيادِىِّ — ومررتُ به وهو جالسٌ فى يوم غَمِق[3] حارٍّ ومِدٍ[4] ، على باب داره فى شروع نهر

(١) ط ، س : « أبا » ، والمعروف فى « اكتنى » أن يتعدى بالباء كما فى اللسان . وأما الذى يتعدى بنفسه أو بالباء فهو « كنيته وكنوته وأكنيته وكنيته » .

(٢) ط : « بالدينار » وتصحيحه من ل ، س .

(٣) يوم غمق ، كفرح ، ذوندى وثقل ، أو لريحه خمة وفساد . وفى ط ، س : « يوم غيم » . والوجه ما أثبت من ل ، وهو الموافق لكلمة « ومد » الآتية .

(٤) اليوم الومد : ذو الومد بالتحريك ، وهو الندى يجىء فى صميم الحر من قبل البحر .

الجُوبار[١] بأَردية[٢] ، وإذا ذلك البحر يبخر فى أنفه[٣] — قال : فقلت له بعتَ دارك وحظَّكَ مِن دارِ جدِّك زيادِ بن أبى سفيان ، وتركتَ مجلِسَك فى ساباط غَيث[٤] ، وإشرافَك على رَحبة بنى هاشم ، ومجلسَك فى الأبواب التى تلى رَحبة بنى سليم ، وجلستَ على هذا النَّهر فى مثل هذا اليوم ، ورضِيت بِهِ جارا ؟ قال. نلتُ أُطولَ آمالى فى قرب هؤلاء [البزّازين]. قلت له : لو كنت بقُرْبِ المقابر فقلت نزلت[٥] هذا الموضع للاتِّعاظ به والاعتبار كان ذلك وجهاً . ولو كنتَ بقُرْب الحدَّادين فقلت لأتَذَكَّرَ بهذه النِّيران والكِيران[٦] نار جهنَّم ، كان ذلك قولا . ولو كنت اشتريت داراً بقرب العطَّارين فاعتَلَلَت بطَلَبِ[٧] رائِحةِ الطِّيب كان ذلك وجهاً

---

(١) الجوبار : بضم الجيم : محلة بأصبهان . قال ياقوت : « جو بالفارسية النهر الصغير ؛ وبار كأنه مسيله . فمعناه على هذا مسيل النهر الصغير » قال صاحب الألفاظ الفارسية المعربة : « وهو مركب من جوى أى سيل ، ومن بار ، وهى من الأدوات التى تدل على الكثرة » . وفى ط ، س « الحونان » ، وتصحيحه من ل ومعجم البلدان .

(٢) كذا . وهذه الكلمة ليست فى ل . ولعل الوجه حذفها .

(٣) ط : « ينجر » ، وهو تحريف ما أثبت من ل ، س . وكلمة « البحر » هى فى ل : « النهر » .

(٤) الساباط : السقيفة بين دارين تحتها طريق نافذ . ياقوت والقاموس . قال صاحب الألفاظ الفارسية : « مأخوذة من سايه بوش ، ومعناها المظلة » . وكلمة « غيث » هى فى ط ، س : « عيث » .

(٥) ل : « تركت » ، وهو تحريف ماأثبت من ط ، س .

(٦) جمع كير : وهو الزق ينفخ فيه الحداد .

(٧) كذا فى ط . وفى س ، ل : « بطيب » .

فأمّا قُرْبُ البَزّازِين[1] فقط فهذا ما لا أعرفه . أفَلَكَ فيهم دارُ غَلَّةٍ ، أو هلْ لك عليهم دُيُونٌ حالّةٌ ، أو هلْ لك فيهم أو عِندَهم غِلمانٌ يؤدُّون الضَّريبة ، أو هلْ لكَ معَهم شِرْكة مُضارَبةٍ ؟ قال : لا . قلت : فما ترجو إذًا من قربهم[2] [فلم يكن عنده إلاّ : نلت آمالى[3] بقُرب البزّازين] .

(حكاية ثمامة عن ممرور)

وحدثنى ثمامة بن أشْرس قال : كان رجلٌ ممرور يقوم كلَّ يومٍ فيأتى داليةَ لقوم ، ولا يزالُ يَمْشى مع رجال الدالية على ذلك الجذع[4] ذاهباً وجائياً ، فى شدَّة الحرِّ والبرد . حتَّى إذا أمسى نزل إليهم وتوضّأ وصلَّى ، وقال : اللَّهُمَّ اجعلْ لنا مِنْ هذا فَرجاً ومَخْرجاً ! ثمَّ انصرف إلى بيته . فكان كذلك حتَّى مات .

(بين أعمى وقائده)

وحدَّثنى المكّىّ قال : كان رجلٌ يقود أعْمَى بِكراء[5] ، وكان الأعمى ربَّما عَثَرَ العَثْرَة ونُكِب النَّكبة ، فيقول : اللَّهمَّ أبْدِل

---

(١) البزاز : بائع البز بفتح البـاء ، وهو الثياب ، أو متاع البيت من الثياب . والبزار : بياع بزر الكتان ، أى زيته بلغة البغاددة . وفى ط : « البزارين » وأثبت مافى س ، ل .

(٢) ل : « قرب البزازين » .

(٣) فى الأصل ، وهو هنا ل : « قنت إمالى »، وجهه ما أثبت .

(٤) ط « الجزع » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الكراء : الأجرة .

لى[1] بِهِ قائداً خيراً منه ! قال : فقال القائد : اللَّهُمَّ أبْدِلْ لى[1] بهِ أعمَى خيراً لى منه .

(حماقة ممرور)

وحدثنى يزيدُ مولى إسحاقَ بن عيسى قال : كُنّا فى منزل صاحب لنا ، إذْ خرج واحدٌ من جماعتنا ليَقِيلَ فى البيت الآخر[2] ، فلم يلبث إلّا ساعةً حتى سمِعناه يَصيح : أوْهِ[3] أوه ! قال : فنهَضْنا بأجمعنا إليه فَزِعين ، فقلنا له : مالك ؟ وإذا هو نائم على شقِّهِ الأيسر ، وهو قَابضٌ على خصيته بيده[4] فقلت له : لم صحت؟ قال : إذا غمزت خُصْيتى اشتكيتها ، وإذا اشتكيتُها صحت . قال : فقلنا له : لاتَغْمِزْها بعدُ حتى لاتشتكى ! قال : نعم إن شاء الله تعالى .

(حماقة مولاة عيسى بن على)

قال يزيد : وكانت لعيسى بن علىٍّ مَولاةٌ عجوزٌ خُرَاسانيةٌ تصرُخ بالليل من ضَرَبان ضرس لها ، فكانت قد أرَّقت الأميرَ إسحاق ، فقلت له : إنَّها مع ذلك لاتَدَع أكْلَ التمر ! قال : فبعث إليها بالغداة فقال لها : أتأكلين التَّمر بالنَّهار وتَصِيحينَ باللَّيل ؟ فقالت : إذا اشتهيتُ أكلت وإذا أوجعَنى صِحت !

---

(١) فى عيون الأخبار ٢ : ٤٨ حيث يوجد الخبر : « أبدلنى » .
(٢) قال يقيل : نام فى القائلة ، وهى منتصف النهار . فى س : « فى بيت الآخر » .
(٣) كلمة تقال عند التوجع والألم . وفيها ثلاث عشرة لغة ذكرها الفيروزبادى .
(٤) ل : « بيديه » .

(حكاية ثمامة عن ممرور)

١٠ وحدثنى ثمامةُ قال : مَررتُ فى غبّ مطرٍ والأرضُ نَدِيَّة ، والسَّماءُ متغيِّمة ، والرِّيح شَمالٌ ، وإذا شَيخٌ أصْفَرُ كأنَّه جَرادَة ، وقدْ جلسَ على قارعة الطَّريق ، وحَجّامٌ زِنجىٌّ يَحْجُمُهُ ، وقد وضع على كاهِله وأخْدَعَيْه مَحاجِم ، كل مِحْجَمةٍ كأنَّها قَعْب ، وقدْ مَصَّ دَمَهُ حتَّى كادَ أنْ يَستَفْرِغَه. قال : فوقَفتُ عليه فقلت : ياشيخُ لِمَ تَحْتَجِم فى هذا البرد[1] ؟ قال لمكانِ هذا الصُّفار[2] الذى بى .

(صنيع ممرور)

وحدثنى ثمامة قال : حدَّثَنى سعيد بن مسلم[3] قال : كُنا بخُراسانَ فى منزل بعض الدَّهاقين ونحن شَبابٌ ، وفينا شيخ . قال : فأتانا رَبُّ المنزل بدُهن طيبٍ فدَهَنَ بعضُنا رأسَه ، وبعضنا لحيته ، وبعضُنا مَسَح

---

(١) الزيادة من العقد ٤ : ٢٠٣ حيث يوجد الخبر .

(٢) الصفار ، بالضم : الماء الأصفر يجتمع فى البطن ، أو دود فيها . كذا فى القاموس وقد عبر عنه صاحب مفاتيح العلوم ص ٩٨ بكلمتى « اليرقان والأرقان » وقال : « هما صفار ، وهو أن تصفر عينا الإنسان ولونه بامتلاء مرارته ، واختلاط المرة الصفراء بدمه » . وانظر هذا الخبر فى عيون الأخبار ٢ : ٥٢ .

(٣) كذا فى ط ، ل . وفى س : « سلم » . وهذا الحديث الآتى تجده أيضا فى عيون الأخبار ٢ : ٥٦ مع اختلاف يسير .

شاربه ، وبعضُنا مَسَح يديه وأمَرَّهما على وجهه ، وبعضُنا أخَذَ بطرَف إصبعه فأدخلَ فى أنفه ومَسَح به شاربَه . فعَمَد[1] الشيخُ إلى بقيَّةِ الدُّهن فصبَّها فى أذنه ، فقلنا له : ويحك ، خالفت أصحابكَ كُلَّهُم ! هل رأيْتَ أحداً إذا أَتَوْهُ بِدُهن طِيبٍ صبَّه[2] فى أذنه ؟ قال : فإنّه مع هذا يضرُّنى[3] ؟

(أمْر عيصٍ ، سيّد بنى تميم)

وحدَّثنى مَسْعَدَةُ بنُ طارقٍ [الذَّرّاع][4] قال : واللهِ إنّا لَوُقوفٌ على حدودِ دار فلان للقِسمة ، ونحنُ فى خصومةٍ ، إذْ أقْبَلَ [عِيصٌ][5] سيِّدُ بنى تميمٍ وموسرهم[6] والذى يصلِّى على جنائزهم . فلمَّا رأيناهُ مقبِلاً إلينا أمسَكْنا عن الكلام ، فأقبل علينا فقال : حدِّثونى عن هذه الدّار ، هَلْ ضمَّ منها بعضها إلى بعض أحد[7] ؟ ! قال مسعدة : فأنا مُنْذُ سنين[8]

---

(١) عمد : قصد . وفى ط ، س : « وتعمد » ، ولا تصح هذه الكلمة مع وجود « إلى » ، وصوابها فى ل .

(٢) ل : « فصبه » وهو تحريف مافى ط ، س .

(٣) ط ، س . « فأنها مع ذلك تضرنى » ولها وجه ، أى فان تلك الفعلة ، وقد أثبت مافى ل .

(٤) عنى بكلمة : « الذراع » من يذرع الأرض ، أى يقيسها .

(٥) الزيادة من العقد (٤ : ٢٠٣)

(٦) موسرهم : غنيهم . وفى ط « مؤسرهم » محرفة .

(٧) كذا فى ل ، س . وفى ط : « أحدنا » وبهذه يخف انبهام الكلام ، مع ان الغاية من الحديث بيان شدة انبهام حديث التميمى . وكلمة « بعضها » هى فى ل : « بعض » . وفى العقد : « هل ضم بعضها إلى بعض أحد » .

(٨) ل : « منذ ستين سنة » . ومثل ذلك فى العقد .

أفكِّرُ في كلامه ما أدرى ماعَنَى به . [قال : وقال لى مرّة : مامن شر من ذين ! قلت : ولم ذاك ؟ قال : من جرا يتعلقون] .

وحدّثني الخليلُ بنُ يحيى السَّلُوليُّ قال : نازَع التيميُّ بعضَ بنى عمِّه فى حائطٍ ، فبَعَث إلينا لنَشهد على شَهادتهِ[1] ، فأتاه جماعةٌ منهم[2] الحميريُّ والزهريُّ ، والزِّياديُّ ، والبكراوى . فلمّا صِرْنا إليه وقفَ بنا على الحائط وقال : أُشْهِدُكم جميعاً أنَّ نِصفَ هذا الحائط لى !

(جواب ممرور)

قال : وقدِم ابنُ عمٍّ له إلى عمر بن حبيب ، وادَّعَى عليه ألفَ دِرهم فقال ابنُ عمِّه : ما أعرِفُ ممَّا قالَ قليلاً ولا كثيراً ، ولا له علىّ شىء ! قال : أصلحك الله تعالى ! فاكتُبْ بإنكاره . قال : فقال عمر : الإنكار لايفوتك[3] ، متى أردْتَه فهو بَينَ يديك !

(أمنية أبى عتّاب الجرّار)

قال : وقلت لأبى عتّاب الجرّار[4] : ألا تَرَى عبدَ العزيزِ الغَزّال وما يتكلّمُ به فى قَصَصه؟قال : وأىُّ شىء[5] قاله؟ [قلت]:[6] قال : ليت الله تعالى

(١) ل : « ليشهدنا على شهادة » .
(٢) ل : « فيهم » .
(٣) ل : « ليس يفوتك منه » .
(٤) فى الأصل : « لابن عتاب » ، وكنية الرجل « أبو عتاب » كما فى البيان (٢ : ٣١٨) وعيون الأخبار ٢ : ٤٨ والعقد ٤ : ١٩٧ . و « الجرار » هى كذلك فى ط ، س ، وفى ل : « الخزان » وفى البيان : « الجزار » . واسمه إبراهيم بن جامع كما فى الحيوان ٥ : ١٦٧ .
(٥) فى الأصل : « قلته » .
(٦) زيادة يحتاج إليها الكلام .

لم يَكُن خلقَنى وأنا السَّاعةَ أعور ! قالَ أبو عتّاب[١] : [وقد قصَّرَ فى القول، وأساءَ فى التمنى . ولكنّى أقول] : ليتَ الله تعالى لم يكُنْ خلقنى وأنا الساعة أعمى مقطُوعُ اليدين والرجلين !

(تعزية طريفة لأبى عتَّاب الجرار)

ودخل أبو عتّاب على عمرو[٢] بن هدَّاب وقد كُفَّ بَصرُه ، والناس يُعزُّونهُ ، فمَثَلَ بينَ يديه، وكان كالجمل المحجُوم[٣] ، [و] له صوتٌ جهير ، فقال : ياأبا أسيد، لايسوءنّك[٤] ذهابُهما ، فلو رأيتَ ثوابَهما فى ميزانك تمنّيتَ أنّ الله تعالى قد قَطَع يديك ورجليك ، ودَقَّ ظَهْرَك ، وأدْمى ضِلْعَكَ![٥] .

(داود بن المعتمر وبعض النساء)

وبينا داودُ بن المعْتَمر الصُّبَيرىّ جالسٌ معى ، إذ مرت به امرأةٌ جميلة لها قَوَامٌ وحُسْن ، وعينان عجيبتان ، وعليها ثيابٌ بيض ، فنهَضَ دَاودُ

---

(١) ط : « ابن عقاب » س : « ابن عتاب » وصوابه من ل . وانظر التنبيه ٤ من الصفحة السابقة .

(٢) ل ، ط : « عمر » ، وأثبت ما فى س وعيون الأخبار والبيان ٢ : ١٠٣ وكتاب البغال ٢٦٣ .

(٣) الجمل المحجوم : الذى وضع على فه الحجام – ككتاب – لئلا يعض ؛ فصوته أقوى صوت . وجاء فى حديث ابن عمر – وذكر أباه – : « كان يصيح الصيحة يكاد من سمعها يصعق ، كالبعير المحجوم » . فى ط : ل : « الحجوم » . وتصحيحه من س .

(٤) ط ، س : « يسؤك » وهى صحيحة . وأثبت مافى ل وعيون الأخبار (٢ : ٤٨) .

(٥) ط ، س : « ظلعك » وفى ل : « ظلفك » . والظلف ، أصله للبقرة والشاة والظبى بمنزلة القدم من الناس ، ولا يصح معه المعنى إلا بعسر . والوجه ما أثبت من الحيوان ٥ : ١٦٨ .

فلم أشُكَّ أنّه قام ليَتْبَعها ، فبعثْتُ غلامى ليَعرف ذلك ، فلمّا رجع قلت له: قد علمت [أنّك][1] إنما قُمتَ لتكلِّمها ؛ فليس ينفعُكَ إلّا الصِّدق ، ولا ينْجِيك منِّى الجُحود ، وإنما غايتى أنْ أعرف كيفَ ابتَدأتَ القول[2] ، وأىَّ شىءٍ قلتَ لها ــ وعلمت أنّه سيأتى بآبدة . وكان مليًّا بالأوابد[3] ــ قال : ابتدأتُ القول[4] بأنْ قلتُ [لها] : لولا ما رأيتُ عليكِ[5] من سيماء الخيْر لمْ أتبَعْك . قال : فضَحِكتْ حتى استنَدَتْ إلى الحائط ، ثمَّ قالت : إنما يَمْنَع مِثلَكَ مِن اتبِّاعِ مِثلى والطَّمَع فيها[6] ، ما يَرَى من سِيماء الخير فأمَّا إذْ قد صار سيماءُ الخير هو الذى يُطمِعُ فى النِّساء فإنا لِلهِ وإنا إليه راجعون !

وتبع داودُ بنُ المعتمر امرأة[7] ، فلم يزلْ يُطريها[8] حتى أجابت ، ودَلَّها على المنزل الذى يمكنها[9] فيه مايريد ، فتقدمت الفاجرةُ وعرض له

---

(١) الزيادة من س فقط .

(٢) ط ، س: « ابتدئت القول » ، وتصحيحه من ل .

(٣) ط ، س : « مليا » وفى ل : « مليئا » . قال ابن منظور : « الملىء بالهمز : الثقة الغنى . وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء » . فالروايتان صحيحتان . والأوابد : جمع آبدة ، وهى الكلمة أو الفعلة الغريبة .

(٤) ط : ، س : « ابتدئت » ، وتصحيحه من ل .

(٥) ط ، س : « لولا ماعليك » ل : « لولا مارأيت » وفى عيون الأخبار (٢ : ٥١) : « لولا مارأيت عليك » وقد أثبت مافيها جامعا بين الروايتين .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فيه » . وكلاهما صحيح .

(٧) ل : « واحدة » .

(٨) يطريها : يبالغ فىالثناء عليها ، وهن يغترن بذلك . وفى ط : « يطربها ». وليس بشىء . وفى ل : « يطردها » من طرد الصيد . وقد أثبت مافى س .

(٩) ل : « يمكنه » وهما سيان .

رجلٌ فشغَلَهُ ، وجاء إلى المنزل وقد قضى القَوْمُ حوائِجَهُمْ وأَخَذَتْ حاجتها ، فلم تنتظره[١] . فلما أتاهُمْ ولم يرَها قالَ : أين هى ؟ قالوا : واللهِ قد فرَغْنا وذَهَبت ! قال : فأىَّ طريقٍ أَخَذَتْ ؟ قالوا : [لا] والله ماندرى ؟ قال : فإنْ عَدَوْتُ فى إثْرِها حتّى أَقُومَ على مجامع الطرُق[٢] أَتُرَوْنى ألحقها ؟ قالوا : [لا] واللهِ ماتَلحقها ! قال : فقد فاتَتِ الآن ؟ قالوا : نعم . قال : فعسى أن يكون خيراً ! فلم أسمَعْ قطُّ بإنسانٍ يشكُّ أنّ السَّلامة من الذنوب خير [غيره][٣] .

(قول أبى لقمان الممرور فى الجزء الذى لايتجزَّأ)

وسأل بعضُ أصحابنا أبا لُقمان الممرور عن الجزء الذى لايتجزَّأ : ماهو؟ قال : الجزءالذى لايتجزأ هوعلىُّ بن أبى طالب عليه السلام . فقال له أبو العيناء محمد[٤] :

---

(١) ل : « وأبت أن تنتظره » .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فى جامع الطريق » محرفة .

(٣) الزيادة من س . وبدونها يصح القول أيضا ويجزل كما فى ط . وفى ل : « فلم أسمع قط بأن إنسانا مسلما شك فى أن السلامة من الذنوب خير من غيرها » .

(٤) أبو العيناء هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان الهاشمى بالولاء ، مولى أبى جعفر المنصور . ولد بالأهواز ونشأ بالبصرة ، وسمع من أبى عبيدة والأصمعى وأبى زيد والعتبى . وكان فصيحا ظريفا لسنا . دخل على المتوكل فى قصره المعروف بالجعفرى فقال له : ماتقول فى دارنا هذه ؟ قال : إن الناس بنوا الدور فى الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا فى دارك ! ولقيه بعض الكتاب فى السحر فقال متعجبا منه ومن بكوره : ياأبا عبد الله ، أتبكر فى مثل هذا الوقت ؟ فقال له : أتشاركنى فى الفعل وتنفرد بالتعجب ؟ ! . فقد أبو العيناء بصره بعد الأربعين . وسبب تلقيبه بأبى العيناء مذكور فى وفيات الأعيان . ولد سنة ١٩١ وتوفى سنة ٢٨٢ . انظر نكت الهميان ٢٦٥ .

أفليس فى الأرض جزءٌ لايتجزأ غيرُه ؟ قال: بلى حَمزةُ جزءٌ لايتجزَّأ، وجَعْفَرٌ جزءٌ لايتجزأ ! قال فما تقول فى العباس؟ قال: جزء لايتجزأ . قال : فما تقول فى أبى بكر وعمر؟ قال: أبو بكر يتجزأ، وعمر يتجزأ . قال: فما تقول فى عثمان؟ قال: يتجزَّأ مَرَّتين ، والزُّبير يتجزَّأ مرَّتين . قال : فأىَّ شىءٍ تقولُ فىمعاوية؟ قال : لايتجزأ [ولا لايتجزأ] .

فقد فكرنا فى تأويل أبى لقمان حين جعل الإمام(١) جزْءًا لايتجزأ(٢) إلى أىِّ شىءٍ ذهب ، فلم نقع عليه إلاّ أن يكون كان أبو لقمان إذا سمعَ المتكلِّمين يذكرون الُجزْءَ الذى لايتجزَّأ ، هاله ذلك وكبُر فى صدره ، وتوهَّمَ أنَّه البابُ الأكبرُ مِن عِلمِ الفلسفة ، وأن الشىءَ إذا عظُم خَطَرُه سموه بالجزء الذى لايتجزأ .

وقد تسخَّفْنا فى هذه الأحاديث ، واستجزْناَ ذلك بما تقدَّم من العُذر وسنَذْكر قَبْلَ ذِكرِنا [القول] فى الحمام جملاً من غُرَرٍ ونَوَادِرَ وأشْعَارٍ ونُتفٍ وفقَرٍ مِن قصائِدَ قصار وشوارِدَ وأبياتٍ ،لنُعطِيَ قارئُ الكِتاب من كلِّنوعٍ تذْهَبُ إليه النُّفوسُ نصيباً إن شاء الله .

---

(١) المراد بالإمام : على بن أبي طالب . وفى ط ، س : « الأنام » بمعنى الخلق ، وأثبت مافى ل .

(٢) كذا فى س ، ل . وفى ط : « أجزاء لاتتجزء » فيكون صواب مافى ط : « جعل الأنام أجزاء لاتتجزأ » والمراد بالجزء الذى لايتجزأ ، أن الأجسام تنحل إلى أجزاء صغار لايمكن ألبتة أن يكون لها جزء . وهذا هو مذهب جمهور المتكلمين وأما الفلاسفة فيرون أن كل جزء فإنه ينقسم إلى أصغر منه ، وهكذا إلى غير نهاية . وقد تبعهم فى ذلك النظام وبعض المعتزلة ، فنفى الجزء الذى لايتجزأ . انظر الفصل ٥ : ٩٢ — ١٠٨ والفرق ص ١٢٣ . وقد صنف جعفر ابن حرب المعتزلى كتابا فى تكفير النظام بإبطاله الجزء الذى لايتجزأ . الفرق ١١٥ .

(٣) الزيادة من س .

(تناسب الألفاظ مع الأغراض)

ولكلِّ ضربٍ من الحديث ضَرْبٌ من اللفظ ، ولكلِّ نوعٍ مِن المعانى ١٢ نوعٌ من الأسماء : فالسَّخيفُ للسخيف ، والخفيفُ للخفيف[1] ، والجزلُ للجَزل ، والإفصاحُ فى مَوضع الإفصاح ، والكِناية فى موضع الكناية ، والاسترسال فى موضع الاسترسال .

وإذا[2] كان مَوْضِعُ الحديثِ على أنّهُ مُضْحِكٌ ومُلْهٍ[3] ، وداخِلٌ فى باب المزَاح والطِّيب[4] ، فاستَعْمَلْتَ فيه الإعراب ، انقَلَبَ عن جِهَتِه . وإنْ كان فى لفظه سُخْف وأبْدَلْتَ السَّخافَة بالجزالة ، صارَ الحديثُ الذى وَضِع على أنْ يسُرَّ النُّفوسَ يُكْرُبها ، ويَأْخُذُ بِأَكظامها[5] .

---

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « وإن » . وأثبت مافى ل .

(٣) ط ، س : « وملهى » ، والصواب ماأثبت من ل .

(٤) الطيب بمعنى الهزل والفكاهة . وفى ل : « المزح الطيب » . وأثبت مافى ط ، س . وانظر التنبيه الأول من ص ٦ .

(٥) الأكظام : جمع كظم ، بالتحريك ، وهو مخرج النفس . والكلام فى استعمال الإعراب عند الفكاهة وسرد النوادر سبق للجاحظ مثله فى الجزء الأول ص ٢٨٢ .

(الوقار المتكلف)

وبعضُ النَّاسِ إذا انتهى إلى ذِكْرِ الحِرِ والأيرِ والنَّيك ارتَدَع وأظهرَ التقَزُّز [١] ، واستَعْمَل بابَ التَّوَرُّع . وأكثَرُ مَنْ تجده كذلك فإنَّما هو رجلٌ ليس مَعَه من العَفافِ والكَرَم ، والنُّبْل والوَقار ، إلَّا بقَدْر هذا الشَّكل من التَّصنع . ولم يُكْشَفْ قطُّ صاحِبُ رياءٍ ونِفاقٍ ، إلّا عن لؤمٍ مُسْتَعْمَل ، ونذالةٍ متمكِّنة .

(تسمُّح بعض الأئمة فى ذكر ألفاظ)

وقد كان لهم فى عبدِ الله بن عباسٍ مَقْنَع ، حينَ سَمِعه بعضُ الناس [٢] يُنشد فى المسجد الحرام [٣] :

وهُنَّ يَمشِينَ بنــا هَمِيسَا ۞ إنْ تَصْدُقِ الطَّيرُ نَنِكْ لميسَا [٤]

---

(١) التقزز : التباعد من الدنس . وفى ط ، س : « التعزز » بمعنى التكبر والتشدد ، كما فى اللسان ، وأثبت مافى ل .

(٢) هو أبو العالية ، كما فى عيون الأخبار ١ : ٣٢١ .

(٣) فى العقد ٣ : ١٢٢ أنه كان يرتجز فى الطريق بالبيت الآتى فى طريقه إلى مكة . وفى العمدة ١ : ١١ أن ابن عباس سئل : هل الشعر من رفث القول ؟ فأنشد البيت وقال : « إنما الرفث عند النساء » ثم أحرم للصلاة . وليس فى الخبر عنده ذكر المسجد الحرام أو مكة . والبيت ليس لابن عباس بل تمثل به كما فى اللسان (همس) .

(٤) الهميس : المشى الخفى الحس . لميس : اسم امرأة .

فقيل له فى ذلك ، فقال : إِنَّما الرَّفَثُ ما كان عند النساء .

وقال الضَّحَّاك : لو كان ذلك القولُ رَفَثاً لـكان قطْعُ لسانِه أحبَّ إليه مِنْ أن يَقُولَ هُجْرا[1] .

قال شَبِيبُ بن يزيد الشيبانى[2] ، لَيْلَةَ بَيَّتَ[3] عتَّابَ بنَ ورَقاء[4] :

* مَنْ يَنِكِ الْعَيْرَ يَنِكْ نَيَّاكَا *

وقال علىُّ بنُ أبى طالبٍ ــ رضى الله عنه ــ حينَ دخَلَ على بعض الأمراء فقال له : مَن فى هذه البيوت ؟ فلما قيل له : عقائلُ من عقائل

---

(١) الكلام من مبدإ « وقال الضحاك » : كان فى الأصل متأخرا عن مكانه ، بعد نهاية خبر شبيب الآتى . وقد رددته إلى موضعه الطبيعى . والضحاك هـذا هو الضحاك بن عبد الله الهلالى ، وهو أحد من انضم إلى عبد الله بن عباس فى خروجه على على بن أبى طالب . انظر تفصيل هذا فى العقد ٣ : ١٢٠ - ١٢٢ .

(٢) هو شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجى ، كان مع صالح بن مسرح رأس الصفرية . خرج شبيب بالموصل ، وبعث إليه الحجاج خمسة قواد فقتلهم واحدا بعد واحد . وفى إحدى حروبه نفر به فرسه على نهر دجيـل - دجيل الأهواز لادجيـل بغداد - فغرق فيه وكانت تشترك معه زوجه غزالة وكذا أمه جهيزة فى مقاومة الحجاج . ولما دخل هو وزوجه غزالة على الحجاج فى الكوفة ، تحصن منها وأغلق عليه قصره ، فكتب إليه عمران بن حطان - وقد كان الحجاج لج فى طلبه - :

أسـد على وفى الحروب نعامة ربداء تجفل من صفير الصافر !
هلا برزت إلى غزالة فى الوغى بل كان قلبك فى جناحى طائر !

ولد شبيب سنة ٢٦ وتوفى سنة ٧٧ . انظر المعارف ١٨٠ ، ووفيات الأعيان ، والأغانى ١٦ : ١٤٩ ، ٢١ : ٨ .

(٣) ط ، س : « ليلة فى بيت » ل : « ليلة بيته » ، والصواب ماأثبت من المعارف ١٨٢ . وبيت العدو : أوقع به ليلا .

(٤) عتاب بن ورقاء ، كان يكنى أبا ورقاء ، وكان من أجواد العرب ، وولى عدة ولايات ، وقاد عدة جيوش .

(٥) يضرب مثلا لمن يغالب الغلاب . وأصل المثل فى أمثـال الميدانى ٢ : ٢٣٢ - ٢٣٣ . وقد سبق فى الجزء الثانى ص ٢٥٦ .

العرب ، قال عليٌّ : « مَنْ يَطُلْ أَيْرُ أَبِيهِ يَنْتَطق به[١] » .

فعَلَى عليٍّ رضى الله تعالى عنه ـ يعوَّل[٢] فى تنزيه اللفظ وتشريف المعانى[٣] .

وقال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ حين قال بُدَيل بنُ ورقاء[٤] للنبىّ صلى الله عليه وسلم : جئتَنا بعجرائك وسودانك ، ولو قد مَسَّ هؤلاء وخْزُ[٥] السِّلاحِ لَقَدْ أسْلَمُوك ! فقال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ : عَضِضْتَ ببَظْر اللَّات !

---

(١) قال الميدانى فى الأمثال ٢ : ٢٢٨ : « يريد من كثر إخوته اشتد ظهره وعزه بهم » . وانظر رسائل الجاحظ ٢ : ٩٢ بتحقيقنا .

(٢) ط ، س : « يقدم » وتصحيحه من ل .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل . وكلمة « تشريف » هى فى ط ، س : « شرف » وأثبت مافى ل .

(٤) بديل بن ورقاء : صحابى ، ترجم له ابن حجر فى الإصابة ١ : ١٤٦ وكان من الرجال البارزين فى يوم الفتح وبعده . انظر سيرة ابن هشام . والمعروف فى كتب السيرة نسبة مثل الكلمة الآتية إلى عروة بن مسعود الثقفى . جاء فى سيرة ابن هشام ، عند الكلام فى أمر الحديبية : « فخرج – يعنى – عروة بن مسعود الثقفى – حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يامحمد ! أجمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ؟ ! إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمور ، يعاهدون الله لاتدخلها عليهم عنوة أبدا ! وايم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا . قال : وأبو بكر الصديق خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ، فقال : امصص بظر اللات ! أنحن ننكشف عنه ؟ ! قال : من هذا يامحمد ؟ قال : هذا ابن أبى قحافة . قال : أما والله لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها ، ولكن هذه بها ! » . وقد نقل هذا الكلام عنه ابن سيد الناس ٢ : ١١٦ وكذلك ابن كثير فى البداية والنهاية . وانظر رسائل الجاحظ ٢ : ٩٣ .

(٥) الوخز : الطعن الخفيف الضعيف . وفى ل : « حر » .

وقد رووْا مرفوعاً قوله : « مَنْ يُعْذِرُنى من [ابن] أمّ سباع[١] مُقَطِّعَة البُظور ؟ » .

(لـكلٍّ مقام مقال)

ولو كان ذلك الموضعُ موضعَ كناية هى المستعملة . وبعد فلو لم يكن لهذه الألفاظِ مواضعُ استعملها أهلُ هذه اللُّغة وكان الرأىُ ألَّا يُلفَظَ بها ، لم يَكُنْ لأوّل كونها معنًى إلّا على وجه الخطإ ، ولـكان فى الحزْم والصَّوْنِ لهذه اللُّغة أنْ تَرْفَعَ هذه الأسماء منها .

وقد أصاب كلَّ الصَّوابِ الذى قال : « لِـكُلِّ مَقَـامٍ مَقال[٢] » .

(صورٌ من الوقار المتـكلّف)

ولقد دخل علينا فتًى حَدَثٌ كان قَدْ وقَعَ إلى أصحاب عبد الواحد ابن زيد[٣] ونحنُ عند مُوسى بن عِمْران ، فدارَ الحديثُ إلى أن قال الفتى : أفطرتُ البارحةَ على رغيفٍ وزيتونة [ونصف ، أو زيتونَة وثلث ، أو زيتونَة وثُلُثَى زيتونة ، أو ما أشبه ذلك . بل أقول : أكلت زيتونَة] ، وما علم الله من ١٣

---

(١) يقال : أعذره منه : أمكنه « وتروى مثل هذه الـكلمة منسوبة إلى حمزة بن عبد المطلب . انظر مفاخرة الجوارى والغلمان وسيرة ابن هشام ٥٦٣ — ٥٦٤ جوتنجن وتاريخ الطبرى القسم الأول ص ١٤٠٥ . وسباع هذا هو ابن عبد العزى الغبشانى . وفى س : « سياع » مصحفة . وقد قتله حمزة بن عبد المطلب يوم أحد . السيرة ٦١١ وكانت أمه ختانة بمكة . السيرة ٥٦٣ .

(٢) انظر المثل فى كتاب الميدانى (٢ : ١٣٢) .

(٣) عبد الواحد بن زيد البصرى الزاهد ، كان شيخا للصوفية ، وكان من أهل الحديث ، =

أخرى[١] ، فقال موسى : إنّ مِن الورع ما يُبغِضُه الله، علِمَ الله ؛ وأظُنُّ ورَعَكَ هذا من ذلك الورع .

وكان العُتْبى[٢] ربّما قال : فقال لى المأمون كذا وكذا ، حينَ صارَ النَّجْمُ على قِمَّة الرأس ، أو حينَ جازَنِى[٣] شيئاً ، أو قبل[٤] أن يوازىَ[٥] هامتى . هكذا هو عندى ، وفى أغلَبِ ظنِّى ، وأكرَهُ أنْ أجزِمَ على شىءٍ وهُوَ كما قلت إن شاء الله تعالى ، وقريباً ممّا نقلت . فيتوقف فى الوقتِ الذى ليسَ من الحديث فى شىء . وذلك الحديث إن كان مَعَ طلوعِ الشمسِ لم يَزِدْه ذلك خيراً ، وإن كان مَعَ غرُوبها لم ينقُصه ذلك شيئاً . هذا ولعلَّ الحديثَ فى نفسه لم يكُنْ قَطُّ ولم يَصلْ هو فى تلك الليلة ألبتّة . وهو مع ذلك زعم أنّه دخَل على أصحابِ الكَهف فعَرَف عَدَدَهم ، وكانت عليهم ثيابٌ سَبَنيّة[٦] وكلبهم مُمَعَّط الجلد. وقد قال الله عزَّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وسلم : ﴿لَو اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ .

= قال حصين بن القاسم : لو قسم حديث عبد الواحد على أهل البصرة لوسعهم . ولكنه كان متهما فى حفظه ، كثير الوهم . لسان الميزان (٤ : ٨٠) . وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست ٢٦٠ مصر ١٨٣ ليبسك ، ضمن العباد والزهاد . وانظر خبرين من أخبار أصحابه فى البيان (٣ : ١٧١ ، ٢٨٦) .

(١) أى من ريتونة أخرى . وهذه الكلمة هى فى ط : « أمرى » محرفة صوابها فى س ، ل .

(٢) العتبى هو محمد بن عبد الله . سبقت ترجمته فى الجزء الأول ص ٥٤ . وفى ل : « القينى » محرفة ، صوابها فى س ، ط .

(٣) ط : « جازبى » ، والوجه ماأثبت من ل ، س .

(٤) ل : « قبيل » .

(٥) ط : « يوارى » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٦) ثياب سبنية : نسبة إلى سبن ، بالتحريك ، وهو موضع لم يعينه ياقوت . =

(بعض نوادر الشعر)

وسنذكرُ من نوادرِ الشِّعر جملةً ، فإن نشطت لحفظِها فاحفَظها ؛ فإنَّها من أشعار المذاكرة . قال الثَّقفي[1] :

مَنْ كَانَ ذَا عَضُدٍ يُدرِكْ ظُلَامَتَهُ
إن الذَّليلَ الَّذِى لَيْسَت لَهُ عضُد

تَنْبُو يَدَاهُ إِذَا مَا قــلَّ نَاصِرُهُ ويَأنف الضَّيمَ إنْ أثْرى لَهُ عَدَدُ[2]

وقال أبو قيس بن الأسلت[3] :

= والفيروزبادى جعله قرية ببغداد . وأما صفة الثياب فقد اختلف اللغويون فيها ، فن قائل إنها القسية ، أى الثياب صنعت من كتان مخلوط بحرير . ومن قائل إنها ضرب من الثياب يتخذ من مشاقة الكتان أغلظ مايكون . وهذا المعنى الأخير هو المناسب للكلام . وهذه الكلمة هى فى ط ، س: « الششنية » تحريف ماأثبت من ل .

(١) الثقفى هذا ، هو الأجرد الثقفى كما فى الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٧١٢ . وهو من الشعراء الذين وفدوا على عبد الملك بن مروان . والبيتان الآتيان رواهما الجاحظ فى البيان ١ : ٦٧ ، ٣ : ٢٢٥ وكذا ابن قتيبة فى عيون الأخبار ٣ : ٢ .

(٢) ط : « وتأنف » وتصحيحه من ل ، س : والبيان وعيون الأخبار . وأثرى عدده : كثر عدد قبيله أو أنصاره .

(٣) أبو قيس ، قال صاحب الأغانى ١٥ : ١٥٤ : لم يقع إلى اسمه . والأسلت لقب أبيه ، واسمه عامر بن جشم ، ينتهى نسبه إلى الأوس . وأبو قيس شاعر من شعراء الجاهلية . قال هشام بن الكلبى : كانت الأوس قد أسندوا أمرهم فى يوم بعاث إلى أبى قيس بن الأسلت ، فقام فى حربهم وآثرها على كل أمر حتى شحب وتغير ، ولبث أشهرا لايقرب امرأته . ثم إنه جاء ليلة فدق على امرأته ففتحت له ، فأهوى إليها بيده فدفعته وأنكرته ، فقال : أنا أبو قيس ! فقالت : والله ماعرفتك حتى تكلمت ! فقال فى ذلك أبو قيس ، القصيدة التى أولها : =

بزُّ امرئٍ[1] مُسْتَبْسِلٍ حَاذرٍ[2] للدَّهر ، جِلْدٍ غيرِ مِجْزَاعِ
الكَيْسُ[3] والقُوَّةُ خيرٌ مِنْ الا إِشْفَاقِ[4] والفهةِ والهَاعِ[5]

وقال عَبْدَةُ بنُ الطَّبيب :

رَبٌّ حَبَانَا بأمْـوَالٍ مُخَوَّلةٍ وكلُّ شيءٍ حَبَاهُ اللهُ تخويلُ
والمرءُ ساعٍ لأمر لَيْسَ يُدْرِكه والعيْشُ شُحٌّ وإشْفَاقٌ وَتأمِيلُ

وكان عمرُ بنُ الخطَّاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ يردِّد هذا النصفَ الآخرَ ، ويَعجَبُ مِنْ جَودَة ماقسَم[6] .

= قالت ولم تقصد لقيل الخنا مهلا فقد أبلغت أسماعى
استنكرت لوناً له شاحباً والحرب غول ذات أوجاع

قلت : والقصيدة من المفضليات ص ٢٨٤ ومنها البيتان المذكوران . وأما ابن حجر فى الإصابة (٩٣٥ من باب الكنى) فقال : « مختلف فى اسمه : فقيل صيفى ، وقيل الحارث ، وقيل عبد الله ، وقيل صرمة . واختلف فى إسلامه » . وانظر الخزانة ٣ : ٣٧٥ – ٣٧٨ .

(١) البز : السلاح ومثلها البزة . وجاءت الرواية فى ط ، س : « إنى امرؤ » وأثبت رواية ل . وهى الموافقة لما فى المفضليات .

(٢) الحاذر : المتأهب الشاكى السلاح ، وجاء مثل هذا فى قول القائل :

وَبِزَّةٍ فَوْقَ كَمِيٍّ حاذِرٍ وَنَثْرَةٍ سَلَبْتُها عَن عامِرِ

وجاء فى ط : « حازر » بالزاى ، وهو تحريف صوابه فى س ، ل ، والمفضليات .

(٣) رواية المفضليات : « الحزم » .

(٤) رواية المفضليات : « الإدهان » . والإدهان : اللين . والإشفاق : الخوف .

(٥) الفهة : العى . وجاء فى ط ، س : « القمية » وهى إن صحت فى اللغة كان معناها الذلة . وقد أثبت رواية ل . ورواية المفضليات : « الفكة » والفكة : استرخاء الرأى . والهاع : سوء الحرص مع الضعف . وهذه هى رواية ل ، والمفضليات . وفى ط ، س : « العاع » وجاء فى اللسان والقاموس: عيع بالتشديد ، بمعنى عىّ . ولم ترد فيهما لفظة « العاع » .

(٦) انظر العقد ٣ : ٣٨٧ والبيان ١ : ٢٤٠ – ٢٤١ والصناعتين ٣٣١ .

وقال المتلمِّس :

وأعْلَمُ علمَ حقٍّ غـيْرَ ظَنٍّ   وتقْوَى اللهِ مِنْ خيْرِ العَتَاد

لِحَفْظُ المَـال أيسر من بُغاهُ[١]   وضربٍ فى البِلادِ بِغَيْرِ زَادِ

وإصْلَاحُ القَليلِ يزيدُ فيه   ولا يَبْقَى الـكثيرُ مَعَ الفَسادِ   ١٤

وقَال آخر :

وحِفْظُكَ[٢] مَالًا قَدْ عُنيتَ بجمعهِ

أَشَدُّ من الجمْع[٣] الذى أَنت طالبُه

وقال حُميد بن ثَور الهِلالىّ :

أتشْغَلُ عنَّا يَابْنَ[٤] عمٍّ فلن[٥] ترى

أخا[٦] البخل إلَّا[٧] سوف يعتلُّ بالشغل

وقال ابن أحمر :

هذا الثناء وأَجْدِرْ أنْ أصاحبه   وقد يدوِّم رِيقَ الطامِعِ الأملُ[٨]

---

(١) يقال : بغى الشيء يبغيه بغاء وبغى وبغية ، بضمهن . وماأثبت هو مافى س . وفى ل : « خير من بغاة » ، وهى رواية البحترى فى حماسته ص ٣٤٣ . وفى ط : « أيسر من فناه » وهذه رواية العقد ٢ : ٤١ . وفناه : فناؤه ، وقصر لضرورة الشعر ، ومثل هذه الرواية فى المعنى رواية البغدادى فى الخزانة ٣ : ٧٢ :

* لحفظ المال خير من ضياع *

وقد خصص البحترى الباب الثلاثين والمائة لما قيل فى إصلاح المال وحفظه .

(٢) الرواية فى س : « حفظك » بخرم البيت .

(٣) ط ، س : « المال » والوجه ماأثبت من ل ، والبخلاء ١٤٢ . قال الجاحظ : « وقد قضوا بأن حفظ المال أشد من جمعه » وأنشد البيت .

(٤) ل : « بابن » ولعل الوجه ماأثبت من ط ، س . وهو الأشبه بقول الشعراء .

(٥) ط ، ل : « فلا » .

(٦) ط ، س : « من » ، والوجه ماأثبت من ل .

(٧) ط : « لا » وتصحيحه من س ، ل . وفى ط ، س : « سوف تعتل » وتصحيحه من ل .

(٨) « الثناء » جاءت فى ط ، س : « الشقاء » وهو تحريف صوابه من ل =

وقال ابن مقبل :

هَلِ الدَّهرُ إلَّا تارَتَان ، فمِنهما

أموت وأُخْرَى أبْتَغِى العَيْشَ أكْدَحُ[١]

وكلتاهما قد خُطَّ لى فى صحيفة

فلا المَوْتُ أهْوَى لى ولا العيش أروحُ[٢]

وقال عمرو بن هند :

وإن الذى ينْهاكُمُ عن طلابِها يُناغى نِساءَ الحىِّ فى طُرَّةِ البُرْدِ[٣]

يُعَلَّلُ والأيَّامُ تنقُصُ عُمْـرَه[٤]

كما تنقصُ[٥] النِّيران[٦] من طرف الزَّند

= والبيان ١ : ١٨٠ واللسان (مادة دوم) . وجاء فى س : « فأجدر » . وكلمة « أصاحبه » هى فى الأصل « صاحبه » محرفة ، وتصحيحها من البيان واللسان . قال ابن برى فى هذا البيت : « يقول : هذا ثنائى على النعمان بن بشير ، وأجدر أن أصاحبه ولا أفارقه . وأملى له يبقى ثنائى عليه ، ويدوم ريق فى فى بالثناء عليه » .

(١) الرواية المشهورة فى البيت : « وما الدهر » . انظر ديوان ابن مقبل ٢٤ و الكامل ٥٣٨ ليبسك وحماسة البحترى ١٨٣ وكتاب سيبويه ١ : ٣٧٦ . واستشهد به المبرد وسيبويه على حذف الاسم لدلالة الصفة عليه . وتقدير الكلام : فمنهما تارة أموت فيها .

(٢) هذا البيت من ل . وروى فى حماسة البحترى : « فلا الموت أهواه » وما هنا أوفق .

(٣) طرة الشعر والثوب : طرفه .

(٤) ط ، س : « نعلل والأيام تنقص عمرنا » ، وأثبت مافى ل ، والبيان ٣ : ٣٤ وما سيأتى فى ص ٤٧٩ .

(٥) ش : « تنقض » وله وجه . س : « فنقض » وليس بشىء .

(٦) ط : « الأيام » وهو تحريف ماأثبت من س ، ل ، والبيان .

وقال أُمَيَّة — إن كانَ قالها [١] — :

رُبَّمـا تَجْزَعُ النُّفُوس مِنَ الأَمْـ ـرِ لهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ العِقَال

(شعر فى الغزل)

وقال آخر [٢] :

رَمَتْنِي وَسِـتْرُ اللهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا عَشِـيَّةَ آرَام الـكِناسِ رَمِيمُ [٣]

ألاَ رُبَّ يومٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمَيْتُهَا ولـكِنَّ عَهْدِي بالنِّضَالِ قديمُ [٤]

رَمِيمُ الَّتِي قالتْ لجَارَات بَيْتِهَا ضَمِنْتُ لَـكُمْ أَنْ لاَيَزَالُ يَهِيمُ [٥]

وقال آخر :

لم أَعْطُهَا بِيَدِى إِذْ بِتُّ أَرْشُفُهَا إلاَّ تطاوَلَ غُصْنُ الجيـدِ للجِيدِ [٦]

---

(١) ل : « قاله » . وانظر اللسان (فرج) .

(٢) هو أبو حية النميرى كما فى الـكامل ١٩ ليبسك والحماسة (٢ : ١١٠) . وانظر البيان ١ : ٦٨ و ٣ : ٣٢٤ .

(٣) يقول : رمتنى بطرفها . وعنى بستر الله ، الإسلام ، أو الشيب . وآرام الـكناس ، روى فيها : « بأحجـار الـكناس » وهو اسم موضع . انظر الـكامل واللسان (كنس) . ورواية الحماسة : « ونحن بأكناف الحجاز » . ورميم هى خليلته .

(٤) قال المبرد فى شرح هذا البيت : « لوكنت شابا لرميت كما رميت ، وفتنت كما فتنت ، ولـكن قد تطاول عهدى بالشباب ! » .

(٥) هذا البيت ساقط من ل . ويصح فى « أن » أن تـكون ناصبة أو مخففة من الثقيلة يرفع بعدها الفعل .

(٦) فى اللسان : عطا الشيء يعطوه : إذا أخذه وتناوله .

كما تَطَاعَمَ فى خَضْرَاءَ نَاعِمَـةٍ مطوَّقَانِ أصَاخَا بعـد تغريدِ[١]

فإنْ سَمِعتَ بهلْكٍ للبَخيلِ فقُلْ بُعداً وسُحْقاً له مِنْ هَالكٍ مُودِى

(شعر فى الحِكَم)

وقال أبو الأسود الدؤلىّ[٢] :

المرءُ يَسْـعَى ثمَّ يُدْرِكُ مَجْـدُهُ حَتَّى يُزَيَّنَ بالَّذِى لم يَفعَـلِ[٣]

١٥ وتَرَى الشقىَّ إذا تكامَلَ غَيُّه[٤] يُرْمى ويقْذَفُ بالَّذِى لم يَعْمَـلِ

[وقال دريد :

رئيسُ حروب لا يزال ربيئـةً مشيحٌ على محقوقف الصُّلب مُلْبَدِ[٥]

صَبور على رزء المصائب حافظٌ من اليوم أعقاب الأحاديث فى غدِ[٦]

وهَوَّن وجدى أننى لم أقـلْ له كذَبتَ ولم أبْخَلْ بما ملكتْ يدى]

---

(١) خضراء ، عنى بها شجرة أو أيكة . والناعمة : الخضراء الناضرة . نعم العود : اخضر ونضر . والمطوقان : حمامتان مطوقتان . وتطاعمهما : أن يدخل الذكر فمه فى فم أنثاه . وفى ط ، ل : « مطوقات أصاخت » ، والوجه ما أثبت من ل ، واللسان (طعم) .

(٢) الدؤلى : نسبة إلى الدئل بضم الدال وكسر الهمزة ، وهو أبو قبيلة من الهون ابن خزيمة . يقال فى النسبة إليه دؤلى ودولىّ بفتح عينهما ، وديلى بكسر الدال ، ودئلى بكسرتين . وجاء فى س « الديلى » . وأبو الأسود هو ظالم بن عمرو ابن جندل بن سفيان بن كنانة . كان عاقلا ، حازما ، بخيلا . وهو أول من وضع العربية . وكان شاعرا مجيدا ، وشهد صفين مع على ، وولى البصرة لابن عباس ومات بها — وقد أسن — سنة تسع وستين .

(٣) مجده فاعل يدرك ، أى يتكامل مجده ويتم . من أدرك الثمر .

(٤) ل : « عيبه » .

(٥) يقال احقوقف ظهر البعير والفرس : إذا طال واعوج ، وعنى بالمحقوقف فرسه . الملبد : الفرس قد شد عليه اللبد .

(٦) الرواية فى الحماسة : « قليل التشكى للمصيبات حافظ » . والأبيات من قصيدة يرثى بها دريد أخاه عبد الله بن الصمة ، روى بعضها أبو تمام فى الحماسة (١ : ٣٣٦ — ٣٤٠) .

وقال سعيدُ بن عبد الرحمن[١] :

وإنَّ آمرأً يُمسى ويُصْبِحُ سَالِما مِنَ النَّاس إلاَّ ما جَنَى لَسَعِيدُ[٢]

(شعر فى الزهد)

وقال أكثمُ بنُ صيفىّ :

نُربِّى ويَهْلِكُ آباؤنَا وبَيْنَا نُرَبِّى بَنِينَا فَنِينَا

وقَال بعضُ المحدَثين :

فالآنَ أَسْمحْتُ للخطوبِ فَلاَ يُلْفَى فُؤادِى مِنْ حَادِثٍ يَجِبُ[٣]

قَلَّبنى الدَّهرُ فى قوالبه وكُلُّ شىءٍ ليومِه سَبَبُ

وقال آخر[٤] :

لِدُوا للمَوْتِ وابْنُوا للخَرَابِ فَكُلُّكُمُ يَصِيرُ إلى ذَهاب[٥]

ألاَ ياموتُ لم أَرَ مِنْكَ بُدًّا أَبَيتَ فما تَحِيفُ ولا تُحَابى[٦]

كأنَّكَ قَدْ هجمت على مَشيبى كما هَجَمَ المشيب عَلَى شبابى[٧]

---

(١) هذا مافى ل ، ومثله فى الحيوان ١ : ٢٤ ونهاية الجزء الثانى من البيان . وفى س ، ط : « وقال آخر » . وجاء فى عيون الأخبار (٢ : ١٢) : « وقال حسان : قلت شعرا لم أقل مثله » . وأنشد البيت .

(٢) إلا ماجنى ، يريد إلا جزاء ماجنى . وجاءت هذه الكلمة فى س : « عنى » وفى ط : « جنا » وهما تحريف ما أثبت من ل والبيان وعيون الأخبار .

(٣) أسمح للخطوب : لان وانقاد ، وهو عبارة عن التحمل والصبر . ووجب القلب وجبا ووجيبا ووجباناً : خفق .

(٤) هو أبو نواس ، والأبيات من ثلاثة عشر بيتاً فى ديوانه ص ٢٠٠ . ونسبت فى الأغانى ٣ : ١٥٥ إلى أبى العتاهية . وهى فى ديوان أبى العتاهية أيضا ص ٢٣ - ٢٤ .

(٥) الرواية فى ط ، س : « وكلكم يصير إلى التراب » وأثبت ما فى ل والديوان ، وهو الموافق لما فى محاضرات الراغب (٢ : ٢٢٤) .

(٦) حاف يحيف : جار وظلم . وفى ط ، س « تخيف » وهو تصحيف مافى ل . وفى الديوان : « قسوت فما تكف وما تحابى » .

(٧) ط والديوان : « على الشباب » وفى الديوان أيضاً : « هجمت على حياتى » .

وقال آخر[١] :

يانفس خوضى بحَارَ الْعِلْمِ أوغُوصى ... فالنَّاس مِنْ بَيْنِ مَعْموم ٍوَمَخْصوص ِ[٢]

لاشىء فى هـذه الدنيا يُحاط به ... إلاَّ إحَاطَـةَ مَنقوص بمنقـوص ِ

(شعر فى التشبيه)

وأنشدنا للأحيمر[٣] :

بأقَبَّ منْطَلِقِ اللَّبـانِ كأنَّه ... سِيد تَنَصَّل من حُجور سَعالى[٤]

وقال الآخر[٥] :

أراقب[٦] لمحاً من سهيلٍ كأنَّه ... إذَا مابَدَامِنْ دُجْيَة اللَّيل يطرفُ[٧]

وقالوا[٨] قال خلفٌ الأحمر : لم أَرَ أجمَعَ مِن بيتٍ لأمرئ القيس ، وهو قوله :

---

(١) ط ، س : « وقال منهم آخر » والوجه حذف « منهم » كما فى ل . وجاء فى أدب الدنيا والدين ص ٢١ ، « وأنشد الرشيد عن المهدى بيتين وقال : أظنهما له » ثم روى البيتين .

(٢) ط : « بين مغموم » وصوابه فى س ، ل وأدب الدنيا والدين .

(٣) ط ، س « وأنشد الأحيمر » وما أثبت من ل .

(٤) الأقب : الضامر البطن ، عنى به فرسا . اللبان ، بالفتح : الصدر ، وأراد بانطلاق اللبان انبساطه واستواءه . وفى الأصل : « منطلق اللسان » بمعنى زلق فصيح وليس يكون ذلك . والسيد ، بالكسر : الذئب . تنصل من حجور السعالى : خرج منها . والسعلاة — فيما يزعم العرب — : الغول . يقول : كأنه ذئب خبيث فهو سريع العدو . جاء فى ل : « تنصل فى » .

(٥) هو جران العود . والبيت من قصيدة مثبتة فى ديوانه ١٣ — ٢٤ .

(٦) هذا مافى ل والبيان (٣ : ٤٠) وهو صواب الرواية . وفى ط ، س « يراقب »

(٧) الرواية فى الديوان ص ١٤ وكذا فى ل : « من آخر الليل » . والدجية ، بالضم : الظلمة وجمعها دجى . ويطرف : أى كما تطرف العين .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من ل .

أفادَ وجَادَ وسَـاد وزَادَ وقاد وذاد وعادَ وأفضـل[1]

ولاَ أجمعَ مِنْ قوله[2] :

لهُ أَيْطَلاَ ظَبْيٍ وسَاقَا نَعَامَةٍ وإرخاءُ سِرْحَانٍ وتَقْرِيبُ تَتْفُل

وقالوا : ولم نر[3] فى التشبيه كقوله ، حينَ شبَّه شيئين بشيئين فى حالتين مختلفين فى بيتٍ واحدٍ ، وهو قوله : ١٦

كأنَّ قلوبَ الطَّـيرِ رَطْباً ويَابساً لدَى وكْرِهَا العُنَّابُ وَالحَشَفُ البَالِي

(قطعة من أشعار النساء)

وسنذكرُ قِطعة من أشعارِ النساء . قالتْ أعرابيَّة[4] :

رَأَتْ نِضْوَ أَسْفارٍ أُميمَةُ شاحباً على نِضْوِ أسفارٍ فجنَّ جُنُونها

فقالتْ : مِنَ ايِّ الناس أنتَ ، وَمَنْ تَـكُنْ

فإنَّكَ مَـوْلى فِرْقَـةٍ لا تَزينُها

---

(١) كذا فى ل ومثله عند العكبرى ٢ : ٧٢ . وجاء فى ط ، س :

أفاد وجاد وساد وقاد وعاد وزاد وزاد وأفضل

وقد جرى على طريقة امرئ القيس أبو العميثل الأعرابى فقال :

اصدق وعف وبر واصبر واحتمل واصفح ودار وكاف وابذل واشجع

ثم المتنبى فى قوله :

أقل أنل اقطع احمل علّ سلّ أعد زد هشّ بشّ تفضل ادنسرّ صل

انظر الوساطة ٢٥٣ والعكبرى .

(٢) كذا فى ل وفى ط ، س : : « وقالوا : وقال خلف الأحمر : لم أر أجمع من بيت امرئ القيس » .

(٣) س : « يرى » .

(٤) كذا . والشعر كما ترى ، ينطق بأن قائله رجل .

(٥) الفرقة ، بالكسر : الجماعة . ط ، س : « وقرينها » صوابه فى ل ونقد الشعر ٧٣ واللسان (ضحا ٢١٢) حيث أنشد خمسة أبيات .

وقالت امرأةٌ من خثعم :

فإنْ تسألونى مَنْ أُحِبُّ فإنَّنِى
أُحِبُّ ، وبَيتِ الله ، كَعْبَ بْنَ طارقِ

أحبُّ الفتى الجَعْدَ السَّلولِيَّ ناضلا[١] على النَّاس مُعتاداً لضَرْبِ المَفارقِ

وقالت أخرى :

وما أحسَنَ الدُّنيا وفى الدَّارِ خالدٌ وأَقبَحَها لَمَّا تجَهزَ غاديا

وقالت أُمُّ فَروة[٢] الغطَفانيَّة :

فما ماءُ مزْنٍ أىُّ ماءٍ تقولُهُ تحَدَّرَ مِنْ غُرٍّ طِوَالَ الذَّوَائب[٣]

بمُنْعَرَجٍ أو بَطْنِ وَادٍ تحدَّرَتْ عليه رِياحُ الصَّيفِ مِن كلِّ جانبِ[٤]

نَفَى نَسَمُ الرِّيحِ القَذَا عنْ مُتونِه فما إنْ بِهِ عَيبٌ يكونُ لعائبِ[٥]

بأطْيبَ مِمَّن يقصُرُ الطَّرْفَ دُونَه تُقَى اللهِ واستحياءُ بعْضِ العَواقب

---

(١) يقال نضله ، إذا غلبه فى الرمى . وجاء فى ل : « فاضلا » وأثبت ما فى ط ، س .

(٢) كذا فى س والجزء الخامس من الحيوان ص ١٤٢ . وفى ط « أم فرق » وفى ل : « امرأة فروة » . والشعر الآتى قد نسب فى زهر الآداب (١ : ١٦٧) إلى عاتكة المرية فى ابن عم لها راودها عن نفسها . وفى أمالى القالى (٢ : ٨٧) شعر لمن تدعى زينب بنت فروة المرية ، تقوله فى ابن عم لها يقال له المغيرة .

(٣) رواية زهر الآداب : « وما طعم ماء أى ماء تقوله » . وعنى بالغر السحائب ، وبذوائبها أطرافها .

(٤) رواية زهر الآداب : « بمنعرج من بطن واد تقابلت » وفى الجزء الخامس من الحيوان : « تحدبت » موضع « تحدرت » ، و « المزن » مكان « الصيف » .

(٥) زهر الآداب : « نفت جرية الماء » . وفيه وفى الجزء الخامس : « تراه لشارب » .

وقال بعضُ العُشاقِ[١] :

وأنتِ الَّتى كلَّفتِنِى[٢] دَلَجَ السُّرَى ... وجُونُ القَطَا بالجَلْهَتَينِ جُثُومُ[٣]

وأنتِ الّتى أَوْرَثتِ قَلبى حَرارةً ... وقرّحتِ قَرحَ القَلب وهوكليم[٤]

وأنتِ التى أسخطت قومى[٥] فكلُّهُمْ ... بَعيدُ الرِّضَا دَانِى الصُّدُودِ كَظِيمُ[٦]

فقالت المعشوقة :

وأنتَ الَّذِى أخْلَفْتَنِى ما وَعَدْتَنِى ... وأشمتَّ بى مَنْ كان فِيكَ يَلومُ

وأبرَزتَنِى للنَّاسِ حتَّى[٧] تركْتَنِى ... لَهُمْ غَرَضاً أُرْمى وأنتَ سَليمُ

فلوْ أنَّ قَوْلاً يكلِمُ الجسْمَ قد بَدَا ... بجِلْدِىَ مِنْ قَوْل الوُشاة كُلومُ

وقال آخر[٨] :

شهِدْتُ وبَيتِ اللهِ أنَّكِ غادةٌ ... رَدَاحٌ وأَنَّ الوجهَ مِنكِ عَتِيقُ[٩] ١٧

وأنَّكِ لا تجزِينِى بمَودَّةٍ ... ولا أنا للهِجْرانِ مِنكِ مُطيقُ

---

(١) هو ابن الدمينة ، وكان قد هوى امرأة من قومه يقال لها « أميمة » فهام بها مدة فلما وصلته تجنى عليها وجعل ينقطع عنها ، ثم زارها ذات يوم فتعاتبا طويلا ، وتحدثا بالشعر الآتى . انظر معاهد التنصيص ١ : ٥٨ والحماسة ٢ : ١٤٦ وديوان ابن الدمينة ٣٦ — ٣٧ . والأبيات الثانية فى البيان ٣ : ٣٧٠ والأغانى ١٥ : ١٤٨ .

(٢) ط ، س : « كلفنى » وتصحيحه من ل والمراجع المتقدمة .

(٣) عنى بالجلهتين ناحيتى الوادى . وفى س : « بالجبهتين » وهو محرف .

(٤) فى الحماسة والديوان ، « قطعت قلبى حزازة » والحزازة : الوجد . وفيهما أيضا « وقرقت » مكان : « وقرحت » والوجه فيها « قرفت » بقاف ثم فاء ، يقال قرف الجرح وقرفه : قشره ولما يبرأ . وجاء فى المعاهد : « ومزقت » وفى المعاهد والحماسة : « فهو كليم » وفى الديوان : « فهو سقيم » .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أحفظت قلبى » وهو تحريف . والرواية فى المعاهد والحماسة والديوان : « أحفظت قومى» . وأحفظه : أغضبه .

(٦) الكظيم : المكظوم ، وهو من امتلأ جوفه بالغضب .

(٧) الرواية فى جميع المصادر المتقدمة : « ثم » .

(٨) هو قيس لبنى ، كما فى تزيين الأسواق ٤٩ .

(٩) الرداح ، كسحاب : الثقيلة الأوراك . والعتيق : الجميل الرائع .

فأجابته :

شَهِدْت وبيتِ اللهِ أنَّكَ باردُ الـ ـثَّنَايا وأنَّ الحصْرَ مِنكَ رَقيقُ (١)
وأنَّكَ مَشْبُوح الذِّرَاعين خَلجَمٌ (٢) وأنَّكَ إذْ تخْلو بهنَّ رفيق (٣)

(شعر مختار)

[وقال آخر :

الله يعلم يا مغيرة أننى قد دُستها دَوس الحصان الهيكل
فأخذتها أخْذَ المقصِّب شاتَهُ عَجلانَ يَشْوِيها لقومٍ نُزَّلٍ (٤)]

وقال كعبُ بنُ سعدٍ الغَنَوىّ (٥) :

وحَدَّثتمانى أنَّمـا الموتُ بالقُرَى فكَيفَ وهاتَا هَضْبَةٌ وقَلِيبُ

---

(١) كذا فى ط ، س . وفى ل والبيان ٢ : ٣٥١ : « وأن الكشح منك لطيف » وما أثبت هو الأشبه ؛ إذ أنه الملائم للمجاوبة .

(٢) مشبوح الذراعين : طويلهما ، وقيل عريضهما . الخلجم : الجسيم العظيم . وفى ط ، س : « حلجم » وهو تصحيف ما كتبت من ل والبيان .

(٣) فى ل ، والبيان : « عفيف » وانظر التنبيه الأول .

(٤) المقصب : القصاب . والشعر للعجاج ، كما فى اللسان (فتخ) .

(٥) كعب بن سعد الغنوى شاعر إسلامى ، وهو أحد بنى سالم بن عبيد بن سعد ابن عوف بن كعب بن جلان بن غنم بن غنى بن أعصر . كذا قال أبو عبيد البكرى فى شرح أمالى القالى فى موضعين منه . وقد راجعت كتب الصحابة وكتاب الشعراء لابن قتيبة وكتاب الأغانى وغيرها فلم أجد ترجمته فى أحدها إلا ما قاله أبو عبيد المذكور ، والظاهر أنه تابعى . خزانة الأدب (٣ : ٦٢١ بولاق) . والأبيات الآتية من مرثية له طويلة رواها ابن الشجرى فى مختارات أشعار العرب (٢٧ — ٣٠) والقالى فى أماليه (٢ : ١٤٨ — ١٥١) يرثى بها أخاه أبا المغوار ، واسمه هرم أو شبيب . وفى أمالى القالى أن بعض الناس يروى هذه القصيدة لكعب ، وبعضهم يرويها بأسرها لسهم الغنوى ، وهو من قومه وليس بأخيه ، وبعضهم يروى شيئا منها لسهم .

وماءُ سماءٍ[١] كانَ غيرَ مَحَمَّةٍ[٢] ببَرِّيَّةٍ تجْرِى عَلَيهِ جنوب[٣]
ومنزلةَ فى دارِ صدقٍ[٤] وغِبطةٍ وما اقْتالَ فى حُكْمٍ علىَّ طَبيبُ[٥]

وقال دُرَيد بن الصِّمَّة :

رئيسُ حُروبٍ لا يزَالُ رَبيئَةً مشيح على مُحْقوقفِ الصُّلبِ مُلْبدِ[٦]
صبورٌ على رُزء المصائبِ حافظٌ مِنَ اليَومِ أعقابَ الأحاديثِ فى غَدِ
وهَوَّنَ وَجدى أننى لم أقُلْ لَهُ كذَبْتَ ولم أبْخَلْ بما مَلَكت يَدى

(قطع من البديع)

وقطعةٌ من البَديع قوله[٧] :

إذا حَدَاها صاحبى ورَجَّعا وصاحَ فى آثارِها فأسْمَعا

---

(١) ط : « وما وسماع » : س : « وما وسماع » وصوابه من ل ولسان العرب (قول) .
(٢) المجمة : مكان جموم الماء ، أى كثرته . والمحمة بالحاء : المكان تكثر فيه الحمى . جاء فى ط ، س : « بين مجمة » ، وأثبت مافى ل ، ولسان العرب (قول) .
(٣) ريح الجنوب معها الخير والمطر والتلقيح . انظر اللسان (جنب) . قال ابن الأعرابى : الجنوب فى كل موضع حارة إلا بنجد فإنها باردة . جاء فى ط ، س : « بذى شربة » مكان « ببرية » التى أثبتها من ل ، واللسان .
(٤) كذا فى ط ، س : واللسان . وفى ل : « أمن » .
(٥) اقتال : تحكم . وجاءت هذه الكلمة فى ل : « افتال » وفى س : « افتاك » وصواب تحريفهما من اللسان (قول) . وجاء فى ط : « افتات » وهى صحيحة فى معنى : « اقتال » . وكلمة « فى » هى فى كل من س ، ل ولسان العرب : « من » . وقد عنى بالكلام أن أخاه لم يمرض فيحتاج إلى الطبيب .
(٦) « محقوقف » هى فى الأصل : « محرورف » وليس لهذه وجه . وقد سبق الكلام فى هذه الأبيات وشرحها ص ٥٠ .
(٧) ط ، س : « قولهم » ، وأثبت مافى ل .

يتبعْن[١] منهن جُــلالاً أتلعا[٢] أدمك فى ماء المهاوى مُنْقَعا[٣]

وقال الراجزُ فى البديع المحمود :

قد كنت إذْ حبلُ صِباك مُدْمَش[٤] وإذْ أهاضيبُ الشبابِ تَبْغَشُ[٥]

ومن هذا البديع المستَحْسَن منه ، قولُ حُجْر بن خالد بن مرثد[٦] :

سمعتُ بِفِعْلِ الفاعلين فلم أَجِــدْ كفِعْلِ أَبى قابوسَ حَزْماً ونائلا[٧]

يُساقُ الغَمامُ الغُرُّ من كلِّ بلدةٍ إليك فأضحى حَوْلَ بيتِك نَازِلا[٨]

---

(١) فى الأصل : « يتبعهن » وهو ظاهر التحريف . وقد عنى بكلامه الإبل .

(٢) الجلال ، بالضم : العظيم . وجاء فى ط ، س : « حلالا » مصحفة . والأتلع : الطويل العنق .

(٣) كذا جاء فى البيت فى ط ، ل . وفى س : « أرمك » وفى ل : « ماء المهارى » .

(٤) فى اللسان : « أدمج الحبل : أجاد فتله . . . وقوله : إذ ذاك إذ حبل الوصال مدمش ؛ إنما أراد : مدمج ، فأبدل الشين من الجيم لمكان الروى » . فروى البيت برواية أخرى .

(٥) الأهضوبة : الدفعة من المطر ، تجمع على أهاضيب . وتبغش : تدفع مابها من الماء . وقد كنى بقوله عن قوة الشباب ونعمته وريه . جاء فى ط ، س : « تنعش » وصوابها من ل ، والبيان ٣ : ٣٣٤ .

(٦) هو حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة ، شاعر جاهلى كان معاصرا لعمرو بن كلثوم . وكان أنشد شعرا بين يدى النعمان بن المنذر ، فأحفظ عمرو بن كلثوم ، فلطمه عمرو فى مجلس الملك ، ثم اقتص منه حجر ، وأجار الملك حجرا . فقال حجر الأبيات الآتية يمدحه . انظرشرح التبريزى للحماسة ٢ : ٣٩ والحماســة ٢ : ٢٩٤ و « مرثد » هى فى ط ، س : « مزيد » وتصحيحها من ل ، والحماسة وشرحها .

(٧) أبو قابوس : كنية النعمان ، و « حزما » هى كذلك فى ط ، والحماسة . وفى ل : « فعلا » .

(٨) فى صدر هذا البيت روايات كثيرة . فيروى « فساق إلهى الغيث » ، و « فسيق إليه الغيث » ، و « فساق الإله الغيث » ، و « فسيق الغمام الغر » . وهى صورة تطلعك على ماتفعل الرواية . وكل هذا دعاء له .

فأصبحَ منه كلُّ وادٍ حلَلْتَه
وإن كان قد خَوَّى[1] المرابيعُ[2] سائلا
فإن أنتَ تَهْلِكْ يَهْلِكِ الباعُ والنَّدَا وتُضْحِي قلوصُ الحمدِ جَرْباءَ حائِلا[3]
فلا ملكٌ ما يبلغَنَّك سَعْيُهُ ولا سُوقةٌ ما يَمْدَحَنَّك باطلا[4]

١٨

باب

فى صدق الظَّنِّ وجَودة الفِراسة

قال أوس بن حجر :

[الألمعىُّ الذى يظنُّ بك الظ نّ كأَنْ قَدْ رأى وقد سمعا

وقال عمر بن الخطّاب : « إنك لا تَنْتَفعُ بعقل الرَّجل حتّى تعرفَ صدقَ فطنته » .

---

(١) خوى النجم : سقط ولم يمطر فى نوئه ، وكان العرب يستدلون على المطر بالنجوم . انظر تفصيل ذلك فى الأزمنة والأمكنة للمرزوق ٢ : ١٧٩ — ١٨٥ ، وبلوغ الأرب ٣ : ٢٢٩ — ٢٦١ . وفى الأصل « حوى » مصحفة .

(٢) المرابيع : النجوم التى يكون بها المطر فى أول الأنواء . ط : « المراييع » وتصحيحه من س ، ل . يقول : يسير الخير فى ركابك ، فلو انك نزلت فى مكان محروم من نعمة الغيث ، أفضت عليه من الخير مايفعمه .

(٣) الباع : الشرف والكرم . قال رؤبة :

* إذا الكرام ابتدروا الباع بدر *

والقلوص : الناقة الشابة الفتية . و « الحمد » هى فى س : « الحب » محرفة وفى ل : « الحى » ، ولها وجه . وفى الحماسة : « الحرب » وهى رواية جيدة . والحائل من النوق : التى حمل عليها فلم تلقح .

(٤) للتبريزى كلام جيد فى هذا البيت .

وقال أوس بن حجر] :

مليحٌ نَجيحٌ أخو مَأْزِقٍ نِقابٌ يُحدِّث بالغائبِ[1]

وقال أبو الفضَّة ، قاتِل[2] أحمرَ بن شميط :

فإلاَّ يأتِكُمْ خَبَرٌ يَقِينٌ فإنَّ الظَّنّ يَنْقُصُ أوْ يزيدُ

وقيل لأبى الهذيل : إنَّكَ إذا راوَغْت واعتلَلْتَ ـ وأنتَ تكلِّم النظام [وقت] ـ فأحْسَنُ حالاتِك أنْ يشكَّ النَّاسُ فيكَ وفيهِ ! قال : خَمْسُون شكًّا خيرٌ مِنْ يَقِينٍ واحد ! !

وقال كُثَيِّرٌ فى عبدِ الملك :

رَأيتُ أبا الوَليد غَدَاةَ جَمعٍ به شَيبٌ وما فَقَدَ الشَّبَابَا[3]

فقلتُ لَهُ ، ولا أعْيا جَواباً : إذا شابتْ لِدَاتُ المَرْءِ شَابَا

ولكنْ تحتَ ذاكَ الشيبِ حَزمٌ إذا ما قال أمْرَضَ أو أصابا[4]

وليس فى جَودة الظَّنِّ بيتُ شعرٍ أحسن مِنْ بيتِ بلعاء[5] بنِ قيس :

---

(١) أخو مأزق : أى هو حسن التخلص من المآزق . وروى : « أخو مأقط » . والنقاب : الرجل العالم بالأشياء الفطن .

(٢) ط ، س : « أحمد » وصوابه فى ل . وانظر ما كتبت فى الشميطية ص ٢٦٨ من الجزء الثانى .

(٣) جمع ، بالفتح ، هو المزدلفة . وكلمة « وما » هى فى ط ، س : « رما » ، تحريف ما فى ل ، واللسان (مادة مرض) . وفى البيان ٤ : ٦٧ : « وقد » وهى تحريف يشوه المعنى ؛ إذ يريد أنه وإن فقد مظاهر الشباب فهو متمتع بأخص صفات الشباب .

(٤) أمرض : أى قارب الصواب فى الرأى وإن لم يصب كل الصواب . وفى س : « أغرض » ولا وجه له ، وصوابه فى البيان واللسان . وكلمة : « قال » فى البيت بمعنى « ظن » وبهذه الأخيرة جاءت الرواية فى البيان واللسان .

(٥) ط ، س : « لبلعا » وأثبت ما فى ل . وبلعاء هذا كان رأس بنى كنانة فى أكثر حروبهم ومغازيهم ، وهو شاعر محسن ، وقد قال فى كل فن أشعارا جيادا المؤتلف ١٠٦ . مات بلعاء قبل يوم الحريرة ، وهو اليوم الخامس من أيام الفجار الآخر . العقد ٣ : ٢٧٢ - ٢٧٣ .

وأبغِي صَوَابَ الظَّنِّ أعلم أَنَّهُ إذا طاشَ ظنُّ المرءِ طاشت مَقادِره

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فاتَّبَعُوهُ ﴾ .

وقال ابن أبي ربيعةَ فى الظَّنِّ :

ودَعانى إلى الرَّشَادِ فؤادٌ كان للغيِّ مَرَّةً قَدْ دَعَانى

ذَاكَ دَهْرٌ لوكنتَ فيهِ قَرِينى(١) غيْرَ شَكٍّ عَرَفتَ لى عِصْيَانِى

وتَقَلَّبتُ فى الفِراشِ ولا تَعَ لَمُ إلاَّ الظُّنُونَ أيْنَ مَكانِى

(من مختار الشعر)

وقال ابنُ أبي ربيعة فى غير هذا الباب :

وخِلٍّ كنتُ عَينَ النُّصْحِ منْهُ إذا نَظَرَتْ ومستَمعاً مطيعا

أطافَ بغيَّةٍ(٢) فنَهيتُ عنها وقُلْتُ لَهُ أَرَى أمرًا شَنيعَا

أَرَدْتُ رَشادَه جَهْدى ، فلما أَبَى وعَصى أَتَيناها جَميعَا

وقال معَقِّر بن حمار البارقى(٣) :

(١) الرواية فى الديوان ص ٦٦ : « قريبى » وهى رواية جيدة . وعصيان الأهل والأقارب فى الحب ، مما أكثر الشعراء الكلام فيه .

(٢) ط : « بغيه » والوجه ماأثبت من ل ، س . وإليها يعود الضمير فى « عنها » .

(٣) معقر بن حمار البارقى اسمه سفيان بن أوس بن حمار ، وهو شاعر جاهلى . سمى معقرا بقوله فى قصيدة مشهورة :

لها ناهض فى الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناء عاقر

معجم المرزبانى ٢٠٤ وخزانة البغدادى ٢ : ٢٩١ بولاق . وهو صاحب البيت المشهور (انظر المعجم ، وكذلك المؤتلف ٩٢) :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

وفى ط ، س : « معبد بن حماد » وجاء على الصواب الذى أثبته فى ل .

الشِّعرُ لبُّ المرْءِ يَعْرِضه والقَوْلُ مِثلُ مَوَاقِعِ النَّبْلِ
مِنها المقصِّرُ عَن رَمِيَّتِه ونَوَافذٌ يذهَبنَ بالخَصَل[1]

(أبياتٌ للمحدَثين حِسانٌ)

١٩ وأبياتٌ[2] للمحْدَثين [حِسَان[3]] ، قال العَتَّابيّ[4] :

وَكَمْ نِعمةٍ آتاكها[5] اللهُ جَزْلَةً مُبرَّأَةً مِنْ كُلِّ خُلْقٍ يَذِيمُها[6]
فسَلطتَ[7] أخلاقاً عليها ذَميمةً تَعاوَرْنَها حَتَّى تفرَّى أدِيمُها
وَلُوعاً وإشفاقاً ونطقاً من الخَنا بعَوراءَ يَجْرِى فى الرِّجال نَمِيمُها[8]
وكنتَ امرأً لو شِئتَ أنْ تَبْلُغَ المدَى[9] بَلَغت بأدنى نِعمَةٍ[10] تَسْتَدِيمُها
ولكنْ فِطامُ النَّفْسِ أعسرُ محمَلاً[11] مِنَ الصَّخرَةِ الصَّمَّاءِ حِينَ تَرُومُها[12]

---

(١) الخصل ، بالفتح : الغلبة فى النضال .

(٢) ل : « أبيات » .

(٣) الزيادة من س ، ل .

(٤) هو كلثوم بن عمرو العتابى ، سبقت ترجمته فى الجزء الثانى ص ٢٩٦ . وقد روى الراغب البيتين الأخيرين فى محاضراته ١ : ١٣٣ ونسبهما إلى عمرو بن كلثوم وصوابه ماذكرت ، كما فى البيان ١ : ١٢٠ .

(٥) ط ، س : « آتى بها » ، وأثبت مافى ل .

(٦) ذامه يذيمه : عابه .

(٧) ط : « فسلط » ، وأثبت مافى س ، ل .

(٨) النميم مثل النميمة . و « نطقا » أى هو ينطق بالعوراء من الخنا .

(٩) رواية المحاضرات : « المنى » . ومؤداهما واحد .

(١٠) رواية المحاضرات : « غاية » .

(١١) كذا فى ط ، س والبيان . وفى ل والمحاضرات : « أثقل » .

(١٢) س فقط : « يرومها » وليس بشىء .

وقال أيضاً :

وكنتُ امرأً هَيَّابَةً تَسْتَفِزّنى رضاعى بأدنى ضجْعَةٍ أستلينُها[١]

أُوافى أمـيرَ المؤمنين بِهمَّـةٍ تَوَقَّلُ[٢] فى نَيلِ المَعالى فُنُونُها

رَعى أُمَّةَ الإسلامِ فهو إمامُها وأدَّى إليها الحقَّ فهو أمينُها

ويَستَنتج العقاء[٣] حتَّى كأنما تَغَلْغَلَ فى حيثُ استَقَرَّ جنينُها

وماكل مَوصوفٍ لَهُ الحق يَهتَدِى ولا كل مَن أَمَّ الصُّوَى يَسْتَبِينُها[٤]

مُقيمٌ بمُستَنِّ العُلا ، حيثُ تَلتَقى طوارفُ أبكارِ الخُطُوبِ وعُونُها[٥]

وقال الحسن بن هانئ :

قُولَا لهارُون إمامِ الهُدَى عندَ احتِفالِ المجلسِ الحاشد

نَصيحةُ الفَضْلِ[٦] وإشفاقُهُ أخلَى لَهُ وجهَكَ مِن حَاسد

بصادِق الطاعـةِ ديَّانُها وواحد الغائب والشَّاهد[٧]

---

(١) ط ، س : « تستلينها » .

(٢) توقل : تتوقل ، بمعنى تصعد . وهذه رواية ل . وفى ط ، س : « توغل » .

(٣) يستنتج العقاء : يجعلها تلد . وهذا كناية عن قدرته على التغلب على المصاعب . فى ط ، س : « العنقاء » وهى ذلك الطائر الخيالى الذى لاوجود له ، وبها يصح المعنى أيضا . أى هو يقدر أن يحصل على مالا يناله غيره .

(٤) ط ، س : « ومأكل » ، وهى على الصواب فى ل . أم : قصد . والصوى : جمع صوة بالضم : وهى حجر يكون علامة فى الطريق .

(٥) المستن : مكان الاستنان ، وهو سرعة العدو . والطوارف : الحديثات ، وفى ط : « طوارق » . والعون : جمع عوان ، وهى التى ولدت بعد بطنها البكر .

(٦) هو الفضل بن يحيى البرمكى . وأراد أبو نواس استعطاف الرشيد على الفضل .

(٧) يقول : هو مخلص لك فى حضرتك وفى غيبتك .

أنتَ على مابِكَ مِنْ قُدْرَةٍ ... ما أنتَ مِثلَ الفَضْلِ بالواجِدِ
أوحَدَه[١] اللهُ فما مثْلُه ... لطالبٍ ذاكَ ولا ناشِدِ
وليس على اللهِ بمستنكَرٍ[٢] ... أنْ يَجْمَعَ العالَمَ في واحد

وقال عَديٌّ بن الرِّقاعِ العاملي :

وقَصيدةٍ قَدْ بتُّ أجمعُ بَيْنَها ... حتَّى أُقَوِّمَ مَيْلَها وسنادها
نظَرَ المثقِّفِ في كُعُوب قَناتِه ... حتَّى يُقيمَ ثِقافُهُ مُنآدها[٣]
وعَلِمْتُ حتَّى لَسْتُ أسْأَلُ عالِما ... عَنْ حَرْفِ واحدةٍ لكيْ أزْدادَها[٤]
صَلَّى الإلٰهُ عَلَى امْرِئٍ ودَّعته ... وأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزادَها

(شعر لبنت عدي بن الرقاع)

قال : واجتمع ناسٌ من الشُّعَرَاء ببابِ عَديٍّ بن الرقاعِ يُريدون مُماتَنَتَهُ ومُساجَلتَه ، فخَرَجَت إليهمْ بِنْتٌ له صغيرة ، فقالت :

تجَمَّعْتمُ منْ كُلِّ أَوْبٍ ومَنْزِل ... عَلَى واحدٍ لازلْتُمُ قِرْنَ واحد[٥]

---

(١) هكذا الرواية الجيدة : « أوحده » أي جعله واحداً . وهي رواية الديوان ٨٧ وعيون الأخبار ١ : ٢٢٧ . وفي الأصل : « أوجده » وليس بشيء .

(٢) كذا في ط ، ل . وفيه الخزم . والرواية في س والديوان وعيون الأخبار : « وليس لله بمستنكر » .

(٣) الثقاف ، بالكسر : ماتسوى به الرماح . والمنآد : المعوج . وفي الأصل : « منادها » وهي على الصواب الذي أثبت في الموشح ص ١٣ .

(٤) قال في الموشح ١٩٠ قال أبو جعفر المنجم : كنت أحب أن أرى شاعرين فأؤدب أحدهما ، وهو عدي بن الرقاع ، لقوله :

وعلمت حتى ما أسائل واحدا ... عن علم واحدة لكي أزدادها

ثم أسائله عن جميع العلوم فإذا لم يجب أدبته ! وأقبل رأس الآخر – وهو زيادة بن زيد – لقوله :

إذا ماانتهى علمي تناهيت عنده ... أطال فأملى أم تناهى فقصرا

(٥) « ومنزل » هكذا جاءت الرواية أيضا في الشعراء ١٤٥ . وروى في الصناعتين =

(شعر لعبد الرحمٰن بن حسان بن ثابت وهو صغير)

وقال عبدُ الرحمٰن بن حسّان الأنصارى ، وهو صغير[1] :

اللهُ يَعْلَمُ أنِّى كُنْتَ مُشْتَغِلًا فى دَارِ حَسَّانَ أَصْطَادُ اليَعَاسِيبَا[2]

وقال لأبيه وهو صبىٌّ — ورجع إليه وهو يبكى ويقول : لسعنى طائر ! قال : فصفه لى يا بنىّ ! قال كأنَّهُ ثَوْبُ حِبَرَة[3] ! قال حسّان : قال ابنِى الشِّعْرَ وَرَبِّ الـكعبة !

وكان الذى لَسعه زنبورًا[4] .

= ٣٥٩ ، وذيل الأمالى ٧٠ : « وبلدة » . وفى الـكامل ١٤٩ ليبسك وشرح المقامات للشريشى ٢ : ٣٠١ « ووجهة » . وزاد القالى فى الخبر : « فاستحيوا ورجعوا » وابن قتيبة : « فانصرفوا عنه ولم يهاجوه » . والشريشى : « فأفحمتهم ورجعوا بأخزى حالة » .

(١) ل : « صغير » . والخبر هنا مقتضب . جاء فى الـكامل ١٤٩ ليبسك : « ويروى أن معلمه عاقب الصبيان على ذنب وأراده بالعقوبة ، فقال : الله يعلم . . . » الخ .

(٢) اليعسوب : أمير النحل .

(٣) الرواية فى الـكامل ١٤٩ ليبسك : « كأنه ملتف فى بردى حبرةٍ » . والحبرة ، بالتحريك ، أو كعنبة : ضرب من برود اليمن .

(٤) كذا فى ل ، وفى ط ، س : « زنبور » بالرفع . وهى صحيحة فى العربية ، على تقدير ضمير الشأن . وبتلك اللغة جاء قول العجير :

إذا مت كان الناس صنفان شامت وآخر مثن بالذى كنت أصنع

انظر سيبويه ١ : ٣٦ بولاق ، وشرح المفصل ٣ : ١١٦ س ٥ .

(شعر سهل بن هارون وهو صغير)

وقال سَهْلُ بن هارون ، وهو يختلف إلى الكُتّابِ لجارٍ لهم :

٢٠ نُبِّيت بَغْلَكَ مبْطوناً فقلت له ... فهل تَماثَل أو نأتيه عُوَّادَا [1]

(شعر طرفة وهو صغير)

وقال طرفة وهو [صبيٌّ] صغير :

يا لَكِ مِنْ قُبَّرةٍ بمَعْمَرِ ... خَلا لكِ الجَوُّ فبيضِي واصْفِرِي [2]

وقال بعض الشعراء [3] :

إذا ما مَاتَ مَيْتٌ مِن تَميمٍ ... فَسَرَّكَ أن يَعِيش فجِئْ بزادِ

(١) ط : « نبت بغلك » س : « نبئت بغلك » ل : « نبيت نعلك » وصوابه ماأثبت من كتاب البغال . و المبطون : الذي يشتكي بطنه . و « فقلت » هي في ل : « فرغت » وفي البغال : « فزعت » . وتماثل : دنا من الشفاء . ط ، س : « أو يأتيه عواد » . وانظر قصة البيت واضحة في كتاب البغال ٣٠٣ — ٣٠٤ .

(٢) روى الدميري سبب هذا فذكر « أنه كان مع عمه في سفر ، وهو ابن سبع سنين فنزلوا على ماء فذهب طرفة بفخ له فنصبه للقنابر ، وبقي عامة يومه لم يصد شيئاً ، ثم حمل فخه وعاد إلى عمه ، فتحملوا ورحلوا من ذلك المكان ، فرأى القنابر يلقطن مانثر لهن من الحب فقال ذلك » . والرجز ستة أشطار عند الدميري واللسان (قبر) . وقال ابن برى : هو لكليب بن ربيعة . وانظر الشعراء ١٤٠ .

(٣) هو يزيد بن الصعق الكلابي كما في معجم المرزباني ٤٩٤ وكنايات الجرجاني ٧٣ والاقتضاب ٢٨٨ . أو أبو مهوش الفقعسي كما في حواشي الكامل ٩٨ ليبسك . وللأبيات خبر فيما عدا الأول ، وكذا في العقد ٢ : ١٠ وأمثال الميداني ١ : ١٧١ وأدب الكاتب ١٢ والخزانة ٣ : ١٤٢ وأخبار الظراف ٢٤ . ورواها الجاحظ في البيان ١ : ١٩٠ .

بخبْزٍ أو بِلَحْمٍ أوْ بِسَمْنٍ أَو الشَّيْءِ الملفَّفِ فى البِجَادِ [١]

تَراه يَطُوف بالآفاق [٢] حِرْصاً ليأكُلَ رأسَ لُقْمان بنِ عادِ [٣]

وقال الأصمعىّ : الشىء الملفَّف فى البِجاد : الوَطْب [٤] :

وقال أعرابىٌّ :

أَلَا بَكَرَتْ تَلْحَى قُتَيْلَةُ بَعْدَما بدا فى سَوادِ الرَّأس أبيضُ واضِحُ

لتُدرِك بالإمْساكِ والمَنْع ثَرْوةً مِنَ المال أفنَتْها السِّنونَ الجَوائح

فقلت لهـا : لا تعذُلينى فإنما بذِكْر النَّدَى تَبْكِى عَلَىَّ النوائِح [٥]

(أشعار فى معانٍ مختلفة)

وقال بَشَّارٌ أبياتاً تجوز فى المذاكرة [٦] ، فى باب [٧] [المنى ، وفى باب] الحزم ، وفى باب المشورة . وناسٌ [يجعلونها للجعجاع الأزدىّ ، وناسٌ] يَجعلونها لغيره ، وهى قوله :

---

(١) البجاد : الكساء ، وزنا ومعنى .

(٢) روى : « يطوف الآفاق » كما فى س .

(٣) الثعالبى فى ثمار القلوب ٢٥٧ : « العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول العمر كذلك تصف رأسه بالعظم ، وتضرب به المثل » وأنشد البيت . ومثل هذا الكلام لابن السيد فى الاقتضاب ٤٩ . وزاد : « كما يقال لمن يزهى بما فعل ، ويفخر بما أدركه : كأنه قد جاء برأس خاقان ! » .

(٤) فى اللسان : « الملفف فى البجاد : وطب اللبن ، يلف فيه ليحمى ويدرك » .

(٥) س : « تبكى عليك » ، وما هنا أجود .

(٦) ل : « من المذاكرة » ، محرفة .

(٧) ط ، س : « وفى باب » ، وأثبت ما فى ل .

إذا بَلَغَ الرَّأىُ المَشُورَةَ فاستَعِنْ بِرَأْىِ نَصِيحٍ أو نَصِيحَةِ[1] حازِمِ

ولا تَحْسَبِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً مَكَانُ الخوافِى رافِدٌ للقَوادم[2]

٢١ وأَدْنِ مِنَ القُرْبَى المقرِّبَ نَفْسَه ولا تُشْهِدِ الشُّورَى امرأً غَيْرَ كاتِمِ

وما خَيْرُ كَفٍّ أمسَكَ الغُلُّ أُخْتَهَا وَمَا خَيْرُ نَصْلٍ لَمْ يُؤيَّدْ بِقائِمِ[3]

فإنَّك لا تَسْتَطرِدُ الهَمَّ بِالمُنَى ولا تَبْلُغُ العَلْيَا بغَيْرِ المَكارِمِ

وقال بعض الأنصار[4] :

وبَعْضُ خَلائقِ الأقوامِ دَاءٌ كَداءِ الشَيْخ ليسَ[5] له شفاء

وبَعْضُ القَوْلِ ليس لَهُ عِناجٌ[6] كمَخْضِ الماء ليس لَهُ إِتاءُ[7]

وقال تأبَّط شَرًّا — إنْ كان قالها[8] — :

---

(١) ل والبيان (٤ : ٤٩) : « نصاحة » وهى صحيحة ، يقال نصحه نصحاً ، بالضم ، ونصاحة ، ونصاحية . والاسم النصيحة .

(٢) مر الكلام فى ريش الطائر بالجزء الثانى ص ٣٥٥ . رافد : معين . وفى س ، ط : « راية » ولم أجد لها وجها ، ويروى : « فإن الخوافى قوة » . وفى كنايات الجرجانى ٦٠ : « فريش الخوافى » .

(٣) النصل هنا : حديدة السيف . والقائم : مقبضه . فى ل ، « وما خير سيف » وأثبت ما فى ط ، س .

(٤) الشعر فى البيان (٣ : ١٨٦) منسوب إلى الربيع بن أبى الحقيق .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ط . والرواية فى ل : « كداء البطن ليس له دواء » .

(٦) أصل العناج للدلو ، وهو خيط أو سير يشد فى أسفلها ثم يشد فى عروتها . وهذه رواية ل واللسان . وفى ط : « عماد ». والبيت ساقط من س .

(٧) المخض : أصله للبن ، وهو تحريكه لاستخراج الزبد . والإتاء ، بالكسر : الزبد .

(٨) بعد هذه الكلمة فى ل عبارة مقحمة على الكتاب لاجرم ، وهذا نصها : « قال النمرى : ومما يدل على أنه مولد قوله :

جل حتى دق فيه الأجل =

شامِسٌ فى القُرِّ حتَّى إذا مَا ذَكَت الشِّعْرَى فَبَردٌ وظِلٌّ[١]

ولَهُ طَعْمَانِ : أَرْىٌ وشَرىٌ وكِلَا الطَّعمَينِ قَدْ ذَاقَ كُلٌّ[٢]

مُسْبِلٌ فى الحَىِّ أحْوَى رِفَلٌّ وإذا يغْدُو فسِمعٌ أزَلٌّ[٣]

وَوَرَاءَ الثأر منه ابنُ أختٍ مَصِـــعٌ عُقْدَتُه ما تُحَلُّ[٤]

مُطرِقٌ يَرشَــحُ سُمًّا ، كما أَطرقَ أفْعَى يَنْفُثُ السمّ صِلٌّ

خَــبَرٌ مَا نَابَنَا مُصمَئِلٌّ جَلّ حَتَّى دَقّ فيهِ الأجَلٌّ[٥]

= فإن الأعرابى لايكاد يتغلغل إلى مثل هذا . وقال أبو الندى : مما يدل على أن هذا الشعر مولد أنه ذكر فيه سلعاً » . أما النمرى هذا فهو أحد شراح الحماسة ، بل هو أول شارح لها كما فى خزانة الأدب (٣: ٣٣٢ ، ٥٤١ بولاق) وهو ينقل فى شرحه عن كتاب المعانى لأحمد بن حاتم الباهلى ، وهذا توفى سنة ٢٣١ . وأما أبو الندى فهو محمد بن أحمد الغندجانى ، يروى عنه الحسن بن أحمد أبو محمد الأعرابى الذى قرئت عليه بعض تصانيفه سنة ثمان وعشرين وأربعمائة . وللحسن رد على النمرى فى شرحه للحماسة نقل عنه البغدادى فى الخزانة كثيراً . وهذه الزيادة تجدها فى شرح التبريزى للحماسة (٢ : ١٦٠ — ١٦١) مع بسط وتفصيل .

(١) شامس فى القر : يعنى أن من لجأ إليه فى القر وجده كالشمس التى تدفئ . والشعرى : كوكب يظهر فى شدة الحر .

(٢) الأرى : العسل . والشرى : الحنظل .

(٣) مسبل فى الحى : أى هو فى حال السلم ممن يسبلون ثيابهم لما هم فيه من نعمة . والرفل : الكثير اللحم . ويغدو : أى فى حال الحرب . والسمع : ولد الذئب من الضبع . والأزل : القليل لحم العجز والفخذين .

(٤) ل : « ووراء الثأر منى » وهى رواية الحماسة . والمعنى يصح بكليهما إن حمل الضمير فى « منى » على التجريد . والمصع : الشديد المقاتلة .

(٥) المصمئل : الشديد . وفى ل : « خبر ماجاءنا » .

كُلٌّ ماضٍ قَد تَرَدَّى بِماضٍ   كَسَنَا البَرقِ إذا ما يُسَلُّ[١]

فَاسقِنِيهاَ[٢] ياسَوَادَ بنَ عَمرو   إنَّ جِسمى بَعدَ خالى لَخلٌّ[٣]

وقال سلامَة بنُ جَندَل[٤] :

سأَجزِيكَ بالوُدِّ الذى كان بيننَا   أصَعْصَعُ إنِّى سوف أَجزِيكَ صَعْصَعَا

سأُهْدِى وإن كنا بتثليثَ مِدْحةً   إليك وإن حلَّت بُيُوتك لَعلَعا[٥]

فإنْ يَك محموداً أبوك فإنَّنا   وجدناكَ مَحمُودَ الَخلائقِ أروَعا

فإن شئتَ أهدينا ثناءً ومدحةً[٦]   وإن شئت أهدينَا لَكُم مائَةً معًا[٧]

فقال صعصَعة بن محمود بن[٨] بشر[٩] بن عمرو بن مرثد : الثَّناء والمدحة[١٠]

---

(١) قبل هذا البيت فى الحماسة بيتان يتوقف معناه عليهما . وهما :

يركب الهول وحيداً ولايصـ   ـحبه إلا اليمانى الأفل

وفتو هجروا ثم أسروا   ليلهم حتى إذا انجاب حلوا

أراد بالماضى الأول الرجل الشديد، وبالثانى السيف القاطع. تردى بالسيف: تقلده بحمائله.

(٢) س : « سقنيها » . ويريد الخمر .

(٣) الخل : المهزول . وفى ل : « بعد حالى » مصحفة .

(٤) قال سلامة الأبيات الآتية ، وبعث بها إلى صعصعة بن محمود . (البيان ٣ : ٣١٨) .

(٥) كذا الرواية فى ل ، والبيان . وفى ط : « سأهدى بتثليث إليك هدية توافيك لو » . وفى س مثل ط مع إبدال « مدحة » بكلمة « مذمة » و « توافيك » بكلمة « قوافيك » .

(٦) كذا الرواية فى ل والبيان . وفى ط ، س : « أهدينا إليك ثناءنا » .

(٧) عنى بالمائة مائة من الإبل تكون فدية لأخيه أحمر بن جندل ، الأسير .

(٨) ل : « من » .

(٩) س : « بشير » . وفى البيان : « صعصعة بن محمود بن عمرو بن مرثد » .

(١٠) كذا فى ل والبيان . وفى ط ، س : « الثناء والحمد والمدح » .

أحبُّ إلينا . وكان أحمر[1] بن جندل أسيراً فى يده ، فخلَّى سبيلَه من غير فداء .

وقال أوسُ بن حَجَر ، فى هذا الشَّكل من الشِّعر ــ وهو يقع فى باب الشُّكر والحمد ــ :

لَعَمرُك مَا ملَّت ثَوَاءَ ثَويِّها حَليمَةُ إذْ ألْقى مراسىَ مُقعَدِ[1]

وَلَـكِنْ تَلَقت باليدَين ضَمانتى وَحَلَّ بفَلجٍ فالقنافذ عُوَّدِى[3] ٢٢

وقدْغَبرتشهرَىْ رَبيعٍ كلَيْهما بحَمْلِ البَلايا والحِبَاء الممدَّدِ[4]

ولم تُلههَا تِلك التَّـكَاليفُ ؛ إنّها كما شِئتَ مِنْ أُكرُومَةٍ وتَخَرُّدِ[5]

سأجزِيكِ أويَجزِيكِعنى مثوِّبٌ[6] وحَسْبُكِأنيُثْنَىعَلَيْكِوَتُحمَدِى[7]

---

(١) كذا فى ل والبيان . وفى ط ، س : « أحمد » .

(٢) يقال ألقى مراسيه : أى استقر ، ومثله ألقى عصاه . وكلمة « مقعد » هى فى ط ، س : « ومقعد »، صوابه فى ل، ويعنى بالمقعد نفسه . وانظر الديوان ٥ والبيان (٣ : ٣١٩) .

(٣) فلج والقنافذ : موضعان . والعود : جمع عائد للذى يزور المريض . قالوا : وكان أوس قد جالت به ناقته فى سفر فصرعته فاندقت فخذاه ، فآواه فضالة بن كلدة ، وكانت حليمة بنت فضالة تعنى به فى أثناء مرضه . (الأغانى ١٠ : ٧) .

(٤) ط ، س : « عبرت »، وهى رواية الديوان ومؤداهما واحد . والبلايا : جمع بلية .

(٥) التخرد من قولهم خريدة ، وهى الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المتسترة ، قد جاوزت الإعصار ولم تعنس . و « تخرد » هى رواية ل والديوان والبيان واللسان (مادة خرد) . وفى ط : « تخودى » بالواو ، والياء فى آخرها زيادة ناسخ . وفى س : « تجرد » .

(٦) المثوب : المثيب . وفى التنزيل العزيز : « هل ثوب الـكفار » . وما أثبت هو رواية ل والديوان والأغانى . وفى ط ، س والبيان : « سنجزيك أو يجزيك عنا » .

(٧) ط ، س « وتحمد » وهو خطأ إملائى .

وقال أبو يعقوب الأعور :

فلم أَجْزِهِ إلَّا المَوَدَّة جاهداً   وَحَسْبُك مِنِّى أنْ أَوَدَّ وأجهدا[١]

(من شعر الإيجاز)

وأبيات[٢] تضافُ إلى الإيجاز وحَذْف الفضول . قال بعضهم ووصف كِلَابا فى حالِ شَدِّها وعَدْوِها ، وفى سُرعةِ رفعِ قوائمها ووضعها ــ فقال :

* كأنَّما تَرْفَعُ مالَمْ يُوضَعِ[٣] *

ووصف آخرُ ناقةً بالنشاط والقُوَّة فقال :

* [خرقَاءُ][٤] إلَّا أنَّها صَنَاعِ *

وقال الآخر :

* الليلُ أخفى والنَّهارُ أفضَحُ[٥] *

ووصف الآخرُ قَوْساً[٦] فقال :

* فى كفِّه مُعْطِيَــةٌ مَنوعُ *

---

(١) أى وأجهد فى الود . وفى ط ، س : « وأحمدا » .

(٢) ط ، س « وأشياء » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٣) انظر ما كتب عن هذا البيت فى الجزء الثانى ص ٣٥ .

(٤) زيادة هذه الـكلمة من ل والعمدة (١ : ١٦٨) والبيان (١ : ١٥٠ و ٣ : ٧٢) .

(٥) قبله فى البيان (١ : ١٥٠) :

* إنك ياابن جعفر لاتفلح *

(٦) فى الأصل : « فرسا » وهو تحريف ، تجد صوابه فى البيان (١ : ١٥٠) وديوان المعانى (٢ : ٥٩) ، وقد نسب البيت فيهما إلى العكلى ، وهو أبو حزام .

وقال الآخر (١) :

وَمَهْمَهٍ فِيهِ السَّرَابُ يَسْبَحُ [كَأَنَّما دليلُه مطوَّح] (٢)
يَدْأَبُ فِيهِ القَوْمُ حتَّى يَطْلَحُوا كأنَّما بَاتُوا بِحَيْثُ أصْبَحُوا

ومثل هذا (٣) البيت الأخير (٤) [قوله] :

وكأنَّما بَدْرٌ وَصِيلُ كُتيفة (٥) وكأنَّما مِنْ عاقِلٍ أرْمَامُ

ومثله (٦) :

تجاوَزْتَ حُمْرَانَ فى ليلـةٍ وقُلتَ قُسَاسٌ من الحَرْمَلِ (٧)

ومن الباب الأوّلِ قوله :

عادَنى الهـــمُّ فاعتلجْ كُلُّ هَـــمٍّ إلى فَرَجْ

وهذا الشِّعر لجُعَيفران المَوْسْوَس (٨) .

وقال الآخَر (٩) :

---

(١) هو مسعود أخو ذى الرمة ، كما فى ديوان المعانى (٢ : ١٢٨) .

(٢) زيادة هذا البيت من ل ، وهو فى أصله متأخر عن البيت الذى بعـده ، والوجه تقديمه عليه .

(٣) ل : « ومن شكل » .

(٤) ط : « الآخر » وأثبت مانى س ، ل .

(٥) كتيفة : اسم جبل . وفى س : « كثيفة » . وفى ل : « كنيفة » وهو تحريف ما أثبت من ط .

(٦) ط ، س : « ومنه قول الآخر » . وصاحب الشعر هو أوفى بن مطر الخزاعى ، كما فى ذيل أمالى القالى ٩١ . والبيت من سبعة أبيات لها قصة فى ذيل الأمالى .

(٧) فى ذيل الأمالى : « تجاوزت ماوان » .

(٨) ل : « لجعفر الموسوس » وصوابه فى ط ، س . وهو جعيفران بن على بن أصفر ابن السرى ، أبوه من أبناء الجند الخراسانية . ولد جعيفران ونشأ ببغداد ، وكان أديبا شاعرا ، تغلب عليه السوداء حينا ، فإذا أفاق قال جيد الشعر . الأغانى (١٨ : ٦١) . وللبيت السابق خبر فى الأغانى (١٨ : ٦٢) .

(٩) صاحب الشعر جرير ، كما فى نهاية أمالى المرتضى (٤ : ٢٠٢) .

لم أقْضِ من صحْبةِ زَيدٍ أَرَبى   فتًى إذا نبَّهْتَهُ[١] لَم يَغْضَبِ

أبيضُ بَسَّامٌ وإن لم يعجب   ولا يضن[٢] بالمتاعِ المحقَب

مُوَكَّلُ النَّفْس بِحِفْظِ الغُيَّب   أقصى رفِيقيه له كالأقْرَب

وقال دُكَين[٣] :

وقدْ تعَلَّتُ[٤] ذَمِيــلَ العَنْس   بالسَّوْطِ فى دَيْمُومةٍ كالتُّرْس

* إذْ عَرَّجَ اللّيلَ بروجَ الشَّمسِ[٥] *

٢٣ وقال دُكَينٌ أيضاً :

بمَوطنٍ يُنِيط فيه المحتسى[٦]   بالمشْرَفِيَّاتِ نِطافَ الأنْفُسِ[٧]

---

(١) هذه الرواية موافقة لما فى عيون الأخبار (٣ : ٢٣) .

(٢) س : « يطن » ولعل صواب هذه « يظن » بالبناء للمفعول : أى يتهم .

(٣) هو دكين بن رجاء الفقيمى ، وكان ممن أجازه عمر بن عبد العزيز — وعمر الضنين بإجازة الشعراء — أجازه وهو والى المدينة ، كما أجازه وهو خليفة . الشعراء لابن قتيبة . والرجز يروى فى المؤتلف ١٠٤ منسوبا إلى منظور بن حبة الأسدى .

(٤) كذا فى الأصل والبيان (٣ : ٣٣٤) ، وصواب الرواية : « تعاللت » كما فى المؤتلف ١٠٤ وزهر الآداب (٢ : ١٠٥) واللسان مادة (علل) . يقال : تعاللت الناقة : إذا استخرجت ماعندها من السير . والذميل : ضرب من سير الإبل .

(٥) فى البيان والمؤتلف : « بروح الشمس » . وعرج الليل : حبسه . والبروج : الظهور .

(٦) س : « المخنس » وهو تحريف . وينيط : يعلق .

(٧) المشرفيات : السيوف منسوبة إلى مشارف الشام . والنطاف : جمع نطفة ، وهى قليل الماء يبقى فى دلو أو قربة . وتعليق النطاف فى المشرفيات عبارة عن شدة الحرص على الماء ، وذلك يكون فى المهامه المجدبة . وفى ط ، س : « لطاف » ، وهو تحريف ماأثبت من ل .

وقال الراجز :

طَالَ عليهنَّ تكاليف السُّرَى والنَّصُّ فى حِينِ الهَجِيرِ والضُّحى
حَتَّى عُجاهُنَّ فما تحت العُجى[1] رَوَاعِفٌ يَخْضِبْنَ مُبْيَضَّ الحصى[2]

وفى هذه الأرجوزة يقول :

* وضَحِكَ المزن بها ثمَّ بكى[3] *

ومن الإيجاز المحذوف قولُ الراجز ، ووصف سَهمه حينَ رَمى عَيراً كيف [نَفَذَ سهمه ، وكيف] صرَعه ، وهو قوله[4] :

* حتَّى نجَا مِنْ جوفه وما نجا[5] *

(شعر فى الاتِّعاظ والزهد)

ومما يجوز فى باب الاتِّعاظ قولُ المرأة وهى تطوفُ بالبيت :

أنت وهَبْتَ الفِتيَةَ السَّلاهِبْ[6] وهَجْمةً يَحارُ فيها الطَّالِبْ[7]

---

(١) العجى ، واحدها العجاية والعجاوة بضم العين فى كليهما ، وهى عصب مركب فيه فصوص من عظام كأمثال فصوص الخاتم ، تكون عند رسغ الدابة . والرجز فى البيان ٣ : ٣٣٥ .

(٢) رواعف : يسيل منها الدم .

(٣) ط ، س : « البرق » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٤) ط ، س : « يقول » وتصحيحه من ل .

(٥) الشعر فى وصف سهم رام أصاب حمارا . انظر البيان ١ ١٥٠ . يقول : نجا السهم من جوف الحمار وما نجا الحمار . أو نجا الحمار – من النجو – وما نجا من الهلاك .

(٦) وهبهم السلاهب : أى الخيل الطويلة .

(٧) الهجمة : عدد عظيم من الإبل . وانظر البيان ٣ : ١٩٤ .

وغَنَماً مِثلَ الجَرادِ السَّارِبْ   مَتاعَ أيَّامٍ وكُلُّ ذَاهِبْ

[ومثله قولُ المسعوديّ :

أخلِفْ وأنْطِفْ ، كلُّ شيء   زعزعتْه الريحُ ذاهبْ(١)]

وقال القُدار(٢) ، وكان سيِّد عَنَزة فى الجاهليّة :

أهلَكْتَ مُهْرِىَ فى الرِّهانِ لَجاجةً   ومن اللَّجَاجة ما يَضُرُّ ويَنفعُ

[قال : وسمعت عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ينشد ــ وكان فصيحاً :

إذا أنت لم تنفع فضرَّ فإنَّما   يُرَجَّى الفتَى كيما يضرَّ وينفعا]

وقال الأخطل :

شُمْسُ العَداوةِ حتَّى يُستقادَ لهم   وأعظمُ النّاس أحلاماً إذا قدروا

وقال حارثة بن بدر :

طربتُ بفاثور(٣) وما كدت أطربُ(٤)   سَفاهًا وقَدْ جَرَّبْتُ فيمَن يجرِّب

وجرّبتُ ماذَا العَيْشُ إلّا تعِلّةٌ   وما الدَّهر إلّا مَنْجَنونَ يقلّبُ(٥)

وما اليومُ إلّا مِثلُ أمْس الذى مضى   ومثلُ غَدِ الجائى وكلٌّ سيَذْهب(٦)

---

(١) فى اللسان : أخلف فلان لنفسه : إذا كان قد ذهب له شىء فجعل مكانه آخر وأما « أنطف » فلم أهتد إلى وجه فيها ، وهى فى البيان ٣ : ١٩٤ ، ٢٥٢ و ٤ : ٦٩ : « أتلف » .

(٢) ط ، س : « الفرار » وأثبت ما فى ل .

(٣) فاثور : اسم موضع ، أو واد ببلاد نجد . فى ط : « بغائور » وصوابه فى س ، ل .

(٤) ل : « تطرب » .

(٥) فى شرح شواهد المغنى للسيوطى ٧٩ : « المنجنون بفتح الميم : « الدولاب الذى يستقى عليه . وجمعه مناجين وهو مؤنث » . فالوجه : « تقلب » . ومثله قول القائل :

وما الدهر إلا منجونا بأهله   وما صاحب الحاجات إلا معذبا

(٦) منع تنوين : « غد » لضرورة الشعر . وربما كانت الرواية : « أمسى » و « غدى » بالإضافة إلى ياء المتكلم .

وقال حارِثَة بن بَدر الغدَانى[1] أيضاً :

إذا الهَمُّ أمسَى وَهو دَاءٌ فأَلْقِه ولَسْتَ بمُمْضِيهِ وأنتَ تعادِلُه[2]

فلا تُنْزِلَنْ أمْرَ الشَدِيدةِ بامرئٍ إذا رامَ أمراً عَوَّقَتْهُ عَواذِله

وَقُل للفــؤاد إن نَزَا بِك نزوَةً

مِنَ الرَّوع أفْرِخْ أكثَرُ الرَّوع باطِلُه

(شعر فى الغَزْوِ)

وقال الحارثُ بن يزيد (وهو جدُّ الأحَيمِر السَّعدىِّ) وهو يقع فى باب الغَزْو وتمدُّحهم ببعدالمغْزى[3] :

لاَ لاَ أعُقُّ ولا أحــو ب ولا أُغـير عَلَى مُضرْ

لَــكنَّما غــزوى إذا ضَجَّ المَـطِىُّ منَ الدَّبَرْ

وقال ابن محفِّض[4] المـازنىُّ :

---

(١) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن مالك بن غدانة بن يربوع . قال أبو الفرج : كان من لدات الأحنف بن قيس . قال ابن حجر : فإن يكن كذلك فقد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم . وله أخبار فى الفتوح . وذكر المبرد فى الكامل أنه غرق فى ولاية عبد الله بن الحارث على العراق . وذلك سنة أربع وستين . الإصابة ١٩٣٣ . وفى ط ، س : « الفزارى » وصوابه فى ل ، كما يتضح من نسبه وكما فى أمالى المرتضى ٢ : ٤٧ حيث يوجد الشعر الآتى .

(٢) رواية المرتضى واللسان ١٣ : ٤٦٢ : « فأمضه » . تعادله ، هو من قولهم : أنا فى عدال من هذا الأمر – بكسر العين – أى فى شك منه ، أأمضى عليه أم أتركه . يقول : اجزم بطرد الهم ولا تتردد فى ذلك .

(٣) المغزى : الغزو ، أو مكانه . والبيتان الآتيان سبقا فى الحيوان ١ : ٣٣ وهما كذلك فى البيان ٣ : ٢٠٠ .

(٤) ط ، س : « مخفض » . وقد اختلف فى ضبط هذا الاسم ، ولذلك قصة فى خزانة =

إن تَكُ دِرْعِي يَوْمَ صَحرَاءِ كُلَيةٍ (١) أُصِيبت فما ذَا كُمْ عَلَيَّ بِعارِ
أَلم تَكُ مِنْ أَسْلابكُمْ قبل ذا كمُ عَلَى وَقَبَى يوماً وَيَوْمَ سَفارِ (٢)
[فتلك سرابيل ابن داودَ بيننا عواريُّ والأيام غير قصارِ (٣)
ونحن طَرَدنا الحيَّ بَكْرَ بنَ وائلٍ إلى سَنَةٍ مثلِ الشِّهابِ وَنَارِ (٤)
ومُومٍ وطاعون وحُمّى وحَصْبَةٍ وذى لِبَدٍ يَغشَى المُهَجْهِجَ ضارِى (٥)
وحُكم عَدوٍّ لا هَوَادةَ عنْده ومنزلِ ذلٍّ فى الحَياة وعَارِ

= البغدادى ٢ : ٥١٠ - ٥١١ بولاق . وأصوب الأقوال فى ضبطه ماأثبت من ل .
وابن محفض هذا ، هو حريث بن سلمة بن مرارة بن محفض ، من بنى مازن ابن عمرو بن تميم . قال المرزبانى : هو مخضرم له فى الجاهلية أشعار ، وعاش إلى أن أدرك الحجاج ، وله معه قصة ؛ فإنه سمعه على المنبر وهو يقول :

بنو المجد لم تقعد بهم أمهاتهم وآباؤهم آباء صدق فأنجبوا

فقام إليه حريث ، وهو شيخ كبير ، فقال : أيها الأمير ، من يقول هذا ؟ قال : حريث بن محفض المازنى . فلما نزل دعاه فقال : ماحملك على قطع الخطبة على ؟ قال : أنا حريث بن محفض ، فإنك أنشدت شعرى فأخذتنى أريحيته ! قال : فخلاه. الإصابة ١٩٦٨ وانظر ذيل الأمالى ٨١ .

(١) كلية ، بضم الكاف : واد من أودية العلاة باليمامة لبنى تميم . وفى ط ، ل ، « كلبة » وصوابه من س ومعجم البلدان . وفى ذيل الأمالى : « يوم صحراء كلية ، وهى موضع وقعة كانت بينهم وبين بكر بن وائل » .

(٢) فى ذيل الأمالى : « الوقبى ، وكذلك سفار : ماء لبنى مازن » .

(٣) زدت هذا البيت من معجم البلدان وذيل الأمالى . وسرابيل : دروع . وابن داود هو سليمان ، وقد أخطأ حريث فنسب الدروع إليه . وإنما تنسب لداود نفسه وانظر نظير هذا الخطأ فى شعر النابغة والحطيئة فى المعرب للجواليقى ص ٨٥ - ٨٦.
عوارى : جمع عارية . بتشديد الياء وتخفيفها ، وهو مايعار .

(٤) قال أبو على : سنة ، أراد أسكناهم السواد وهو بلد وباء . وروى أبو على : « مثل السنان » .

(٥) الموم ، بالضم : الجدرى الكثير المتراكب . والمهجهج : من يزجر السبع يصيح به : هج هج .

وقال آخر[١] :

خُذُوا العَقْلَ إن أعطاكُم القَوْم عَقْلَكُمْ
وكونوا كَمَنْ سِيمَ الهَوَانَ فأَرتعا[٢]

ولا تُكثروا فيها الضِّجاجَ فإنَّه
مَحَا السَّيف ماقالَ ابنُ دَارةَ أجْمَعا[٣]

وقال أبو ليلى :

كأَنَّ قَطاتَها كُرْدُوسُ فَحلٍ
مقلَّصةٍ على ساقٍ ظليمِ[٤]

(شعر فى السيادة)

وقال أبو سليمى[٥] :

لابدَّ للسُّودد[٦] من أرماحِ
ومِنْ سفيهٍ دائمِ النُّباحِ

---

(١) هو الكميت بن ثعلبة كما فى خزانة الأدب ٤ : ٥٦٠ بولاق والمؤتلف ١٧٠ . أو هو الكميت بن معروف ، كما فى حماسة البحترى ١١ ، وشرح التبريزى للحماسة ١ : ٢٠٦ .

(٢) سيم الهوان : كلف الذل . وأرتع : من أرتع إبله : جعلها تأكل ماشاءت وهذه رواية ل ، والخزانة . وفى ط ، س : « فأتبعا » وفى حماسة البحترى : « فأربعا » .

(٣) ابن دارة هو سالم بن مسافع بن يربوع ، كان يهجو بنى فزارة هجوا شنيعا ، فقتله زميل الفزارى ، فقال الكميت ذلك ، يريد أن الفعل أفضل من القول . انظر شرح الحماسة للتبريزى ، وخزانة الأدب ٤ : ٥٦٢ بولاق .

(٤) القطاة : العجز ، أو مابين الوركين . والكردوس ، بالضم : كل عظم كثير اللحم . وكلمة « ساق » هى فى الأصل : « سلقى » ولا وجه لها، وتصحيحها مما سبق فى الجزء الأول ص ٢٧٤ .

(٥) س : « سلمى ». وقد سبق الرجز فى الجزء الأول ٣٥٢ .

(٦) ط ، س : « للسود » ، وتصحيحه من ل والجزء الأول .

* ومِنْ عَديدٍ يُتَّقَى بالرّاحِ *

وقال الهذلىّ :

وإنَّ سيــادةَ الأقوامِ فاعْــلَمْ لهـــا صَعْداءُ مَطلبها طويل [(١)]

وقال حارثة بن بدر [(٢)] ، وأنشده سفيان بنُ عُيينة [(٣)] :

خَلت الدِّيارُ فَسُدْتُ غيْرَ مُسَوَّد ومِنَ الشَّــقاء تفرُّدى بالسُّوددِ

(شعر فى هجاء السادة)

وقال أبو نخيلة :

وإنَّ بقَوْمٍ سَــوَّدوك لَفَاقَــةً إلى سَيِّدٍ ، لوْ يظفَرُون بسيِّدِ

وقال إياس بن قَتادة ، فى الأحنف بن قيس :

٢٥ وإنَّ مِنَ السّاداتِ مَن لو أطعْتَه دَعَاكَ إلى نارٍ يَفُورُ سَعيرها [(٤)]

وقال حُميضة [(٥)] بن حذيفة :

أيظلمهم قسراً فتبًّا لسَعيــهِ وكل مطاعٍ لا أبالكَ يَظــلِمُ

---

(١) انظر كلامى على هذا البيت فى الجزء الثانى ص ٩٥ .

(٢) فى الأصل : « الحارث بن بدر » صوابه فى البيان ٣ : ٢١٩ وأمالى المرتضى ٢ : ٥٣ . وانظر أمالى الزجاجى ٢١ .

(٣) سفيان بن عيينة ذكره ابن قتيبة فى المعارف ٢٢١ فى أصحاب الحديث ، ولد سنة سبع ومائة ، ومات سنة ثمان وتسعين ومائة . قال : وكان أشد الناس اختصارا . سئل عن قول طاوس فى ذكاة السمك والجراد ، فقال : ذكاته صيده . وجاء فى العقد ١ : ٢٩١ : لما انفرد سفيان بن عيينة ومات نظراؤه من العلماء ، تكاثر الناس عليه ، فأنشد يقول : خلت الديار . . . الخ .

(٤) س : « يفود سعيرها » . والبيت فى البيان ٣ : ٣٣٦ .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « حصيصة » .

وقال آخر :

فأصبحتَ بعد الحلم فى الحىِّ ظالما　　تَخَمَّطُ فيهم والمسوَّدُ يَظْلِمُ(١)

وكان أنس بن مدركة(٢) [الخثعمى] يقول :

عزمت على إقامةِ ذى صباحٍ　　لأمرٍ ما يسوَّدُ مَنْ يسودُ(٣)

[وقال الآخر :

كما قال الحمار لسهمِ رامٍ　　لقد جَمَّعْتَ من شىء لأمر

وقال أبو حيّة :

إذا قُلْنَ كلاَّ قال والنَّقْع ساطعٌ　　بلى ، وهو واهٍ بالجراءِ أباجِلُه]

وقال آخر(٤) :

إنى رأيت أبا العوراء مرتفقاً(٥)　　بشطِّ دِجلة يشرى التمر والسمكا

كشدَّة الخيل تبقى عند مذودها　　والموت أعلم إذ قفىَّ بمن تركا(٦)

هذه مساعيك فى آثار سادتنا　　ومن تكن أنت ساعيه فقد هلكا

---

(١) التخمط : الكبر والغضب .

(٢) أنس بن مدركة ، أو ابن مدرك : شاعر جاهلى . انظر تحقيق العلامة الراجكوتى فى حواشى الخزانة ٣ : ٨٠ سلفية . وفى ل : « إياس بن مدركة » وهو تحريف .

(٣) هذا البيت من شواهد سيبويه ١ : ١١٦ بولاق ، وقد تكلم فيه صاحب الخزانة ٣ : ٧٧ سلفية .

(٤) الأبيات تجدها أيضا فى الجزء الخامس ص ٥٩٨ .

(٥) فى الجزء الخامس : « مرتفعا » .

(٦) فى س ، وكذا فى الجزء الخامس : « كشرة الخيل » . وفى ل : « كثرة » وكلمة « تبقى » ساقطة من س وهى فى الجزء الخامس « تبغى » . و : « إذ قفى » هى فى الجزء الخامس « من يدنى » .

وقال شتيم بن خُويلد ، [أحد بنى غراب بن فزارة] :

وقلتُ لسيِّدِنا يا حليمُ إنَّك لَمْ تأْسُ أَسْوًا رَفِيقَا[١]
أعَنتَ عديًّا[٢] على شَأْوِها تُعادى فَرِيقاً وتُبقى فريقَا
زَحرتَ[٣] بها ليلةً كلَّها فجئتَ بهَا مؤْيِداً خَنْفَقِيقَا[٤]

وقال ابن ميادة[٥] :

أتيتُ ابنَ قَشراءِ العِجانِ[٦] فلم أجدْ لدى بَابِهِ إذناً يسيراً ولا نُزْلا[٧]
وإنَّ الَّذِى ولاَّكَ أمْرَ جماعةٍ لأنقَصُ من يَمْشِى على قَدَمٍ عَقلا

(شعر فى المجد والسيادة)

وقال آخر[٨] :

ورِثنَا المَجْد عن آباءِ صِدقٍ أسأْنَا فى ديارِهِمُ الصَّنيعَا

---

(١) أنشده ابن الأنبارى فى الأضداد ٢٢٥ وقال : « أراد ياحليم عند نفسك ، فأما عندى فأنت سفيه » .

(٢) كذا فى ل ، ومعجم المرزبانى ٣٩٢ والبيان ١ : ١٨١ . وفى ط ، س : « عليا » .

(٣) زحرت ، من الزحير ، وهو النفس بأنين .

(٤) قال الجاحظ فى البيان : « مؤيد : داهية . خنفقيق : داهية أيضا » . ط : « مريدا حنفقيقا » ، وتصحيحه من ل ، س ، والبيان .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وقال آخر » . وجاء فى الجزء الخامس نسبة البيتين إلى ابن أحمر .

(٦) القشراء : الشديدة الحمرة . والرواية فى الجزء الخامس : « حمراء » .

(٧) « يسيرا » هى فى ط ، س : « يسر » ، وأثبت مافى ل ، والجزء الخامس . والنزل أصله بضم النون والزاى ، وسكن للشعر . والنزل : ماأعد للضيف .

(٨) هو معن بن أوس المزنى ، كما فى الأغانى ١٠ : ١٥٨ . والبيتان كذلك فى عيون الأخبار ٤ : ١١٣ .

إذا المَجْدُ الرَّفيعُ تَعاورتْه بُناةَ السُّوءِ أوْشَكَ أَنْ يضِيعَا

وقال الآخر :

إذا المرءُ أثْرَى ثمَّ قال لقومِه أنَا السَّيِّدُ المُفْضَى إليه المعمَّمُ[١]

ولم يعْطِهِمْ خيراً أبَوْا أنْ يَسُودَهُم وهَان عليهمْ رَغْمُهُ وهو أظْلَمُ[٢]

وقال الآخر[٣] :

٢٦

تركتُ لبحرٍ دِرهَميه ولمَ يَكُنْ لِيَدفَعَ عَنِّى خَلَّتِى دِرْهَمَا بحرِ[٤]

فقلتُ لبحرٍ خذْهُما واصطَرِفْهُما وأنفِقْهما فى غيرِ حَمْدٍ ولا أجرِ

أيمنَعُ سُؤَّال العَشيرةِ بعدَ مَا تسمَّيتَ بحراً وأكنيت أبا الغَمر

وقال الهذلىُّ :

وكنت إذا ما الدّهرُ أحدَث نَكبة أقولُ شَوًى ، مالمَ يُصِبنَ صميمى[٥]

وقال آخر فى غير هذا الباب :

سقى الله أرضاً يَعْلَمُ الضَّبُّ أَنَّها بعيدٌ من الأدواء[٦] طَيِّبَةُ البَقْل

بنى بيته فى رأس نَشْزٍ وكُدْيةٍ[٧] وكلُّ امرئٍ فى حِرفَةِ العَيْش ذُو عَقْل

---

(١) فى عيون الأخبار ١ : ٢٤٨ : « المفضى إليه المعظم » . ونسب فى أمالى الزجاجى ١٨ إلى المغيرة بن حبناء .

(٢) فى حماسة ابن الشجرى ١٠٠ : « وهان عليهم فقده » .

(٣) فى العقد ٢ : ٢٧٥ : « سأل أعرابى رجلا يقال له عمرو ، فأعطاه درهمين ، فردهما عليه فقال » ، وأنشد البيتين الأولين ، برواية « عمرو » مكان : « بحر » . وفى محاضرات الراغب ٢ : ١٥٢ : « ولى رجل يقال له البحر ، ويكنى أبا الغمر بعض كور خراسان ، فدحه شاعر فأعطاه درهمين فقال » . وأنشد البيتين الأولين . وانظر عيون الأخبار ٣ : ١٤٣ .

(٤) فى الأصل : « بحرى » وهو تحريف . والخلة بالفتح : الحاجة والفقر .

(٥) أنشد ابن الأنبارى هذا البيت فى الأضداد ١٩٩ وقال : شوى أى هين حقير .

(٦) الأدواء : جمع داء ، وفى ل : « الأرواء » .

(٧) فى الأصل : « بنا » . النشز : المكان المرتفع . والكدية : الأرض الغليظة .

(أبو الحارث جمّين والبرذون)

وحدّثنى المكىُّ قال : نظر أبو الحارث [جُمَّين][1] إلى برذون يُستقَى عليه ماءٌ ، فقال : المرءُ حيثُ يَضعُ نفسَه[2] ! هذا لو قد هملَجَ لم يُبْتَل بما تَرى !

(بين العقل والحَظّ)

وقال عبد العزيز بن زُرارة الكلابى :

وما لُبُّ[3] اللَّبِيب بغير حظٍّ　　بأغنى فى المعيشةِ من فَتيل[4]

رأيت الحظَّ يستُر كلَّ عَيْب　　وَهَيْهاتَ الحُظوظُ من العقول

---

(١) كذا فى ل ، وفى مواضع متعددة من البيان ؛ وصاحب القاموس يرى هذا خطأ ، وأن صوابه « جميز » قال — فى مادة جمن — : « ضبطه المحدثون بالنون والصواب بالزاى المعجمة ، أنشد أبو بكر بن مقسم :

إن أبا الحارث جميزا　　قد أوتى الحكمة والميزا »

(٢) بدل هذه فى البيان ٢ : ١٠٢ :

* « وما المرء إلا حيث يجعل نفسه » *

وهو صدر بيت لحريث اللحام (الوساطة ١٥٦) وعجزه :

* فأبصر بعينيك امرأ حيث يعمد *

(٣) ط ، س : « لبث » ، وتصحيحه من ل .

(٤) الفتيل : الهنة التى فى شق النواة . وفى ط : « قتيل » تحريف مافى س ، ل .

(هجو الخَلْف)

وقال الآخر [١] :

ذهبَ الَّذين أُحبُّهمْ سلَفاً [٢] وبَقِيت كالمقْهور فى خَلْفِ [٣]
من كلِّ مَطْوِيٍّ على حَنَقٍ مُتَضَجِّع يُكْفَى ولا يَكفِى [٤]

(عبد العَين)

وقال آخر :

ومَوْلًى كَعَبْدِ العَيْن أمَّا لِقاؤه فيُرضى وأمَّا غَيْبُه فظَنُونُ [٥]

ويقال للمرائى ، ولمن إذا رأى صاحبَه تحرّك له وأَرَاه الخدْمةَ والسرعة فى طاعته فإذا غابَ عنه وعن عينه خالف ذلك : « إنَّما هو عَبْدُ عَين [٦] » .

---

(١) هو الأحوص ، كما فى البيان ٢ : ١٨٤ . والبيتان أيضا فيه ٣ : ٣٣٦ .

(٢) ل : « أحب قربهم » . وفى البيان : « أحبهم فرطا » .

(٣) فى الجزء الثانى من البيان : « كالمقمور » . وفى الثالث : « كالمغمور » . وكلمة « خلف » هى فى ط : « خلق » محرفة .

(٤) المتضجع : من تضجع فى الأمر ، إذا تقعد ولم يقم به .

(٥) فى ثمار القلوب ٢٦٣ : « فضنين » ، وهو تحريف ماهنا . وفى البيان ٣ : ٢٠٤ :

ومولى كداء البطن أما لقاؤه فحلم وأما غيبه فظنون

والظنون بالفتح كالظنين : وهو المتهم الذى لايوثق به . ويصح أن تقرأ بضم الظاء جمعا للظن .

(٦) للميدانى مثل هذا الكلام فى أمثاله ٢ : ٣٢٠ وزاد : « وكذلك يقال : فلان أخو عين ، وصديق عين : إذا كان يرائى فيرضيك ظاهره » .

وقال اللهُ عزَّ وجلّ : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَن إنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إلَيْكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ إنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إلَيْكَ إلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ﴾ .

(من إيجاز القرآن)

وقد ذكرناً أبياتاً تُضاف إلى الإيجاز وقِلَّة الفُضول ، ولى كتابٌ جَمَعْتُ فيه آياً من القرآن ؛ لتَعرِفَ بها [فصل] ما بينَ الإيجاز والحَذْف ، وبين الزّوائِد والفُضول والاستعارات ، فإذا قرأْتَها رأيت فضلها فى الإيجاز والجمْعِ للمعانى الكثيرةِ بالألفاظ القليلة [على الَّذى كتبتُهُ لك فى بابِ الإيجازِ وترك الفضول] . فمنها قوله حينَ وصفَ خَمرَ أهلِ الجنّة : ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهاَ وَلاَ يُنْزِفُونَ ﴾ . وهاتان الكلمتان قد جَمَعتا جميعَ عُيوبِ خمرِ أهلِ الدُّنيا .

٢٧

وقولُه عزّ وجل حينَ ذكر فاكهةَ أهلِ الجنّة فقال : ﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ . جمع بهاتين الكلمتين جميعَ تلك المعانى .

[وهذا كثيرٌ قد دللتك عليه ، فإنْ أردتَه فموضعُه مشهور] .

(رأى أعرابى فى تثمير المال)

وقال أعرابىٌّ من من بنى أسد :

يقُولون ثَمِّر ما استطَعت ، وإنما ... لِوَارِثِه ما ثَمَّرَ المَالَ كاسبُه
فكلْهُ وأطعِمْهُ وَخالِسهُ وَارِثاً ... شحيحاً ودهراً تَعْتَرِيكَ نوائبُه[1]

(١) خالسه ، من المخالسة ، وهى الأخذ فى نهزة ومخاتلة .

(شعر فى الهجاء)

وقال رجلٌ من بنى عَبْس :

أبلغ قُراداً لقــد حَكَمتمُ رجلاً[١]
لا يَعرِفُ النَّصْفَ بل قد جَاوَزَ النَّصَفا[٢]

كان امرأً ثأراً والحــقُّ يَغْلِبُــه فجانَبَ السَّهْلَ سَهْلَ الحقِّ واعتَسفا

وذاكمُ أنَّ ذُلَّ الجارِ حالَفَكُم وأنّ أنفَكُمُ لا يعرِف الأنَفا

إنَّ المحكَّمَ مالَمْ يَرْتَقِبْ حَسَباً
أوْ يَرْهَبِ السَّيفَ أو حَدَّ القَنا جنَفَا[٣]

مَن لاذَ بالسَّيفِ لاقى قَرضَه عجبا[٤] موتاً على عَجَلٍ أو عاش مُنْتَصِفا

بِيعُوا الحياة بها إذ سـام طالبُها إمَّا رَواحاً وإما مِيتَــةً أنَفـا[٥]

---

(١) ط ، س : « أبلغ فؤادى لقد حركتمو » ، وهو تحريف ماأثبت من ل . وقراد : اسم قبيلة .

(٢) النصــف مثلثة والنصفة بالتحريك : الإنصــاف . والنصف بالتحريك : الاسم منه . والأبيات فى البيان ١ : ٢١١ .

(٣) جنف : مال مع أحد الخصمين ، أو جار .

(٤) القرض ، أصله : مايتجازى به الناس بينهم . وجاء فى ل ، والبيان ١ : ٢١١ : « فرصة » .

(٥) يقول : بيعوا الحياة بالحياة . ويقال سام بالسلعة وساوم واستام بها وعليها : غالى . وقد تعــدى الفعــل هــنا بنفسه . فى ط ، س : « نام » وليس بشىء . وأثبت مافى ل .

ليس امرؤٌ خالداً والموتُ يطلبهُ هاتيك أجْسادُ عادٍ أصبَحَتْ جِيفَا

أبلِغْ لَديكَ أبا كعب[1] مغَلْغَلةً أَنَّ الذى بيننا قد مات أو دنِفا[2]

كانت أمورٌ فجابت عن حُلومكم ثَوْبَ العَزِيمةِ حتَّى انجابَ وانكَشَفا[3]

إنِّى لأعلَمُ ظَهْرَ الضِّغن أعْدِله عَنِّى ، وَأعْلَمُ أَنِّى آكُلُ الكتفا[4]

(شعرٌ حِكْمِىّ)

وقال أُسقفُ نجْران[5] :

منَعَ البقَاءَ تصرُّفُ الشمسِ وطُلوعُها منْ حَيْثُ لا تُمسِى

وطُلوعُها بَيضاءَ صافِيَةً وغروبُها صَفْراءَ كالوَرْس

اليوم أعلم ما يجىءُ بِهِ ومضى بفَصْل قضائِه أمْس

---

(١) ل : « سعد » . والمغلغلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد .

(٢) دنف : براه المرض حتى أشفى على الموت . وفى س : « قد بات » محرف .

(٣) كذا فى ط ، س . وفى ل : « فجافت » و « مال فانكشفا » .

(٤) كذا فى ل ، وفى ط ، س : « أين آكل » . وقولهم : « يعلم من أين تؤكل الكتف » كناية عن الحذق .

(٥) الشعر نسب فى معاهد التنصيص ٢ : ١٢١ وكذلك الصناعتين ١٩٢ إلى بعض ملوك اليمن . ونسب فى العقد ٢ : ١٢٢ إلى عابد من نجران ، وفى معجم المرزبانى ٣٣٩ إلى القمقام بن العباهل ، وهو تبع الثانى أو الثالث ، ملك حضرموت واليمن . وانظر خبرا متعلقا به فى كل من زهر الآداب ٣ : ١٨٣ وذيل أمالى القالى ٢٩ .

وقال عَبيدُ بن الأبرص[١] :

وكُلُّ ذِى غَيْبَةٍ يَئُوبُ   وغائِبُ المَوْتِ لا يَئُوبُ
مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوه   وسائلُ اللهِ لا يَخيبُ
[وعاقِرٌ مثلُ ذاتِ رِحْمٍ   وغانمٌ مِثْلُ مَنْ يَخِيبُ]
أَفْلِحْ بما شِئْتَ فقد يُبْلَغُ[٢] بالضَّعْف وقَدْ يُخدَعُ الأَرِيبُ   ٢٨
المرءُ مَا عَاشَ فى تَكْذِيبِ   طُولُ الحَياةِ لَهُ تَعذِيبُ

وقال آخر[٣] :

إذَا الرِّجالُ ولَدَتْ أَوْلَادُها   واضْطَرَبَتْ مِنْ كِبَرٍ أَعْضادُها
وَجعَلَتْ أَوْصابُها تعتادُها   فَهْىَ زُروعٌ قد دنَا حَصَادُها

(مرثية محمد المخلوع)

وقالت بنت عيسى بن جعفر[٤] ، وكانت مُمْلَكَةً[٥] لمحمدٍ[٦] المخلوع حينَ قتل :

---

(١) كذا فى ل . والشعر من قصيدته المشهورة التى أولها :
أقفر من أهله ملحوب   فالقطبيات فالذنوب

(٢) ل : « يدرك » .

(٣) هو زر بن حبيش . قاله وقد حضرته الوفاة . وكان قد عاش مائة وعشرين سنة . انظر أدب الدنيا والدين ١٠٨ . والرجز أيضاً فى الحيوان (٦ : ٥٠٦) والعقد (٢ : ٢٦٨) ومعجم الأدباء ١٦ : ١٢٤ .

(٤) عيسى بن جعفر ، هو حفيد أبى جعفر المنصور ، ولى البصرة وكورها وفارس والأهواز واليمامة والسند ، ومات بدير بين بغداد وحلوان . المعارف ١٥٦ - ١٦٦ .

(٥) مملكة ، من الإملاك ، وهو عقد الزواج . وفى ط « ملكها » وهو تحريف ما أثبت من ل ، س .

(٦) محمد المخلوع ، هو الأمين بن هارون الرشيد . وفى العقد (٢ : ١٧٨) أن اسم المرأة لبانة بنت ريطة بن على ، وفى مروج الذهب (٢ : ٣١٦ بهية) أنها لبابة ابنة على بن المهدى ، وفيهما زيادة فى الشعر . وفى البيان (٣ : ١٢١) أنه لامرأة فى بعض الملوك . وفى الطبرى ١٠ : ٢١٠ أن الشعر ، للبابة أو لابنة عيسى بن جعفر .

أبْـكِيك لا للنَّعيم والأنس بَلْ لِلمعالى والرُّمح والفَرَسِ
أبكى على فارسٍ فُجعْتُ به أَرْملَنِي قَبْلَ لَيْلَةِ العُرُس

(من نعت النساء)

وقال سَلْمٌ الخاسر[1] :

تبدَّتْ فقلتُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِها بجيدٍ نَقِيِّ اللَّونِ من أَثَرِ الوَرْس[2]
فلما كَرَرْت الطَّرفَ قلت لصَاحِبِى على مِرْيَةٍ : ما هاهُنا مَطلع الشمس!

---

(١) هو سلم بن عمرو ، مولى بنى تيم بن مرة ، شاعر بصرى قدم بغداد ومدح المهدى والهادى والبرامكة . قالوا : سمى بالخاسر لأنه ورث عن أبيه مصحفا فباعه واشترى طنبورا . وهو صاحب البيت المشهور :

من راقب الناس مات غما وفاز باللـذة الجسور

كان سلم تلميذ بشار بن برد وراويته . وجاء اسمه فى الوفيات برسم « سالم » وهو خطأ . انظر الأغانى (٢١ : ٧٣ — ٨٤) وتاريخ بغداد ٤٧٥٤ .
ومما ينص على تعيين اسمه قول أبى العتاهية له :

سلم ياسلم ليس دونك سر حبس الموصلى فالعيش مر

وقوله :

إنمـا الفضل لسلم وحده ليس فيه لسوى سلم درك

وقوله :

والله والله ما أبالى متى مامت ياسلم بعد ذا السفر

وقوله :

تعالى الله ياسلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال

(٢) « الشمس » يصح قراءتها بالنصب ، بجعل « قلت » بمعنى ظننت . ويصح الرفع بتقدير « هى » . ل : « بجلد غنى اللون أثر كالورس » .

وقال الآخر[١] :

كَفى حَزَناً بدَفنِكَ ثُمَّ أَنِّى نَفَضْتُ تُرابَ قبْرِك عَنْ يَدَيَّا
وكانت فى حياتِكَ لى عِظاتٌ وأنتَ اليوْمَ أوعَظُ منْكَ حَيّا[٢]

باب

من المديح بالجمال وَغيْره

قال مُزَاحِمٌ العُقيلىّ :

يزِين سنا الماوِىِّ[٣] كلَّ عشيّةٍ على غَفَلَاتِ الزَّين والمتجمَّلِ[٤]
وجوهٌ لوَ انَّ المدْلجِينَ اعتشوْا بها صَدَعْنَ الدُّجَى حتَّى ترى اللَّيْلَ ينْجَلى[٥]

وقال الشَّمَرْدَل :

إذا جَرَى المسْكُ يَنْدَى فى مفارِقِهِمْ راحُوا كأنهمُ مَرْضَى من الكَرَمِ

---

(١) هو أبو العتاهية يرثى على بن ثابت الأنصارى ، كما فى معاهد التنصيص (٢ : ١٨٥) . أو ولدا له كما فى العقد (٢ : ١٥٦) . وانظر الكامل ٢٣٠ ليبسك وذيل الأمالى ص ٢ ومروج الذهب (٢ : ٣٦٨) والمستطرف (٢ : ٢٩٤) .
(٢) انظر لهذا البيت الاستدراكات .
(٣) الماوى : لغة فى الماوية أى المرآة ، أو جمع لها عند ابن الأعرابى . وفى ط : « المأذى » وفى س : « المازى » وفى ل : « المادى » وكل ذلك تحريف ما أثبت ، كما فى اللسان (مادة موى) والبيان (٣ : ٢٥٢ و ٤ : ٦٩) .
(٤) فى الأصل : « والمتحمل » وصوابه من اللسان والبيان (٣ : ٢٥٢ و ٤ : ٦٩) ومجالس ثعلب ٢٧٧ . وهى مصدر من تجمل .
(٥) انظر تفسيره فى اللسان (عشا ٢٨٧) .

يشبَّهونَ ملوكاً من تَجلَّتهم[١] وطولِ أنضية الأعناقِ والأُمم[٢]

[النضِيُّ : السَّهم الذى لم يرَش ، يعنى أن أعناقهم مُلسٌ مستوية[٣] . والأمم[٤] : القامات] .

وقال القتَّال الكلابىّ :

٢٩ يا ليتَنى ، والمُنى لَيست بنافعةٍ[٥] لمالكٍ أو لِحِصْنٍ أو لسَيَّارِ[٦]

طوال أنضِيَةِ الأعْناقِ لم يجِدُوا رِيحَ الإماء إذا راحت بأزفار[٧]

لم يرْضَعُوا الدَّهْرَ إلاَّ ثَدْىَ واضِحةٍ لواضِحِ الوَجْهِ يَحمِى باحَةَ الدَّارِ[٨]

وقال آخر :

إذا كان عَقْلٌ قلتمُ إنَّ عَقْلَنَا إلى الشَّاء لم تَحْلُلْ علينا الأباعِرُ

وإنَّ امرأً بعدِى يُبادل[٩] وُدَّكُمْ بُودِّ بنى ذبيان مولى لخاسِرُ

---

(١) ل وكذا الكامل (٣٥ ليبسك) ، وأمالى القالى (١ : ٢٣٨) : « فى تجلتهم » . والتجلة : العظمة . وفى العقد (٦ : ٢٢٨ لجنة التأليف) : « فى مجلتهم » . ورواية الحماسة (٢ : ٢٧٨) : « يشبهون سيوفا فى صرامتهم » .

(٢) كذا جاءت الرواية فى ل والأمالى والحماسة ، ويروى : « اللمم » جمع لمة ، بكسر اللام ، وهو شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة .

(٣) جاء فى الكامل : « فالنضى مركب النصل فى السنخ . وضربه مثلا . وإنما أراد طوال الأعناق » .

(٤) الأمم : جمع أمة ، بضم الهمزة .

(٥) ل : « بمغنية » .

(٦) قال المبرد فى الكامل ٣٥ ليبسك : « وقوله لمالك أو لحصن أو لسيار » ، فهؤلاء بيت فزارة » ، يريد موضع الشرف فيهم .

(٧) الأزفار : جمع زفر بالكسر ، وهو الحمل بالكسر ، كما فى الكامل واللسان (مادة زفر) . وفى س : « بأذفار » فيكون جمع ذفر بالتحريك ، وهو خبث الريح .

(٨) قال المبرد : واضحة : أى خالصة فى نسبها ، وليست بأمة .

(٩) فى هامش س : « خ : تبدل » أى فى نسخة .

أولئك قومٌ لا يُهان هَدِيُّهم (١) ... إذا صرَّحتْ كَحْلٌ وهبَّتْ أعاصِرُ (٢)
مَذاليق (٣) بالخَيل العِتاق إذا عَدَوا (٤) ... بأيديهمُ خطِّيَّةٌ وبَواتِرُ

وقال أبو الطَّمَحان القَينىّ فى المعنى الذى ذكرنا :

كم فيهمُ مِنْ سَيِّدٍ وابنِ سَيِّدٍ ... وَفِىٍّ بعَقْدِ الجَارِ ، حِينَ يُفارقُه
يكاد الغَمام الغُرُّ يُرْعِدُ أنْ رَأى ... وُجُوهَ بَنى لأمٍ ويَنْهَلُّ بارقُه

وقال لَقِيطُ بن زرارة (٥) :

وإنِّى مِنَ القَوْمِ الذين عَرَفْتمُ ... إذا مات منْهُمْ سَيِّدٌ قامَ صاحبُه
نجومُ سماءٍ كلما غارَ كَوْكَبٌ ... بَدَا كَوْكَبٌ تأوى إليه كواكبُه
أضاءتْ لهمْ أحسابهُمْ ووُجُوههُمْ ... دُجَى اللَّيلِ حتَّى نَظَّمَ الجزعَ ثاقِبه (٦)

وقال بعض التميميِّين ، يمدَح عوفَ بنَ القَعْقاع بنِ مَعْبَدِ بن زرارة :

بحقِّ امرئٍ سرو عتيبة خاله (٧) ... وأنت لقعقاع وعمُّك حاجبُ
[درارى نجوم كلما انقضَّ كوكبٌ ... بدا كوكب ترفضُّ عنه الكواكبُ]

---

(١) الهدى : الرجل ذو الحرمة ، يأتى القوم يستجير بهم أو يأخذ منهم عهدا . فهو مالم يجر أو يأخذ العهد هدى ، فإذا أخذ العهد منهم فهو حينئذ جار لهم . اللسان (هدى) .

(٢) كحل ، بالفتح ، هى السنة والجدب ، . وصرحت : صارت خالصة فى شدتها وجدبها . وهو مثل . انظر الميدانى ٢ : ٣٧٠ واللسان . وفى س : « كهل » محرفة .

(٣) كذا فى ل . والمذلاق : السريع الجرى ، جمعه مذاليق . وفى ط ، س : « مداليف » من الدليف ، وهو المشى الرويد . وليس يصح المعنى به .

(٤) ل : « غزوا » .

(٥) الشعر منسوب إلى أبى الطمحان القينى فى الكامل ٣٠ ليبسك والوساطة ١٥٩ والحماسة (٢ : ٢٧٢) .

(٦) الجزع ، بالفتح : ضرب من الخرز فيه سواد وبياض .

(٧) كذا فى ط ، س . وفى ل : « يسرو عيينة » ، وفى الشطر تحريف .

وقال طفَيْلٌ الغَنَوىُّ :

وكانَ هُريمٌ مِن سِنانٍ خَلِيفةً ... وعمرو ومن أسماءَ لَمَّا تَغَيَّبُوا

نجومُ ظلام كلما غاب كوكبٌ ... بَدَا ساطِعاً فى حِنْدِسِ اللَّيلِ كَوْكب [١]

وقال الحرَيمى [٢] ، يمدح بنى خُرَيم [٣] ، من آل سنان بن أبى حارثة :

بقيَّة أقمــارٍ من الغُرِّ لو خَبتْ [٤] ... لَظلَّت مَعَدٌّ فى الدُّجَى تَتسكَّعُ [٥]

إذا قمرٌ منهم تَغَوَّرَ أو خَبَا ... بدَا قمرٌ فى جانبِ الليل [٦] يَلْمَعُ

وقال بعضُ غنِيٍّ [٧] ، وهو يمدح جماعةً إخوة ، أنشدنيها أبو قطَن ، الذى يقال له شهيد الكَرَم :

٣٠ حَبِّرْ ثَنَاءَ [٨] بنى عمرٍو فإنَّهمُ ... أُولو فُضولٍ وأنْفالٍ وأخطارِ [٩]

إنْ يُسْأَلُوا الخَيْرَ يُعْطُوهُ، وَإنْ جُهِدُوا ... فالجَهْدُ يُخْرِجُ منْهُمْ طِيبَ أخبارِ [١٠]

---

(١) ديوان طفيل ١٨ والبيان ٣ : ٣٣٧ . ل : « نجوم سماء » . ل ، س : « غار كوكب » . ل : « بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب » .

(٢) الحريمى بالراء تقدمت ترجمته فى الجزء الأول ص ٢٢٤ – ٢٢٥ .

(٣) ط ، ل : « حزيم » ، وتصحيحه من س . وانظر ترجمة الحريمى .

(٤) ط ، س : « أقوام » موضع « أقمار » . و « الغر » هى كذلك فى س . وفى ل : « العر » ، وفى ط : « العز » ، محرفتان .

(٥) فى اللسان : « وتـكسع فى ضلاله : ذهب ، كتسكع . عن ثعلب » .

(٦) الرواية فى الوساطة ١٥٩ : « فى جانب الأفق » .

(٧) أى أحد الغنويين . وانظر التحقيق الخاص به فى الجزء الثانى ص ٨٩ .

(٨) ط ، س : « خبر ثنائى » وتصحيحه من ل . والتحبير : تحسين الخط أو الكلام أو الشعر .

(٩) الفضول : مايتبقى من الغنائم حين تقسم ، يختص بها الرئيس .

(١٠) جهدوا : أصابهم الجهد ، وهو شدة الزمان .

وإنْ تَودَّدْتَهم لانُوا ، وإن شُهِموا كشفتَ أذمَار حربٍ غيرَ أغمارِ (١)
مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلُ النُّجوم التى يسرى بها السَّارى

وقال رجلٌ من بنى نهشل (٢) :

إنِّى لِمِنْ مَعْشَرٍ أفْنَى أوائِلَهُمْ قِيلُ الكُماةِ ألا أَينَ المحامُونا
لو كانَ فى الألفِ مِنَّا واحدٌ فدَعَوْا مَنْ فارسٌ خالَهُمْ إيَّاهُ يَعنُونا (٣)
وليسَ يَذْهَبُ مِنَّا سَيِّدٌ أبَداً إلاَّ افتلَيْنا غُلاماً سَيِّداً فِينا (٤)

وفى المعنى الأوّل يقول النّابغةُ الذُّبيانىّ :

وذاكَ لِأَنَّ اللهَ أَعْطاك سُورَةً (٥) ترَى كُلَّ مُلْكٍ دُونها يَتَذَبْذَبُ
بأنَّك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طَلَعت لم يَبْدُ منهنَّ كَوكَبُ

وفى غير ذلك من المديح يقول الشاعر :

وأتيتُ حَيًّا فى الحروب محلُّهم والجيشُ باسم أبيهمُ يُسْتَهزَمُ

[وفى ذلك يقول الفرزدق :

لتَبْك وكيعاً خيلُ ليلٍ مُغيرةً تَساقَى السِّمامَ بالرُّدَيْنِيَّة السُّمْرِ (٦)

---

(١) انظر تفسير البيت فى الجزء الثانى ص ٨٩ . وجاء فى س : « وإن شتموا » محرفة . وفيها أيضا : « أذمار شر » وفى ل : « شد » وفيهما : «غير أشرار» .

(٢) هو بشامة بن حزن النهشلى كما فى شرح التبريزى للحماسة ١ : ٥٠ . وانظر الحماسة ١ : ٢٥ .

(٣) ل : « من عاطف » . يقال عطف على العدو : مال عليه .

(٤) الافتلاء : الافتطام والأخذ عن الأم .

(٦) السورة : بالضم : المنزلة الرفيعة .

(٦) وكيع هذا هو ابن أبى سود الغدانى . والسمام : جمع سم . ورواية الديوان ٢٤٦ والكامل ٧٦٥ ليبسك : « المنايا » . وانظر كتاب البغال ٢٦٨ .

لقوا مثلَهم فاستهزَموهمْ بدعوةٍ   دعَوْها وكيعاً وَالرِّماحُ بهم تجرى (١)

وأما قول الشاعر :

* تخامل المحتد أو هزام (٢) *

فإنّما ذهَبَ إلى أنَّ الدَّعوةَ إذا قام بها] خامل الذِّكر والنسب (٣) فلا يحسُده من أكفائِه أحــدٌ ، وأما [إذا قام بها (٤)] مذكورٌ بُيمن النَّقِيبة ، وبالظَّفَر المتابع ، فذلك أجــود (٥) مايكون ، وأقرَبُ إلى تمام الأمر .

وقال الفرزدق :

تَصرَّم منّى (٦) وُدُ بكرِ بنِ وَائلٍ   وما كان وُدِّى عَنْهُمُ يتصرَّمُ

قوارصُ تأتِينى ويَحتِقرُونها   وقَدْ يَملأُ القَطْرُ الأناءَ فَيُفْعَمُ (٧)

وقال الفرزدق (٨) :

وقالتْ أُراه واحداً لاأخَا لَهُ (٩)   يؤمِّله فى الوَارِثِينَ الأباعدُ

---

(١) رواية الديوان والكامل : « والجياد بهم تجرى » . وما هنا أجزل وأقوى .

(٢) كذا جاء .

(٣) ط ، س : « وإذا قام بالدعوى خامل الذكر والنسب » .

(٤) ليست بالأصل والكلام فى حاجة إليها .

(٥) س : « أجوز » .

(٦) كذا فى ل . ، وفى ط ، س : « تذكر حبى » وهو تحريف .

(٧) ل : « الأتى » . وهو الجدول تؤتيه إلى أرضك .

(٨) الشعر الآتى قاله الفرزدق عند ماعيرته زوجه نوار بأنه لاولد له . عيون الأخبار ٤ : ١٢٢ ومعاهد التنصيص ١ : ١٠٢ . وفى الديوان ١٧٢ أن التى عيرته هى امرأته طيبة بنت العجاج المجاشعى . وينسب الشعر أيضا إلى ابن عنقاء الفزارى . معجم المرزبانى ٣٤٣ .

(٩) فى الديوان : « طاح أهله » ،وفى المعجم : « باد أهله » .

لعلّكِ يوماً أن ترَيْنى (١) كأنّما بَنِىَّ حَوَالَىَّ الأسُودُ الحوارِدُ (٢)
فإنَّ تميا قبل أن يلد الحصى (٣) أقام زماناً وهو فى الناس واحدُ

وقال الفرزدق أيضاً (٤) :

فإنْ كانسيفٌ خانَ أو قَدَرٌ أَبَى (٥) لميقاتِ يومٍ حَتْفُه غير شاهد (٦)
فسَيْفُ بنى عَبْسٍ وقد ضَرَبُوا بِهِ نبابيدَىْ وَرْقاءَ عن رأسِ خالدِ (٧)
كذاكَ سُيوفُ الهِنْدِ تَنْبُو ظُباتُها ويقْطَعْن أحياناً مَنَاطَ القَلائدِ

(١) ط ، س « ترانى » وهو تحريف ، وصوابه من ل وعيون الأخبار . وفى الديوان : « فإنى عسى أن تبصرينى » .

(٢) الحوارد : جمع حارد ، وهو المجتمع الخَلق الشديد الهيبة . ورواية الديوان : « اللوابد » .

(٣) الحصى : العدد الكثير . وقال الأعشى :

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكاثر

(٤) وكان قدم سليمان بن عبد الملك أسيراً من الروم وأمره أن يضربه بالسيف ، فلما ضربه بالسيف لم يؤثر فيه ، وكلح الرومى فى وجهه ، فارتاع الفرزدق ، وضحك سليمان والقوم . فقال جرير :

بسيف أبى رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت به عند الإمام فأرعشت يداك وقالوا محدث غير صارم

انظر تفصيل الخبر فى الأغانى (١٤ : ٨٢ — ٨٣) والغيث المنسجم (٢ : ١١٣) والعمدة (١ : ١٢٦) والنقائض ٣٨٤ .

(٥) س : « أبى » بمعنى خان . وانظر رواية البيت فى حماسة البحترى ٥٦ .

(٦) يروى : « لتأخير نفس حتفها » .

(٧) ورقاء هذا هو ابن زهير بن جذيمة العبسى . وخالد ذاك هو ابن جعفر بن كلاب العامرى ، وكان خالد قد برك على زهير تمهيداً لقتله ، ولحقه حندج بن البكاء العامرى ، وقال : نح رأسك ياأبا جزء — يعنى خالداً — فنحى خالد رأسه ، وضرب حندج رأس زهير ، وضرب ورقاء بن زهير رأس خالد العامرى بالسيف ، وكان على خالد درعان فنبا سيف ورقاء ، فقال فى ذلك :

(خير قصار القصائد)

وإنْ أحببتَ أن تروِى مِن قِصار القصائدِ شِعراً لم يُسمَع بمثله[١] ، فالتَمِسْ ذلك فى[٢] قصار قصائدِ الفَرَزْدق ؛ فإنَّك لم ترَ شاعراً قطُّ يجمَعُ التَّجْويدَ فى القِصار والطِّوال غَيْرَه .

وقد قيل للكُميت : [إنّ] النَّاسَ يزْعُمون أنَّك لاتقدِر على القِصار ! قال : مَنْ قال الطِّوالَ فهو على القِصار أقدر[٣] .

هذا الكلام يَخْرُج فى ظاهر الرَّأى والظَّن ، ولم نجدْ ذلك عند التَّحصيل على ماقال .

= رأيت زهيراً تحت كلكل جعفر فأقبلت أسعى كالعجول أبادر
إلى بطلين ينهضان كلاهما يريغان نصل السيف والسيف نادر
فشلت يمينى إذ ضربت ابن جعفر وأحرزه منى الحديد المظاهر

الأغانى (١٠ : ١٤) . وقد شاع حديث الفرزدق بهذا ، حتى حكى أن المهدى أتى بأسرى من الروم ، فأمر بقتلهم ، وكان عنده شبيب بن شيبة فقال له : اضرب هذا العلج ، فقال : ياأمير المؤمنين ، قد علمت ما ابتلى به الفرزدق فعير به قومه إلى اليوم ! فقال : إنما أردت تشريفك ، وقد أعفيتك . انظر أدب الدنيا والدين ٦ — ٧ . والفرزدق فى شعره يعرض بسليمان بن عبد الملك ويعيره بنبو سيف ورقاء العبسى عن خالد ، وبنو عبس أخوال سليمان . الأغانى (١٤ : ٨٣) . أو هو قال ذلك لأن صنع بنى عبس كان مع جرير — يعنى أنه كان مواليا لهم — الأغانى (١٠ : ١٥) . وجرير ليس عبسياً ، بل هو كلبى .

(١) ل : « تسمع بمثله » .

(٢) س : « من » .

(٣) ل : « قدر » .

(جواب عقيل بن علفة وجرير)

وقيل لعَقِيل بن عُلَّفَة : لم لاتُطيل الهجاء ؟ قال : « يَكفِيك مِنَ القِلادة مَاأحَاط بالعُنُق[(١)] » .

وقيل لجرير : إلى كَمْ تهجُو النَّاس ؟ قال : إنِّى لا أبتَدى ، ولكنِّى أعتدى »[(٢)] .

وقيل له : لم لاتقصِّر[(٣)] ؟ قال : « [إن] الجماحَ يمنع الأذى[(٤)] ! » .

(شعر مختار)

قال عبيد بن الأبرص :

نبِّئتُ أنَّ بَنِى جَدِيلةَ أوْعَبُوا ‌ ‌ ‌ [نُفَراءَ]من سَلْمَى لناوتَكَتَّبُوا[(٥)]

---

(١) المعروف فى المثل : « حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق » . انظر أمثال الميدانى (١ : ١٧٩) ونهاية الأرب (٣ : ٢٧) .

(٢) انظر ماسيأتى فى ص ٤٧٠ والبيان ٣ : ٦٥ والتمثيل والمحاضرة ١٨٤ والعقد ٥ : ٢٩٦ .

(٣) أى تقصر قصائدك ، وكان جرير يطيل قصائد الهجاء .

(٤) يريد أن مظهر العنف والانطلاق يكف الناس عن التعرض لصاحبه . والجماح أصله للخيل تغلب صاحبها وتطير به . فى ط ، س : « قال الجماع يمنع الأذى » وتصحيحه وإكماله من ل .

(٥) بنو جديلة : حى من طيىء . أوعبوا : أى لم يدعوا منهم أحداً ونفروا جميعاً . تكتبوا : صاروا كتائب . وهى فى ط ، س : « تنكبوا » وتصحيحه من ل والديوان ١٢ ليدن .

[ولقد جَرى لهمُ فلم يتعيَّفوا   تيسٌ قَعيدٌ كالهِرَاوةِ أعضَبُ][1]

وأبو الفِراخ على خشاش هَشيمةٍ   متنكِّبٌ إبِط الشَّمائل يَنْعَبُ[2]

[فتجاوزُوا ذَاكُمْ إلينا كلَّه   عَدْواً وَقرْطبةً[3] فلما قرَّبوا]

طُعِنوا[4] بمُرَّان الوَشيج فما تَرى   خلفَ الأسِنَّةِ غيرَ عِرْقٍ يشْخَبُ[5]

وتَبَدَّلُوا اليَعْبُوبَ بَعدَ إلٰهِهِمْ   صَنَماً[6] ففرُّوا[7] ياجَدِيلَ وأعذِبوا[8]

---

(١) يقول : قد جرى لبنى جديلة بالشؤم تيس قعيد من الظباء فلم يتعيفوا . التعيف : من العيافة ، وهى هنا بمعنى التشاؤم . والقعيد : الذى يأتى من الخلف . وجعل التيس كالهراوة فى ضخمها واندماجها . والأعضب : المكسور القرن . وهو مما يتشاءم به . انظر العمدة (٢ : ٢٠٢) .

(٢) أبو الفراخ ، عنى به الغراب . والهشيمة : الشجرة اليابسة . والخشاش : مالا عظم له من الدواب ، مثل الحيات والعظايا . وشبه فراخ الغراب لمعطها بالخنافس . وروى فى س : « حشاش » ، وهى بالكسر بمعنى الجانب ، كما فى القاموس . ومتنكبا إبط الشمائل ، أى مائلا عن جهتها . والشمائل : جمع شمال ، وهى الريح الشمالية .

(٣) « ذاكم » عنى به التعيف والزجر . و « قرطبة » أى عدوا شديداً . وفى الأصل « قرضبة » تصحيف ماأثبت . ورواية الديوان : « مرقصة » ، وهى ضرب من العدو .

(٤) ط ، س : « ظعنوا » ، والوجه ماأثبت من ل وديوان عبيد .

(٥) المران بالضم : الرماح الصلبة اللدنة ، الواحدة مرانة . والوشيج : شجر الرماح . يشخب : يسيل دمه .

(٦) اليعبوب : صنم لجديلة ، وكان لهم صنم أخذته منهم بنو أسد ، رهط عبيد ابن الأبرص ، فتبدلوا اليعبوب بدله . الخزانة (٣ : ٢٤٦ بولاق) .

(٧) فى الخزانة : « قروا » ، بالقاف .

(٨) قال البغدادى : « أى لاتأكلوا على ذلك ولا تشربوا » . وهكذا جاء فى ل والخزانة . وفى ط ، س : « أوعبوا » .

وقال آخر :

أَلم تَرَ حَسَّان بنَ مَيسرةَ الذى بِجُوْخَى(١) ، إلى جيرانِه كيفَ يَصنَعُ
مَتَارِيبُ(٢) ما تنفكُّ منهم(٣) عِصابة إليه سِراعاً يحصُدُون ويزْرَعُ

(شعر فى معنى قوله : يريد أن يعربه فيعجمه)

وبابٌ(٤) آخرُ مثلُ قوله(٥) :

* يريد أن يُعرِبَه فيُعجِمَهُ *

وقال آخر :

* كأنَّ مَنْ يحفَظها يُضيعها *

---

(١) ماعدا ل : « يجوع » . وانظر الاستدراكات .

(٢) متاريب : جمع مترب ، كمحسن ، وهو الذى قل ماله . وهذا الحرف من الأضداد ، والأكثر فيه أن يستعمل للذى كثر ماله . والمعروف فى الذى قل ماله : ترب كفرح ، من الثلاثى . انظر اللسان (ترب) . وهذه الكلمة هى فى ط ، ل : « متى ريب » ، وهى على الصواب فى س .

(٣) ط ، س : « منه » .

(٤) ط : « وقال » . وتصحيحه من س ، ل ؛ فإن الآتى مخالف للسابق .

(٥) هو الحطيئة ، والبيت الآتى من أرجوزة له ، أولها كما فى العمدة ١ : ٧٤ ، والديوان ١١١ :

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذى لايعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه والشعر لا يسطيعه من يظلمه

وبعده :

ولم يزل من حيث يأتى يخرمه من يسم الأعداء يبق ميسمه

وقال آخر :

* أهوجُ لا يَنفَعُهُ التَّثقيفُ *

وقال بعض المحدَثين [فى هذا المعنى] :

إذا حاوَلوا أنْ يَشعَبُوها رَأيتَها　　مَعَ الشَّعْب لا تَزْدادُ إلاّ تَداعِيًا[1]

وقال صالِحُ بنُ عبدِ القُدُّوس :

والشّيخُ لا يَترُكُ أخلاقَهُ　　حَتّى يُوارَى فى ثَرَى رَمْسِهِ[2]

إذا ارْعَوَى عادَ إلى جَهلِهِ　　كَذِى الضَّنَا عادَ إلى نُكْسِهِ

ومثل هذا قوله :

وتَروضُ عِرْسَكَ بَعْدَ ما هَرِمَتْ　　وَمِنَ العَناءِ رِياضةُ الهرِمِ

٣٢ وقال حُسيل[3] بن عُرْفُطة :

لِيَهْنِيكَ بُغضٌ فى الصَّدِيقِ وَظِنة[4]　　وتحديثُك الشَّىءَ الذى أنت كاذِبُهْ

وأنَّكَ مَشْنوءٌ إلى كلِّ صاحبٍ　　بَلاك[5] ، ومثلُ الشَّرِّ يُكْرَهُ جانبُهْ

---

(١) الشعب : الإصلاح . والتداعى : التساقط . وهذا البيت هو الثانى من أبيات عددها اثنا عشر بيتا فى البخلاء ١٨٨ يهجو بها الشاعر قوما بخلاء ، فوصف قدورهم بما يقتضيه الهجاء .

(٢) البيان ١ : ١٢٠ و التمثيل والمحاضرة ٧٨ .

(٣) هو حسيل بن عرفطة بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس الأسدى ، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ورأى الرسول ، وروى عنه . وهو ممن غير الرسول الكريم أسماءهم ، فسماه « حسينا » . انظر الإصابة ١٧١٧ . وقد جعله أبو زيد فى نوادره ٧٥ ، ٧٧ من شعراء الجاهلية . والصواب ماقدمت . ومن العجيب أن أبا حاتم قال إنه « حسين » ثم يخطئه الأخفش فى ذلك . انظر النوادر فى الموضعين . وقد جاء هذا الاسم فى كل من ط ، س ، وكذلك البيان ٣ : ٢٤٩ : « الحسن » ، وهو تحريف . والأبيات بدون نسبة فى البغال ٣٣٩ .

(٤) فى البيان والبغال : « ليهنك » وهما صحيحتان . وفيه أيضاً « وضنة » .

(٥) بلاك : اختبرك . وفى ط ، س : « قلاك » بمعنى أبغضك ، وأثبت مافى ل والبيان والبغال .

وأنَّك مِهْداءُ الخَنَا نَطِفُ النثَا[١] شَدِيدُ السِّبَاب رافع الصوتِ غَالِبُهْ

فلم أرَ مِثْلَ الجَهْل يَدْعو إلى الرَّدى[٢] ولا مِثْلَ بُغْضِ النَّاس غَمَّضَ صاحِبُه

(كلمة للزِّبرقان)

وقال الأصمعى : قال الزِّبرقَانُ بنُ بدر : خَصْلَتان كبيرتان فِى امرئ السَّوء : شِدَّة السِّباب ، وكثرة اللِّطام[٣] .

(شعر فى تمجيد الأقارب)

وقال [خالد] بن نَضْلَة :

لَعَمْرِى لَرَهْطُ المَرْءِ خَيْرٌ بَقِيَّةً عليَه ولو عالَوْا به كلَّ مَركبِ[٤]

مِنَ الجانِبِ الأقْصَى وإنْ كانَ ذا نَدًى كثيرٍ[٥] ولا يُنْبِيكَ مثلُ المجرِّبِ

إذا كنْتَ فى قومٍ عِدًا لستَ مِنْهُمُ فكلْ مَاعُلِفْتَ مِنْ خَبيثٍ وَطَيِّبِ[٦]

فإنْ تَلْتَبِسْ بى خَيلُ دُودَان لا أَرِمْ وإن كنتُ ذا ذَنْب وإنْ غَيْرَ مُذْنِبِ

---

(١) النثا : ماأخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ . وفى ط ، س ، والبيان : « الثنا » ، وهوتحريف ماأثبت من ل . والنطف : المتهم المريب .

(٢) الردى : الهلاك . وفى الأصل : « الرخا » ، وتصحيحه من البيان .

(٣) س : « الطعام » محرف .

(٤) أى وإن أركبوه المراكب الصعبة . س : « غلت به » محرفة .

(٥) رواية الحماسة ١ : ١٣٤ : « ذا غنى جزيل » . و « كثير » هى فى ط ، س : « كثيراً » ، وإنما هو صفة للندى .

(٦) العدا : اسم جمع بمعنى الأعداء . أو بمعنى الغرباء كما جاء فى المخصص ١٢ : ٥٢ رواية عن ابن السكيت ، قال : « ولم يأت فعل – أى بكسر ففتح – فى الصفات غير هذا » . وانظر البيان ٣ : ٢٥٠ .

(بكل وادٍ بنو سعد)

قال : ولمَّا تأذَّى الأضبط بنُ قَريع فى بنى سعد[1] تحوَّلَ عنهمْ إلى آخَرينَ فآذَوه فقال : بكُلِّ وادٍ بنُو سعد !

(مقطَّعاتٌ شتَّى)

وقال سُحَيمُ بن وَثِيل :

ألا ليسَ زَينَ الرَّحلِ قِطْعٌ وَنُمْرُقٌ ... ولكنَّ زَينَ الرَّحْلِ ياميَّ راكبُه[2]

وقال أعرابىٌّ :

فما وجْدُ مِلواحٍ مِنَ الهيمِ حُلِّئتْ ... عن الماء حتَّى جَوْفُها يَتَصَلْصَلُ[3]

تحومُ وتَغْشَاها العِصِىُّ وحَوْلَها ... أقاطيعُ أنعامٍ تُعَلُّ وتُنْهَلُ

بأكثرَ مِنِّى غُلَّةً وتعطُّفاً[4] ... إلى الورد[5] ، إلاَّ أنَّنى أتجمَّلُ

---

(١) ط ، س : « سحيم » ، والصواب : « سعد » كما فى ل ، وماسبق فى الجزء الأول ص ٣٥٨ .

(٢) القطع ، بكسر القاف : البساط ، أو النمرقة ، أو الطنفسة يجعلها الراكب تحته . وفى ل : « نطع » بالنون ، وهو البساط من الأديم . والنمرق والنمرقة : الوسادة الصغيرة أو الطنفسة فوق الرحل . وقد حرف الناسخون البيت فى عيون الأخبار ١ : ٢٩٧ فجعلوه « قطعاً يمزق » . ورواه المرزبانى فى معجمه ٣٩٠ لمضرس بن ربعى .

(٣) حلئت : منعت من الماء . وفى ط ، س : « خليت » . والهيم : الإبل العطاش .

(٤) ط ، س : « تقطعا » . وأثبت مافى ل والبيان ٣ : ٥٥ .

(٥) ل : « العدد » وصواب هذا « العد » بالكسر ، وهو الماء الجارى الذى له مادة لاتنقطع .

وقال خالدُ بن عَلْقَمَةَ ابنُ الطَّيفان(١) ، فى عيب أخْذِ العَقْل والرِّضا بشىءٍ دونَ الدَّم ، فقال :

وإنَّ الَّذِى أصبحْتُمُ تحلُبُونَه   دَمٌ غيْرَ أنَّ اللَّونَ ليَسَ بأحْمَرَا

فلا تُوعِدُوا أولادَ حَيَّانَ بَعْدَمَا   رَضِيتُمْ وزوّجتم سَيَالة مِسْهَرَا(٢)

وأعجَبَ قِردٍ يقصم القملَ حَالقاً(٣)   إذا عبّ منها فى النَّقِيبةِ بَرْبَرَا(٤)

إذا سكَبُوا فى القَعبِ من ذى إنائهم   رأوا لَونَه فى القَعبِ وَرداً وأشقرا(٥)

٣٣

باب
آخــر

فى ذكر الغضب ، والجنون ، فى المواضع التى يكون فيها محموداً(٦) .

قال الأشهبُ بن رُمَيلة(٧) :

---

(١) ط ، س : « الصهبان » ، وهو تحريف ماأثبت من ل والقاموس . والطيفان هى أم خالد . وكلمة « ابن » هى فى الأصل محذوفة الألف وهو خطأ ، وقد جاء على الصواب الذى أثبته فى الأغانى ١١ : ١٢١ . وكان خالد معاصرا لجرير والفرزدق .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وحولتم بسالة مشفرا » . وهو تحريف ، ولعل صواب « حولتم » فيه « خولتم » .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وأكحم فرداً يقصم الفيل جالباً » !

(٤) منها : أى من إبل الدية . والنقيبة : العظيمة الضرع من النوق . وفى ل : « النقيعة » ، وهى الجزور تجزر للضيافة . والبربرة : الصياح .

(٥) ط : « العقب » محرفة . وقد زاد كلمة « ذى » قبل إنائهم ، ولذلك نظائر فى كلامهم . انظر خزانة الأدب ٤ : ٢٣١ — ٢٣٢ سلفية .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فى مثل ذلك من الغضب ، وفى ذكر الجنون فى المواضع التى يكون ذكره فيها محموداً » .

(٧) الأشهب بن رميلة : شاعر إسلامى مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم ولم =

هرَّ (١) المَقادَةَ (٢) من لا يستقيدُ لها (٣) وأعصَوْصَبَ السَّيرُ وارتدَّ المساكينُ (٤)

مِنْ كلِّ أشعثَ قدْ مالَتْ عِمامَتهُ كأنَّهُ مِنْ ضِرارِ الضَّيمِ مجنُونُ (٥)

وقال فى شبيهِ ذلك أبو الغول الطُّهَوىُّ (٦) :

فَدَتْ نفسى وما مَلَكَتْ يَمينى مَعاشِرَ صُدِّقَتْ فيهم ظُنُونى (٧)

مَعاشِرَ لا يملُّون المنـايا إذا دَارتْ رَحَى الحربِ الطَّحون (٨)

ولا يجزُون مِن خـير بشر ولا يجْزُون من غِلَظٍ بِلِينِ (٩)

ولا تَبلى بَسَالَتُهُمْ وإنْ هُمْ صَـلُوا بالحَرْبِ حيناً بعدَ حين

= تعرف له صحبة . انظر الإصابة ٤٦٤ . و « رميلة » هى أمه . واسم أبيه ثور ابن أبى حارثة ، ينتهى نسبه إلى تميم . وكان الأشهب ممن هاجى الفرزدق ، وقد سبق رجز له فى ذلك بالجزء الأول ٣١٥ هو فى الخزانة ٤ : ٥١٠ بولاق . جاء فى ط : « رملية » وهو تحريف . وجـاء بعد هـذا فى كل من ط ، س : كلمة « بعد ذلك » .

(١) هر : كره . وفى ط ، س : « هذ » بمعنى قطع .

(٢) المقادة : القود ، وهو نقيض السوق . وفى ل : « الوفادة » وأحسبها تحريفاً ، ولعل الكلام فى صفة ركب مسافرين فى فلاة .

(٣) ل : « يستعد لها » .

(٤) اعصوصب السير : صار عصيبا شاقا . وفى ل : « اعصوصب الشر » .

(٥) مالت عمامته مما لعب النوم به . والضرار : الضرر . وفى ٦ : ٢٤٦ : « من حذار الضيم » .

(٦) قيل له أبو الغول لأنه فيما زعم رأى غولا فقتلها . المؤتلف ١٦٣ . وهو شاعر إسلامى . التبريزى (١ : ١٤) ومعجم البلدان (وقبى) . وفى ل : « الضبى » وهو تحريف .

(٧) قال التبريزى : « يروى : صدقوا . . . ويروى : صدقت فيهم ظنونى ، ويكون ظنونى فى موضع رفع بصدقت » ، أى فاعلا لصدقت .

(٨) فى ل ، وكذا فى الحماسة : « فوارس » وفيهما أيضاً : « الحرب الزبون » .

(٩) فى ل ، وكذا فى الحماسة : « ولا يجزون من حسن بسىء » . والسىء بالفتح .

هُمُ أحمَوْا حِمَى الوَقَبَى بضَرْبٍ يُؤَلِّف بينَ أَشْتَاتِ المَنُونِ(١)
فَنَكَّبَ عنهمُ دَرْءَ الأعادِى وَدَاوَوْا بالْجُنُونِ من الجنونِ

وقال ابن الطَّثْرِيَّة(٢) :

[لو أنَّنى لم أنلْ منكم معاقبةً إلا السِّنانَ لذاقَ الموت مظعونُ
أو لاختطبتُ فإنى قد هممت به بالسَّيفِ إنخطيب السَّيفِ مجْنُونُ(٣)

وقال آخر] :

حمراءُ تامِكة السَّنامِ كأنَّها جَمَلٌ بِهَوْدجِ أَهْلِهِ مَظْعُون(٤)
جادَتْ بها يَومَ الوَداعِ يَمينه كِلْتَا يَدَىْ عَمْرو الغَدَاةَ يَمينُ(٥)
ما إنْ يجود بمثْلها فى مثلِه إلاَّ كَرِيمُ الخِيمِ أو مجْنُونُ(٦)

---

(١) الوقبى ، بالتحريك : اسم أرض ، أو اسم ماء . المقصور ١١٦ ومعجم البلدان . فى ل ، والمقصور والحماسة والمعجم : « هم منعوا » .
(٢) كذا جاء فى ل نسبة البيتين الآتيين إلى ابن الطثرية ، ونسبة الثلاثة التى بعدها إلى « آخر » ، لكن فى ط ، س نسبة الثلاثة الأبيات التالية إلى ابن الطثرية . ولم أعثر على مرجع لهاتين المقطوعتين .
(٣) فى الأصل : « لا شتمت » ، صوابه من ٦ : ٢٤٥ .
(٤) تامكة السنام : عظيمته . وقد شبه الناقة المهداة إليه بالجمل المظعون : الذى شد هودجه بالظعان ككتاب ، وهو حبل الهودج . فجعلها كجمل لوثاقة خلقها ، ثم أضاف إلى النعت ذكر الهودج ، ليصور بذلك عظم علوها . .
(٥) كلتا يديه يمين : أراد : شماله كيمينه فى العطاء ، مبالغة فى وصفه بالعطاء . وجاء فى الحديث : « كلتا يديه يمين » فتوهم بعضهم التشبيه ، ورد عليهم ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث ٢٦٥ .
(٦) ط ، س : « فى مثلها » . والأشبه ما كتبت من ل . وضمير : « بمثلها » عائد إلى الناقة الحمراء . وضمير « مثله » إلى يوم الوداع . والخيم بالكسر : السجية .

وفى هذا المعنى يقول حسَّان ، أو ابنُه عبدُ الرحمن بن حسَّان :

إنَّ شَرْخَ الشَّبابِ والشَّعَرَ الأسْ ودَ ما لَمْ يُعَاصَ كانَ جُنونَا

إنْ يكُنْ غثَّ مِنْ رَقاشِ حَدِيثٌ فبِما نأكُلُ الحديثَ سَمِينا[٢]

وفى شبيهٍ بذلك قول الشَّنْفَرَى :

فدَقَّتْ وجلَّتْ واسبَكَرَّتْ وأُكْمِلتْ

فلوْ جُنَّ إنْسانٌ مِنَ الُحسْنِ جُنَّتِ[٣]

وقال القُطاميُّ — حين وصف إفراط ناقَتِه فى المرَح والنَّشاط :

٣٤ يَتْبَعن ساميةَ[٤] العَينَينِ تحسَبُها مَجْنُونَةً أو تُرَى ما لا تَرَى الإبِلُ

وقال أبن أحمرَ ، فى معنى التشبيه والاشتقاق :

بِهَجْلٍ من قَسًا ذَفِرِ الخُزَامى تداعى الجِرْبِياءُ به الحَنِينا[٥]

---

(١) شرخ الشباب هو اسوداد الشعر . ولولا أنهما لاصطحابهما صارا بمنزلة المفرد كان حق الكلام أن يقال : يعاصيا . أمالى ابن الشجرى (١ : ٣٠٩) . وانظر قول المبرد فى الكامل ٥٩٧ ليبسك والعسكرى فى الصناعتين ١٨٥ .

(٢) هذا البيت ليس فى ل . والبيتان فى الديوان ١٣٤ - ٤١٤ فى سبعة أبيات .

(٣) يقول : دق جسمها فى المواضع التى يستحسن فيها الدقة ، وعظم فى الأجزاء التى يرضى فيها العظم . واسبكرت : استقامت واعتدلت . وقصيدة البيت بديعة ، وهى من المفضليات . وانظر البيان (٣ : ٢٢٤) ومجالس ثعلب ٤٢٦ .

(٤) سامية : عالية ، وفى ط ، ل : « نامية » ، وتصحيحه من س والجزء السادس من الحيوان ص ٧٧ .

(٥) الهجل ، بالفتح : المطمئن من الأرض . وفى ل : « لجو » وهو تحريف . وفى س : « بجو » وهى صحيحة ، فالجو : ما اتسع من الأرض وبرز واطمأن ، كما فى اللسان . و « قسا » : موضع بالعالية ، وهو بالفتح ، ويقال بالكسر كما فى المقصور . و « الخزامى » : نبت طيب الرائحة . و « ذفر » : ذكى الرائحة . و « تداعى » هى فى ط « تهادى » وهى رواية أخرى ، كما فى اللسان (جرب) . والجربياء : الريح الشمالية الباردة . والحنين : صوت الريح . وفى ل : « الجنينا » مصحفة عما أثبت من ط ، س واللسان فى مواضع متعددة والكامل ٤٦٤ ليبسك ومعجم البلدان (قسا) والمقصور ٨٨ والبيان ٣ : ٢٢٢ والحيوان (٦ : ١٨٥) والمخصص (١١ : ٢٠٧) .

تَفَقَّأَ فَوقَهُ القَلَعُ السَّوَارِى وجُنّ الخازِبازِ بِهِ جُنُونا[١]

وفى مثل ذلك يقول الأعشى :

وإذا الغيثُ صـوبُه وَضَع القِدْ حَ وجُنَّ التِّـلاَعُ والآفاقُ[٢]

لم يزِدْهُمْ سفاهـةً نشْوةُ الخمـ رِ ولا اللَّهوُ فيهمُ والسِّباقُ

وقال آخر فى باب المزاح والبَطَالة ، ممـا أنشدَنيه أبو الأصبغ[٣] ابن ربعىّ :

أتونى بمجنونٍ يَسِيلُ لُعَابُه وما صاحبى إلاَّ الصَّحِيحُ المسلَّمُ

وأنشدنى[٤] إبراهيمُ بن هانئ ، وعبدُ الرحمن بنُ منصور[٥] :

جنُونُكَ مَجْنونٌ ولسْتَ بواجدٍ طَبِيباً يُدَاوِى مِن جنُونِ جنُونِ

---

(١) تفقأ : تصبب ، وفى س : « تـكسر » ، وهى رواية أخرى كما فى أمثال الميدانى (١ : ٢٢٧) والحيوان (٦ : ١٨٦) . والقلع بالتحريك : قطع من السحاب كأنها الجبال ، الواحدة قلعة . والخازباز : ذباب يظهر فى الربيع فيدل على خصب السنة ، أوهو نبت . وجنونه : تكاثفه .

(٢) البيتان أعيدا فى ص ٤٨٥ والجزء السادس ص ١٨٦ .

(٣) أبو الأصبغ جاء فى الأصل « أبو الأصيغ » . صوابه من البخلاء ٢٢٩ ، ١٠٥ . وذكره الجاحظ فى البيان (٤ : ١٩) ضمن النوكى وأشباههم . وروى أنه قيل له : أما تسمع بالعدو وما يصنعون فى البحر ؟ فلم لا تخرج إلى قتال العدو ؟ قال : أنا لا أعرفهم ولا يعرفوننى ، فكيف صاروا لى أعداء ؟ !

(٤) ط ، ل : « وأنشد » ، وأثبت ما فى س موافقاً ما فى الجزء السادس ص ١٨٦ .

(٥) فى الجزء السادس زيادة : « قبل أن يجن » .

(إبراهيم بن هانئ والشعر)

وكان إبراهيم [بن هانئ] لايقيم شعراً[١] . ولا أدرى كيف أقامَ هذا البيت !

وكان يدَّعى بحضرة أبى إسحاق[٢] علمَ الحِسابِ ، والكلامِ ، والهندسة ، واللحون ، وأنَّه يقول الشعر ؛ فقال أبو إسحاق : نحن لم نمتحِنْك فى هذه الأمور ، فلك أن تدّعِيهَا عندنا[٣] . كيفَ صِرْتَ تَدّعى قولَ الشعر ،وأنتَ إذا رويتَه لغيرك كسرته ؟! قال : فإنِّى هكذا طبِعتُ ،أن أقيمه إذا قلت ، وأكسره إذا أنشدت ! قال أبو إسحاق: مابعدَ هذا الكلام كلام !

(جواب أعرابى)

وقلت لأعرابىّ ، أيُّما أشدُّ غلمةً : المرأةُ أو الرجل ؟ فأنشد :

فوَ اللهِ ما أدْرِى وإنِّى لَسائِلٌ ... أألأيرَ أدنَى للفجور أو الحِرُ

وقد جاءَ هذا مُرخِياً من عِنانه ... وأقبلَ هـذا فاتحاً فاه يهدر[٤]

---

(١) وكان ماجنا خليعاً كثير العبث متمرداً . انظر أخباره وأحاديثه فى الجزء الأول من البيان ٩٣ — ٩٥ .

(٢) هو النظام .

(٣) س : « عندها » .

(٤) يهدر : من الهدير ، وأصله تردد صوت البعير فى حنجرته . وفى ط ، س : « يهبر » بالباء محرفة . وهى على الصواب الذى أثبت فى ل ومحاضرات الراغب (٢ : ١١٨) وقد روى الخبر فيها مبدوءا بقيل لقطرب — يعنى النحوى .

(مقطعات شتى)

وأنشد بعضهم :

أصبَحَ الشَّيبُ فى المفارقِ شاعا   واكتَسى الرأسُ من بياض قِناعا
ثم وَلَّى الشَّبابُ إلاَّ قليلاً   ثم يأبىَ[١] القليلُ إلاَّ نزاعا

وأنشد محمد بن يسير[٢] [لبعضهم] :

قامتْ تُخاصرنى لِقُبَّتِها[٣]   خَوْدٌ تَـأَطَّرُ ناعِمٌ بِكْرُ[٤]
كلٌّ يَرَى أنَّ الشَّبابَ له   فى كل مبلغ لَذَّةٍ عُذْرُ   ٣٥

وقال الآخرُ فى خلاف ذلك ، أنشدنيه محمد بن هاشم السِّدرىّ[٥] :

فلا تعذُرانى فى الإساءةِ إنَّه   أشرُّ الرِّجال مَنْ يسىءُ فيُعذَرُ[٦]

---

(١) ط ، س : « يأتى » . وتصحيحه من ل والبيان (٢ : ٣٣٤) .
(٢) ط ، س : « يسر » وصوابه فى ل . وقد سبقت ترجمته فى الجزء الأول . والشعر فى البيان (١ : ١٩٨) مسبوق بعبارة : « وأنشد الأحوص بن محمد » .
(٣) جاء فى البيان ، من تفسير الجاحظ للبيت : « تخاصرنى : آخذ بيدها وتأخذ بيدى » . وكلمة : « لقبتها » كذا جاءت بالأصل ، ووردت فى الجزء الأول من البيان وكذا فى الثالث منه ص ٣٤١ : « بقنتها » ، وفسرها الجاحظ فى الجزء الأول بقوله : « والقنة (واحدة القنن . وهى) : المواضع الغليظة من الأرض فى صلابة » .
(٤) تأطر : تتأطر ، أى تتثنى وتتعطف . و « ناعم » هكذا جاءت فى ط ، س . وفى ل والبيان : « غادة » ، وفسرها الجاحظ بأنها الناعمة اللينة .
(٥) ط : « السيدرى » صوابه ما فى ل ، س . ترجم له المرزبانى فى معجمه ٤٣١
(٦) قال الجوهرى فى الصحاح : « لا يقال أشر إلا فى لغة رديئة » . وهكذا جاءت الرواية فى ط ، ل . وفى س والجزء السابع ص ٢٦٠ وكذا فى أدب الدنيا والدين ص ٣١ : « شرار » .

وقال ابن فسوة [١] :

فَلَيتَ قَلوصى عُرِّيت أوْ رحلتها إلى حَسَن فى داره وابن جعفر [٢]
إلى مَعْشَر لا يَخصِفُونَ نِعالَهم ولا يلبَسُون السِّبْتَ مالم يُخصَّر [٣]

وقال الطِّرِمَّاحُ بنُ حكيم ، وهو أبو نفْر [٤] :

لقد زادنى حُبًّا لنفسىَ أنَّنِي بَغيضٌ إلى كلّ امرئٍ غَيْرِ طائِل
إذا مارآنى قطّعَ الطَّرْفَ بَيْنه وَبَيْنِىَ فِعْلَ العارِفِ المتجاهِلِ
ملأتُ عليه الأرضَ حتَّى كأنَّها من الضِّيقِ فى عَينْيَهِ كِفَّةُ حابل [٥]

---

(١) ط ، س : « ابن قترب » وصوابه ما أثبت من ل . والشعر فى الأغانى (١٩ : ١٤٤) وكذا البيان (٣ : ١٠٩) منسوب إلى ابن فسوة . وقد تقدمت ترجمته فى الجزء الثانى ص ١١ .

(٢) كذا على الصواب فى ل والأغانى . وفى ط : « إلى حرمى دارى بن جعفر » وفى س : « إلى حين مى درامى » والتحريف فيهما ظاهر . وفيهما أيضا « إذ رحلتها » ، وهو خطأ صوابه فى ل والأغانى .

(٣) السبت ، بالكسر : الجلد المدبوغ ، وكانت النعال السبتية خاصة بأهل النعمة من العرب . وانظر كلام الجاحظ فى البيان ٣ : ١٠٩ — ١١٣ . والنعل المخصرة : المستدقة الوسط .

(٤) كذا فى ل ، وهو الصواب كما فى الشعراء لابن قتيبة ١٤٠ والأغانى ١٠ : ١٤٨ . وفى ط : « نقير » وفى س : « بقير » محرفتان . والطرماح : شاعر إسلامى فى الدولة المروانية ، ومولده ومنشؤه بالشام ، ثم انتقل إلى الكوفة مع من وردها من جيوش أهل الشام ، فاعتقد مذهب الشراة والأزارقة . وكان شاعراً فصيحا ، يكثر فى شعره الغريب . قال محمد بن حبيب : سألت ابن الأعرابى عن ثمانى عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرماح فلم يعرف واحدة منها . وكان صديقاً للكميت الشاعر لايكادان يتفارقان . انظر المرجعين المتقدمين والخزانة ٣ : ٤١٨ بولاق .

(٥) الحابل : من يصطاد بالحبالة ، وكفته ، بالكسر ، هى حبالته . فى ط : « حائل » محرفة ، صوابها فى ل ، س والأغانى والشعراء . وللبيت نظير فى اللسان (كفف) .

وقال آخر :

إذا أبصرتَنى أَعْرَضْتَ عَنِّى   كأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِى تَدُورُ

وقال الخُرَيمى[١] وَذَكر عماه[٢] :

أُصغِى إلى قائدى ليخْبِرَنى   إذا التقَيْنا عَمَّنْ يُحَيِّينى
أريدُ أن أعدِلَ السَّلامَ وأَنْ   أَفصِلَ بَيْنَ الشَّرِيفِ والدُّونِ
أسمَعُ ما لا أرَى فأكره أنْ   أُخْطِئَ ، والسَّمْعُ غيرُ مَأمُونِ[٣]
لِلّهِ عينِى الَّتى فجعْتُ بها   لو أنَّ دَهـرًا بهـا يوَاتينى[٤]
لو كنْتُ خيِّرتُ ما أخذْتُ بها   تَعْميرَ نُوحٍ فى مُلْكِ قَارُون

وقال بعضُ القُدَماء[٥] :

أَلم تَرَ حوشَبًا أَضْحَى يُبَنِّى   قُصُورًا نفعُها لِبَنِى نُفيله[٦]
يُؤَمِّل أنْ يُعَمَّرَ عُمْرَ نُوحٍ   وأمرُ اللهِ يحدثُ كلَّ لَيْلَه[٧]

---

(١) فى الأصل وكذا معاهد التنصيص (١ : ٨٧) : « الخزيمى » – بالزاى – وهو تحريف ، صوابه فى عيون الأخبار (٤ : ٥٧) ونكت الهميان ٧١ . وقد تقدمت ترجمته ، وتحقيق اسمه فى الجزء الأول ص ٢٢٤ .

(٢) ل : « فى عمى عينيه » . وانظر الشعر والشعراء ٨٣٠ – ٨٣١ .

(٣) س : « وأكره أن أخطىء » .

(٤) كذا فى ل والمراجع المتقدمة . وفى ط ، س : « دهرا تولى فما تواتينى » .

(٥) لم أجد صاحب البيتين فيما لدى فى المراجع . قالوا : لما بنى أبو العباس بناءه بالأنبار الذى يدعى رصافة أبى العباس ، قال لعبد الله بن الحسن بن الحسن بن على : ادخل وانظر . فدخل معه فلما رآه تمثل بالبيتين . معجم البلدان ، والأغانى (١٨ : ٢٠٦) وعيون الأخبار (١ : ٢١١) . وقد عاتبه أبو العباس على ذلك ، كما فى عيون الأخبار والعقد (٣ : ٢٦٩) .

(٦) كذا فى ل ، س ومعظم الروايات . وفى ط وعيون الأخبار : « بقيلة » .

(٧) ل : « يطرق كل ليلة » ، وهى رواية فريدة .

وقال ابن عبَّاسٍ بعد ما ذهب بصره[1] :

إنْ يأخُذِ اللهُ من عينيَّ نُورَهُما فِفِى لِسانِى وقلبى مِنْهُما نورُ[2]

قلبى ذَكِىٌّ وعَقلى غَيْرُ ذى دَخلٍ وفى فمى صارمٌ كالسَّيفِ مأثورُ

[وقال حسَّان يذكرُ بيانَ ابن عبَّاس[3] :

إذا قال لم يَترك مقالاً ولم يقفْ لِعِىٍّ ولم يَثْنِ اللِّسانَ على هُجْرِ

يصرِّف بالقولِ اللسانَ إذا انتحى وينظر فى أعطافه نظرَ الصَّقْر]

(شعر فى الخصب والجدب)

٣٦ وقال بعضُ الأعراب يذْكُرُ الخِصْب والجَدْب :

مُطِرْنا فلمَّا أنْ رَوِينا تَهادَرَتْ شَقاشِقُ فيها رائبٌ وحَليبُ

---

(١) كذا فى ل ، وهو الصواب ، كما فى نكت الهميان ٧١ نقلا عن الجاحظ ، وكذا عيون الأخبار ٤ : ٥٦ والشعر والشعراء ٨٣٠ ، ومعاهد التنصيص ١ : ٨٧ والعقد ٣ : ١٥٧ ، ٣٩٠ وقد ذكر صاحب العقد سبب الشعر . وشذ أبو على القالى فى ذيل الأمالى ص ١٥ فنسب البيتين إلى حسان بن ثابت . وقد وجدتهما فى ديوانه ص ١٦٥ . ويروى البيتان أيضاً لأبى على البصير كما فى المستطرف ٢ : ٢٧٢ ولأبى العيناء فى معجم الأدباء ١٨ : ٢٠٣ . وفى ط ، س : « وقال أبو يعقوب الخزيمى »، وهو خطأ .

(٢) س : « فى لسانى وسمعى » وفى عيون الأخبار : « فى فؤادى وسمعى » .

(٣) انظر معجم الأدباء ٦ : ١٨٩ . ولحسان بن ثابت أبيات أخرى يذكر فيها بيان ابن عباس . انظر البيان ١ : ٣٣٠ .

وَرابت رجالاً مِنْ رجال ظُلامةٌ ... وعُدَّتْ ذُحولٌ بينهم وذنوبُ[١]
ونُصّتْ رِكابٌ للصِّبَا فَتَرَوَّحَتْ ... لهنَّ بما هاجَ الحبيبَ خَبيبُ[٢]
وطَنَّ فناءُ الحيِّ حتَّى كأنَّه ... رَحَى مَنْهَلٍ مِنْ كَرِّهِنّ نحيبُ[٣]
بني عمِّنا لاتَعْجَلُوا ، ينضُبُ الثَّرَى ... قليلاً ويَشفِى المترَفِينَ طَبيبُ[٤]
فلوقَدْ تَوَلَّى النَّبتُ وامتيرَتِ القُرَى ... وحَنَّتْ رِكابُ الحيِّ حِينَ تثوب[٥]
وصارَ غَبُوقَ الخَودِ وهي كريمةٌ ... على أهلها ، ذو جُدَّتَينِ مَشُوب[٦]
[وصار الَّذى فى أنْفِه خُنزوانَةٌ ... ينادَى إلى هادى الرَّحى فيجيبُ[٧]]
أولئك أيَّامٌ تُبَيِّنُ ما الفَتَى ... أكابٍ سُكَيْتٌ أمْ أشمُّ نجيبُ

---

(١) ل : « ورامت رجال » و « ذحول بيننا » . وانظر الإمتاع والمؤانسة ١ : ١٩٦ — ١٩٧ وديوان المعانى ٢ : ٤٥ .

(٢) « فتروحت » كذا فى س والمخصص ١٠ : ١٨٠ . وفى ط ، ل : « فتراجعت » . وفى ط ، س : « هاج الحليب » وتصحيحه من ل والمخصص . قال ابن سيده : « أما قوله : ونصت ركاب للصبا ، فإن طلب اللهو مما يبعث عليه الفراغ ورخاء البال ». و « الحبيب » هنا بمعنى المحب ، بكسر الحاء . و « خبيب » هى بالخاء المعجمة ، ومعناها سرعة الجرى . ل والمخصص : « حبيب » بالحاء ، وليس بشئ . يقول : لتلك الركاب خبيب بما يهيج المحبين ويبعث أشواقهم .

(٣) ط : « وظن » ، ل : « ودير » محرفتان . وفى ل أيضاً : « من كرهن لجيب » .

(٤) عبارة تهكمية ، وعنى بالطبيب هنا الجدب وشدة الزمان .

(٥) تولى : أخذ فى الهيج . وامتيرت القرى : جلب مافيها . ط ، س : « وابتزت القرى ، وصوابه من ل والمخصص . وفى المخصص : « تئوب »، وهما بمعنى .

(٦) الغبوق ، بالفتح : مايشرب بالعشى . والخود : الشابة الحسنة الخلق . وفى ط ، س : « عنوق الجود » تحريف ما أثبت من ل والمخصص . والجدة بالضم : الخط ، وعنى بذو الجدتين اللبن يظهر فيه لونان ، وذلك حين يكون مشوبا ، أى مخلوطاً بالماء . وفى ط ، س : « عشوب »، تحريف مافى ل .

(٧) الخنزوانة : الكبر . وهادى الرحى : مقبضها . وفى المخصص بياض يمكن سده بما هنا .

(شعر لأنس بن أبى إياس)

وقال : ولما وَلِى حارثَةُ بنُ بَدْرٍ سُرَّقَ[1] ، كتب إليه أنَسُ بن أبى إياسٍ[2] [الدِّيلى] :

أحارِ بنَ بَدْرٍ قد وَلِيتَ وِلايةً ... فكُنْ جُرَذًا فيها تَخُونُ وتَسْرِقُ
وباهِ تميما بالغِنى ، إنَّ لِلغِنَى ... لساناً به المرءُ الهَيُوبَةُ يَنْطِقُ
[ولا تحقِرَنْ يا حارِ شيئًا ملكتَه ... فَحظُّك من ملك العراقَين سُرَّق]
فإنَّ جميعَ النَّاسِ إمَّا مُكَذِّبٌ ... يَقُولُ بمَا يَهوَى ، وإمَّا مصَدِّقُ[3]
يقولون أقوالاً ولا يَعرِفُونهـا ... ولو قيل هاتُوا حقِّقوا لم يحقِّقوا

وقال بعض الأعراب :

فلمَّا رَأَينا القوم ثاروا بجَمْعِهِمْ ... رَعَيْنا الحديثَ وهو فيهمْ مُضَيَّعُ[4]
وأدْرَكَنا من عِزِّ[5] قَيسٍ حَفيظةٌ ... ولا خيْرَ فيمَنْ لا يضرُّ وينْفَعُ

---

(١) سرق ، بالضم وتشديد الراء المفتوحة : إحدى كور الأهواز . وفى ط : « سرف » محرفة .

(٢) ويروى : « ابن إياس » . وانظر القاموس (أنس) وجمهرة ابن حزم ١٨٤ . وقصة الشعر مفصلة فى أمالى المرتضى ٢ : ٤٩ — ٥١ والعقد ٢ : ٥٥ وزهر الآداب ٤ : ٥٨ ومعجم البلدان برسم (سرق) . وانظر رواية الأبيات فى المراجع المتقدمة وكذا عيون الأخبار ١ : ٥٨ ، ومحاضرات الراغب ١ : ٨٣ . والمفهوم أن الشعر الآتى مداعبة لاهجاء . ويقال إن حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله :

جزاك إله العرش خير جزائه ... فقد قلت معروفا وأوصيت كافيا
أشرت بأمر لو أشرت بغيره ... لألفيتنى فيه لأمرك عاصيا

(٣) ل : « تهوى » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ساروا بجمعهم » و : « فينا مضيع » ، تحريف .

(٥) ل : « عرق » .

(نصيحة رجل لبعض السلاطين)

ويقال إنَّ رجلاً قال لبعض السَّلاطين : الدُّنيا بما[١] فيها حديث ، فإن استطَعتَ أنْ تكونَ مِن أحسَنِها حديثاً فافعَلْ !

(أقوال مأثورة)

وقال حُذَيفة بنُ بدرٍ لصاحبه[٢] يوم جَفْر الهباءة[٣] ، حينَ أعطاهُمْ بلسانه ما أعْطَى : إيَّاك والكلامَ المأثور[٤] .

وأنشَدَ الأصمَعيُّ :

كلُّ يومٍ كأنَّه يومُ أضْحَى ‌ ‌ ‌ عِنْدَ عبدِ العَزيزِ أو يومُ فِطرِ

وقال : وذكر لى بعضُ البَغداديِّين أنَّه سمع مَدَنِيًّا مرَّ بباب الفَضْلِ ابن يحيى — وعلى بابه جماعةٌ من الشعراء — فقال :

مالَقِينا مِنْ جُودِ فضلِ بنِ يَحيى ‌ ‌ ‌ تَرَكَ النَّاسَ كُلَّهُمْ شُعَرَاءَ ٣٧

---

(١) س : « وما » .

(٢) هو أخوه حمل بن بدر ، كما فى العقد ٣ : ٣١٦ .

(٣) كان هذا اليوم لعبس على ذبيان ، وفيه قتل حذيفة ، وأخوه حمل ، سيدا بنى فزارة . العمدة ٢ : ١٦١ والعقد ٣ : ٣١٦ وكامل ابن الأثير ١ : ٣٥٢ . وفى ط : « الهباة » ، وهو على الصواب فى س ، ل .

(٤) المأثور : الذى ينقله الخلف عن السلف . وفى س : « المائق » ، وفى ط : « السائر » والأشبه ماأثبت من ل : موافقاً لما فى العقد .

وقال الأصمعى : قال لى خَلَفٌ الأحمر : الفارسىُّ إذا تظَرّف[١] تساكت ، والنَّبَطىُّ إذا تظرّف[١] أكثر الكلام .

وقال الأصمعىُّ : [قال رجلٌ] لأعرابىٍّ : كيف فلانٌ فيكم ؟ قال : مرزوقٌ أحمق ! قال : هذا الرَّجلُ الكامل .

قال : وقال أعرابىٌّ لرجل : كيف فلانٌ فيكم ؟ قال : غَنِىٌّ حَظِىٌّ[٢] قال : هذا من أهل الجَنَّة !

(السواد والبياض فى البادية)

الأصمعىُّ قال : أخبرنى جَوسق قال : كان يقال بالبدو : « إذا ظَهَرَ البَياضُ قَلَّ السَّواد ، وإذا ظَهَرَ السَّواد قَلَّ البَياض » . قال الأصمعىُّ : يعنى بالسَّواد التمْر ، وبالبياضِ اللَّبن والأقِط[٣] . يقول : إذا كانت السَّنَة مُخْصِبةً كثُر الأقِط واللَّبنُ وقَلّ التَّمْر ، وإذا كانت السَّنَةُ مجدِبة كثُرَ التَّمْرُ وقَلَّ اللَّبن [والأقِط] . وقال : إذا كان العام خصيبا[٤] ظهر [فى صدقة الفِطر] البياضُ ، يعنى الأقِط ؛ وإذا كان جَدِيبًا[٥] ظهر السَّواد ، يعنى التمر .

وتقول الفُرس : إذا زَخرت الأوديةُ بالماء كثُر التَّمر[٦] ، وإذا اشتدَّت الرِّياح كثُر الحَبُّ .

---

(١) تظرف : تكلف الظرف . وفى ط ، ل : « تطرف » . وصوابه من س .
(٢) ط ، س : « غنى حظى » ، والوجه ما أثبت من ل .
(٣) الأقط : شىء يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل .
(٤) ط : « خصبا » .
(٥) ط ، س : « جدبا » .
(٦) ط : « السمن » ، وأثبت مافى س ، ل .

(قول فى أثر الريح فى المطر)

وحدَّثنى محمَّد بن سلاَم[١] ، عن شُعيب بن حجر[٢] قال : جاء رجلٌ على فرسٍ فوقفَ بماءٍ من مياه العرب فقال : أعندكم الرِّيحُ الَّتى تكُبُّ البعير[٣] ؟ قالوا : لا . قَال : فتذْرِى الفارس[٤] ؟ قالوا : لا . قال : فكما تكونَ يكونُ مطرُكم .

وحدَّثنى العُتْبىُّ[٥] قال : هَجَمْتُ على بطنٍ بينَ جبلين ، فلم أرَ وادياً أخصبَ منه ، وإذا رجالٌ يتركَّلون[٦] على مَسَاحيهم ، وإذا وجوهٌ مهَجَّنة ، وألوانٌ فاسِدة . فقلتُ : واديكُمْ أخصبُ وادٍ، وأنتم لاتشبِهُونَ المخاصِيبَ[٧] قال : فقال شيخٌ منهم : ليس لنا ريح .

---

(١) ل : « وحدث محمد بن سلام » . ومحمد بن سلام هذا هو الجمحى صاحب الطبقات ، كان من أئمة الأدب البصريين ، توفى سنة إحدى وثلاثين ومائتين . لسان الميزان (٥ : ١٨٢) .

(٢) ل : « صخر » .

(٣) تكب البعير : تقلبه وتصرعه .

(٤) ذرت الريح الشىء وأذرته : أطارته .

(٥) ل : « القينى »، وهو تحريف نبهنا عليه كثيراً .

(٦) فى القاموس : « تركل بمسحاته : ضربها برجله لتدخل فى الأرض » . فى ط « يتوكأون » ، وفى ط : « يتوكلون »، وأثبت مافى ل .

(٧) المخاصيب : جمع مخصب أو مخصاب . وفى ط فقط : « المخاصب » .

(شعر فى الخصب)

وقال النَّمر بن تولب :

كأنَّ حَمْدَةَ(١) ، أو عزّتْ لها شَبَهاً فى العَين يوماً تلاقَيْنا بأرمامِ
ميثاءُ جاد عليها وابِلٌ هَطِلٌ فأَمْرَعَتْ لاحتيالٍ فَرْطَ أعوامِ(٢)
إذا يَجفُّ ثَراهَا بلَّها دِيَمٌ مِن كوكبٍ بزل بالماء سَجام
لم يَرْعَها أحدٌ واربتها زَمناً(٣) فَأْوٌ مِنَ الأرضِ محفوف بأعلام(٤)
تَسْمَعُ للطَّير فى حافاتِها زَجلاً كأنَّ أصواتَها أصواتُ جُرَّامِ(٥)
كانَّ ريحَ خُزَاماها وحنْوَتها بالَّليل ريحُ يَلَنجوجٍ وأهْضام(٦)

---

(١) ل فقط : « جمرة » .

(٢) لاحتيال : أى بعد احتيال . والاحتيال : مرور الأحوال . وفرط أعوام : بعد أعوام ، قال لبيد :

هل النفس إلا متعة مستعارة تعار فتأتى ربها فرط أشهر

وفى ط ، س : « بعد أعوام » .

(٣) كذا . وفى اللسان مادة (فأو) : « وأكتم روضتها » .

(٤) الفأو : بطن تطيف به الرمال يكون مستطيلا . ط : « فأوا » .

(٥) الجرام : الذين يصرمون التمر ، أى يقطعونه . وقد عنى الأنباط . وفى ط ، س : « حوام » محرف .

(٦) الخزامى والحنوة : نبتان طيبا الرائحة . واليلنجوج : العود الهندى الذى يستعمل فى البخور . وفى ط : « يلتجوج » محرفة . والأهضام : واحدها هضم بالكسر ، وهضم بالفتح ، وهضمة ، وهو كل شىء يتبخر به غير العود واللبنى .

قال : فلم يَدَعْ معنًى مِنْ أجلِه يُخصِب الوادى ويعمُّ نبتُه إلاَّ ذكره . وصدق النمر[١] !

وقال الأسدىُّ فى ذِكْر الخِصْب ورُطوبة الأشجار[٢] ولُدونة الأغصانِ وكثرة المـاء :

وَكأنَّ أرْحُلَنا بجوٍّ مُحَصَّبٍ بِلِوى عُنيزةَ من مَقيل التُّرْمُسِ[٣]

فى حيثُ خالَطَتِ الخُزَامى عَرْفَجاً يأتيك قابِسُ أهـله لم يُقْبَسِ[٤]

ذهب إلى أنَّه قد بَلغَ من الرُّطوبة فى أغصانه وعيدانه[٥] ، أنَّها إذا حُكَّ بعضها ببعضٍ لم يقدح[٦] . ٣٨

وفى شـبيهٍ بذلك يقول الآخر[٧] ، وذهب إلى كثرةِ الألوان[٨] والأزهار والأنوار :

---

(١) فى ل : « وصدق حديث القينى فى قوله : فأومن الأرض محفوف بأعلام » . وليس بشىء .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « الأشعاب » محرف . وفى البيان (٣ : ٣٤) : « الورق » . وفى الحيوان ٤ : ٤٦٥ أن الشعر للمرار بن منقذ .

(٣) فى الأصل : « أرجلنا » وصوابه من البيان والمخصص (١٠ : ١٣٣) . والجو : ما انخفض من الأرض . والمحصب : موضع بين مكة ومنى . ورواية المخصص : «بوهد مخصب يمنى عنيزة» ، والوهد : المنخفض. وهذه الرواية أجود. والترمس : ماء لبنى أسد . والمقيل : موضع القيلولة حيث يتوافر الظل . ورواية المخصص : « مفيض » ، بمعنى موضع الفيضان .

(٤) كذا فى ل والمخصص (١٠ : ١٧٦ ، ١١ : ٣٢) . وفى ط ، س والبيان : « أهلها » .

(٥) ل : « من رطوبة أغصانها وعيدانها » .

(٦) س : « تقدح » .

(٧) ل : « جرير » .

(٨) ليست فى ل .

[كانت لنا مِنْ غَطفانَ جارَهْ] كأنها من دَبَل وشــاره[1]
والحـلْى حلْىِ التِّبر والحِجارَه[2] مَـدْفَعُ مِيثاءَ إلى قَرارَهْ[3]

[ثم قال :

* إيَّاكِ أَعنى واسمَعى ياجاره[4]] *

وقال بشَّار :

وحــديثٍ كأنَّهُ قِطَعُ الرَّوْ ضِ وفيــه الحَمْرَاء والصَّفراءُ

باب

من الفطَن وفَهْم الرَّطَانات والكنايات والفهْم والافهام

(حديث المرأة التى طرقها اللصوص)

الأصمعى قال : كانت امرأة [تنزِل] متنحِّية من الحىّ ، وتحبُّ العُزلة وكان لهـا غنَمٌ ، فطرقَها اللُّصوص فقالت لأمَّها[5] : اُخرُجى ! مَنْ هاهنا ؟

---

(١) الدبل : بالتحريك : أصله فى البعير أن يمتلىء شحما ولحما . وفى ط ، س « زبل » محرفة . والشارة : السمن ، أو حسن الهيئة ، وفى المخصص واللسان (مادة حلى) « كأنها من حسن وشاره » .

(٢) استشهد بهذا البيت ابن سيده فى المخصص (٤ : ٤٠) على أن الحلى مايتزين به من مصوغ المعدنيات والحجارة .

(٣) الميثاء : الأرض اللينة . والقرارة : المطمئن من الأرض . والمدفع : المجرى .

(٤) البيت فى أمثال الميدانى (١ : ٤٣) مع أبيات أخرى منسوبة إلى سهل ابن مالك الفزارى .

(٥) ط ، س : « لابنتها » ، وأثبت ما فى ل .

[قالت : هاهنا] حَيَّانُ ، والحُمارِس[١] ، وعامرٌ[٢] والحارثُ ، ورأسُ عَنْزٍ[٣] وَشادن[٤] . وراعِيا بَهْمِنا[٥] .[فنحنُ ماأولئك . أى : فنحن أولئك].
فلما سَمِعُوا ذلك ظنُّوا أنَّ عِندَها بنِيها . وقال الأصمعىُّ مرّة[٦] : فلما سمِعت حِسَّهم قالت [لأَمَتِها] : أَخرِجِى سُلُحَ بَنِىَّ من هاهنا .

قال : وسُلُح جمع سُلاح[٧] . وحيَّان والحمارس[٨] : أسماءُ تُيوسٍ لها .

(قصة المَهْمُورة الشياه والخمر)

قال الأصمعىّ : تزوّج رجلٌ امرأةً فساق إليها مَهْرَها ثلاثين شاة ، وبعثَ بها رسولاً ، وبعثَ بزِقِّ خَمْـر . فَعَمَدَ الرَّسولُ فذبح شاةً فى الطَّريق فأكلها ، وشَرِب بَعْض الزِّقِّ . فلما أتَى المرأة نظرت إلى تسعٍ وعشرين ورأت الزِّقَّ ناقصاً ، فعلمِت أنَّ الرجل لايبعثُ إلاَّ بثلاثين وَزِقٍّ[٩] مملوءٍ

---

(١) ل : « الحتارس » .
(٢) ط ، س : « وعامرا »، محرفة .
(٣) ط فقط : « عتر » ، ولها وجه ؛ فالعتر بالكسر : كل ماذبح .
(٤) ط ، س: « بارق » .
(٥) ط ، س : « وراعينا بيهسا »، تحريف مافى ل .
(٦) الكلام من « فلما سمعوا » ساقط من ل .
(٧) السلاح ، بالضم : النجو .
(٨) ل : « الحتارس » . وكما أن الوجه أن يضاف « عامر والحارث » إلى الكلام ليتحقق معنى الجمعية .
(٩) ط ، س : « وزقا » .

فقالت للرسول : قل لصاحبك[١] : إن سُحيماً قد رُثم[٢] ، وإن رسولَك جاءنا في المحاق ! فلما أتاه الرَّسولُ بالرِّسالة : قال ياعدوَّ الله ، أكلتَ مِنَ الثَّلاثينَ شاةً شاةً ، وشرِبْتَ من رَأسِ الزِّق ! فاعترَف [بذلك[٣]] .

(قصة العنبريّ الأسير)

الأصمعيُّ قال : أخبرني شيخٌ من بني العنبر قال : أسر بَنو شَيبانَ رجلاً من بني العنبر ،قال : دَعوني حتى[٤] أرسلَ إلىأهلي ليَفدُوني[٥] . قالوا : على ألاَّ تكلِّم الرّسولَ إلاّ بين أيدينا . قال : نعم . قال : فقال للرسول ، ائتِ أهلي فقل : إنَّ الشَّجر قد أوْرَق . وقل : إنَّ النِّساءَ قد اشْتَكت وخرَزَت القِرب[٦] . ثمَّ قال له : أتعقِلُ ؟ قال : نعم . قال : إنْ كنت تَعقِلُ فما هذا ؟ قال : الليل . قال : أراك تعقل ! انطلق إلى أهلي فقل لهم : عَرُّوا جملي الأصهب ، واركَبُوا ناقتي الحمراء ، وسلوا حارثاً عنأمري — وكان حارثٌ صديقاً له — فذهب الرَّسولُ فأخبرَهم ، فدعَوا حارثاً فقصَّ عليه الرَّسولُ القِصَّة ، فقال أمّا قوله « إنَّ الشَّجَر قد أورق » فقد تسلَّح القوم . ٣٩

---

(١) ل : « قل له » .
(٢) رثم : كسر أنفه أو فوه حتى تقطر منه الدم ، أو لطخ بالدم .
(٣) هذه الزيادة من س فقط . والخبر في البيان (٣ : ٢١١) برواية أخرى ، وقد عين اسم الرجل بأنه قسامة بن زهير العنبري . وانظر كذلك كنايات الجرجاني ٦٣ ومحاضرات الراغب (١ : ٦٧) حيث نسب الخبر في الأخيرة إلى امرئ القيس .
(٤) هذه الكلمة ساقطة من ل .
(٥) ط ، س : « إلى صاحبي »، وفي ط فقط : « يفدوني » .
(٦) هذه الجملة ليست في ل . وهي في أصلها : « وجررت القرب » وليس لذلك وجه ، وقد اعتمدت في تصحيحها على ما في كامل ابن الأثير ١ : ٣٨٤ : والمراد بالخرز هنا الإصلاح استعداداً للحرب .

وأمَّا قوله : « إنَّ النساء قد اشتَكَتْ وخَرَزت القِرَب[١] » فيقول : قد اتّخذت الشِّكاَ[٢] وخَرَزت القِرَبَ للغزو . وأما قوله : « هذا الليل » فإنَّه يقول : أتاكم جَيشٌ مثلُ الليل . وأمَّا قوله : « عرُّوا جملى[٣] الأصْهب » فيقول : ارتحلوا عن الصَّمّان . وأما قوله : « اركَبُوا ناقَتى الحمراء » فيقول : انزِلُوا الدَّهناء .

وكان القَوم قد تهيَّئوا لغزْوهم ، فخافوا أن يُنذِرهم ، [فأنذرهم] وهم لا يشعرون ، فجاء القومُ يطلبونهم فلم يجِدُوهم[٤] .

(قصة العطاردى)

وكذلك صنع العُطاردى فى شأنِ [شِعب] جبلة ، وهو كرِب بن صفوان ؛ وذلك أنَّه حينَ لم يرجِع لهمْ قَولا حين سألوه أن يقول ، ورمَى بصُرَّتين فى إحداهما شوك ، والأخرى تراب ، فقال قيس بن زهير : هذا رجلٌ مأخوذٌ عليه ألاَّ يتكلَّم ، وهو ينذِرُكم عَدَدًا[٥] وشَوْكة[٦]

قال اللهُ عزَّوجلَّ : ﴿وَتوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ .

---

(١) س فقط : « وجررت القرب للغزو » ، والكلمة الأخيرة تفسد الكلام ، وتصحيح كلمة « جررت » هنا وفيما سيأتى قريبا ، اعتمدت فيه على ما فى الكامل .

(٢) الشكا ، بالكسر : جمع شكوة بالفتح : وعاء للماء أو اللبن من أدم .

(٣) ط ، س : « جمالى » وتصحيحه من ل .

(٤) هذا الخبر أورده ابن عبد ربه فى العقد ٣ : ٣٣٠ — ٣٣١ فى بدء كلامه على يوم الوقيط ، وكذلك ابن الأثير ، بصورة مفصلة . وهو أيضاً فى أمالى القالى : ١ : ٦ والمرتضى ١ : ١٢ والعمدة ١ : ٢١١ ومحاضرات الراغب ١ : ٦٧ والمزهر ١ : ٣٣٣ وكنايات الجرجانى ٦٤ ومعانى الأشناندانى ٥٧ وطراز المجالس ٢٥٤ والملاحن ٤ وأخبار الظراف ٧٠ والمستطرف ١ : ٤٢ .

(٥) أى عدوا كثير العدد ، وقد أشار إليه بالتراب . وفى ط ، س : « غدرا » وليس بشىء .

(٦) الشوكة : البأس والقوة . س : « أو شوكة » . والخبر مع بسط كبير ، فى كامل ابن الأثير ١ : ٣٥٥ — ٣٥٦ .

(شعر فى صفة الخيل والجيش)

قال أبُو نخيلة[1] :

لما رأيتُ الدِّينَ دينًا يُؤْفَكُ وأمْسَتِ القُبةَ لا تستمْسِكُ[2]
يُفْتَقُ مِن أعْراضها ويُهتك[3] سرت من الباب فَطَارَ الدَّكدَكُ[4]
منها الدَّجُوجىُّ ومِنها الأرْمَكُ[5] كاللَّيـل إلاَّ أنَّها تَحَرَّكُ

وقال مَنصورٌ النمَّرى :

ليلٌ من النَّقْع لا شَمسٌ ولا قَمَرٌ إلاَّ جبينُك والمذروبة الشُّرُعُ[6]

وقال آخر :

كأنَّهمْ ليلٌ إذا استَنفِرُوا[7] أو لُجَّةٌ ليس لهـا ساحلُ

---

(١) فى الأصل : « ابن نخيلة » ، وليس يعرف شاعر أو راجز بهذا الاسم . وأبو نخيلة تقدمت ترجمته فى ٢ : ١٠٠ .

(٢) ط : « لاتمسك » .

(٣) ط ، س : « أو يهتك » .

(٤) الدكدك : ماتكبس واستوى من الرمل ، أو ماالتبد منه بالأرض . فى ط ، س « قطار دكدك » ، وفى ل : « فسار الدكدك » ، وقد جمعت بينهما بما ترى .

(٥) الدجوجى : الشديد السواد . والأرمك : الذى يخالط حمرته سواد ، وقد تكلم العسكرى فى هذا البيت والذى بعده . وهما فى صفة الخيل . الصناعتين ٣٩٧ .

(٦) المذروبة : المحددة . وفى ط س : « المدرية » ، وهو تحريف ما أثبت من ل وديوان المعانى ٢ : ٦٧ .

(٧) استنفروا : دعوا للقتال والنصرة . فى ط : « استفزوا » وصوابه فى س ، ل .

وقال العجاج[1] :

كأنَّمَا زُهاؤه إذا جُهِرْ[2] ليــلٌ وَرِزٌّ وَغْرِهِ إذا وَغَرْ[3]

* سارٍ سَرَى مِن قِبَلِ العَيْنِ فجر[4] *

وفى هذا الباب وليس منه[5] يقول بشّار :

كأنَّ مُثارَ النَّقْعِ فوقَ رُءُوسِهِـمْ[6] [وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبُه

وقال عمرو بن كلثوم :

تَبنِي سنابكُهم من فوق أَرؤسهم] سقفا[7] كواكبه البِيضُ المباَتيرُ

وهذا المعنى قد غلب عليه بشّار ، كما غلب عنترةُ على قوله :

فتَرَى الذُّبابَ بها يُغَنِّى وَحدَهُ هَزِجًا كفِعْلِ الشَّارب المترنِّم

غَرِدًا يحُكُّ ذِرَاعَه بذِرَاعه فِعْلَ المُكِبِّ على الزِّنَادِ الأجذَم

فلو أنَّ امرأ القَيس عَرَضَ فى هذا المعنى لعنترة لافتَضَح .

---

(١) ط : « وقال آخر » . وأثبت مافى س ، ل .

(٢) زهاؤه : قدره . وفى ط ، س : « نهاره » وصوابه من ل : وديوان المعانى ٢ : ٧١ . وجهر : نظر إليه باستعظام . ورواية ديوان المعانى واللسان (مادة جهر ، وغر) : « لمن جهر » . والشعر فى نعت جيش .

(٣) الرز ، بالكسر : الصوت . ووغر الجيش : صوتهم وجلبتهم . وفى ط ، س « وزور وعرة إذا وعر » ، وهو تشويه إصلاحه من ل وديوان المعانى واللسان .

(٤) ل : « فحر » ، وفى الأصل : « العير » صوابه فى ديوان العجاج ١٨ وديوان المعانى والمخصص ١٦ : ١٨٥ . قال ابن سيده : والعين : ماعن يمين قبلة العراق .

(٥) ل : « به » .

(٦) ط ، س : « كأنما النقع يوما فوق أرؤسهم » ، وبذلك يختــل الوزن ، وأثبت مافى ل وعيون الأخبــار ٢ : ١٩٠ . ومشهور الرواية : « فوق رءوسنا » انظر الوساطة ٢٣٧ وحماسة ابن الشجرى ٢٣٤ .

(٧) ط ، س : « سقف » صوابه فى ل .

(مقطعاتٌ شتى)

وقال بعضهم [فى] غير هذا [المعنى] :

وفلاةٍ كأنَّما اشْتَمَل اللَّيـ ـلُ على رَكْبِها بأبناء حامِ[١]

٤٠ خضْتُ فيها إلى الخَليفــة بالرَّ قَّةِ[٢] بَحْرَىْ ظَهيرةٍ وظَلَامِ

وقالَ العَرْجىُّ[٣] :

سَمَّيتنى خَلَقاً بَخَلَّةٍ قدُمَتْ[٤] ولا جَدِيدَ إذا لم يُلبَس الخَلَقُ

يا أيها المتحلِّى غـــيْرَ شيمَتِه ومِنْ خَلائقِه الإقصادُ والمَـلَقُ[٥]

ارجعْ إلى خِيمِكَ المعروفِ دَيْدَنُه إن التَّخَلقَ يأْبى دُونَهُ الخُلُقُ[٦]

وقال آخر[٧] :

أودَى الخِيارُ مِنَ المعاشِرِ كلهمْ واستَبَّ بَعْدَكَ يا كُلَيْبُ المَـجْلسُ

وتَنازَعُوا فى كلِّ أمرِ عَظيمةٍ لو قَدْ تـكونُ شهدْتَهُـمْ لم ينْبِسُوا[٨]

---

(١) حام : أحد أبناء نوح . وإليه ينسب السودان ، والزنوج ، والأحباش ، والنوبة .

(٢) الرقة : مدينة على الفرات. ط ، س : « بالشرفة » تحريف .

(٣) ط ، س : « وقال آخر » ، وأثبت مافى ل موافقاً لمـا فى العقد ٢ : ٢٤ وزهر الآداب ١ : ٧٧ والشعراء ١٣٨ . ويروى الشعر أيضاً لسالم بن وابصة كما فى البيان ١ : ٢٣٣ ونوادر أبى زيد ١٨١ . وهو بدون نسبة فى مجالس ثعلب ٣٠٠.

(٤) ط : « بحلة قدحت » س : « لحلة قدمت ، وأثبت مافى ل .

(٥) الإقصاد ، لعله من أقصدت الحية : لدغت فقتلت .

(٦) الخيم ؛ بالـكسر : السجية .

(٧) هو مهلهل ، كما سيأتى ، وكما فى ديوان المعانى ١ : ٢٠٤ والصناعتين ١٩٤ .

(٨) ل : « لوكنت حاضر أمرهم لم ينبسوا » .

وأبياتُ أبى نواسٍ على أنَّه مولَّد شاطر ، أشعرُ من شعر مهلهل فى إطراق النَّاسِ فى مجلِس كليب ، وهو قوله[١] :

على خبز إسماعيلَ واقِيَة البُخْلِ[٢] وقد حلَّ فى دَارِ الأمان مِنَ الأكْل

وما خبزُهُ إلا كآوَى يُرى ابنها ولم تُرَ آوى فى الحزون ولا السَّهْلِ

وما خبزُهُ إلاَّ كعَنْقاءِ مُغرِبٍ تُصوَّر فى بسْطِ الملوك وفى المثْل

يحدِّث عنها النَّاسَ من غيرِ رُؤيةٍ سِوى صُورةٍ ما أن تُمِرُّ ولا تُحلى

وما خبزُه إلاَّ كليبُ بنُ وائلٍ ليالىَ يحمى عزُّه مَنْبِتَ البَقْلِ

وإذْ هو لا يستبُّ خَصْمانِ عِنْدَه ولا القولُ مرفوعٌ بِجِدٍ ولاَ هزْلِ

---

(١) يهجو إسماعيل بن أبى سهل بن نيبخت ، كما فى الديوان ١٧١ وأخبار أبى نواس ١٢٧ وثمار القلوب ٧٧ . قال الجاحظ : « وكان أبو نواس يرتعى على خوان إسماعيل بن نيبخت كما ترتعى الإبل فى الحمض بعد طول الخلة ، ثم كان جزاؤه منه أنه قال :

خبز إسماعيل كالوشـ ـى إذا ماشق يرفا

وقال :

وما خبزه إلا كليب بن وائل ليالى يحمى عزه منبت البقل

البخلاء ٥٩ . وفى رسالة الحاسد والمحسود ص ١٠ : « وكان الحسن بن هانئ يرتع على مائدة إسماعيل الهاشمى ، وكان من المطعمين للطعام المسرفين ، فعارض الحسن بن هانئ يوما بعض أصحابه فقال له : من أين ؟ فقال : من عند إسماعيل . فقال له : ماأطعمكم ؟ فقال : أطعمنا دماغ كلب فى قحف خنزير . فلم يكن منه هذا القول إلا على وجه الحسد » .

(٢) انفرد ابن منظور فى أخبار أبى نواس برواية : « واقية النحل » ، كما يقال : « واقية الكلاب » .

فإنْ خبزُ إسماعيلَ حلَّ به الذى أصابَ كليبًا لم يكن ذاك عن بَذْل [١]
ولكنْ قضاءٌ ليس يُسطاعُ دَفْعهُ بِحيلةِ ذى دَهْيٍ ولا فِكْرِ ذى عقل [٢]

(شعر العرب والمولدين)

والقضيّة التى لا أحتشِمُ منها[٣] ، ولا أهابُ الخصومة[٤] فيها : أنّ[٥] عامَّة العرب والأعراب والبدوِ والحضَر من سائر العرب ، أشعر من [عامَّة] شعراءِ الأمصارِ والقُرَى ، من المولَّدة[٦] والنابتة[٧] . وليس ذلك بواجبٍ لهم فى كلِّ ما قالوه[٨] .

وقد رأيت ناسًا منهم[٩] يبهرِجون أشعارَ المولَّدين ، ويستسقِطون مَن رواها . ولم أر ذلك قطُّ إلاَّ فى راويةٍ للشِّعرِ غيرِ بصيرٍ بجوهر ما يروى . ولو كان له بصرٌ[١٠] لعرَف موضعَ الجيِّد ممَّن كان ، وفى أىِّ زمان كان .

---

(١) فى ديوان المعانى والثمار : « عن ذل » ، وفى الديوان : « من ذل » ، وأنا أرتضى ماهنا .

(٢) ل : « بحيلة ذى مكر ولادهى ذى عقل » . والدهى : الدهاء .

(٣) كذا فى س ، ل . وفى ط : « والقصيدة هذه احتشم منها » محرفة .

(٤) ط ، س : « ولا أطلب الخصومة » ، ل : « ولا أهاب الخصوم » ، وقد عدلت القول بما ترى .

(٥) ط : « إذ » ، وتصحيحه من س ، ل .

(٦) ل : « المولدين » .

(٧) ط : « والثانية » و ل « التانية » س : « الناتية » ، والوجه ماأثبت .

(٨) ط ، ل : « فيما قالوه » ، والوجه ما كتبت من س .

(٩) ط : « نشائهم » س : « نسابهم » ل : « ناسا » ، ولعل الصواب فيما أثبت .

(١٠) ل : « ولد » ، وهو تحريف ظاهر .

وأنا رأيت [١] أبا عمرو [الشيبانىّ] وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين ، ونحنُ فى المسجِد يوم الجمعة ، أن كلَّف رجلاً حتى أحضره دواةً وقرطاساً حتَّى كتبهما له . وأنا أزعم أنَّ صاحب هذين البيتين لايقول شِعراً أبدا . ولولا أن أدخِلَ فى [الحكم] بعض الفتك [٢] لزعمتَ أنّ ابنه لايقول شعراً أبدا [٣] ، وهما قوله : ٤١

لاتحسَبنَّ المـوتَ مَوْتَ البِـلَى فَإنَّما المَوتُ سُؤالُ الرِّجالِ [٤]

كـلاهما موتٌ ولـكِنَّ ذَا أفظَعَ من ذاكَ لذلِّ السُّؤال [٥]

(القول فى المعنى واللفظ)

وذهب الشَّيخُ إلى استحسانِ المعنى ، والمعانى مطروحةٌ فى الطريق يعرفها العجمىُّ والعربىُّ ، والبدوىُّ والقرَوى ، [والمدنىّ] . وإنَّما الشأنُ فى إقامةِ الوزن ، وتخيُّر اللفظ [٦] ، وسهولة المخرج [٧] ، [وكثرة المـاء] ،

---

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « قد سمعت » .

(٢) الفتك : المجون . وفى ط ، س : « القيل » .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « لزعمت أن ابنه أشعر منه » .

(٤) كذافى ل . وفى ط ، س : « وإنما » .

(٥) كذا فى ط ، س والبيان (٢ : ١٧١) . وفى ل : « أشد من ذاك على كل حال » . وفى المستطرف (٢ : ٥٣) : « أخف من ذاك لذل السؤال » . ومن العجب أن ينعى الجاحظ على أبى عمرو استحسانه هنا ، ثم يقع هو فيما عابه على غيره فيجعل البيتين فى مختارات البيان والتبيين .

(٦) كذا فى ل . وفى ط : « تمييز » وفى س : « وتخيير » .

(٧) ط : « وسهولته وسهولة المخرج » .

وفى صحَّة الطّبع وجَودَة السَّبك[١] ، فإنما الشعر صناعةٌ[٢] ، وضَرْبٌ من النَّسج[٣] ، وجنسٌ من التَّصوير .

وقد قيل للخَليلِ بنِ أحمد : مالكَ لاتقولُ الشِّعر ؟ قال : «الذى يجيئنى لاأرضاه ، والذى أرْضاه لايجيئنى » .

فأنا أستحسنُ هذا الكلام ، كما أستحسنُ جوابَ الأعرابىِّ حين قيل له : كيفَ تجِدُك ؟ قال : [أجدنى] أجدُ مالا أشتَهِى ، وأشتهى مالا أجد !

(شعر ابن المقفع)

وقيل لابن المقفَّع : مالك لاتجوزُ[٤] البيت والبيتين والثلاثة ! قال : إنْ جُزْتُها[٥] عرَفوا صاحبَها . فقال له السائل : وما عليك أنْ تَعرِف بالطِّوال الجياد؟ ! [فعلم أنَّه لم يفهمْ عنه] .

(الفرق بين المولد والأعرابى)

ونقول : إن[٦] الفَرق بين المولَّد والأعرابى : أنَّ المولَّديقول[٧] بنشاطه وجمع[٨] باله ، الأبياتَ[٩] اللاحقَةَ بأشعارِ أهلِ البدو ، فإذا[١٠] أمعنَ انحلَّت قوَّته ، واضطربَ كلامُه .

---

(١) ل : « وجودة السبك وصحة الطبع » مع إسقاط « صحة الطبع » مما سبق .
(٢) ل : « صياغة » .
(٣) ط فقط : « الصبغ » .
(٤) أى تتجاوز . وفى ط ، س : « تجود » محرفة .
(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « جودتها » وهو تحريف »
(٦) ل : « لأن الفرق » مع حذف : « ونقول » .
(٧) س : « يقوم » وهو تحريف .
(٨) ط : « وجميع »، والوجه ماأثبت من س ، ل .
(٩) كذا فى ل . وبدلها فى ط ، س : « فيشبه » .
(١٠) ط ، س : « وإذا » .

(شعر فى تعظيم الأشراف)

وفى شبيهٍ بمعنى مهلهلٍ وأبى نُوَاس ، فى التَّعظيم والإطراقِ عندَ السَّادة ، يقول الشاعر(١) فى بعضِ بنى مروان :

فى كفِّه خَيْزُرَانٌ رِيحُه عَبِقٌ ... فى كفِّ أرْوَعَ فى عِرنينه شَمَمُ(٢)

يغضِى حَياءً ويُغضَى مِنْ مَهابتِه ... فما يُكلَّم إلَّا حينَ يبتَسِمُ

إن قال قال بما يَهْوَى جميعُهمُ ... وإن تكلَّمَ يوماً ساختِ الكلِمُ

كَمْ هاتفٍ بكَ مِن داعٍ وهاتفةٍ ... يَدْعُوكَ ياقُثَمَ الخَيْرَاتِ ياقُثَمُ(٣)

وقال أبو نُواس فى مثل ذلك(٤) :

فترَى السّاداتِ مائلة(٥) ... لِسليلِ الشَّمس من قَمَرهْ

فَهمُ شَتَّى ظُنُونُهمُ ... حَذَرَ المطوىِّ من خَبَرِهْ(٦)

---

(١) هو الفرزدق يقوله فى هشام بن عبد الملك كما فى أمالى المرتضى (١ : ٤٨) وزهر الآداب (١ : ٦٠) . أو الحزين الكنانى فى عبد الملك بن مروان كما فى ديوان الحماسة (٢ : ٢٨٤) . أو للفرزدق فى على بن الحسين كما فى العمدة (٢ : ١١٠) وأمالى المرتضى . أو للعين المنقرى فيه ، كما فى العمدة . أو لكثير بن كثير السهمى فى محمد بن على بن الحسين . المؤتلف ١٦٩ . أو لداود بن سلم فى قثم بن العباس ، كما فى العمدة . وهذا مثل لمقدار اختلاف الرواة فى نسبة الشعر . وقد سكت الجاحظ عن النسبة هنا ، وكذلك فى البيان (١ : ٣٧٠ ، ٣ : ٤١) وكذا ابن قتيبة فى عيون الأخبار (١ : ٢٩٤ ، ٢ : ١٩٦) تحفظا منهما .

(٢) ل ، س : « ريحها » .

(٣) هذا البيت ساقط من ل .

(٤) يمدح العباس بن عبيد الله بن أبى جعفر المنصور ، كما فى الديوان ٦٦ من قصيدته المشهورة التى مطلعها :

أيها المنتاب من عفره ... لست من ليلى ولا سمره

(٥) مائلة : واقفة ، يعنى إجلالا له . وهذه رواية ل والديوان . وفى ط ، س : « مائلة » ، والميل علامة الخضوع .

(٦) فى الديوان : « حذر المكنون من فكره » .

وقال إبراهيمُ بنُ هَرْمَةَ فى مديحِ المنصور ، وهو شبيهٌ بهذا وليس منه :

له لحظاتٌ عنْ حِفافَىْ سريره[١] إذا كرَّها فيها عقابٌ ونائلُ[٢]

٤٢ فأمُّ الذى أمَّنْت آمِنةَ الرَّدَى وأمُّ الذى أوعدتَ بالثُّكْل ثاكلُ[٣]

(شعر فى الحلف والعقد)

وقال مُهلهلٌ ، وهو يقع فى باب الحلف وكِّد بعَقْد[٤] :

[ملْنا على وائل وأفْلَتَنا يَوْماً عدىٌّ جُرَيْعَةَ الذَّقَنِ[٥]]

دفعتُ عنه الرِّماحَ مجتهداً حِفْظاً لِحْلفٍ وحلف ذى يَمَن[٦]

أذكرُ مِن عهدِنا وعهدِهِمُ عهداً وَثيقاً بمَنْحَر البُدُن

مابلَّ بحرٌ كفا بصوفتها[٧] وما أنافَ الهضابُ من حَضَنِ[٨]

يزيده اللَّيلُ والنَّهارُ معاً شَدًّا ، خِرَاطَ الجَمُوح فى الشَّطَنِ[٩]

---

(١) كذا فى س والعقد (١ : ٣٢٠ تأليف) وعيون الأخبار (١ : ٢٩٤) وفى . ل : « عن حفا من » وفى ط : « فى خفا من » . وفى العقد (٦ : ٣٥١ تأليف) : « عن خفاء سريرة » . وفى العمدة (٢ : ١٠٩) : « عن خفافى سريره » .

(٢) س : « فيه عقاب » وهو تحريف .

(٣) ط : « أمته الردى » وتصحيحه من س ، ل . وفى ل : « حاولت بالثكل » وفى س : « أثكلت » .

(٤) ط فقط : « فى باب حلف » . ل فقط : « وكيف يعقد » .

(٥) يقال فى المثل : أفلتنى جريعة الذقن ، إذا كان قريباً منك كقرب الجرعة من الذقن ثم أفلتك ، وهو يضرب مثلا لإفلات الجبان . اللسان (جرع) .

(٦) ط ، س : « وحفظ ذى يمنى » وهو تحريف .

(٧) فى اللسان : « وصوف البحر : شىء على شكل هذا الصوف الحيوانى ، واحده صوفة . ومن الأبديات قولهم : لا أكلمه مابل بحر صوفة » . ل : « بصوقتها » وهو تحريف .

(٨) حضن ، بالتحريك : جبل بأعلى نجد . وفى ط ، س : « حصن » مصحف . وفيهما أيضاً : « وما أناف الصخور » .

(٩) الخراط : بالكسر : الجماح . والشطن : الحبل . ط ، س : « خراط الجموع » وصوابه من ل .

(شعر فى مصرع عمرو بن هند)

وقال جابر بن حنىٍّ[١] التغلبىّ :

ولسنا كأقوامٍ قريبٍ محلهُمْ ولسنا كمن يرضيكمَ بالتملق[٢]

فسائل شُرَحبيلاً بنا ومحلّماً غداة نكُرُّ الخَيْلَ فى كلِّ خَنْدَق[٣]

لعمرك ماعمرُو بنُ هندٍ وقَدْ دعا لتخدُمَ ليلى أمَّـهُ بموفَّقِ[٤]

فقام ابنُ كُلثوم إلى السَّيف مُغْضباً فأمسَكَ مِن نَدْمَانِه بالمخنَّقِ[٥]

وعممه عمداً على الرَّأس ضَرْبةً بذِى شُطَبٍ صافى الحديدة مِخْفَق[٦]

---

(١) جابر بن حنى أحد شعراء المفضليات . وفى ط ، س : « ضابئ بن حينا » وهو تحريف . والشعر ينسب أيضاً إلى أفنون التغلبى كما فى الشعراء ٩٦ والأغانى (٩ : ١٧٦) وكامل ابن الأثير (١ : ٣٣١) .

(٢) ل : « نرضهم » ، والوجه ماأثبت من ط ، س .

(٣) ط : « فسائل شريكا نائباً ومحكماً » . س : « فسائل شريحا نائباً ومحكما » ، وأثبت مافى ل . وفى س : « تكر الخيل » .

(٤) لاستخدام أم عمرو بن هند ، ليلى أم عمرو بن كلثوم ، قصة يتداولها الرواة . انظر لها الأغانى (٩ : ١٧٥ - ١٧٦) .

(٥) الندمان ، بالفتح : النديم ، والمراد به عمرو بن هند . وفى ل : « ندمائه » وهو تحريف . وفيها أيضاً : « بالمجنق » وهو تحريف كذلك . وفى س : « بالمحنق » .

(٦) الشطب : طرائق للسيف . و « الحديدة » هى فى الأصل « الحديد » ، وأثبت مافى الأغانى ليستقيم الشعر . والمخفق ، كمنبر : العريض من السيوف . وفى ط : « محقق » وفى س : « مخفق » وهما تصحيف ما أثبت من ل .

(شعر فى الأقارب)

وقال المتلمِّس :

على كلِّهم آسَى وللأَصل زلفة فزحزح عن الأدنَينَ أن يتصدَّعوا
وقد كان إخوانى كريماً جوارُهم ولـكنَّ أصلَ العُود مِنْ حَيْثُ يُنزعُ

وقال المتلمس :

ولو غيرُ أخوالى أرادُوا نقِيصَتِى جَعلتُ لهم فوقَ العرانِينِ ميسما
وما كنتُ إلاَّ مِثْلَ قاطعِ كفِّهِ بكفٍّ لهُ أخْرَى فأَصبح أجْذَما
يداهُ أصابتْ هذِهِ حَتْفَ هذه فلم تَجدِ الأخْرَى عليها مُقَدَّما
فأَطرقَ إطراقَ الشجاع ولوِ يَرَى مَساغاً لنابَيهِ الشجاعُ لَصَمَّما[1]
أحارثُ إنا لو تُساطُ دِماؤُنا تَزَايَلْنَ حتَّى لايمَسَّ دَمٌ دما[2]

(تفسير كلمة لعمر)

قال : وسأَلتُ عن قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لأبى مَرْيم الحَنفى[3] : واللهِ لأَنا أشدُّ بغضاً لك من الأرض للدَّم[4] ! قال :

(١) الشجاع : الحية الذكر .

(٢) تساط : تخلط . وفى ط ، س : « تساقط » ، وصوابه فى ل . وكانوا يعتقدون أنه إذا خلط دم عدوين تميز كل منهما عن الآخر .

(٣) اسمه إياس بن صبيح ، كان من أهل اليمامة وكان من أصحاب مسيلمة ، وهو قتل زيد بن الخطاب بن نفيل يوم اليمامة ، ثم تاب وحسن إسلامه ، وولى قضاء البصرة بعد عمران بن الحصين فى زمن ابن الخطاب . طبقات ابن سعد (ج ٧ ق ٢ ص ٦٤) : وقال أبو الحسن فى شرح الكامل : ثقة كوفى . الكامل ٣٤٦ ليبسك .

(٤) النص فى الكامل : « والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم » وزاد : « قال : أفتمنعنى حقاً ؟ قال : لا . قال : فلا بأس ، إنما يأسف على الحب النساء ! » .

لأنَّ الدَّم الجارى من كلِّ شيءٍ بيّن ، لايغيضُ فى الأرض ؛ ومتى جفَّ [وتجلَّب] فقرفته[١] رأيتَ مكانَه أبيض .

إلاَّ أنَّ صاحب المنطق قال فى كتابه فى الحيوان : كذلك الدِّماء ، إلاَّ دَمَ البعير . ٤٣

(أشعار شتى)

وقال النَّمِرُ بنُ تولَب[٢] :

إذا كنتَ فى سعدٍ ، وأمُّك منهمُ　　　غريباً فلا تَغْرُرْك أمُّكَ من سَعْد[٣]

وقال[٤] :

وإنَّ ابنَ أختِ القَومِ مُصغًى إنَاؤه　　　إذا لم يُزَاحِمْ خالَهُ بأبٍ جَلْدِ[٥]

---

(١) قرفه : قشره . وفى ط ، س : « ففرقته » ؛ تصحيف ما أثبت من ل .

(٢) فى محاضرات الراغب (١ : ١٧٧) نسبة الشعر إلى حسان بن وعلة . وفى الحماسة (١ : ٢٠٠) إلى غسان بن وعلة .

(٣) الرواية المشهورة : « فلا يغررك خالك من سعد » . انظر الكامل ٣٣٧ ليبسك ومحاضرات الراغب والعقد (١ : ٤٣) والحماسة ، وعيون الأخبار (٣ : ٨٩) .

(٤) كذا بالأصل . والبيتان متصلان كما فى جميع المراجع السابقة ماعدا العقد ، والرواية فيها جميعاً ماعدا العقد ؛ فإنه لم يرو البيت الثانى : « فإن ابن أخت القوم » . وبعد البيت السابق ، كما فى العقد وشرح التبريزى (٢ : ٤١) :

إذا مادعوا كيسان كانت كهولهم　　　إلى الغدر أدنى من شبابهم المرد

قال أبو عمرو بن العلاء : كانت بنو سعد بن تميم أغدر العرب ، وكانوا يسمون الغدر فى الجاهلية : « كيسان » .

(٥) مصغى إناؤه : يقال أصغيت الإناء : نقصته . انظر المخصص (١٣ : ١٦١) . وفى اللسان ، « ويقال أصغى فلان إناء فلان : إذا أماله ونقصه من حظه » .

وقال آخر :

تخيَّرَهُ اللهُ الغــداةَ لدينه على عِلْمِهِ واللهُ بالعِلْمِ أفْرَسُ[1]

وقال آخر :

وما ترَكَ الهـاجون لى فى أديمِكم مَصَحًّا ولـكنِّى أرى مُـترقّعا[2]

وقال العِجْلِىّ ، أو العُـكلىّ[3] ، لنوح بن جرير :

[أتسبُّنى فأراك مثلى سُبَّةً وأسبّ جدّكم بسبٍّ أبينا]

ولقد أرى والمقْتَضى متجوِّزٌ[4] يا نوحُ أنَّ أباك لايُوفِينا

وقال عمرو بن معد يكرب :

إذا لم تَسْتَطِـعْ شيئاً فَدَعْه وجاوِزْه إلى مَاتَسْتَطِيــعُ

وصِلْهُ بالزَّمَاعِ فـكُلُّ أمرٍ سَمَا لكَ أو سَمَوت لَهُ ولوعُ

(شعر فى صاحب السوء)

وقال المقنَّع الـكِندىُّ[5] :

وصاحبِ السُّوءِ كالدَّاء العَياء إذا مَا ارْفَضَّ فى الجوفِ يجرى هاهُنا وهنا[6]

---

(١) كذا فى ط ، س . وفى ل : « تخيره رب العباد . . . بالعبد أعرف » .

(٢) المصح : موضع الصحة . س : «مترفعاً» وهو تصحيف ، صوابه فى اللسان والمقاييس (رفع).

(٣) كذا فى س . وفى ط : « وقال العجلى ، أو الكعلى » وفى ل : « وقال العكلى » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط : « ولقد رأونا والقضا متخون » وفى س : « ولقد رأونا والفضا متخون » .

(٥) المقنع : لقب غلب عليه ؛ لأنه كان أجمل الناس وجها ، وكان إذا سفر اللثام عن وجهه أصابته العين ، فكان لايمشى إلا مقنعا . واسمه محمد بن ظفر بن عمير . شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية . الأغانى (١٥ : ١٥١) والشعراء ١٧٣ .

(٦) داء عياء : لايبرأ منه . وفى ل : «كالداء العضال » .

يُنْبِي ويُخبِر عن عَوْراتِ صاحبِه ... وما رأى عنده من صالحٍ دفنا[١]
كمُهرِ سَوءٍ إذا رفَّعت سَيْرَتَه ... رامَ الجماح وإن خَفَّضته حَرَنَا[٢]
إن يَحْيَ ذاك فكنْ منه بمعْزَلةٍ ... أو ماتَ ذاكَ فلا تعْرِفْ لَهُ جَنَنا[٣]

باب[٤]

ذكر خصال الحرم

فمن خصاله أنّ الذِّئبَ[٥] يصيد الظَّبيَ ويُريغه[٦] ويعارضه ، فإذا دخَلَ الحرم كفَّ عنه .

ومن خصاله أنّه لا يسقط على الكعبة حمام[٧] [إلاّ وهو عليل . يُعرف ذلك متى امتُحنَ وتعرِّفتْ حالُه[٨] . ولا يسقط عليها] ما دامَ صحيحًا .

ومن خصاله أنّه إذا حاذى أعلى الكعبة عَرَقَةٌ[٩] من الطّير كاليمام وغيره ، انفرَقت فِرقتين ولم يعلُها[١٠] طائرٌ منها .

---

(١) ل : « يجرى ويخبر » ،وفى الشعراء : « ينبى ويخبر » .
(٢) رفع سيرته : زاد فى سرعة سيره .
(٣) الجنن ، بالتحريك : القبر . وفى ل : « أو مت ذاك لاتشهد له جنبا » ، وهو تحريف مافى الشعراء : « أو مات ذاك فلا تشهد » .
(٤) قبل هذا فى ل : « بسم الله الرحمن الرحيم » .
(٥) كذا فى ل وثمار القلوب ١٣ ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٦٣) . وفى ط ، س : « الكلب » ، وليس مرادا .
(٦) يريغه : يطلبه .
(٧) ط ، س : « على الكعبة حمام » .
(٨) فى ثمار القلوب : « عرف ذلك من امتحنه وتعرف حاله » .
(٩) العرقة ، بالتحريك : السطر من الطير ، أو الخيل ، والجمع عرق . وفى ط ، س « عرف » وتصحيحه من ل .
(١٠) ط : « يعلمها » وصوابه فى س ، ل .

ومن خصاله [أنّه[١]] إذا أصاب المطرُ البابَ الذى من شِقِّ العِراق ، كان الخِصْب والمطرُ فى تلك السَّنة فى شِقِّ العِراق ، [وإذا أصاب الذى مِن[٢] شِقِّ الشَّام كان الخِصْبُ[٣] والمطر فى تلك السَّنَةِ فى شِقِّ الشام] ، وإذا[٤] عمَّ جوانبَ البيتِ كان المطرُ والخِصْبُ عامًّا فى سائر[٥] البُلدان .

٤٤ ومن خصال الحرَم أنَّ حَصَى الجِمار يُرمى بها فى ذلك المرمى ، مُذْ يومَ حَجَّ النَّاسُ البيتَ على طَوَالِ الدَّهر ، ثمَّ كأنَّه على مقدارٍ واحد . ولولا موضع الآيةِ والعلامةِ والأعجوبةِ التى فيها ، لقد كان ذلك كالجبال . هذا مِنْ غير أن تكسَحَه السُّيول ، ويأخُذَ منه النَّاس .

ومن سُنَّتهم : أنَّ كلَّ مَن علا الكعبةَ من العبيد فهو حرٌّ ، لا يرون المِلْكَ على من علاها ، ولا يجمعون بين [عزِّ] علوِّها وذِلة[٦] المِلك .

وبمكةَ رجالٌ من الصُّلحاء لم يدخُلوا الكَعبةَ قطّ .

وكانوا فى الجاهليَّة لا يبنُون بيتًا مربّعا ؛ تعظيماً للكعبة . [والعربُ تسمِّى كلّ بيتٍ مربَّع كعبة ، ومنه : كعبة نَجران] . وكان[٧] أوَّلُ مَن بنى بيتاً مربَّعا حُميد بن زهير[٨] ، أحد بنى أسد بن عبد العُزَّى .

ثمَّ البركة والشفاء الذى يجدُه مَن شرب من ماءِ زمزم على وجْه الدهر

---

(١) الزيادة من س ، ل .

(٢) هذه الكلمة وسابقتها ليستا بالأصل . وهما من ثمار القلوب .

(٣) فى الأصل ، أى ل التى منها هذه الزيادة : « الحظر » ، وتصحيحه من ثمار القلوب .

(٤) ل : « فإذا » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل والثمار .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وبين » . وفى الثمار : « وذل الرق » .

(٧) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فكان » .

(٨) هو حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشى . وكانت له دار ملاصقة للمسجد ، وقد ذكره ابن حجر فى الإصابة ١٨٣٣ .

وكثرةُ من يُقيم عليه يجدُ فيه الشفاء ، بعد أنْ لم[١] يدعْ فى الأرض حَمَّـةً[٢] إلاَّ أتاها ، وأقام عندها ، وشرب منها ، واستنقع[٣] فيها .

هذا مع شأن الفيل ، والطَّيرِ الأبابيلِ ، والحِجارة السِّجِّيل ، وأنَّها لم تزل أمْنا ولَقاحًا[٤] ، لا تؤدِّى إتاوة ، ولا تَدِين للملوك ، ولذلك سُمِّى البيتَ العتيق ؛ لأنَّه لم يَزلْ حُرًّا لم يملِكه أحد .

وقال حرْب بن أُميَّة فى ذلك[٥] :

أبا مَطَر هَـلُمَّ إلى صَلاحِ فَتَكَفِيَكَ النَّدَامى مِنْ قريشٍ[٦]

فتأمَنَ وَسْطَهمْ وتَعيشَ فيهم أبا مطر هُدِيتَ لخيْرِ عَيشِ[٧]

وتَنْزِلَ بَلْدَةً عزَّت قَدِيمًا وتأمَنَ أن يَزُورَك ربُّ جيشِ[٨]

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ . وقال عزّ وجلَّ ، حكايةً عن إبراهيم

---

(١) كذا فى ط ، س . وفى ل : « أن لا » .

(٢) الحمة ، بالفتح : كل عين فيها ماء حار ينبع ، يستشفى بها الأعلاء .

(٣) استنقع فيها : نزل واغتسل . وفى ط ، س : « وانتقع » ، والوجه ماأثبت من ل .

(٤) فى الكامل ٧٠٦ ليبسك : « واللقاح : الذى ليس فى سلطان أحد » .

(٥) يقول الشعر لأبى مطر الحضرمى ، يدعوه إلى حلفه ونزول مكة . كامل المبرد .

(٦) المبرد : « صلاح اسم من أسماء مكة » ، وضبطت فى الكامل ضبط قطام . وقال ياقوت فى المعجم : « صلاح بوزن قطام : من أسماء مكة . قال العمرانى : وفى كتاب التكملة : صلاح ، بكسر الصاد والإعراب » يعنى التنوين . فى س : « فتكنفك » وفى المعجم : « ليكفيك » ، وفى الكامل « فتكنف كالندامى » ، والمعنى مستقيم بالجميع .

(٧) س : « فتأمن رهطهم » .

(٨) كذا فى ط ، س ، والمعجم ، والكامل . وفى ل فقط : « عزت لقاحا » وفى المعجم : « أن ينالك رب جيش » .

﴿ رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ .

(خصال المدينة)

والمدينة هى طَيبة ، ولطيبها قيل تلفِظ خَبَثها وينصعُ طيبُها . وفى ريح ترابها وبنّةِ[1] تربتها ، وعَرف ترابها[2] ونسيمِ هوائها ، والنعمة[3] التى توجـد فى سِكَكِها وفى حيطانها — دليـلٌ على أنّها جُعلت آيةً حينَ جعلت حرمًا .

وكلُّ[4] من خَرَجَ من منزلٍ مطيّبٍ إلى استنشاق [ريح] الهواء والتُّرْبة[5] فى كل بلدة فإنّه لا بدَّ عند الاستنشاق والتثبُّت مِنْ أنْ يجِدَها منتنةً . فذلك[6] على طبقاتٍ من شأنِ البُلدان ، إلاَّ ما كان فى مدينة الرّسول ، رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ، فللصَّياح[7] والعِطْر والبَخور

---

(١) البنة ، بالفتح : الريح الطيبة . وفى س : « نبت » ، وتصحيحه من ل .
(٢) الزيادة من ل ، س .
(٣) كذا فى ط ، س ، وثمـار القلوب ٤٣٦ . وفى ل : « والنغمة » ، وهذه محرفة لاريب . وأميل إلى أن تـكون هـذه الـكلمة « فعمة » من فعم المسك البيت : طيبه .
(٤) ط ، س : « وقيل » ، ووجهه من ل .
(٥) ط : « الهوى والبرية » ، وصوابه فى س ، ل .
(٦) ل : « وذلك » .
(٧) الصياح ، بوزن كـتان : عطر . ط ، س : « فللصباح » تحريف ماأثبت . وفى ل : « والصياح » .

والنَّضوح[١] ، من الرائحة الطيبة ــ إذا كان فيها ــ أضعافُ ما يوجــد له في غيرِها من البُلدان ، وإن كان الصَّيَّاح[٢] أجوَد ، والعطر أفخرَ ، والبَخور أثمن .

(بعضُ البلدان الرديئة)

٤٥ ورُبَّت بلدةٍ يستحيل[٣] فيها العطرُ وتذهب رائحتُه ، كقَصَبة الأهواز . وقد كان الرشيدُ همَّ بالإقامة بأنطاكيَة ، وكره أهلُها ذلك ، فقال شيخٌ منهم ، وصَدَقَهُ : يا أمير المؤمنين ، ليست من بلادك ، ولا بلادِ مثلك ، لأنّ الطِّيب الفاخرَ يتغيَّر فيها حتَّى لايُنْتفعَ منه بكثير[٤] شيء ، والسِّلاحَ يصدأ فيها ولو كان من قلْعةِ الهند[٥] ، ومن طبع[٦] اليمن ، ومطرها ربَّما أقام

---

(١) النضوح ، كصبور : طيب . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط : « والتضوع » ، وفي س : « والتضوح » ، وفي ل : « والفضرج » ، والصواب ماأثبت موافقا لما في ثمار القلوب .

(٢) ط ، س « الصباح » ، تحريف ماأثبت من ل . وانظر التنبيه الذي قبل السابق .

(٣) يستحيل هنا بمعنى يتغير .

(٤) ل : « بكبير » . وهذا الخبر تجد نحوه في معجم البلدان برسم (أنطاكية) .

(٥) قلعة عظيمة ببلدة تسمى « كله » وهي أول بلاد الهند من جهة الصين ، وفي هذه القلعة تضرب السيوف القلعية . انظر معجم البلدان برسم (القلعة) . وفي ط : « فلق » وفي س : « فلق » ، وتصحيحه من ل .

(٦) ط ، س : « قلع » . والذي باليمن هو « القلمة » كما في المعجم والقاموس . وأثبت مافي ل .

شهرين ، ليس فيه سكون[١] . فلم يُقِم بها[٢] . ثمّ ذكر المدينة فقال : وإنّ الجُويرِيةَ السّوداء ، لَتَجعل فى رأسها شيئاً من بَلح ، وشيئاً من نَضُوحٍ ، مما لاقيمةَ له ؛ لهوانه على أهله ، فتجد لذلك[٣] خَمَرةً طيِّبة[٤] وطيبَ رائحةٍ لايعدِلُها[٥] بيتُ عَرُوسٍ من ذوى الأقدار . حتّى إنّ النّوى المنْقَع ، الذى يكونُ عندَ أهل العراق فى غايةِ النَّتَن ، إذا طال إنقاعه ، يكونُ عندَهم فى غاية الطِّيب . والله سبحانه وتعالى أعلم .

باب

ذكر الحمام[٦]

(أجناسه)

قال صاحب الحمام : الحمام وحشىٌّ ، وأهلىّ ، وبيوتىّ ، وطورانى[٧] . وكلُّ طائرٍ يعرف بالزِّواج ، وبحسن الصَّوت ، والهديل ، والدُّعاء ، والتّرجيع فهو حمام ، وإن خالفَ بعضُه بعضاً فى بعض الصَّوتِ واللَّون ، وفى بعض القدِّ

(١) ل : « دام شهرين ليس فيها سكون » .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فلم يقربها » وتصح إن جعلت من القرار .

(٣) ط ، س : « ذلك » ، وصوابه فى ل وثمار القلوب .

(٤) الخمرة ، مثلثة : الرائحة الطيبة .

(٥) كذا فى ل وثمار القلوب . وفى ط ، س : « لايعدله » . يعدلها : يساويها .

(٦) كلمة « باب » ليست فى ل . وفيها : « القول فى الحمام » .

(٧) الطورانى : منسوب إلى طور سيناء ، أو إلى جبل يقال له طرآن ، نسبة شاذة .

[ولحن] الهديل[1] . وكذلك تختلف أجناس الدَّجاج[2] على مثل ذلك[3] ولا يخرجها [ذلك] من أن تكون دَجَاجا : كالدِّيك الهندى والخِلاسى[4] والنَّبطِىّ ، وكالدّجاج[5] السِّندىّ والزنجىّ وغير ذلك . وكذلك الإبل : كالعِرابِ[6] والبُخْتِ ، والفوالج ، والبَهْوَنيّات[7] والصَّرْصَرَانيّات[8] ، والحُوش ، والنُّجب[9] ، وغير ذلك من فحول الإبل ؛ ولا يخرجها ذلك من أنْ تكون إبلا .

وما ذاك إلّا كمخالفة الجُرذانِ والفأر ، والنَّمْلِ والذّر ، وكاختلاف[10] الضّأْنِ والمعْزِ ، وأجناسِ البقر الأهليَّة والبقَر[11] الوحشيَّة ، وكقرابةِ ما بينهما[12] وبين الجواميس .

---

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وفى بعض النوح والهديل » . وفيهما أيضاً بعد هذا : « والدعاء والترجيع فهو حمام » ، والوجه حذف هذا الكلام الأخير كما فى ل ؛ لأنه تكرار .

(٢) ط ، س : « وقد يختلف الدجاج » .

(٣) « على مثل ذلك » ساقطة من ل .

(٤) الخلاسى ، بالكسر : الديك بين دجاجتين هندية وفارسية .

(٥) بدلها فى ط ، س : « ومثل » .

(٦) ط ، س : « العراب » .

(٧) البهونيات من الإبل : مابين الكرمانية والعربية . وانظر ١ : ١٣٨ .

(٨) الصرصرانيات : مابين البخاتى والعراب . ط : « الصراصرنيات » ، تحريف .

(٩) هذه الكلمة ساقطة من ل . والحوش والحوشية : الإبل المتوحشة .

(١٠) ط ، س : « ومثل اختلاف فى » ، تحريف .

(١١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(١٢) ل : « بينها » .

وقد تختلف الحيّاتُ والعقاربُ بضروبِ الاختلاف ، ولا يخرجها ذلك من أن تكونَ عقاربَ وحيّاتٍ . وكذلك الكلابُ ، والغِرْبان .

وحسبُك بتفاوتِ ما بينَ النّاس : كالزّنج والصقالبة ، فى الشُّعُورِ والألوان ، وكيأجوج ومأجوج ، وعاد وثمود ، ومثلُ الكَنْعانيّين[١] والعمالقة .

فقد تخالف الماعزة الضائنة[٢] حتَّى لايقع بينهما تسافُدٌ ولا تلاقح . وهى فى ذلك غنمٌ وشاء .

قال : والقُمرىُّ حمام ، والفاخِتةُ حمام ، والوَرَشان حمام . والشِّفْنِين[٣] حمام ، وكذلك اليمام واليعقوب . وضروبٌ أخرى كلها حمام . ومفاخرها التى فيها ترجع إلى الحمام التى لاتُعرف[٤] إلّا بهذا الاسم . ٤٦

قال : وقد زعم أفْليمون[٥] (صاحب الفِراسة) أنَّ الحمام يتّخَذُ لضرُوب : منها مايُتّخذ للأُنس والنساء والبُيُوتِ ، ومنها مايُتّخذُ للزّجال[٦] والسباق .

---

(١) ط : « الكنعانين » ، محرفة .

(٢) ط ، س : « الضانية » وهو تحريف ماأثبت من ل .

(٣) الشفنين ، بالكسر : ضرب من الحمام حسن الصوت . ط ، ل : « السفنين » تصحيف ما أثبت من س . وافقا لما فى الدميرى .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « الذى لايعرف » ، وهما وجهان .

(٥) أفليمون : فاضل كبير فى فن من فنون الطبيعة ، وكان معاصرا لبقراط ، وأظنه شامى الدار ، كان خبيراً بالفراسة ، عالما بها ؛ إذا رأى الشخص وتركيبه ؛ استدل بتركيبه على أخلاقه ، وله فى ذلك تصنيف مشهور خرج من اليونانية إلى العربية . القفطى . قلت : وقد طبع كتابه فى حلب سنة ١٣٤٧ وهو يقع فى خمس وأربعين صفحة. وفى ط ، س : « أقليمون » .

(٦) فى الأصل : « للرجال » بالراء ، تحريف ما أثبت من نهاية الأرب ١٠ : ٢٥٧ . وانظر هذا الجزء ص ٢٢٣ .

[والزِّجال : إرسال الحمام الهوادِى[١]] .

(من مناقب الحمام)

ومن مَناقب الحمام حبُّه للناس ، وأنس الناس به ، وأنَّك لم تَرَ حيواناً قطُّ أعدلَ موضِعاً ، ولا أقْصَد[٢] مرتبةً من الحمام . وأسفل[٣] النّاس لايكون دُون أنْ يتَّخذها ، وأرفع الناس لايكون فوقَ أن يتَّخذها . وهى شىءٌ يتَّخذه[٤] مابين الحجَّام إلى الملك[٥] الهمام .

والحمامُ مع عمومِ شهوةِ النّاس له ، ليس شىءٌ ممايتّخِذونه هُمْ أشدُّ شغفاً به[٦] ولا أشدُّ صَبابَةً[٧] منهم بالحمام ، ثمَّ تجد ذلك فى الخِصيان كما تجدُه فى الفحول ، وتجده [فى الصِّبيان كما تجدُه فى الرِّجال ، وتجدُهُ] فى الفِتْيان[٨] كما تجدُه فى الشيوخ ، وتجدُه فى النساء كما تجدُه فى الرِّجال .

والحمامُ من الطَّير الميامين . وليس من الحيوان الذى تظهر له عورة وحجم قضيبٍ[٩] كالكلب والحمارِ وأشباهِ ذلك ، فيكونَ ذلك مما يكونَ يجب على الرِّجال ألّا يُدْخِلوه دورَهم .

---

(١) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٥٨) .

(٢) أقصد : من القصد ، ضد الإفراط . وفى س : « أقصر »، محرفة .

(٣) ل : « لأن أسفل الناس » .

(٤) ط ، س : « يتخذها » ، وأثبت مافى ل . ط : « وهى شتى » ، ل : « وهو شىء » ، وأثبت مافى س .

(٥) ط ، س : « الرجل » .

(٦) ط ، س : « أشد شفقاً » . والشفق : الشفقة . وأثبت مافى ل .

(٧) ط فقط : « ضيانة »، وهى تحريف ، لوجود الباء فى كلمة : « بالحمام » .

(٨) ل : « الشبان » .

(٩) ل : « وحجم وقضيب »، بإقحام الواو .

(كلمة لمثنى فى الحمام)

قال مثنَّى بنُ زهير : ومن العجب أنَّ الحمامَ مُلَقًّى، والسَّكْرَانَ مُوقًّى، فأنشده ابن يَسير[1] بيت الْخُرَيمىّ[2] :

وأعْدَدتُهُ ذُخْـرًا لـكلِّ مُلِمَّةٍ ... وسَهْمُ المَنَايا بالذَّخائرِ مُولَعُ[3]

(شرب الحمام)

ومتى رأى إنسانٌ عطشانَ الدِّيك والدَّجاجة يشربان الماء ، ورأى ذئباً وكلباً يلطعَان المـاء لطْعًا، ذهَبَ عطشُه من قُبْح حسْو الديك نغْبةً نغْبة[4] ، ومن لطْع الـكلْب . وإنَّه لَيَرى الحمام [وهو] يَشرب الماء! وهو[5] ريّان ، فيشتهِى أن يَـكرَعَ فى ذلك[6] الماء معه .

---

(١) هو محمد بن يسير، تقدمت ترجمته فى (١ : ٥٩) . وفى الأصل : « ابن بشير » وهذا تحريف .

(٢) فى ط : « الحزيمى » وفى س : « الخزيمى » ، وصوابه ما أثبت من ل . وهو أبو يعقوب إسحاق بن حسان . تقدمت ترجمته فى (١ : ٢٢٤) .

(٣) انظر الحيوان (٦ : ٤٢٣) .

(٤) النغبة ، بالفتح : الجرعة ، ويضم . أو الفتح للمرة والضم للاسم . وفى س : « نقبة نقبة »، وهو تحريف .

(٥) أى الإنسان .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل . وفى ط ، س : « يشتهى أن يكون » ، وله وجه .

(صدق رغبة الحمام فى النّسل)

والدِّيك والكلبُ فى طلب[١] السِّفاد [وفى طلب الذَّرْء] كما قال أبو الأخْزر[٢] الحِمّانىُّ :

* لاَمُبْتَغِى الضَّنْءِ ولاَ بِالْعَازِلِ[٣] *

والحمام أكثر معانيه الذَّرْءُ وطلبُ الولد . فإذا علم الذَّكَرُ أنَّه قد أودَعَ [رحمَ] الأنثى مايكون منه الولدَ تقدَّمَا فى إعدادِ العشِّ ، ونقلِ القَصَب[٤] وشِقَقِ[٥] الُخوص ، وأشباهِ ذلك من العِيدان الخوَّارة الدِّقاق[٦] حتَّى يعملا أُفحوصة وينسجاها[٧] نسجًا مُداخلاً ، وفى الموضع الذى قد [رضِياه و]اتّخذاه

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « الأحزر » وصوابه فى ل . قال فيه صاحب المؤتلف ٥٢ : « أحد بنى عبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وعبد العزى هو حمان . راجز محسن مشهور » .

(٣) الضنء ، بالفتح ويكسر : الولد . وفى ط ، س : « الضر » ، وصوابه فى ل والجزء الأول ص ١٩٥ والعازل فسره الجاحظ فى الجزء الأول ١١٠ . وفى ط ، س : « بالعاذل » ، وهو تحريف ما أثبت من الجزء الأول ص ١٩٥ . وفى ل : « العازل » .

(٤) ل : « تقدما فى نقل القصب » .

(٥) الشقق : جمع شقة بالكسر ، وهى القطعة المشقوقة ، ونصف الشىء إذا شق . وفى ط ، س : « تشقيق » ، وأثبت مافى ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٧١) .

(٦) الخوارة : الضعيفة . وفى ط ، س : « الخور » ، تحريف صوابه فى ل ونهاية الأرب . وفى ط ، س : « الرقاق » بالراء .

(٧) كذا على الصواب فى ل ونهاية الأرب . وفى ط ، س : « حتى يعملا الخوص وأشباه ذلك وينسجاه » .

واصطنَعاه ، بقدر جُثمان الحمامة ، ثمّ أشْخَصا لتِلك الأفحوصةِ حُروفاً غيرَ مرتفِعة ؛ لتحفَظَ البَيض وتمنَعَه من التّدحرج ، [ولتلزمَ كنَفَىَ[١] الجؤجؤ] ولتكون[٢] رِفداً لصاحبِ الحضْن ، وسنَدًا للبيض . ثمّ يتعاوران ذلك المكان ويتعاقَبان ذلك القَرمُوص[٣] وتلك الأفحوصة ، يسخّنانها ويدَفِّيانها[٤] ويطيِّبانها ، وينفِيان عنها طِباعها الأوّل[٥] ، ويُحدثان لها طبيعةً أخرى مشتقّةً من طبائعهما ، ومستخرجةً من رائحةِ أبدانهما وقُواهما الفاصِلة[٦] [منهما ؛ لكى تقعَ البيضةُ إذا وقعتْ، فى موضعٍ أشبَهِ المواضع طباعاً بأرحام الحمام][٧] ، مع الحضانة والوَثارَة[٨] ؛ لكى[٩] لاتنكسر البيضة ٤٧ بيُبس الموضع ، ولئلا ينكر طِباعُها[١٠] طباعَ المكان ، وليكونَ على مقدارٍ من البرْدو السّخانَة[١١] والرّخاوة والصّلابَةِ. ثمّ إنْ ضرَبها المخاضُ وطَرّقت[١٢]

---

(١) فى أصلها أى ل وكذا فى نهاية الأرب : « كتفى » ، والوجه ما أثبت . والكنف : الجانب . والجؤجؤ من الطائر : صدره .

(٢) ط ، س : « ليكون » ، وفى ل : « وتكون » ، وأثبت مافى نهاية الأرب .

(٣) القرموص ، بالضم : العش يبيض فيه الحمام . وفى ط : « الغرموص »، وصوابه فى س ، ل .

(٤) ط فقط : « ويرفيانها »، والوجه ما أثبت .

(٥) الطباع ، بالكسر : الطبع .

(٦) الفاصلة : المنفصلة . وفى ط ، س : « الفاضلة » ، وما كتبت من ل أشبه .

(٧) هذه الزيادة من ل ونهاية الأرب . وبدلها فى ط ، س : « من أرحامهما » .

(٨) الوثارة : أن يكون الشىء موطأ ممهدا . وفى ط : « والاثارة » ، وصوابه فى ل ، س .

(٩) ط : « لكن » وصوابه فى ل ، س ونهاية الأرب .

(١٠) الطباع ، بالكسر : سبق تفسيره . ط « طبائعها » وفى س : « طبايعهما » ، والوجه ما أثبت من ل .

(١١) فى ل ونهاية الأرب : « والسخونة » وهما بمعنى .

(١٢) طرقت تطريقا : حان خروج بيضها ، وأصل التطريق للقطا .

ببيضتها ، بَدَرَت[١] إلى الموضع الذى قد أعَدّته ، وتحامَلتْ إلى المكان الذى اتَّخَذَتْه وصنعته ، إلّا أن يُقرِّعها[٢] رعدٌ قاصف ، أو ريحٌ عاصفٌ فإنَّها ربَّما رمَتْ بها دون كِنِّها وظل عُشها ، وبغير موضِعها[٣] الذى اختارته . والرَّعدَ ربما مَرِق[٤] عنده البيض وفسد ، كالمرأة التى تُسقِط من الفزَع ، ويموتَ جنينها من الرَّوع[٥] .

(عناية ذَكر الحمام وأنثاه بالبيض)

وإذا وضَعت البيضَ فى ذلك المكان فلا يزالان يتعاقبان الحضنَ ويتعاوران ، حتَّى إذا بلغ ذلك البيضُ مَداه وانتهَتْ أيّامه ، وتمَّ مِيقاته الذى وظَّفه خالقُه ، ودبَّره صاحبه[٦] ، انصدع القَيْضُ[٧] عن الفرخ ، فخرجَ

---

(١) ل : « بادرت » ، وهما بمعنى . وقبل هذه الكلمة فى ط ، س : « ففصلت أرحامها » ، وهى عبارة مشوهة وليست فى ل ولا فى نهاية الأرب .

(٢) كذا فى ل ، س ونهاية الأرب . والتقريع : الإقلاق وهو الإزعاج . ويجوز أن تكون هذه الكلمة من القرع بمعنى الضرب . وفى ط فقط : « يفزعها » .

(٣) ل : « دون موضعها » ، بإسقاط مابين الكلمتين من كلام .

(٤) مرقت البيضة ، بالكسر : فسدت فصارت ماء .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٦) الكلام من مبدإ : « وتم » ساقط من ل .

(٧) القيض ، بالفتح : القشرة العليا اليابسة على البيضة ، أو هو البيضة التى خرج ما فيها من فرخ ، أو ماء . وفى ط ، س ، ونهاية الأرب : « البيض » ، والمعنى يصح بكل منهما .

عاریَ الجلْد ، صغيرَ الجناح ، قليلَ الحِيلة ، منسَدَّ الحلقوم ، فيعينانِه على خلاصِه من قيضه[١] وترويحه من ضيق هَوَّته[٢] .

(عنايتهما بالفراخ)

وهما يَعلمان أن الفرخَينِ لاتتَّسع حلوقهما وحواصِلهُما[٣] للغذاء ، فلا يكونَ لهما[٤] عند ذلك همٌّ إلّا أنْ ينفخا فى حلوقهما[٥] الريح ، لتتّسع الحوصلةُ بعد التحامها ، وتَنْفَتِقَ بعدَ ارتتاقِها . ثم يعلمان[٦] أنّ الفرخ وإن اتّسعت حَوصلتُه شيئاً ، أنّه لايحتمل فى أول اغتذائه أن يزقَّ بالطُّعم[٧] ، فيُزَقّ عند ذلك باللُّعاب المختلِط بقُواهما وقُوى الطعْم — وهُمْ يسمُّونَ ذلك اللُّعابَ اللِّباء[٨] — ثم يعلمان أنّ طبع حوصلتِه يرق[٩] عن استمراء الغذاء

---

(١) فى الأصل : « بيضه » ، والصواب ما أثبت .

(٢) الهوة بالفتح : أصل معناها الكوة ، وهى الخرق فى الحائط ، والثقب فى البيت ، والمراد بها هنا موضع خروج الفرخ من القيض . والكلام من مبدإ : « فخرج » ساقط من ل . وهذه الكلمة هى فى ط : « هوانه » وفى س : « هواته » والوجه ما أثبت .

(٣) عبر عن المثنى بالجمع ، كما فى الكتاب العزيز : « فقد صغت قلوبكما » أى صغا قلباكما .

(٤) ط فقط : « يكون » ، وهو تحريف مطبعى .

(٥) ل : « حلقه » ، والوجه ماأثبت من ط ، س .

(٦) ط ، س : « ويعلمان » ، وأثبت مافى ل ونهاية الأرب .

(٧) كذا فى ل . وفى ط ، س : « إنه أن امتنعت الحوصلة شيئاً لا يحتمله فى أول غذائه أن يزق بالطعم » ، هو تحريف كما ترى .

(٨) كذا. والمعروف : « اللبأ » .

(٩) ط ، س : « طبع حواصلهما يضعف » ، وصوابه من س .

وهضم الطُّعمِ[١] ، وأنَّ الحوصلةَ تحتاجُ إلى دَبْغٍ وتقوية ، وتحتاج إلى أن يكون لها بعضُ المتانَة والصلابة ، فيأكلان من شَورَج[٢] أصول الحِيطان ، وهو[٣] شيءٌ بينَ المِلح الخالص[٤] وبين التُّراب الملح[٥] ، فيزقَّانه به[٦] حتَّى إذا علما أنه قد اندبَغ واشتدّ زقّاه بالحبِّ الذى [قد غبَّ[٧] فى حواصلهما ثم زقَّاه بعد ذلك بالحبِّ الذى[٨] هو أقوى وأطرى . فلا يزالان يزُقَّانه بالحبِّ والماءِ على مقدارِ قُوَّتِه ومبلغ طاقته ، وهو يطلب ذلك منهما ، ويبِضُّ نحوهما[٩] حتى إذا علما أنّه قد أطاق اللقْطَ منَعاه بعضَ المنْع ، ليحتاج إلى اللقْطِ فيتعوَّده، حتى إذا علما أنَّ أدَاتَه[١٠] قد تمَّتْ، وأن أسبابَه قد اجتَمَعَتْ وأنَّهما إن فَطماهُ فطْماً مقطوعا مجذوذاً[١١] قوِيَ على اللَّقط ، وبلغ لنفسِه مُنتَهَى حاجتِه — ضرباه إذا سألهما الكفاية ، ونَفَياه متى رجع إليهما[١٢]

---

(١) كلمة : « وهضم الطعم » ساقطة من ل .

(٢) الشـــورج : نوع من الملح ، قال صاحب منهاج الدكان ص ٢١٦ : هو ملح الدباغة . وهـذه الكلمة مضطربة فى الأصـــل : فهى فى ط : « صروح » وفى س : « سروح » ، ل وعيون الأخبار ٢ : ٩١ : « سورج » ، نهاية الأرب : « شروج » وصواب ذلك كله ما أثبت من منهاج الدكان .

(٣) ط ، س : «وهى» ، والوجه ماأثبت من ل ونهاية الأرب .

(٤) ط ، س : « والحمض » ، وصواب هذه « المحض » ، وأثبت مافى ل .

(٥) ط ، س : ونهاية الأرب : « الخالص » واخترت مافى ل .

(٦) كذا فى ل : ونهاية الأرب . وفى ط ، س : « فيزقان الفرخ » .

(٧) غب : أصل معناها بات . والمراد مكث طويلا حتى لان .

(٨) فى الأصل ، أى ل : « الحب » ، والوجه ماأثبت من نهاية الأرب .

(٩) البض ، أصله فى الإنسان أن يسأل عن الحاجة فيتمطق بشفتيه .

(١٠) ط : « أذاته »، وصوابها فى ل ، س .

(١١) أى منقطعا لاعودة بعده إلى الزق. وفى ل : « منبتا » ، وهما بمعنى .

(١٢) بعد هذه الكلمة فى ط ، س كلمة : « للعادة » وليست فى ل ، ولا فى نهاية الأرب .

ثمّ تَنْزَع [عنهما] تلك الرحمةُ العجيبة منهما له ، وينسَيان ذلك العطف المتمكِّنَ عليه[١] ، ويُذهَلان عن تلك الأثَرة [له] ، والكدِّ المضنى[٢] من الغُدُوِّ عليه ، والرّواح إليه[٣] . ثم يبتديان العمل ابتداءً ثانياً ، على ذلك النظام وعلى تلك المقدّمات[٤] .

٤٨ فسبحان من عرّفهما وألهمهما ، وهداهما[٥] ، وجعلهما دَلالةً لمن استدلّ ، ومُخبِراً صادقاً لمن استخبر ، ذلكم الله رب العالمين .

(حالات الطُّعم الذى يصير فى أجواف الحيوان)

وما أعجَبَ حالاتِ الطُّعْمِ الذى يصير فى أجواف الحيوان ، وكيف تتصرّف به الحالاتُ ، وتختلف فى أجناسه الوجوه[٦] : فمنها[٧] ما يكون مثل زق الحمام لفَرخه ، والزقُّ فى معنى القَىء أو فى معنى التقيؤ وليس بهما[٨] وجِرّة البعير والشاةِ والبقرة فى معنى ذلك ، وليس به . والبعير يريد أن

---

(١) ليست فى ل .

(٢) ل : « والكد عليه » .

(٣) « من الغدو . . . » الخ ليس فى ل .

(٤) ط ، س : « على هذا النظام وعلى هذه المقامات » وأثبت ما فى ل : بعد تصحيح كلمة « المقامات » من نهاية الأرب .

(٥) فى الأصل : « وهنأهما » ، وما كتبت أليق بالكلام .

(٦) ط ، س : « وتختلف فى أجناسها الوجوه » ، ل : « فى أجناسه فى الوجوه » وصححت الكلام جامعاً بينهما .

(٧) أى من الحالات . وفى ل : « فنه » .

(٨) ط ، س : « التئ وليس هما » ، وأثبت الصواب من ل .

يعود فى خَضمه(١) الأوَّل واستقصاء طعمه . وربَّما كانت الجِرَّةُ رجيعا . والرَّجيع : أن يعود على ماقد أعاد عليه مرَّةً حتَّى ينزعه من جَوفه ، ويقلبه عن جهته .

(زَقّ الحمام)

والحمام يُخرجه من حَوصلته ومن مُسْتكَنّه وقَراره(٢) ، وموضعِ حاجته واستمرائِه ، بالأثَرةِ والبرِّ ، إلى حوصلةِ ولده. [قد] ملك ذلك وطابتْ به نفسُه ولم تَغْثَثْ عليه نفسه(٣) ولم يتَقَذَّر(٤) من صنيعه ، ولم تَخْبُثْ نفسُه(٥) ، ولم تتغيَّر شهوته . ولعلَّ لذَّتَه(٦) فى إخراجه أن تكونَ كلذّتِه(٧) فى إدخاله ، وإنما اللذة فى مثل هـذا بالمجارِى(٨) ، كنحو ما يعترى مَجرَى النُّطفةِ من استلذاذ مرُور النُّطفة ، فهذا شأنُ قَلْب الحمام مافى جوفه ، وإخراجه بعد إدخاله. والتمساح يخرجه(٩) على أنّه رجعُه ونَجْوه(١٠) الذى لامخرجَ له ولا فَرَج [له] فى سواه .

---

(١) كذا فى ط ، س . وفى ل : « طحنه » .
(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « مسكنه وقرابه » ، وما فى ل أشبه بلغة الجاحظ .
(٣) يقال غثت نفسه : لقست ، أى غثيت غثيانا . وفى ط ، س : « تتعاث » ، ولم أجد لها وجها . وهذه الجملة ساقطة من ل .
(٤) س : « يتقزز » ، ومؤداهما واحد .
(٥) انظر ماجاء خاصاً بهذا التعبير فى ١ : ٣٣٥ س ١٠ .
(٦) ط ، س : « لذاته » .
(٧) ط ، س ، « كلذاته » .
(٨) ط ، س : « كالمجارى » ، تحريف ماأثبت من ل .
(٩) ط ، س : « والتماس إخراجه » ، وصوابه فى ل . وانظر ماسيأتى .
(١٠) ط ، س : « ونحوه » ، وهو تصحيف مافى ل .

(تصرف طبيعة الإنسان والحيوان فى الطعام)

وقد يعترى ذلك الإنسانَ لِمَا يعرِض من الدَّاء ، فلا يعرف[١] إلاَّ الأكلَ والقَىء ، ولا يعرف النَّجْوَ إلاَّ فى الحِين على بعضِ الشِّدَّةِ . وليس ما عَرَض بسبب آفةٍ كالذى يخرج على أصل تركيب الطبيعة .

والسِّنَّور والكلبُ على خلاف ذلك كلِّه ، لأنَّهما يُخرجانه بعارضٍ يعرِضُ لهما مِن خُبْث النَّفس ، ومن الفساد[٢] ، ومن التَّثوير والانقباض[٣] ثمَّ يعودان بعد[٤] ذلك فيه من ساعتهما ، مشتهِيَينِ له ، حريصين عليه .

والإنسان إذا ذَرَعه ذلك لم يكن شىءٌ أبغضَ إليه منه ، وربَّما استقاء وتكلَّف ذلك لبَعضِ الأمر . وليس التكلف فى هذا الباب إلاَّ له .

وذوات الكروش كلها تَقْعَصُ[٥] بجرّتها ، فإذا أجادتْ مضْغه أعادته ، والجِرّة هى[٦] الفرْث ، وأشدُّ من ذلك أنْ تكون[٧] رجيعاً ، فهى تجيدُ مَضغَها وإعادتَها إلى مكانها ، إلاَّ أنَّ ذلك ممَّا لا يجوزُ أفواهها[٨] . وليس عند الحافِر من ذلك قليلٌ ولا كثير ، بوجهٍ من الوجوه .

---

(١) ل : «يعرض» .

(٢) المراد بخبث النفس مايعرض لها من التقزز والغثيان . وفى س : « من حيث النفس والفساد »، وهو تحريف .

(٣) ل : « الانتقاس »، والوجه ماأثبت من ط ، س .

(٤) ل : « مع » .

(٥) أصل معنى القعص الطعن الوحى ، أى السريع .

(٦) ط ، س : « وهو »، تحريف .

(٧) ط ، س : « يكون » .

(٨) س : « إلا أن ذلك ما كان لايجوز أفواهها » .

[وقد يعترى سباعَ الطيرِ شبيهٌ بالقيء ، وهو الذى يسمُّونه « الزُّمّج »[١] .
وبعضُ السَّمكِ يقيء قيئاً ذريعاً ، كالبال ، فإنَّه ربَّما دسَعَ الدَّسعة[٢] ، فتلقى[٣] بعض المراكب ، فيلقَون من ذلك شِدّة . والناقة الضجور ربَّما دسعَتْ بجِرَّتها فى وجه الذى يرحُلها[٤] أو يعالجها ، فيلقى من ذلك أشدَّ الأذى . ومعلومٌ أنَّها تفعَلُ ذلك على عمد .

فلذوات الأقدام فى ذلك مذهب ، ولذوات الكُروش من الظِّلف والخفِّ فى ذلك مذهب ، ولذوات الأنياب فى ذلك مذهب ، وللسَّمك والتمساح الذى يشبه السَّمَكَ فى ذلك مذهب .

ويزعمون أن جوف التمساح إن[٥] هو إلاّ معاليق[٦] فيه ، وأنه فى صورة الجراب ، مفتوح الفم ، مسدود الدُّبر ، ولم أحقَّ ذلك ، وما أكثر من لايعرفُ الحال فيه .

(الرُّجوع إلى طلب النسل عند الحمام)

ثم رجع بنا القولُ فى الحمام بعد أن استغنى ولده عنه ، وبعد أن نُزِعت الرحمةَ منه ، وذلك أنَّه يبتدئُ الذَّكرُ الدُّعاء والطَّرد، وتبتدئ الأنثى بالتأتِّى

---

(١) الزمج : أحد نوعى العقاب ، والغالب فى لونه أن يكون أحمر ، وهو من خفاف الجوارح ، ومن الطيور التى يصيد بها الملوك. الدميرى .

(٢) دسع : قاء .

(٣) يصح أن تقرأ بفتح التاء أو ضمها .

(٤) يرحلها ، بضم الحاء : يحط عليها الرحل .

(٥) ليست بالأصل ، والأصل هنا ل . وزدتها للحاجة إليها .

(٦) جمع معلاق ، وهو اللسان .

والاستدعاء ، ثمَّ تزيف وتتشكَّل[١] ، ثمَّ تمكِّن وتمنع ، وتجيبُ وتصدفُ بوجهها ، ثم يتعاشقان ويتطاوعان ، ويحدثُ لهما من التغزُّل والتفتُّل[٢] ، ومن السَّوف[٣] والقبَل ، ومن المصِّ والرَّشف ، ومن التنفُّخِ والتنفُّج ، ومن الخيلاء والكبرياء ، ومن إعطاء التقبيل حقّه ، ومن إدخال الفم فى جوف الفم ، وذلك من التطاعُم ، وهى المطاعَمة . وقال الشاعر :

لم أَعطها بيدى إذ بتُّ أرشُفُها ... إلاّ تَطاولَ غصنُ الجيد بالجيدِ[٤]

كما تَطاعَمَ فى خضراءَ ناعمة ... مطوَّقان أصاخا بعد تغريد

هذا مع إرسالها جناحيها وكفّيها على الأرض ، ومع تَدَرعها وتبعُّلها[٥] ومع تصاوله وتطاوُله ، ومع تنفُّجه وتنفُّخِه ، مع ما يعتريه مع الحكة والتفلِّى والتنفُّش[٦] حتّى تراهُ وقد رمى فيه بمثله[٧]] .

ثمُّ الذى ترى من كسْحِه بذنبه[٨] ، وارتفاعِه بصدره ، ومن ضرْبه بجناحِه ، ومن فرحه ومَرَحِه بعد قَمْطِه والفراغِ من شهوتِه ، ثمَّ يعتريهِ ذلك فى الوقت الذى يفتر فيه أنكحُ النّاس .

---

(١) تزيف : تنشر جناحيها وذنبها وتسحبهما على الأرض . والتشكل ، من الشكل بالفتح : وهو الغنج والدلال والغزل .

(٢) التفتل : التلوى .

(٣) السوف : الشم .

(٤) عطا الشىء يعطوه : تناوله بيده .

(٥) فى الأصل ، والأصل هنا ل : « وهو مع . . . » الخ . وكلمة « هو » لا حاجة إليها . والتدرع : أصل معناه لبس الدرع . والتبعل : التزين للبعل.

(٦) التنفش ، بالفاء ، هو أن ينفض الطائر ريشه . وفى الأصل : « والتنقش » .

(٧) كذا . وهنا تنتهى الزيادة التى ابتدأت من مبدإ الصفحة السابقة ، وهى من ل .

(٨) كسحه : كنسه الأرض بذنبه .

(القوة التناسلية لدى الحمام)

وتلك الخَصلةُ يفُوق بها جميع الحيوان ، لأنّ الإنسان الذى هو أكثرُ الخلْق فى قوّة الشهوة ، وفى دوامها فى جميع السَّنة ، وأرغبُ الحيوانِ [فى التصنُّع و] التغزل ، والتشكُّل والتفتُّل[1] أفترُ مايكونُ إذا فرغ ،وَعندَها يركبُه الفُتور ، ويحبُّ فِراقَ الزَّوج ، إلى أن يعودَ إلى نشاطِه ، وترجِعَ إليه قوَّتُه . ٤٩

والحمامُ أنشطَ ما يكون وأفرح ، وأقوى ما يكون وأمرح ، مع الزَّهو والشكل[2] ، واللهْو والجَذل ، أبردَ ما يكون الإنسانُ وأفترَه ، وأقْطَعَ ما يكون وأقْصَره[3] .

هذا ، وفى الإنسان ضروبٌ من القُوى : أحدها فَضْل الشّهْوة ، والأخرى دوام الشهْوة فى جميع الدّهر ، والأخرى قوة التصَنُّع والتكلفِ ، وأنتَ إذا جمعتَ خِصالَه كلها كانت دونَ قوَّةِ الحمام عندَ فَراغِه من حاجته وهذه فضيلةٌ لا يُنْكِرُها أحدٌ ، ومَزِيّة لا يجحَدُها أحد ! !

---

(١) ط ، س : « والتمتع والشكل والتقبيل »، وأثبت ما فى ل .

(٢) الشكل ، بالفتح : الغنج والدلال والغزل .

(٣) العبارة فى ل : « والحمام أنشط مايكون وأمرح وأقوى وأجذل أبرد مايكون الإنسان وأفتر » .

(البغال ونشاطها)

ويقال : إنّ النّاس لم يَجِدُوا مثلَ نشاط الحمام فى وَقت فَتْرَة الإنسان إلاّ ما وجدوه فى البغال ؛ فإنّ البغال تحمِل أثقالها عَشيَّةً ، فتسيرُ بقيَّة يومها وسوادَ[1] ليلتها ، وصدرَ نهارِ غَدِها[2] ، حتَّى إذا حطُّوا عن جميعِ ما كان محمّلا من أصنافِ الدوَابِّ أحمالها[3] ، لم يكنْ لشيءٍ منها همَّةٌ ، ولا لِمَنْ رَكِبَها من النَّاس إلاّ المَرَاغة[4] والماء والعَلف ، وللإنسان الاستلقاءُ ورفعُ الرِّجْلين والغمْز والتأوُّه[5] ؛ إلاّ البغال فإنّها فى وقتِ إعياءِ جميعِ الدواب وشدَّة كلالها ، وشغْلها بأنفسها ممَّا مرَّ عليها ، ليس عليها عملٌ إلاّ أنْ تدلّىَ أيورَها وتشظَّ[6] وتضرِبَ بها بطونَها ؛ وتحُطَّها وترفعها . وفى ذلك الوقت لو رأى المُكارِى امرأةً حسناء لَمَا انتَشَرَ لها ولا هَمَّ بها . ولو كانَ مُنْعِظاً ثم اعتراهُ بعْضُ ذلك الإعياءِ لنَسى الإنعاظ .

وهذه خَصْلَةٌ تخالفُ فيها البغالُ جميعَ الحيوانِ . وتزعم العَمَلة[7] أنَّها تلتمس بذلك الرَّاحَةَ وتتداوى به . فليس العجبُ — إن كان ذلك حَقًّا — إلاّ فى إمكان ذلك لها فى ذلك الوقت ، وذلك لا يكونُ إلاّ عن شهوة وَشبقٍ مُفْرط .

---

(١) ط ، س : « وسائر » .

(٢) ط ، س : « وصدر نهارها من غدها » .

(٣) ل : « حتى إذا حطوا عن جميع أصناف الدواب أثقالها » .

(٤) المراغة : اسم من مرغه فى التراب جعله يتقلب فيه . وانظر كتاب البغال ٣٢٤ .

(٥) الكلام من مبدإ : « وللإنسان » ساقط من ل .

(٦) شظ وأشظ : أنعظ . ط ، س : « تنعظ » .

(٧) العملة ، بالتحريك : العاملون بأيديهم . وفى ل : « العوام » .

(النشاط العجيب لدى الأتراك)

وشِبهٌ آخرُ وشِكلٌ من ذلك، وذلك كالذى يُوجَد عند الأتراك عند بلوغ المنْزِل بعدَ مسير اللَّيلِ كلِّه وبَعْضِ النَّهار ، فإنَّ النَّاسَ فى ذلك الوقْتِ ليس لهم إلاَّ أن يتمددوا ويقيِّدوا[1] دوابّهم . والتركىُّ فى ذلك الوقت إذا عاين ظبْياً أو بعضَ الصّيد ، ابْتَدَأَ الرَّكْضَ بمثلِ نشاطه قبلَ أن يسيرَ ذلك السير، وذلك وقْتَ يَهَمُّ فيه الخارجىَّ والخَصىَّ أنفسُهما[2] ؛ فإنَّهما المذكوران بالصَّبرِ على ظَهْر الدَّابَّة .

(فطام البهائم أولادها)

وليس فى الأرضِ بهيمةٌ تَفطِمُ ولدَها عن اللَّبن دَفْعةً واحدةً ، بل تجِدُ الظَّبيةَ أو البقرةَ أو الأتانَ أو الناقة ، إذا ظنّت أنَّ ولدَها قد أطاق الأكل منَعَتْهُ بعضَ المنْع ، ثمَّ لا تزال تُنزِّل[3] ذلك المنْع وترتِّبه وتدرِّجه، حتَّى إذا علمتْ أنّ به غنًى عنها إنْ هى فطمته فطاماً لا رَجْعَةَ فيه ، منَعَتْه كلَّ المنْع .

---

(١) ل : « ويقودوا »، تحريف مافى ط ، س .

(٢) الخوارج مشهورون بالشدة . وقد ضرب الناس بهم المثل ، قال :

إذا ما البخيل والمحاذر للقرى رأى الضيف مثل الأزرق المجفف

وقال آخر :

وقلب ود حال عن عهده والسيف ينبو بيد الشارى

رسائل الجاحظ ٢٧ ساسى . وانظر لنشاط الترك ص ٣١ منها .

(٣) تنزله : تدرجه . وفى الأصل : « تترك » .

٥٠ والعرب تسمِّى هذا التَّدبيرَ من البهائم التَّعفيرَ[١] ، ولذلك قال لبيد :

لمعفَّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَه غُبْسٌ كواسبُ ما يُمَنُّ طَعامُها[٢]

وعلى مثل هذه السِّيرة والعادةِ يكونُ عملُ الحمامِ فى فراخه .

(من عجائب الحمام)

[ومن عجيب أمر الحمام أنّه يقلب بيضه ، حتى يصير الذى كان منه يَلِى الأرضَ يَلِى بدنَ الحمام من بطنه وباطِنِ جَناحِه ، حتّى يُعطىَ جميعَ البيضةِ نصيبها من الحضن ، ومن مَسِّ الأرضِ ، لعلمه أن خلافَ ذلك العملِ يفسُده] .

وخَصْلَةٌ أخرى محمودةٌ فى الحمام ، وذلك أنّ البغْل المتولِّد بينَ الحمار والرَّمَكة لايبقى له نسل ، والرَّاعِبى[٣] المتولِّد فيما بينَ الحمام والوَرشان ، يكثُر نسله ويطولُ عمرُ ولدِه . والبُخْتُ والفوالج ، إنْ ضرَبَ بعضُها بعضاً خرج الولدُ منقوصَ الخلق لا خير فيه . والحمامُ كيفمَا أدَرْتَه ، وكيفمَا زَاوجْتَ بينَ متّفِقِها ومختلفها ، يكونُ الولد[٤] تامَّ الخلق ، مأمولَ الخير .

---

(١) « التعفير » سبق كلام الجاحظ فيه ٢ : ١٩٨ .

(٢) سبق شرح هذا البيت فى ٢ : ١٩٨ . س : « غبش » وهو تصحيف .

(٣) ط ، س : « والزاغبى »، وهو تحريف . واسمه مشتق من الترعيب ، وهو شدة الصوت ، جاء على لفظ النسب وليس به ، وقيل منسوب إلى أرض تسمى راغب . اللسان والقاموس .

(٤) الزيادة من س ، ل .

فمن نتاج الحمام إذا كان مركّبا مشْتركا [ماهو][1] كالرّاعِبِىّ[2] والوَردانى . وعلى أنّ للورْدانى غرابةَ لونٍ وظَرَافةَ[3] قدٍّ ، وللرَّاعِبِىِّ[4] فضيلةٌ فى عِظَم البدنِ والفِراخِ . وله من[5] الهديلِ والقَرْقَرَةِ ما ليس لأبويه ، حتَّى صار ذلك سبباً للزِّيادةِ فى ثمنه ، وعلَّةً للحِرْص على اتّخاذه .

والغنمُ على قسمين : ضأن ومَعز ، والبقرُ على قسمين : أحدهما الجواميس ، إلاّ ما كان من بقرِ الوحْش . [والظِّلْفُ] إذا اختلَفا لم يكنْ بينهما تسافُدٌ ولا تلاقح ، فهذه فضيلةٌ للحمام فى جهة الإنسال[6] والإلقاح ، واتِّساع الأرحام لأصنافِ القبول . وعلى أنَّ بين سائر أجناس[7] الحمامِ من الوَرَاشِين ، والقمارىّ ، والفواخت ، تسافداً وتلاقُحاً[8] .

(مما أشبه فيه الحمام الناس)

وممَّا أشبَهَ فيه الحمامُ النَّاسَ ، أنّ ساعاتِ الحضْن أكثرُها على الأنثى ، وإنّما يحضُن الذّكَر فى صدْر النهار حَضْناً يسيرا ، والأنثى كالمرأة التى تكفُل

---

(١) زدتها ليلتئم الكلام .

(٢) ط ، س : « كالزاغبى » ، وتصحيحه من ل . وانظر التنبيه الثالث من الصفحة السابقة .

(٣) يقال ظرف ظرفا ، بالفتح وظرافة . والظرافة هنا : حسن الهيئة .

(٤) ط ، س : « للزاغبى » ، وانظر ماسبق .

(٥) ط فقط : « فى » .

(٦) نسل وأنسل : ولد . ط ، س : « الإنسان » ، صوابه فى ل .

(٧) ل : « أصناف » .

(٨) ط ، س : « تسافد وتلاقح » ، والوجه ماأثبت من ل .

الصبىَّ فتفْطِمه وتمرِّضه(١) ، وتتعهّده بالتمهيدِ والتّحريك . حتّى إذا ذهب الحضْنُ وانصرم وقتُه ، وصارَ البيضُ فِراخا كالعِيال فى البيت ، يحتاجون إلى الطّعام والشّراب ، صار أكثرُ ساعات الزّقّ على الذّكر كما كان أكثرُ ساعاتِ الحضْن على الأنثى .

وممّا أشبه فيه الحمام النّاس [ما(٢)] قال مثنّى بنُ زُهير (وهو إمام النّاس فى البصرة(٣) بالحمام وكان جيِّد الفِراسة ، حاذقا بالعلاج ، عارفاً بتدبير الخارجىِّ إذا ظهَرت فيهِ مَخِيلةُ الخير — و [اسم] الخارجىِّ عندهم: المجهول— وعالماً بتدبير العريق المنسوب إذا ظَهَرتْ فيـه علامَاتُ الفَسولةِ وسوء الهِداية(٤) . وقد يمكن أن يَخْلُفَ ابنُ قُرَشيَّين(٥) [وَيَنْدُب(٦) ابن خُوزِىٍّ(٧) من نبطيَّةٍ](٨) . وإنما فضّلنا نِتاجَ العِلْية على نِتاج السِّفلةِ لأنّ نِتاجَ النَّجابة فيهم أكثرُ ، والسّقوط فى أولاد السفلة أعمُّ . فليس بواجبٍ أن يكون السفلةُ(٩) لا تَلِد(١٠) إلاّ السفلةَ(٩) والعِلْية لا تَلِد(١٠) إلاّ العِليةَ . وقد يلدِ المجنــونُ العاقِلَ ، والسخىُّ البخيلَ ، والجميلُ القبيحَ . ٥١

(١) التمريض : حسن القيام على المريض ، وكأن الفطيم فى سبيل المريض . وفى س : « تمرخه » أى تدلكه بالدهن . وربما كانوا يفعلون ذلك بالفطيم .

(٢) زيادة يقتضيها الكلام . (٣) ط ، س : « فى البصرة » ، وصوابه فى ل .

(٤) ماسيأتى من الكلام استطراد من الجاحظ . وقول مثنى بن زهـير سيبدأ فى السطر السادس من الصفحة الآتية .

(٥) ط ، س : « قريشيين » وهما صحيحتان ، يقال قرشى وقريشى . ويخلف ، بضم اللام : يحمق .

(٦) يندب : يكون ندبا ، أى ظريفاً نجيباً . فى ل : « ينتدب » و س : « يندر » ولعل الصواب فيما وجهت به .

(٧) الخــوزى : المنســوب إلى خوزستان . وفى س : « حــروى » ، وهــو تحريف مافى ل .

(٨) الزيادة من س ، ل . (٩) ط ، س : « السفلى » ، بالنسبة إلى « السفلة » .

(١٠) ط ، س : « يلد » .

وقد زعم الأصمعىُّ أنّ رجلاً من العرب قال لصاحب له : إذا تَزَوَّجْتَ امرأةً من العَرَب فَانظُرْ إلى أخوالها ، وأعمامها ، وإخوتها ، فإنها لاتخطئ الشبَهَ بواحدٍ منهم ! وإنْ كان هذا الموصى والحكيم(١) ، جعل ذلك حُكما عامًّا فقد أسرفَ فى القول ، وإن كان ذهبَ إلى التّخويفِ والزَّجْرِ والترهيب ، كى يختارَ لنفْسِه ، [و] لأنّ المتخيَّر أكثرُ نجابَةً(٢) فقد أحسن) .

وقال مثنّى بنُ زهير(٣) : لم أر شيئاً قَطُّ فى رجلٍ وامرأةٍ إلاّ وقد رأيتُ مثلَه فى الذَّكر والأنثى من الحمام : رأيت حمامةً لا تريد إلاّ ذكرَها ، كالمرأة لا تريدُ إلاَّ زوجها وسيِّدها ، ورأيتُ حمامةً لا تَمنَع شيئاً من الذُّكورة ، ورأيتُ امرأةً لا تمنع يَدَ لامسٍ ، ورأيت الحمامةَ لا تزيف إلا بَعْدَ طَرْدٍ شديد وشدة طلبٍ(٤) ، ورأيتُها تزِيفَ لأَوَّلِ ذَكر يُريدُها ساعةَ يقصِدُ إليها ، ورأيتُ من النساء كذلك ، ورأيتُ حمامةً لها زوج وهى تمكن ذكراً آخرَ لا تَعْدُوهُ ، ورأيتُ مثلَ ذلك من النساء ، [و] رأيتَها تزيفُ لغير ذكرِها وذكرُها يراها ، ورأيتها لا تفعل ذلك إلاّ وذكرها يطيرُ أو يحضُنُ ، ورأيت الحمامةَ تقمُطُ الحمام الذكور(٥) ، ورأيت الحمامةَ تقمطُ الحمامة ، ورأيت أنثى كانت لى لا تقمط [إلاّ(٦)] الإناث ، ورأيت أخرى تقمط الإناثَ فقط ، ولا تدَعُ أنثى تقمطها .

---

(١) ل : « والمعلم » .

(٢) ط ، س : « نجاة »، تحريف ماأثبت من ل .

(٣) انظر العقد ٦ : ٢٤٠ تأليف .

(٤) كذا فى ل ، ونهاية الأرب . وفى ط ، س : « وكثرة » .

(٥) ل : « الذكر » .

(٦) الزيادة من س .

[قال] : ورأيت ذَكرًا [يقمُط الذُّكورة وتقمطه ؛ ورأيت ذَكرًا] يقمُطها و [لا] يدعها تقمطه[١] ، ورأيتُ أنثى تزيفُ للذُّكورةِ ولا تدع شيئاً منها يقمطها .

قال : ورأيتُ هذهِ الأصنافَ كلَّها فى السَّحَّاقات من المذكَّرات والمؤنثات ، وفى الرِّجال الحَلَقيِّين[٢] واللُّوطيِّين[٣] . وفى الرجَال من لايريد النساء ، وفى النساء من لايريد الرجال[٤] .

قال : وامتنعتْ علىَّ خَصلةٌ ، فوالله لقد رأيتُ من النساء من تزْنى أبداً وتساحق أبداً ولا تتزوج أبدا ، [ومن الرجال مَن يلوطُ أبداً ، ويزنى أبداً ولا يتزوَّج[٥]] ، ورأيتُ حماماً ذكراً يقمط مالقى ولا يزاوج . ورأيتُ حمامَة تمكِّن كلَّ حمامٍ أرادَها مِنْ ذكرٍ وأنثى ، وتقمُطُ الذكورَة والإناثَ ، ولا تزاوِج . ورأيتها تزَاوج ولا تَبيض ، وتَبيضُ فيفسُدُ بيضُها ؛ كالمرأة تتزَوَّج وهى عاقر ، وكالمرأةِ تلد وتكون خرقاء ورْهاء . ويعرض لها الغلطة[٦] والعقوق للأَولاد ، كما يعترى ذلك العُقاب .

وأمَّا أنَا فقد رأيتُ الجفاء للأَولاد شائعاً فى اللَّواتى حَملن من الحرام . ولربَّما ولدت من زَوجها ، فيكون عطفها وتحنُّنها كتحنن[٧] العفيفاتِ

---

(١) زيادة : « لا » من س ، ل . وفى ط : « ويدعها حتى تقمطه » ، وهو تحريف .

(٢) الحلقى : الذى فسد عضوه فانعكس ميل شهوته ، وهو من ألفاظ المولدين . شفاء الغليل ٧٠ .

(٣) ط ، س : « اللواطين » .

(٤) ل : « من لايريد إلا » فى الموضعين .

(٥) ط ، س : « من تزنى أبدا ولاتتزوج وتساحق أبدا ولا تتزوج أبدا » . وإصلاح العبارة وإكمالها من ل ، ونهاية الأرب .

(٦) كذا على الصواب فى ل وفى ط ، س : « الغلطة »

(٧) ل : « وتحنيها كتحنى » . والتحنن والتحنى بمعنى ، وهو العطف .

السَّتِيرات ، فما هو(١) إلَّا أن تزنىَ أو تَقْحُب فكأنَّ اللهَ لم يضرِب بينها وبين ذلك الولدِ [بـ]شبكة رَحِمٍ ، [و] كأنّها لم تَلِدْهُ . ٥٢

قال مثنَّى بنُ زهير : ورأيتُ ذكراً له أنثيان وقد باضَتَا منه ، وهو يحضُن مع هذه ومع تلك ، ويزُقُّ مع هذه ومع تلك ، ورأيتُ أنثَى تبيض بيضة ، ورأيت أنثى تبيض فى أكثر حالاتها ثلاثَ بيضات .

وزعم أنّه إنّما جزَم بذلك فيها ولم يظنه بالذّكر ، لأنّها قد كانت قبل ذلك عند ذكَرٍ آخر ، وكانت تبيض كذلك .

ورأيتُ أنَا حمامةً فى المنزِل لم يعرِض لها ذَكَرٌ إلَّا اشتدَّت نحوهُ بحِدَّةٍ ونزَقٍ(٢) وتسرُّعٍ ، حتّى تنقر أينَ صادفتْهُ ، حتى يصدَّ عنها(٣) كالهارب منها . وكان زوجها جميلا فى العَين رائعاً ، وكان لها فى المنزل بنون وبنو بنين [وبنات(٤)] وبنات بنات ، وكان فى العَينِ كأنّه أشبُّ من جميعهنَّ(٥) ؛ وقد بَلَغ من حُظوتِه أنى قلَّما رأيتُه أرادَ واحدةً من عُرْض تلك الإناثِ(٦) فامتنعتْ عليه ، وقد كُن يمتنعن من غيره . فبينا أنَا ذاتَ يومٍ جالسٌ بحيث أراهنّ إذ رأيتُ تلك الأُنثى قد زافتْ لبعض بنيها ! فقلت لخادمى(٧) :

---

(١) ل : « هى » ، وهما صحيحان فى العربية ، أى فما الشأن أو فما القصة .
(٢) النزق : الطيش والتسرع . فى ط ، ل : « تزق » محرفة. س : « تزف » أى تسرع إسراعا . ولا ينسجم بها الكلام .
(٣) ل : « ينقر » محرف. ط ، س : « صادفته » وأثبت ما فى ل . وفى ل : « حتى يصدن » محرفة .
(٤) الزيادة من ل ، س .
(٥) ط ، س : « جميع بنيه » .
(٦) ط ، س : « تلك الحمام الإناث » .
(٧) ل : « لخادم لى » .

ما الذى غيَّرها عن ذلك الخلق الكريم ؟ فقال : إنى رَحَّلت زوجها من القاطُول[١] فذهب ، ولهذا شهر[٢] . فقلت : هذا عذر !

قال مثنَّى بنُ زهير : وقد رأيت الحمامة تزاوِج هذا الحمام ، ثم تتحول منه إلى آخر ، وَرأيت ذكراً فَعَلَ[٣] مثل ذلك فى الإناث . ورأيتَ الذَّكَرَ كثيرَ النَسل قويًّا على القمْط ، ثمَّ يُصفِى كما يُصْفى الرَّجلُ إذا أكثر من النَّسْل والجماع[٤] .

ثمَّ عدّد مُثَنًّى أبوابا غيرَ ماحفِظت ممَّا يُصَابُ مثلُه فى الناس .

(خبرة مثنَّى بن زهير بالحمام)

وزعموا أنّ مثنًّى كان ينظر إلى العاتِق والمخلِف[٥] ، فَيظن أنّه يجىء من الغاية [فلا يكاد ظنُّه يخطىء] . وكان إذا أظهَرَ ابتيَاع حمَامٍ أغلوْه عليه ،

---

(١) القاطول : نهر كان فى موضع سامرا قبل أن تعمر ، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر . معجم البلدان . وفى ل : « خليت » مكان « رحلت »،وبكل منهما يصح المعنى .

(٢) ل : « وهذا منذ شهر » .

(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « يفعل » .

(٤) أصفى الرجل : نفد ماء صلبه . ل : « إذا أكثر من الجماع » .

(٥) العاتق : فوق الناهض ، وذلك فى أول مايتحسر ريشه ونبت له ريش جلدى ، أى شديد ، والجمع عتق . المخصص ٨ : ١٢٨ . وفى ط ، ل : « القائق » وفى س : « العايق » ، وصوابه ما أثبت . وانظر صفحة ٢٢٤ س ٧ . والمخلف : المراد به المسن . وأصله فى الإبل مافوق البازل : الذى فى التاسعة .

وقالوا: لم يطلُبْه إلَّا وقد رأى فيه علامةَ المجىء من الغاية ، وكان يدسُّ فى ذلك ففطِنوا له وتحفَّظوا منه، فربَّما اشترى نصفَه وثلثه، فلا يقصِّر عند الزِّجال[1] من الغَاية .

وكان له خَصىٌّ يقال [له[2]] خديج، يجرى مجراه ، فكانا إذا تناظرا فى شأنِ طائرٍ لم تُخلِف فراستُهما .

(المدة التى يبيض فيها الحمام والدجاج)

قال : والحمام تبيض عشرةَ أشهرٍ من السَّنة ، فإذا صانوه وحفِظوه ، وأقاموا له الكفاية وأحسنُوا تعهُّدَه ، باضَ فى جميع السَّنة .

قالوا : والدَّجاجة تبيض فى كلِّ السَّنة خلا شهرين .

(ضروب من الدجاج)

ومن الدَّجاج ما هو عظيمُ الجثَّة ، يبيض بيضاً كبيراً ، وما أقل ما يحضُن ، ومن الدجاج ما يبيض ستِّين بيضة . وأكثرُ الدجاج العظيم الجثَّة يبيضُ أكثرَ من الصغير الجثَّة[3] .

---

(١) الزجـال : إرسال الحمام كما سبق فى ص ١٤٧ . ط : « الرجل » : ل : « الرجال »، وصوابه مما سبق ومن صفحة ٢٢٣ .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) ط ، س : « يبيض بيضاً كبيراً » .

قال : أما الدَّجاج التى نسبت إلى أبى ريانوس[1] الملك ، فهو طويلُ البدَن ويبيض فى كلِّ يوم ، وهى صعبة الخلق وتقتل فراريجها .

٥٣ ومن الدَّجَاج الذى يربَّى فى المنازل ما يبيض مرَّتين فى اليوم ، ومن الدجَاج ما إذا باض كثيراً مات سريعاً ، لذلك العَرض[2] .

(عدد مرات البيض عند الطيور)

قال : والُخطَّاف تبيض مَرَّتين[3] فى السَّنة ، وتبنى بيتَها فى أوثق مكانٍ وأعلاه .

فأمَّا الحمام والفَواخت، والأطْرُ غُلَّات[4] والحمام البرىُّ ، فإنَّها تبيض مرَّتين فى السنة . والحمامُ الأهلىُّ يبيض عشْرَ مرات . وأما القَبَج والدُّرَّاج فهما يبيضان بين العُشب ، ولا سيما فيما طال شيئاً والتوى .

(خروج البيضة)

وإذا باضَ الطَّيرُ بيضاً لم تخرُج البيضة[5] من حدِّ التحْدِيد والتَّلطيف ، بل يكون الذى يبدأُ بالخروج الجانب الأعظم ، وكان الظنُّ يسرعُ إلى أنَّ الرأسَ المحدَّد هو الذى يخرج أوّلا .

---

(١) كذا فى ط ، س . وفى ل : « ارذيانوس » . وانظر الاستدراكات بآخر هذا الجزء .

(٢) أى مايعرض لها من كثرة البيض . ط : « الفرض » ل ، س : « الغرض » ، وهما تحريف ماأثبت .

(٣) كذا فى ط . وفى ل : « مرة » .

(٤) ل : « والأطرغلة » ، والوجه ماأثبت من ط ، س .

(٥) س : « لم يخرج بيضه » .

[قال] : وما كان من البيض مُستطيلا محدَّد الأطراف فهو للإناث ، وما كان مستديراً عريضَ الأطراف فهو للذُّكور .

قال : والبيضةُ عندَ خروجِها ليِّنَةَ القِشْر ، غير جاسية[1] ولا يابسة ولا جامدة .

(بيض الريح والتراب)

قال : والبيض[2] الذى يتولد من الريح والتُّراب أصغرُ وألطَف ، وهو[3] فى الطِّيب دُونَ الآخر[4] . ويكونُ بيضُ الرِّيح من الدجاج والقبج[5] ، والحمام ، والطاوس ، والإوزّ .

(أثر حضن الطائر)

قال : وحَضْن الطائر وجثومه على البَيض صلَاح لبَدَن الطائر ، كما يكون صلاحا لبدَن البيض . و [لا[6]] كذلك الحضْنُ على الفراخ والفراريج[7] فربما[8] هلك الطائرُ عن ذلك السبب .

---

(١) الجاسية : الصلبة . وفى ط : « قاسية » ، وهى صحيحة أيضاً .

(٢) فى الأصل : « والبعض » .

(٣) ط ، س : « وهى » ، والوجه ما أثبت من ل ونهاية الأرب ١٠ : ١٨٠ .

(٤) كذا فى ل ، وهو الموافق لما فى نهاية الأرب ، والدميرى حيث يقول : « وأغذى البيض وألطفه ذوات الصفرة ، وأقله غذاء ما كان من دجاج لاديك لها » ، يعنى بذلك البيض الترابي . وانظر عجائب المخلوقات فى الكلام على الدجاج . فى ط ، س : « أطيب من الآخر » ، وهو خطأ .

(٥) القبج : بالتحريك : الحجل ، وهو طائر على قدر الحمام أحمر المنقار والرجلين .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) جمع فروج ، وهو فرخ الدجاج خاصة . وفى ط : « الذراريح » ، وفى س : « الدراريج » ، وكلاهما تحريف .

(٨) ط ، س : « والأوز وربما » ، ل : « وإلا فربما » ، وقد جعلت العبارة كما ترى .

(تكوّن بيض الريح)

وزعم ناسٌ أن بيضَ الرِّيح إنما تكوَّن[١] منْ سفادٍ متقدِّم . وذلك خطأٌ من وجهين : أمَّا أحدُهُما فأَن ذلك قد عُرف[٢] من فَرَاريجَ لم يَرَيْنَ ديكاً قَط . والوجه الآخر : أن بيضَ الريح لم يكن منه فرُّوج[٣] قطّ إلاّ أن يسفَدَ الدجَاجةَ ديكٌ ، بعد أن يمضىَ[٤] أيضاً خَلْقُ البيض .

(معارف شتى فى البيض)

قال : وبيض الصّيفِ المحضون أسرعُ خروجاً منه فى الشتاء ، ولذلك تحضَن الدجاجة البيضةَ فى الصّيف خمس عشرة ليلة[٥] .

قال : وربَّما عَرَضَ غيمٌ فى الهواء أو رَعْدٌ ، فى وقتِ حضْن الطائر ، فيفسُدُ البيض . وعلى كل حالٍ ففسادُه فى الصيف أكثرُ ، والموتُ فيها فى ذلك الزمان أعمّ . وأكثرُ مايكون فَسادُ البيض فى الجَنائب[٦] ، ولذلك كانَ

---

(١) س : « يكون » .

(٢) ط : « عرض » وهى صحيحة ، وأثبت مافى س ، ل ونهاية الأرب ١٠ : ١٨٠ .

(٣) س : « منه » . ل : « فرخ » ، نهاية الأرب : « فروخ » : جمع فرخ ، كما فى القاموس .

(٤) ل : « يتم » .

(٥) س : « ثمان عشرة ليلة » .

(٦) جمع جنوب بالفتح ، وهى الريح الجنوبية .

ابن الجهم[١] لايطلبُ من نسائِه الوَلد إلاّ والرِّيح شمال . [وهذا عندى تعرُّضٌ للبلاء ، وتحكُّك بالشرّ ، واستدعاء للعقوبة] .

وقال : وبعضهم[٢] يسمِّى بيضَ الرِّيح : البيضَ الجُنُوبىَّ ؛ لأنَّ أصنافَ الطَّيرِ تقْبَلُ الرِّيح فى أجوافها .

وربَّما أفرخ[٣] بيضُ الرِّيح بسفادٍ كان ، [و] لكنَّ لونَه يكونُ متغيِّرا . وإن سفِد الأنثى طائرٌ من غير جنسها[٤] ، غيَّر خلق [ذلك] المخلوقِ الذى كان من الذَّكَر المتقدِّم . وهو[٥] فى الديَكةِ أعمّ .

ويقولون : إنّ البَيض يكون من أربعةِ أشياء : فمِنه مَايكونُ من التُّراب ، و [منه مايكونُ] من السفاد ، ومنه ما يكون من النّسيم إذا وصلَ إلى أرحامهن وفى بعض الزَّمَان[٦] ، ومِنْهُ شيءٌ يعترى الحَجَل ومَا شاكله فى الطَّبيعة ؛ فإنّ الأنثى ربَّما كانَتْ على سُفَالةِ الريح التى تهبُّ من شِقّ[٧] الذكَر فى بعض الزمَان فتحتشى من ذلك بَيضاً . ولم أرهم يشكُون أن النَّخلة المُطْلِعَةَ[٨] تكونُ بقربِ الفُحَّال[٩] وتحت ريحه ، فتَلقح بتلك الريح وتكتفى بذلك.

٥٤

---

(١) هو محمد بن الجهم البرمكى ، أسلفنا ترجمته فى ٢ : ٢٢٦ .

(٢) ط ، س : « وقال بعضهم » .

(٣) ط : « افترخ » ، وهو تحريف .

(٤) ل : « شكلها » .

(٥) س : « وهى » .

(٦) ل : « ومنه مايكون من نسيم ريح إذا وصل إلى أرحامها فى بعض الزمان » .

(٧) ط ، س : « جهة » وهما بمعنى .

(٨) المطعمة : التى أدركت أن تثمر . يقال : أطعمت الشجرة . وانظر الحيوان ٢ : ٢٣٨ و ٥ : ٢٠٩ والعقد ٦ : ٢٤٠ تأليف .

(٩) الفحال : ذكر النخل .

قال : وبيضُ أبكارِ الطّير أصغر ، وكذلك أولادُ النساء ، إلى أنْ تتسع الأرحَام وتنتفخ الجنوب[١] .

(هديل الحمام)

ويكون هديلُ الحمام [الفتىِّ] ضئيلًا ، فإذا زقَّ مِرَارًا فَتَحَ الزَّقُّ جلْدَة غَبَبه[٢] وحوصلتِه ، فخرَجَ الصَّوتُ أغلَظَ وأجهَرَ .

(حياة البكر)

وهم لايثِقون بحياةِ البكر[٣] من النَّاسِ[٤] كما يثِقون بحياةِ الثانى[٥] ويرون أنّ طبِيعَة الشباب والابتداء لايعطيانه[٦] شيئاً إلاّ أخذَه تضايقُ مكانِه مِن الرَّحم ، ويحبُّون أن تبكِّر بجارية ! وأظُنُّ أن ذلك إنما هو لشدَّةِ خوفِهم على الذكر . وفى الجملة لايتيمَّنُون بالبكر الذكر[٧] . فإن كان البكرُ ابنَ بكرٍ تشاءمُوا[٨] به ، فإن كان البكْرُ ابنَ بِكرَيْنِ فهو فى الشؤمِ

---

(١) كذا فى ل. وفى ط ، س : « إلا أن تتسع الأرحام وتنفتح الجوانب ».

(٢) الغبب : ماتحت الحنك . وفى ط ، س : « عينه »، وهو تحريف عجيب .

(٣) كذا فى ل ، س. وفى ط : « بحيات ولد البكر »، تحريف .

(٤) ماعدا س : « النساء » .

(٥) ط : « بحيات »، س : « أنثى »، تحريفان .

(٦) أى يعطيان البكر . ط ، ل : « يعطيان » .

(٧) يتيمنون : من التيمن : ضد التشاؤم . ط ، س : « لايتمنون للبكر »، وهو على الوجه فى ل . وانظر الحيوان ٥ : ٣٣١ .

(٨) فى الأصل : « تشأم »، وإنما تقال هذه لمن انتسب إلى بلاد الشأم .

مثلُ قيسِ بنِ زهير، والبَسوس[١]، فإن قيساً كان أزْرَق[٢] وبكراً ابن بكرين. ولا أحفظُ شأن البَسوس حفظاً أجزِمُ عليه .

(ما يعترى الحمام والإوز بعد السفاد)

قال : وأمّا الحمام فإنّه إذا قمط تَنَفَّشَ[٣] وتكبَّر ونَفَضَ ذنبهُ[٤] وضَرَبَ بجناحِه ، وأمّا الإوَزّ فإنّه إذا سفِد أكثر من السباحَة ، واعتراه فى المَاء من المَرَح مثلُ ما يعترى الحمام فى الهواءِ .

---

(١) هى البسوس بنت منقذ التميمية ، قالوا : استجار بها جار لها من جرم ومعه ناقة له ، فرماها كليب بن وائل لما رآها فى حماه ، فلجأ الجرمى إلى البسوس ، فهيجت أهلها للحرب ، فهاجوا واستمرت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة . وسميت بحرب البسوس – ثمار القلوب ٢٤٥ والعقد ٣ : ٣٤٧ وكامل ابن الأثير ١ : ٣١٣ وأمثال الميدانى ٢ : ٣٥٩ والأغانى ٤ : ١٣٩ .

(٢) ليس المراد زرقة الجلد ، وإنما المراد زرقة العين ، يقال رجل أزرق وامرأة زرقاء ، ويراد بذلك خضرة الحدقة . المخصص ١ : ١٠٠ . والعرب يكرهون ذلك ويتهاجون به . قال :

لقد زرقت عيناك ياابن مكعبر كذا كل ضبى من اللؤم أزرق

وجاء فى القرآن : « ونحشر المجرمين يومئذ زرقا » ، أى زرق العيون . وكان شؤم قيس بن زهير فى إثارة حرب داحس والغبراء ، وكان هو صاحب داحس : فحل من الخيل ، وكان صاحب الغبراء حمل بن بدر ، وتراهنا على السباق ، وحدث خلاف بينهما فى مستحق الرهان ، أدى إلى حروب دامت أربعين سنة . العقد ٣ : ٣١٣. وانظر كامل ابن الأثير١ : ٣٤٣ والأغانى ٧ : ١٤٣ ، ١٦ : ٢٣ وأمثال الميدانى ٢ : ٥١ .

(٣) تنفش: نفض ريشه .

(٤) س : « ثوبه » .

قال : وبيضُ الدجَاج يتمُّ خلقه فى عشْرة أيام وأكثرَ شيئاً[١] ، وأمّا بيض الحمام ففى أقلَّ من ذلك .

(احتباس بيض الحمامة)

والحمامة ربَّما احتبَسَ البيضُ فى جوفها بَعْدَ الوقتِ[٢] لأمورٍ تَعْرِضُ لها : إمّا لأمرٍ عَرضَ لعُشِّها [وأفحوصها]، وإمّا لنتْفِ [ريشها[٣]] ، وإمّا لعلّةِ وجعٍ من أوجاعها[٤] وإمّا لصوتِ رعد ؛ فإنَّ الرَّعدَ إذا اشتدَّ لم يَبقَ طائرٌ على الأرضِ واقع[٥] إلاّ عَدَا فزعا ، وإن كان يطيرُ رَمى بنفسه إلى الأرض[٦] . قال علقمة بن عَبَدَة :

رغَا فوقَهُمْ سَقْبُ السَّماء فَدَاحضٌ ... بشِكَّتِه لم يُستَلَبْ وسليبُ[٧]

كأنّهمُ صابتْ عليهمْ سَحابةٌ ... صَواعقُها لطيرهِنَّ دَبيبُ[٨]

---

(١) الواو هنا بمعنى أو ، كما جاء فى قوله :

* كما الناس مجروم عليه وجـارم *

(٢) أى بعد الوقت المقدر لنزوله .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) ل : « وإما لوجع من أوجاعها » .

(٥) ل : « واقعاً » ، فهو نصب على الحال من النكرة الموصوفة . والرفع جائز على الوصف أيضاً .

(٦) ط ، س: « وإن كان يطير إلا رمى » ، ل : « وإن يطير رمى » ، وجعلت الكلام كما ترى .

(٧) سقب السماء ، هو ولد ناقة صالح ، قالوا : لما عقرت أمه رغا ، فنزل العذاب بقوم صالح : فجعل العرب ذلك مثلا فى الاستئصال . انظر ثمار القلوب ٢٨٢ . وفى اللسان : « دحض برجله ودحص : فحص برجله » . وروى القالى البيت فى أماليه ٢ : ١٣٣ بالصاد المهملة . وقال : « وكان بعض العلماء يرويه : (فداحض) . وهذا البيت أحد مانسب فيه إلى التحريف » . ولعله يعنى الجاحظ . والشكة : السلاح .

(٨) طير الصواعق : طيرانها ، أى سرعتها . وفى س : « للطير هن دبيب » ، أى إن تلك الصواعق التى تنزل بهم تجلب الموت فتتحرك الطير لتأكل من القتلى . أى إن الصواعق سبب لدبيب الطير .

(تقبيل الحمام)

قال : وليس التَّقبيلُ إلَّا للحمَام والإنسان ، ولا يدَعُ ذلك ذكرُ الحمامِ إلَّا بعد الهَرَم . وكان فى أكثَرِ الظَّنِّ أنَّه أحوجُ مايكون [إلى] ذلك التَّهييجِ به عند الكِبَرِ والضَّعف .

وتزعمُ العوامُّ أنَّ تسافُدَ الغِرْبان هو تطاعُمُها بالمناقير ، وأنّ إلقاحَها إنّما يكونُ من ذلك الوجه . ولم أرَ العلماءَ يعرِفون هذا .

٥٥ قال : وإناثُ الحمام إذا تسافَدَت أيضاً قَبَّلَ بَعْضُهُنَّ بعضاً ، ويقال إنّها تبيضُ عن ذلك ، ولكنْ لايكونَ عن ذلك البيضِ فِراخ ، وإنَّه فى سبيل بيض الريح[1] .

(تكوُّن الفرخ فى البيضة)

قال : ويَستَبِينُ خَلْقُ الفِراخ إذا مضت لها ثلاثةُ أيَّامٍ بلياليها ، وذلك فى شَبَاب الدَّجاج ، وأمَّا فى المَسَانِّ منها فهو أكثر . وفى ذلك الوقت تُوجد الصُّفرةُ من النَّاحيةِ العُليا[2] من البَيضة ، عند الطَّرَف المحدَّد [و] حيث يكونَ أوّلُ نَقْرِها ، فثَمَّ[3] يستبين فى بَياضِ البَيضة مِثلُ نقطة من دَم ، وهى تختلجُ وتتحرَّك : والفرخَ إنَّما يُخلق من البَياض ، ويَغْتَذِى

(١) سماه فى ٢ : ٢٤١ « البيض الترابى » .

(٢) ط : « العلياء » .

(٣) ل فقط : « فالفلب » ، وأراه تحريفاً .

الصُّفرةَ ، ويتمُّ خَلْقُه لعشرةِ أيَّام . والرَّأسُ وحْدَهُ يكونُ أكبرَ من سائر البدن .

(البيض العجيب)

قال : ومن الدَّجاج ما يبيض بيضاً له صُفْرتَان فى بعضِ الأحايين ، خبَّرنى بذلك كم شِئتَ[1] ، من ثِقاتِ أصحابِنا .

وقال صاحب المنطق : وقد باضت فيما مضى دَجاجةٌ ثمانىَ عشْرَةَ بيضةً ، لكلِّ بيضةٍ مُحّتانِ[2] ، ثمَّ سخِّنت وحُضنت ، فخرَج من كلِّ بيضة فَرُّوجان ، ما خلا البيضَ الذى كان فاسداً فى الأصل . وقد يخرج من البَيضة فَرُّوجان[3] ، ويكون أحدُهما أعظمَ جثَّةً ، وكذلك الحمام . وما أقلَّ مايغادِرُ الحمامُ أن يكون أحدُ الفرْخَيْنِ[4] ذكَراً ، والآخرُ أنثى .

(معارف فى البيض)

قال : وربَّما باضتْ الحمامةُ وأشباهها من الفَواخِتِ ثَلَاثَ بيضات ، فأمَّا الأُطرُغلَّات والفَواخت[5] فإنها تبيض بيضَتينِ ، وربَّما باضتْ ثَلَاثَ

(١) كذا فى ل ، س . وانظر ٣ : ٢٣١ و ٤ : ٤٦ و ٥ : ٣٧٤ وكتاب البغال ٢٦٤ . وفى ط : « شبيث » ، تحريف .

(٢) المحة والمح : صفرة البيض . جاء فى س : « محان » ، وهما صحيحان .

(٣) ل : « فرخان » ، والأفضل ما أثبت من ط ، س .

(٤) فى الأصل : « الفروجين » ،وإنما يكون الفروج للدجاج خاصة .

(٥) ط ، س : « فالفواخت » ، ووجهه ماأثبت من ل .

بيضــات ، ولــكنْ لا يَخرُجُ منها أكثَرُ مِن فرخَين ، وربّمــا كان واحدًا فقط .

قال : وبعضَ الطير لا يبيض إلاَّ بعدَ مُرُورِ الحَوْلِ عليه كَمَلاً(١) ، والحمامةُ فى أكثرِ أمْرها يكونُ أحدُ فَرخَيها ذكراً والآخرُ أنثى ، وهى تبيضُ أوّلاً البيضةَ التى فيها الذّكر ، ثمَّ تُقيم يوماً وليــلةً ، ثمَّ تبيض الأخرى ، وتحضُنُ مَابينَ السَّبْعَةَ عشَرَ يوماً إلى العشرين ، على قدْر اختِلاَفِ طِباع الزَّمَان ، والذى يعرِضُ لها من العلل . والحمامةُ أبرُّ بالبَيض ، والحمامُ أبرُّ بالفِراخ .

[قال] : و [أمّا] جميعُ أجناسِ الطيرِ ممَّا يأكلُ اللَّحْمَ ، فلم يظْهرْ لنا أنَّه يبيضُ ويُفرِخ أكثَرَ من مَرّة واحدة ، مَاخلاَ الخُطَّافَ فإنَّه يبيضُ مرّتين .

(تربية الطيور فراخها)

والعُقابُ تبيضُ(٢) ثلاثَ بيضات ، فيَخْرُج لهــا فَرْخان . واختلفوا فقال بعضهم : لأنها لاتحضُن إلاَّ بَيضَتين ، وقال آخرون : قد تحضُن وَيخرج

(١) كملا : أى كاملا . وبالأخيرة جاءت الرواية فى ط ، س .

(٢) فى الأصل : « يبيض » . والعقاب يطلق على الذكر والأنثى ، ولكنه أراد الأنثى هنا .

لها ثلاثةُ أفراخ ، ولكنَّها ترمى بواحدٍ[١] استثقالاً للتكسُّب على ثلاثة .
وقال آخرون : ليس ذلك إلاَّ بما[٢] يعتريها من الضَّعفِ عن الصَّيد ، كما يعترى النُّفَساء من الوهْن والضَّعف ، وقال آخرون : العُقاب طائر سيِّئُ الخلق ، ردىءُ التَّربية ، وليس يُستعانُ[٣] على تربية الأولادِ إلاَّ بالصَّبْر .

٥٦ وقال آخرون : [لا ، و] لكنّها شديدةُ النَّهَم والشَّرَهِ ، وإذا لم تكنْ أمُّ الفِراخِ ذاتَ أثَرَةٍ لها ، ضاعت .

وكذلك قالوا فى العَقْعق ، عند إضاعتها لفراخها ، حتَّى قالوا : « أحمقُ من عَقْعَق » ، كما قالوا : « أحذَر من عَقْعَق » .

وقالوا : وأمَّا الفَرخ الذى يُخرجه العُقاب ، فإنَّ المكلَّفَةَ ، وهى طائرٌ يقال لها كاسِر العِظام[٤] ، تقبلُه[٥] وتربِّيه .

والعُقاب تَحضُن[٦] ثلاثين يوماً ، وكذلك كلُّ طائرٍ عظيمِ الجثَّة ، مثل الإوزّ وأشباهِ ذلك ، فأمَّا الوسطُ فهو يحضُن عِشرين يوماً . مثل الحِدَأ[٧] ومثل أصناف البُزاةِ[٨] كالبواشِق واليآيىء[٩] .

(١) ط ، س : « بواحدة » .
(٢) بما : بمعنى لما . وفى ل : « ليس ذلك لما » ، وهو كلام ناقص .
(٣) ل : « يقوى شىء » .
(٤) ل : « يقال لها قينا » .
(٥) تقبله : تكفله . والقبيل : الكفيل .
(٦) فى الأصل : « يحضن » . والعقاب هنا مؤنثة .
(٧) هو جمع حدأة . وفى ط ، ل : « الحدأة » .
(٨) ط : « البزات » ، وصوابه فى س ، ل . وهو جمع باز .
(٩) اليآيىء : جمع يؤيؤ ، وهو طير جارح يشبه الباشق . قال أبو نواس فى طردية :

حفظ المهيمن يؤيئى ورعاه ما فى اليآيىء يؤيؤ شرواه

أى شبيهه . ط : « اليائى » . س : « الياى » ، وهما تحريف ما أثبت وهذه الكلمة والتى قبلها ساقطتان من ل .

والحدأة(١) تبيضُ بيضَتين . وربّما باضتْ ثَلاثَ بيضات وخرَج منهن ثَلاثَةُ فِراخ .

قالوا : وأما العقبانُ السُّودُ الألوان ، فإنَّها ترْبِي وتحضُن(٢) .

وجميعُ الطير المعقَّف المخالبِ تطردُ فراخها من أعشاشها(٣) عندَ قوَّتها على الطَّيرَان . وكذلك سائرُ الأصنافِ منَ الطَّيرِ(٤) ؛ فإنَّها تطرُد الفِراخ [ثمَّ] لا تعرفُها ، ما عدا الغداف(٥) ؛ فإنها لا تزالُ لولدها قابلة ، ولحالِه متفقّدة .

(أجناس العقبان)

وقال قوم(٦) : إنَّ العِقبانَ والبُزاة التَّامَّـة ، والجهارْرَانك(٧) ، والسُّمنان(٨) .

---

(١) س : « والحداة » ، وهو تحريف .

(٢) ل : « تبيض وتحضن » .

(٣) ط ، س : « أعشتها » ، ولم أر هذا الجمع ووجدتهم يجمعون العش على عشاش ، وعششة وأعشاش . انظر المصباح .

(٤) ل : « سائر أصناف الطير » .

(٥) كذا .

(٦) ل : « وزعم غيره » .

(٧) المراد بالبزاة أو العقبان التامة : التامة الأوصاف ، وهو من تعبير البزدرة ، كتب بذلك إلينا حضرة العلامة الكبير الأب أنستاس ، كما كتب أيضاً : « الجهار رنك » أو « الجهارنك » هى مركبة من « جهار » أى أربعة ، و « رنك » أو « رانك » أى لون ، فيكون معنى الكلمة المركبة الفارسية : ذا الألوان الأربعة . وسبب تسمية هذه العقبان ، أو البزاة ذات أربعة ألوان هو وجود الأبيض والأصيفر والأسود والأربد فيها . واللونان الأولان بالتصغير ، أى الضارب إلى الأبيض والضارب إلى الأصفر ؛ لأن هذين اللونين ليسا محضين فى ريش تلك الطير . وقلت : هذه الكلمة هى فى الأصل محرفة ففى ط ، س : « الجهادانك » وفى ل : « الجهاردانك » . وقد اتضح الصواب مما تفضل به حضرة الأب .

(٨) كذا فى ط ، س . وفى ل : « النيميات » . وقد تفضل حضرة المحقق الكبير =

والزّمامِج (١) والزّرارقَة (٢) إنها كلّها عِقْبان . وأمّا الشّواهينُ والصُّقورةَ ، واليَوايئ (٣) ، فإنها أجناسٌ أُخر .

(حضن الطير)

[قال : وقالوا : فراخ البزاة سمينةٌ طَيِّبَةٌ جدًّا] . وأما الإوزة فإنها [التى] تحضُن دونَ الذكَر (٤) ،وأمّا الغِربانُ فعلى الإِنَاثِ الحضن ، والذكورة تأتى الإِنَاثَ بالطُّعمة (٥) .

وأمّا الحجَل فإنَّ الزّوج مِنهاَ (٦) يهيّئان للبَيض عُشّين وثيقين (٧)

= الأب أنستاس ، فكتب إلى : « والسهان من البزاة والجوارح : كل ماطعن منها فى السن ، وهى جمع سمين . والعوام من العراقيين يسمونها : سمنان – كرغفان – فهى إذا طعنت فى السن ضخم جسمها وقعدت عن الصيد » . « والنيميات منسوبة إلى نيم ، بالكسر ، الفارسية ، بمعنى نصف . ويشار به إلى تلك البزاة ، أو العقبان الصغيرة الجسم ، وهى تكون فى أغلب الأحيان أشد صيداً وجراءة من نظائرها الكبيرة الجسم أو الجثة . ويؤتى بها من البلاد الباردة ، أو من الأرجاء الجبلية » . وعقب حضرته على ذلك بقوله : « وكل ذلك مذكور فى كتب البزدرة التى سرقت منى . وكان عندى منها ثلاث نسخ مملوءة أو مشحونة اصطلاحات » .

(١) الزمامج : جمع زمج ، بضم الزاى وتشديد الميم المفتوحة .

(٢) الزرارقة : جمع زرق بضم الزاى وتشديد الراء المفتوحة ، والمعروف زراريق . وفى الأصل : « الزراقة » ، وهو تحريف .

(٣) كذا على الصواب فى ل . وهو جمع يؤيؤ . ط ، س : « والبوازى » .

(٤) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط : « وأما الأوز فإنها تحضن دون الذكورة » ومثله فى س بزيادة « التى » بعد « فإنها » .

(٥) فى اللسان : « الطعمة ، بالضم : شبه الرزق » . وفى ل : « بالطعم » ، ومثله فى عيون الأخبار (٢ : ٩٤) وهو بالضم : الطعام .

(٦) ل ، ط : « منهما » ، وصوابه فى س .

(٧) الوثيق : المحكم . وبدلها فى ط : « بيضتين » وفى س : « بيضين » وهو تحريف عجيب .

مقسومَين[١] عليهما ، فيحضُن أحدُهُما الذَّكرَ ، والآخرَ الأنثى[٢] ، وكذلك هُمَا فى التَّربية . وكلٌّ واحدٍ منهما يعيشُ خمساً وعِشرين سنة ، ولا تَلْقَحُ الأنثى بالبيض[٣] ولا يُلقِحُ الذكرُ إلاَّ بعدَ ثلاثِ سنين .

(الطاوس)

قال : وأمَّا الطَّاوس فأوَّلَ ما تبيضُ فإنها تبيض ثمانِيَ[٤] بيضات . وتبيضُ أيضاً بيضَ الريح . والطَّاوس يُلقى رِيشَه فى زَمن الخَريف إذا بدَأ أوَّلُ ورقِ الشَّجرِ يسقُطُ[٥] . وإذا بدأ الشَّجرُ يكتسى ورقاً ، بدأ الطاوس فاكتسى[٦] ريشاً .

---

(١) ط فقط : « مقسومتين » .

(٢) فضلت هذا الضبط لما جاء فى نهاية الأرب نقلا عن الجاحظ : « وإذا باضت الحجلة ميز الذكر الذكور منها فيحضنها ، وميزت الأنثى الإناث فتحضنها ، وكذلك هما فى التربية » . ومثل هذا الكلام عند الدميرى ، مع نسبته إلى التوحيدى .

(٣) ط ، س : « البيض » ، والوجه ماأثبت كما فى ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٣٣)

(٤) كذا فى ل ونهاية الأرب ، وفى ط ، س : « ثلاث » .

(٥) كذا على الصواب فى س . وفى ل : « يلقى ورقه » وفى ط « فإذا بدا » ، وكلاهما تحريف .

(٦) ط : « يكتسى » .

(ما ليس له عشٌّ من الطير)

قال : وما كان من الطَّير الثَّقيل الجثَّة فليس يهيِّئ لبيضِه عُشًّا ؛ من أجْل أنَّه لا يُجيد[١] الطَّيَران ، ويثقل عليه النهوض ولا يتحلَّق[٢] ، مثل الدُّرَّاج والقَبَج ، [وإنما يبيض على التُّراب] . وفراخ هذه الأجناس كفراريج الدَّجاج ، وكذلك فراريج البطِّ الصِّينى ، فإنَّ هذه كلَّها تخرُج من البيض كاسية [كاسبة[٣]] تلقط من ساعتها ، وتَكفى نفسها .

(القبجة)

قال : [و] إذا دنا الصَّيَّاد من عُشِّ القبجة[٤] ولها فراخٌ ، مرَّتْ بينَ يدَيهِ مَرًّا غيرَ مُفيت[٥] ، وأطمعَتْه فى نفسها ليتبعها[٦] ، فتمرُّ الفراخ فى رجوعها إلى موضع عُشِّها[٧] . والفراخ[٨] ليسَ معها من الهِداية ما مع

---

(١) ط ، س : « يجد » .

(٢) يتحلق : لم أجدها بمعنى حلق الطائر أى طار واستدار فى طيرانه ، لكن هكذا جاءت فى ل . وانظر ٥ : ١٥٢ . وفى ط ، س : « يتخلق » ، وهو تحريف .

(٣) الزيادة من س .

(٤) سبق قريباً أنها ليست ذات عش . فالمراد أفحوصتها .

(٥) ط فقط : « معين » ، وهو تحريف .

(٦) ط ، س : « فيتبعها » .

(٧) ل ، س : « فتمر الفراخ ولئلا تغلط فى رجوعها إلى موضع عشها » .

(٨) ل : « فإنها » .

أمِّها . وعلى أنَّ القَبَجَةَ سيِّئة الدَّلالةِ والهِداية ، وكذلك كلُّ طائر يعجَّلُ له الـكَيْس والـكَسْوة ، ويعجَّل له الـكَسْبُ فى صغره .

وهذا إنَّمـا اعتراها لقَرابَةِ ما بينَها وبين الدِّيك .

قال : فإذا أمعن الصَّائد خلْفها وقد خرجت الفراخُ من موضِعِها ، طارت وقد نَحَّتْه[1] إلى حيثُ لايَهتدى الرُّجوعَ منه إلىموضع عشِّها[2] ، فإذا سقَطَتْ قريباً دعتْها بأصواتٍ لها ، حتَّى يجتمعْنَ إليها . ٥٧

قال : وإناثُ القَبَج تبيض [خَمْسَ عشْرَةَ بيضة إلى ستَّ عشرةَ بيضة . قال : والقبج طيرٌ منكرٌ] وهىتفرُّ[3] ببَيضها من الذَّكر ؛لأنَّ الأنثى تشتغل بالحضْن عن طاعة الذَّكر فى طلب السِّفاد . والقَبَج الذَّكرُ يوصَفُ بالقوّة على السِّفاد ، كما يوصف الدِّيكُ والحجَلُ والعُصفور .

قال : فإذا شُغِلت عنه بالحضْن ، طلبَ مواضعَ بيضها حتى يفسِدَهُ[4] فلذلك ترتاد[5] الأنثى [عشَّها] فى مَخَابِئَ[6] إذا أحسَّتْ بوقْتِ البيض .

وإذا قاتل بعضُ ذُكورةِ القَبَج بَعضاً فالمغلوبُ منها مسفودٌ ، والغالبُ

---

(١) ط : « نحت » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٢) يقال : هو لايهتدى الطريق ، ولا يهدى — بفتح الياء والهاء وتشديد الدال المكسورة — ، ولا يهدى — بفتح الياء وكسر الهاء والدال المشددة . كل أولئك بمعنى لايهتدى إليه . فى ط : « إلى موضعها » .

(٣) س : «تشغل » .

(٤) ل : « يفسدها » ، ولها وجه .

(٥) ترتاد : تطلب . وفى ل : « توغل » ، ولا يقال أوغله .

(٦) ط ، س : « مخافى » وتصحيحه من ل .

سافد . وهذا [العرض] يعرِضُ للدِّيَكة ولذكور الدَّراريج ، فإذا دَخَل بين الدِّيَكةِ[١] ديكٌ غريب ، فمَا أكثَرَ ما تجتمع عليه حتَّى تسفَدَه ! .

(وثب الذُّكورة على الذكورة)

وسفادُ ذُكورة هذه الأجناسِ إنما يعرض لها لهذه الأسباب ، فأمَّا ذُكورةُ الحَمير والخَنازيرِ والحمامِ ، فإنّ ذُكورَها تثِبُ على بعضٍ مِن جهة الشَّهوة .

وكان عند يعقوبَ بن صباح[٢] الأشعثىِّ ، هِرّانِ ضخْمان ، أحدُهُما يكومُ الآخَر متى أرادهُ ، مِنْ غيرِ إكراهٍ ، ومِن غيرِ أن يكونَ المسْفودُ يريدُ من السَّافِدِ مِثلَ مايريدُ منه السَّافد . وهذا البابُ شائعٌ فى كثير من الأَجناس، إلاَّ أنَّه فى هذه [الأَجناس][٣] أوْجَد .

(صيد البُزاة للحمام)

ثمَّ رجَع بنا القَولُ إلى ذِكْر الحمام ، من غير أن يشَاب[٤] بذكر غيره .

---

(١) ط : « الرمكة » . ولا تصح . والصواب من ل ، س .

(٢) ل : « الصباح » .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) ط ، س : « انتساب » ويصح بـ « إنتشاب » أى تعلق . وأثبت مافى ل . ويشاب : يخلط .

زعم صاحبُ المنطق أنَّ البُزاةَ عشرة أجناس ، فمنها ما يضرِب الحمامة والحمامة جاثمة ، ومنها ما لا يضرب الحمامَ إلاّ وهو يطير ، ومنها ما لا يضرب الحمام فى حال طَيَرَانِهِ ولا فى حالِ جثومِه ، [ولا يعرض له] إلّا أنْ يجده[1] فى بَعْض الأغْصان ، أو على [بعض] الأَنشازِ[2] والأَشْجار . فعدَّد أجناسَ صيدِها ، ثمَّ ذكرَ أنَّ الحمامَ[3] لا يخفى عليه فى أوّلِ ما يرى البازىَ فى الهواء أىُّ البُزَاةِ هُو ، وأىُّ نوعٍ صَيدُه[4] ، فيخالف ذلك . ولمعرفة الحمامِ بذلك من البازى أشكال : أوّلَ ذلك أنَّ الحمامَ فى أوّلِ نُهوضِه يفصلُ بينَ النَّسر والعُقاب ، وبينَ الرّخَمةِ والبازى ، وبينَ الغُرابِ والصَّقر؛ فهو يَرَى الكَرْكىَّ والطَّبرزين[5] ولا يستوحِشُ منهما ! ويرى الزُّرَّق فيتضاءل . فإنْ رأى الشّاهينَ فَقَدْ رأى السّمَّ الذعاف الناقِع[6] .

(إحساس الحيوان بعدوِّه)

والنَّعجة ترى الفِيلَ والزَّنْدَبِيلَ والجاموسَ والبعير ، فلا يهزُّها[7] ذلك ، وترى السَّبع وهى لم تره قبل ذلك[8] ، وَعضوُ من أعضاء تلك البهائم أعظمُ

---

(١) ل : « يراه » .

(٢) الأنشاز : جمع نشز ، بالتحريك ، أو بالفتح ، وهو المكان المرتفع .

(٣) ط : « صاحب الحمام » ، والوجه ما أثبت من ل ، س .

(٤) ط : « ضده » ، وصوابه من ل ، س .

(٥) كذا فى ل ، س . والمعروف فى الطبرزين أنه الفأس التى يعلقها الفارس فى سرج جواده . انظر معرب الجواليقى ١٩٤ والألفاظ الفارسية ١١١ . وفى ط : « الطيران » . وانظر الاستدراكات .

(٦) ل : « فقد رأى السم الناقع » .

(٧) ل : « يهدها » .

(٨) ل : « الذى لم تره قبل فتخافه » وفيه تحريف .

وهى أهولُ فى العين وأشنعُ ، ثمَّ ترى الأَسَدَ فتخافه . وكذلك البَبْر والنمر . فإنْ رأت الذئب [وحده] اعتراها منه وحْدَه مثلُ ما اعتراها من تلك الأجناسِ لوكانت مجموعةً فى مكانٍ واحد . وليس ذلك عن تجرِبَةٍ ، ولا لأنّ منظرَه أشنعُ وأعْظم ، وليسَ فى ذلك عِلَّة[١] إلّا ما طُبِعت عليه من تمييز الحيوان عندها . فليس بمُسْتَنكَرٍ أنْ تَفْصِلَ الحمامةُ بينَ البازى[٢] والبازى ، كما فصلت بين البازى والكُرْكىّ .

٥٨

فإنْ زعمتَ أنَّها تعرف بالمخالب[٣] فمِنقارُ الكرْكىِّ أشنع [وأعظم] وأَفظع[٤] ، وأطولُ وأعرض[٥] . فأمّا[٦] طَرَفُ منقار [الأبغث[٧] فما كانَ[٨] كلُّ سنانٍ وإن كان مذرَّبا[٩]] ليبلغه .

---

(١) ط : « عليه » ، وهى على الصواب فى ل ، س .

(٢) أى تعرف أنواع البزاة وطريقة صيدها لها ، كما فصل ذلك فى الصفحة السابقة س ٦ . ل فقط : « الرخمة » تحريف .

(٣) فى الأصل : « تضرب مخالب » .

(٤) ل : « وأقطع » .

(٥) ليست فى ل .

(٦) ط ، س : « فا » ، وهو تحريف .

(٧) فى القاموس : أن الأبغث طائر ، ولم ينعته .

(٨) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

(٩) مذربا ، بالذال المعجمة : محدداً . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « مدربا » ، تصحيف .

(بلاهة الحمام وخُرقه)

قال صاحب الدِّيك : وكيفَ يكونُ للحمام من المعرفة[(١)] والفطِنة ما تذكرون ، وقد جاء فى الأَثر[(٢)] : « كُونُوا بُلْهاً[(٣)] كالحمام » ؟ !

وقال صاحب الدِّيك : تقول العربُ : « أخرَقُ مِنْ حمامةٍ » ، وممَّا يدل على ذلك قولُ عَبيدِ بنِ الأبرص :

عَيُّوا بِأَمْرِهِمُ كما ... عَيَّتْ بِبَيْضَتِهَا الحَمَامَهْ

جَعَلَتْ لها عُودَينِ مِنْ ... نَشَمٍ وآخَرَ من ثُمامَهْ[(٤)]

---

(١) ط ، س « الحركة » ، ووجهه ما فى ل .

(٢) كذا فى ل ، س . وهو الموافق لما جاء فى البيان (٢ : ٢٧٥) : « وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : كونوا بلها كالحمام » . وفى ط : « وقد جاء فى الحديث » كما فى محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٠) . وجاء فى عيون الأخبار (٢ : ٧٢) : « وفى الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال للحواريين : كونوا حلماء كالحيات ، وبلها كالحمام » . قلت : والنص فى إنجيل متى (الأصحاح العاشر : ١٦) : « هاأنا أرسلكم كغنم فى وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام » .

(٣) فى الأصل : « بلهاء »، وإنما هى « بلها » كما فى ٧ : ٢٥٩ . وهو جمع أبله . والمراد به الغافل عن الشر المطبوع على الخير . انظر نهاية ابن الأثير (بله) .

(٤) النشم ، بالتحريك : شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسى . والثمامة : واحدة الثمام ، وهو نبت قصير يضرب به المثل فى الضعف . وذلك حمقها : أن تجمع بين ضعيف وقوى : فيتكسر عشها ويقع البيض فينكسر . انظر عيون الأخبار (٢ : ٧٢) وثمار القلوب ٣٦٩ وأمثال الميدانى (١ : ٢٣٤) وأدب الكاتب (٥٥) .

فإن كان عَبيدٌ إنما عَنَى حمامةً من حمامكم هذا الذى أنتم بهِ تفْخَرُون ، فقد أكثرتم فى ذكر[١] تدبيرها لمواضعِ بَيضها ، وإحكامِها لصَنعة عشاشها[٢] وأفاحيصها .

وإن قلتم : إنَّه إنما عَنَى بعضَ أجناسِ الحَمَام الوحشى والبَرّىّ ، فقد أخرجتم بعضَ الحَمَامِ مِن حُسْن التَّدْبير . وعبيدٌ لم يخُصّ حماماً دُونَ حمام .

(رغبة عثمان فى ذبح الحمام)

وحدَّثَ أُسامةَ بن زيد قال : سمعتُ بعضَ أشْياخِنا منذُ زمانٍ ، يحدِّثُ أنَّ عثمانَ بنَ عفَّانَ — رضى اللهُ تعالى عنه — أراد أنْ يَذْبَحَ الحَمَامَ ثمَّ قال : « لولا أنَّها أُمّةٌ من الأمم لأَمرت بذبحهن[٣] ، ولكنْ قُصُّوهنَّ » . [فدلَّ بقوله : قُصُّوهنّ] على أنَّها إنما تُذْبَحُ لرغبة[٤] مَنْ يتّخذُهنّ ، ويَلعبُ بهنَّ من الفِتْيانِ والأَحداثِ والشُّطَّار[٥] ، وأصحابِ المراهَنة والقِمار ، والذين

(١) ل : « ذلك » ، وهو تحريف . والمراد بالإكثار التزيد والمبالغة .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أعشتها » وانظر التنبيه رقم ٣ ص ١٨١ .

(٣) ط ، س : « بذبحها » ،وأثبت ما فى ل .

(٤) ل : « لسورعة » ! .

(٥) الشطار : جمع شاطر ، وهو الذى أعيا أهله ومؤدبه خبثا ، وشطر عن الطريق السوى : أى عدل عنه . وفى ل فقط : « السطار » وهو تصحيف . واللعب بالحمام التسابق به ، على نحو مايفعل بالخيل . انظر صورة من ذلك فى أخبار الظراف ص ٣٨ .

يتشرَّفون[١] على حُرَم الناس والجيران ، ويختَدِعُون[٢] بفراخ الحَمَام أولاد النَّاس ، ويرمون بالجُلَاهِقِ[٣] وما أكثر مَنْ قد فقأ عيناً وهشَم أنْفاً ، وهتَم فَماً ، وهو لا يدرى مَا يصنَع ، ولا يَقِفُ على مقدارِ مَا رَكِبَ به القومَ . ثم تذهب[٤] جِنايتُهُ هدَرًا ، ويعودُ ذلك الدَّمُ مطلولاً بلا عقْل ولا قوَدٍ ولا قِصاص ولا أرْش[٥] ، إذْ كان صاحِبُه مجهولا .

وعلى شبيهٍ بذلك كان عمرُ ـ رضى الله عنه ـ أمر بِذَبْحِ الدِّيَكة[٦] وأمرَ النبىُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بقتْل الكلاب .

قالوا : ففيما ذكرنا دليلٌ على أنَّ أكْلَ لحومِ الكلابِ لم يكنْ مِنْ دينِهِم ولا أخْلاقهِمْ ، ولا منْ دواعى[٧] شهواتهم . ولولا ذلك لما جاء الأثرُ عن النبىِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعُمَر وعُثْمانَ ـ رضى الله تعالى عنهما بِذَبْح الدِّيَكةِ والحَمَامِ ، وقتْل الكلاب . [ولولا أنَّ الأمرَ على ما قلنا ، لقالوا : اقتلوا الدُّيوكَ والحَمَامَ كما قال : اقتلوا الكلاب] . وفى تفريقهم بينها دليلٌ على افتراقِ الحالَاتِ عندَهم .

---

(١) التشرف : التطلع . وفى ط فقط : « يشرفون » من الإشراف : أى الاطلاع . وماأثبت أقرب وأشبه .

(٢) ط ، س : « ويخدعون » .

(٣) الجلاهق : هو الطين المدور المدملق ، يرمى به عن القوس ، فارسى ، أصله جلاهه . الجواليقى ٤٢ .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ذهبت » .

(٥) العقل : الدية . والقود ، بالتحريك ، بمعنى القصاص ، وهو قتل النفس بالنفس . والأرش : دية الجراحات .

(٦) كذا فى ل . وكما سبق فى الجزء الأول ص ٢٩٦ س : ١١ ، ١٦ . وفى ط ، س : « أراد عمر رضى الله عنه أن يذبح الديكة » .

(٧) ط ، س : « ولا كان فى دواعى » .

٥٩ قال : حدَّثنى أسامة بن زيد[١] ، وإبراهيمُ بنُ أبى يحيى ، أنَّ عثمان شكَوْا إليه الحَمَامَ ، وأنّه قال : « مَنْ أخذ منهنّ شيئاً فهو له » . وقد علمْنا أنّ اللّفظَ وإن كان قد وقعَ على شِكاية الحمام، فإن المعنى إنّما هو على شكايةِ أصحاب الحمام ؛ لأنّه ليس فى الحمامِ معنًى يدعُو إلى شكايةٍ[٢] .

قال : وحدّثنا عُثمان قال : سُئل الحسنُ عن الحمام الذى يصطاده النّاس ، قال : لا تأكلْه ، فإنّه منْ أموال الناس ! فجعله مالاً ، ونَهَى عن أكْله بغير إذنِ أهله . وكلُّ ما كان مالاً فبيعُه حسَنٌ وابتياعُه حسن . فكيفَ يجوزُ لشىءٍ هذه صفتُه أنْ يُذبح ، إلّا أن يكون ذلك على طريق العِقاب والزَّجْرِ لمن اتَّخذَه لما لا يحلّ ! !

قال : ورووا عن الزُّهرى عن سعيدِ بن المسيَّب قال : نَهَى عُثمانُ عن اللِّعبِ بالحَمَام[٣] ، وعن رمى الجُلاهِق . فهذا يدلُّ على ما قلْنا .

(أَمْن حمام مكة وغِزْلانها)

والناس يقولون : « آمَنُ مِنْ حَمَامِ مَكّةَ ، ومِنْ غِزلان مكة » . وهذا شائعٌ على جميع الألسنة ، لا يردُّ ذلكَ أحدٌ ممن يعرِفُ الأَمثالَ والشّواهدَ. قال عُقبةُ الأَسدىُّ[٤] لابن الزُّبير :

---

(١) ل : « بدر » .

(٢) ط : « شكايته » .

(٣) ل : « عن ذكر الحمام » وهو تحريف . انظر ص ١٩٠ .

(٤) عقيبة بن هبيرة الأسدى : شاعر جاهلى إسلامى . اللآلئ ١٤٩ . وانظر الأغانى ١٨ : ١٢٨ . وفى الأصل : « عقبة » ، تحريف .

ما زلتَ مذ حِجَجٍ بمكة مُحْرِماً(١) في حيثُ يأمَنُ طائرٌ وحَمامُ

فلتَنْهَضَنّ العِيسُ تنفخُ في البُرَا يَجْتَبْنَ عُرْضَ مَخارِمِ الأعلامِ(٢)

أبنو المغيرةِ مثلُ آلِ خُويلدٍ ؟ ! يا لَلرِّجالِ لِخِفَّةِ الأحلام(٣) !

وقال النابغةُ في الغِزْلان وأمْنِها ، كقولِ جميع الشُّعراء في الحمام :

لا والذى آمَنَ الغِزلانَ تَمسَحُها رُكبانُ مَكَّةَ بين الغِيلِ والسَّعَدِ(٤)

ولو أنّ الظِّباءَ ابتُلِيَتْ مِمَّنْ يتَّخِذها بمثلِ(٥) الذى ابتُلِيت به الحَمام ثمَّ ركبوا المسلمين في الغِزلان بمثل ما ركبوهم به في الحَمام ، لساروا في ذَبْحِ الغِزلان كسيرتهم في ذَبْحِ الحَمام .

وقالوا : إنّه لَيبلُغُ مَن تعظيم الحَمام لحُرْمة البيتِ الحرام ، أنَّ أهلَ مكة يشهَدون عن آخرهم أنَّهم لم يَرَوْا حَماماً قطُّ سقَطَ على ظهر الكعبة ، إلَّا مِن

---

(١) كذا في ل ، وهو الوجه . . وفي ط ، س : « ملحدا » ، من الإلحاد بمعنى الظلم في الحرم . ولا يصح لأن الشعر مدح . وقد أشار عقبة إلى ما كان من عبد الله بن الزبير في مكة ، حيث بويع له بمكة سنة أربع وستين ، وخلع يزيد ابن معاوية ، وأقام بها تسع سنين وقتل في خلافة عبد الملك بن مروان على يد الحجاج بمكة سنة ثلاث وسبعين . انظر تاريخ الاسحاق ص ٥١ .

(٢) العيس ، الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . والبرا : جمع برة ، كثبة ، وهى الحلقة في أنف البعير . يجتبن : يقطعن . والمخارم : الطرق في الأرض الغليظة . س : « تجنبن عرض مخارج » وهو تحريف .

(٣) بنو المغيرة هم بنو مروان ؛ لأن أمهم عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ابن أمية . انظر الإصابة ٧٠٩ من قسم النساء ، والعقد ٣ : ١٤٨ . وآل خويلد هم بنو الزبير ، وهو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى . انظر المعارف ٩٦ .

(٤) ط ، س : « والمؤمن العائذات الطير » ، وما أثبت من ل هو الوجه ؛ لما سبق من الكلام . والغيل ، بالكسر ، والسعد ، بالتحريك : أجمتان كانتا بين مكة ومنى . شرح المعلقات للتبريزى ٣٠٠ .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « بمن يتخذها مثل » .

عِلةٍ عَرَضتْ له . فإن[١] كانت هذه المعرفة اكتساباً من الحَمام فالحَمامُ فوق جميعِ الطيرِ وكلِّ ذى أربع . وإن كان هذا إنَّما كان [من] طريقِ الإلهام ، فليس ما يُلهَمُ كما لا يلهَم .

وقال الشّاعرُ[٢] فى أمْن الحمَام :

لقد علِم القبائلُ أنّ بَيْتى تفرَّعَ فى الذّوائبِ والسَّنامِ
وأنَّا نَحْنُ أولُ من تَبَنَّى بمكّتها البيوتَ معَ الحَمام[٣]

وقال كثيِّر — أو غيره من[٤] بنى سهم — فى أمْن الحَمام :

٦٠ لَعَنَ اللهُ مَنْ يَسُبُّ عليًّا وحُسَيْناً مِنْ سُوقَةٍ وإمامِ
أَيُسَبُّ المطيَّبون جدوداً[٥] والكرامُ الأخوالِ والأعمامِ
يأمن الظبى[٦] والحَمامُ ولا يأ مَنُ آلُ الرّسولِ عِنْدَا لمَقامِ !!
رحمةُ اللهِ والسَّلامُ عليهمْ كلما قامَ قائمٌ بسلامِ[٧]

---

(١) ط : « فإذا » .

(٢) هو الزبير بن عبد المطلب ، كما فى المؤتلف ١٣٠ – ١٣١ .

(٣) فى المؤتلف : « بمكتنا » . وفى الأصل : « من الحمام » ، صوابه فى المؤتلف .

(٤) ط ، س : « فى » وتصحيحه من ل . والسهمى هذا ، هو عبد الله بن كثير السهمى ، قال الجاحظ فى البيان ٣ : ٣٥٩ : « وقال عبد الله بن كثير السهمى وكان يتشيع لولادة كانت نالته ، وسمع عمال خالد بن عبد الله القسرى يلعنون علياً والحسن والحسين على المنابر » . وأنشد الشعر الآتى . أو هو كثير ابن كثير السهمى كما فى معجم المرزبانى ٣٤٨ ، قالها لما كتب هشام بن عبد الملك إلى عامله بالمدينة أن يأخذ الناس بسب على .

(٥) المطيبون : المطهرون . فى ل : « أيسب المطيبين » ، وفى المعجم « أتسب المطيبين » ولكل منهما وجه . وبعد هذا البيت فى المعجم وبعد البيت الذى يليه فى البيان :

طبت بيتا وطاب بيتك بيتاً أهل بيت النبى والإسلام

(٦) ط فقط : « الطير » ، والصواب ما أثبت من ل ، س والبيان .

(٧) ط س ، : « الإسلام »، وهى رواية محرفة عما أثبت من ل والبيان والمعجم .

وذكر شأنَ ابنِ الزُّبير وشأنَ ابنِ الحنفيَّة(١) ، فقال :

ومن يَرَ هذا الشَّيخَ بِالخَيفِ من مِنًى(٢) … مِنَ النَّاس يَعلمْ أنَّهُ غيرُ ظالمِ

سَمِيُّ النبيِّ المصطفَى وابنُ عمِّه(٣) … وفكَّاكُ أغلالٍ ونفَّاعُ غارمِ

أَبَى فهو لا يشْرِى هُدًى بضَلَالةٍ … ولا يتَّقِى فى الله لَوْمَةَ لائمِ

ونحن بحَمْدِ اللهِ نتلُو كتابَهُ … حُلولاً بهذا الخَيْفِ خَيفِ المحَارمِ(٤)

بحيثُ الحَمَامُ آمناتٌ سواكنٌ … وتَلْقَى العدُوَّ كالوَلِّى المسالمِ

(حمامة نوح)

قال صاحب الحمام : أمَّا العرب والأعرابُ والشُّعَراء ، فقد أطبقوا على أنَّ الحَمَامَةَ هى التى كانت دليلَ نوحٍ ورائده(٥) ، وهى التى استجعَلَتْ(٦)

---

(١) ابن الحنفية ، هو محمد بن على بن أبي طالب ، وهو أخو الحسن والحسين ابنى على بيد أن والدة هذين هى فاطمة الزهراء ، وأم ذاك هى خولة بنت جعفر الحنفية ، فنسب إليها تمييزاً له . كان ابن الحنفية أحد أبطال صدر الإسلام ، وكان ورعاً واسع العلم . وكان المختار الثقفى يدعو الناس إلى إمامته ، ويزعم أنه المهدى ، وكانت الكيسانية تزعم أنه لم يمت وأنه مقيم برضوى . ولد بالمدينة سنة ٢١ وتوفى سنة ٨١ . وفيات الأعيان (١ : ٤٤٩) وطبقات ابن سعد (٥ : ٦٦) .

(٢) الخيف بالفتح : ناحية من منى . ومنى : بليدة على فرسخ من مكة .

(٣) ليس ابن الحنفية ابن عم للرسول لحا ، بل هو ابن ابن عمه . والعرب يتجوزون فى مثل ذلك .

(٤) ط فقط : « المخارم » ، وهو تصحيف .

(٥) قالوا : أرسلها لتكشف موضعاً فى الأرض يصلح مرفأ للسفينة . انظر الحيوان (٢ : ٣٢١) .

(٦) استجعلت : طلبت الجعالة — كسحابة — وهى الرشوة . والرشوة : العطاء فى مقابل نفع .

عليه الطَّوْقَ الذى فى عنقها ، وعند ذلك أعطاها الله تعالى تلك الحِلْية ؛ ومنَحَها تلك الزِّينةَ ، بدعاءِ نوحٍ عليه السلام ، حينَ رجعتْ إليه ومعها من الكرْم ما مَعها ، وفى رجليها من الطِّين والحَمْأة ما برجليها ، فعوِّضتْ من ذلك الطِّين خِضابَ الرِّجلين ، ومن حُسن الدَّلالةِ والطَّاعةِ طَوْقَ العنق .

(شعر فى طوق الحمامة)

وفى طوقها يقول الفرزدق(١) :

فمن يكُ خائفاً لأذاةِ(٢) شِعرى ... فقد أمِنَ الهِجاءَ بنو حَرَامِ

هم قادُوا(٣) سفيهَهُم وخافُوا ... قلائِدَ مِثلَ أطواقِ الحمامِ

وقال فى ذلك بَكْر بن النَّطَّاح(٤) :

---

(١) يقول هذا الشعر فى رجل من بنى حرام ، كان قد هجا الفرزدق، فخشى قومه من لسان الفرزدق فجاءوا به يقودونه إليه ، فقال البيتين . انظر العمدة (١ : ٣٨) . والبيتان لم أجدهما فى الديوان ، وقد أثبتهما الثعالبى فى الثمار ٣٦٨ .

(٢) الأذاة : الأذى ، وفى ط فقط : « لأذات » محرفة .

(٣) ط : « قادروا » ، وتصحيحه من ل ، س والعمدة . وبدلها فى الثمار : « منعوا » .

(٤) بكر بن النطاح : شاعر كان فى زمن هارون الرشيد ، وهو بصرى نزل بغداد ، وكان يعاشر أبا العتاهية وأضرابه . وكان أبو هفان يقول : أشعر أهل الغزل من المحدثين أربعة أولهم بكر بن النطاح . تاريخ بغداد ٥٣٢٦ . قلت : وبكر صاحب المقطعة الرقيقة التى تغنيها فى عصرنا هذا زعيمة الغناء أم كلثوم . وأول هذه المقطعة :

أكذب نفسى عنك فى كل ماأرى ... وأسمع أذنى منك ماليس تسمع

وهى صوت من أصوات الأغانى (١٧ : ١٥٣) .

إذا شئتُ غنَّتْنى ببَغْدَادَ قَيْنَة   وإن شئتُ غنَّانى الحَمَامُ المطوَّق

لباسى الحسامُ أو إزارٌ مُعصفرٌ   ودِرْعُ حديدٍ أو قميصٌ مخلَّق [١]

فذكر الطَّوق ، ووصَفَها بالغِناءِ والإطراب . وكذلك قال حُمَـيد بن ثَور :

رَقُودُ الضُّحَى لَا تعرِف الجيرَة [٢] القصاَ [٣]

ولا الجيرةَ الأدْنينَ إلَّا تجشُّما [٤]

وليستْ مِنَ اللائى يكونُ حديثُها   أَمَام بَبيوتِ الحىِّ إنّ وإنَّما

٦١

ثمّ قال :

وما هاج هذا الشّوقَ إلَّا حمامةٌ   دعَتْ ساقَ حُرٍّ تَرْحَةً وترَنُّما [٥]

---

(١) يقول : هو يلبس الحسام والدرع الحديد فى حال الحرب ، والإزار المعصفر والقميص المخلق فى حال السلم . المخلق : المطيب بالخلوق ، وهو بفتح الخاء : ضرب من الطيب .

(٢) الجيرة : جمع جار ، مثل قاع وقيعة . وهم يمدحون المرأة الكريمة الخفرة بعدم زيارتها لجاراتها أو ندرة ذلك . قال أبو قيس بن الأسلت :

ويكرمها جاراتها فيزرنها   وتعتل عن إتيانهن فتعذر

وليس لها أن تستهين بجارة   ولكنها منهن تحيا وتخفر

وهذان خير ما قيل فى امرأة خفرة . الأغانى (٩٥ : ١٥٩) . ل : « الجيزة » تصحيف .

(٣) القصا : جمع قصوى ، وهى البعيدة . وقد رسمت فى ل : « القصى » وهى كتابة جائزة ، فما كان من المقصور ثلاثيا وكان أوله مكسوراً أو مضموماً ، جاز أن يكتب بالياء ، وإن كان أصله الواو ، كما هنا. انظر المقصور ص٦.

(٤) يقال : تجشم الأمر : إذا حمل نفسه عليه وتكلفه . وفى ل : « تجمّا » وهو تصحيف .

(٥) ساق حر : ذكر القمارى ، أو هو صوت الحمام . وروى فى ل وكذا اللسان (حرر) : « فى حمام ترنما » وأثبت ما فى ط ، س ، وكذا الكامل ٥٠٣ ليبسك وزهر الآداب (١ : ٢٠٢) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٦) وأدب الكاتب ٢٣ ونثار الأزهار ٧٨ والخزانة (٤ : ٢٩٩ بولاق) . والترحة: ضد الفرحة .

مطوّقةٌ خطْباء[١] تصدَحَ كلما دنا الصَّيفُ وانجاب الربيعُ فأنجما[٢]

ثمّ قال بعد ذكر الطوق :

إذا شئتُ غنَّتْنِي بأجزَاعِ بِيشَةٍ أو النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثَ أو بيلملما[٣]

عجبتُ لها ، أنّى يكونُ غِناؤها فصيحاً ولم تَفْغَرْ بمنْطِقِها فما

ولم أرَ محزُوناً لهُ مِثلُ صوتِها ولا عَرَبيًّا شاقَهُ صوتُ أعجَما

وقال فى ذكر الطّوق ــ وأنّ الحمامةَ نوّاحةٌ ــ عبدُ الله بن أبى بكر[٤] وهو شهيد يوم الطائف[٥] ، وهو صاحبٌ ابنُ صاحِبٍ[٦] :

---

(١) الخطباء : التى فيها خطبة ، أى سواد وبياض . وفى س فقط : « خضباء » أى محمرة الساقين، ويعزز هذه ما ورد فى الصفحة ١٩٦ س ٤ . وهى رواية العقد (٤ : ٢٨) .

(٢) انجاب الربيع : ذهب . وفى ل « وانزال » وهى صحيحة ، يقال : انزال عنه : فارقه . وأنجم : أقلع وولى . وفى س : « بأنجما » تحريف .

(٣) الأجزاع : جمع جزع بالكسر ، وهو منحنى الوادى . وبيشة ، بالكسر : بلد جنوبى مكة على خمس مراحل منها . وتثليث : بلد قريب من مكة . ويلملم : موضع على ليلتين جنوبى مكة . ويقال له أيضاً « ألملم » و « يرمرم » . وجاء فى ل : « بينمنا » ولم أر هذه اللغة . وفى س : « يتلملما » وهى تحريف .

(٤) هو عبد الله بن أبى بكر الصديق ، كان عبد الله يحضر إلى رسول الله وأبى بكر وهما فى الغار ومعه أخبار قريش فيبيت عندهما ويخرج من السحر فيصبح مع قريش . وشهد فتح مكة ، وحنينا والطائف حيث أصابه حجر فى حصارها ، فمات شهيدا فى خلافة أبيه فى شوال سنة ١١ . قالوا : وترك سبعة دنانير فاستكثرها أبو بكر . المعارف ٧٥ والإصابة ٤٥٥٩ .

(٥) غزوة الطائف كانت إثر غزوة حنين فى السنة الثامنة من الهجرة . لما انهزمت ثقيف فى غزوة حنين سار إليهم الرسول وحاصرهم بالطائف نيفا وعشرين يوما ثم انصرف عنهم . وفى الأصل : « يوم الطف » وليس يصح ذلك ؛ فإن هذا اليوم كان فى سنة ٦١ من الهجرة وهو اليوم الذى قتل فيه الحسين بن على بعد وفاة عبد الله بنحو خمسين سنة . وانظر التنبيه السابق وعيون الأخبار ٤ : ١١٤ .

(٦) هذه العبارة ساقطة من ل .

فلم أرَ مثلى طلّق اليومَ مثلهاَ ولا مِثْلها فى غيرِ جرمٍ تطلّقُ[١]
أعاتكُ لا أنْساكِ مَا هبّتِ الصَّبَا وما نَاحَ قُمرِىٌّ الحمامِ المطوّقَ

وقال جَهْم بن خَلَف ، وذكرها بالنَّوح ، والغناء ، والطَّوْقِ ، ودعوةِ نوح ؛ وهو قَوْلُه :

وقد شاقنى نَوْحُ قُمْرِيةٍ طَرُوبِ العَشِىِّ هتوفِ الضُّحَى
من الوُرْقِ نوّاحةٍ باكرَتْ عَسِيبَ أَشاءٍ بذاتِ الغَضاَ[٢]
تَغَنَّتْ[٣] عَليهِ بلحنٍ لهـا يُهَيِّج للصَّبِّ ما قدْ مَضى
مطوّقةٍ كُسِيتْ زِينَـةً بدعْوةِ نوحٍ لهـا إذ دَعَا[٤]
فـلم أرَ باكِيةً مِثلها تبـكِّ ودَمْعَتها لا تُرَى[٥]
أضلّتْ فُرَيْخاً فَطافَتْ لهُ[٦] وقد عَلِقتْه حبالُ الرَّدَى
فلما بدا اليأْسُ منهُ بَكَتْ عَليهِ ، وما ذا يردُّ البُكا
وقد صـادَهُ ضَرِمٌ مُلْحِمٌ خفوقُ الجناحِ حَثِيثُ النَّجَا[٧]

(١) يشير بذلك إلى زوجه ، عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، تزوجها وكانت حسناء جميلة فأولع بها وشغلته عن مغازيه ، فأمره أبوه بطلاقها ، ففعل ثم تبعتها نفسه وقال هذين البيتين ، فرق له أبوه وأذن له فارتجعها . الإصابة ٦٩٢ قسم النساء ، والعقد ٤ : ١٧٥ — وقد عقد بابا لمن طلق امرأته ثم تبعتها نفسه — وتبعه الراغب الأصفهانى فى المحاضرات (٢ : ٩٩) . وانظر أخبار الظراف ٢٠ والمستطرف (٢ : ٢٢١ ، ٢٢٨) ، وعيون الأخبار (٤ : ١١٤) .

(٢) الأشاء : صغار النخل، أوعامته . والعسيب : الذى لم ينبت عليه الخوص من السعف .

(٣) ل : « فغنت » ، وما أثبت أجزل .

(٤) انظر لهذا المعنى ص ١٩٦ س ٢ .

(٥) هذا البيت أثبت فى ط بعد البيت الآتى . والوجه ما كتبت من ل ، س .

(٦) أضلته : فقدته . ل : « فطافت به » أى من أجله أيضا .

(٧) الضرم : الشديد الجوع . والملحم ، بكسر الحاء : الذى يطعم صاحبه لحم الصيد ، وبفتح الحاء : الذى يطعم اللحم ، بالبناء للمفعول . والحثيث النجا : السريع الطيران . وقد عنى به البازى أو الصقر .

حَـديدُ المَخالِبِ عارِى الوَظِيـ ـفِ ضارٍ من الوُرْقِ فيه قنا[١]
تَرَى الطَّيرَ والوحْشِ مِن خَوفه جِوامزَ[٢] مـنه إذا ما اغتدى

(نزاع صاحب الدِّيك فى الفخر بالطوق)

قال صاحب الديك : وأمّا قوله :

مطوَّقة كساها اللهُ طوقاً ولم يَخْصُصْ به[٣] طيرًا سِوَاها

٦٢ كيف لم يخصُصْ بالأطواق[٤] غيْرَ الحمام ، والتَّدارِجُ أحقُّ بالأطواق وأحسنُ أطواقاً منها ، وهى فى ذُكورتها أعمّ ؟ ! وعلى أنّه لم يصف بالطّوق الحمامة التى فاخرتم بها الدِّيك ؛ لأنَّ الحمامة ليست بمطوَّقة ، وإنما الأطواقَ لذكورة[٥] الوارشين [وأشباه الوارشين ، من] نوائح الطّير وهواتِفها ومغنِّياتها . ولذلك قال شاعرُكم ، حيث يقول[٦] :

---

(١) الورق : جمع أورق ، وهو ما فى لونه بياض إلى سواد . وفى ل : « الزرق » ومما جاء فى وصف الصقر بالزرقة قول ذى الرمة :

نظرت كما جلى على رأس رهوة من الطير أقنى ينفض الطل أزرق

والقنا : نتو وسط قصبة الأنف وضيق المنخرين ، وهذا فى الفرس عيب ، وفى الصقر والبازى مدح . س : « قشا » تحريف .

(٢) جوامز : من جمز إذا عدا .

(٣) فى الأصل : « بها » والضمير عائد إلى الطوق .

(٤) ل : « بالطوق » .

(٥) ط ، س : « للذكورة » وصوابه فى ل .

(٦) الشعر لعبد الله بن أبى بكر كما سبق فى ص ١٩٩ .

أعاتكَ لا أنساكِ ما هبَّتِ الصَّبا   وما ناحَ قُمْرِيُّ الحمَامِ المطوَّقُ[1]

وقال الآخر[2] :

وقـد شاقنى نوحَ قـمْرِيّةٍ   طَروبِ العَشِيِّ هَتُوفِ الضُّحى

ووصفها فقال :

مطوَّقـةٍ كُسِيت زِينـةً   بدَعوةِ نوحٍ لهـا إِذْ دَعا

فإن زعمتم أنّ الحمامَ والقمْرِىَّ واليمامَ والفواختَ والدَّبَاسِىَّ[3] والشَّفانِينَ والوَراشِينَ حمامٌ كلُّه ، قلنا : إنَّا نزعم أنّ ذكورةَ التَّدَارِجِ وذكورةَ القَبَج ، وذكورةَ الحجَلِ ديوكٌ كلها . فإنْ كان ذلك كذلك ، فالفخْرُ بالطَّوق نحن[4] أولى به .

قال صاحب الحمام : العرب تسمِّى هذه الأجناسَ كلها حماماً ، فجمعوها بالاسم العامّ ، وفرَّقوها بالاسم الخاص ، ورأينا صُورَها متشابهة[5] وإن كانَ فى الأجسامِ بعضُ الاختلافِ ، وفى الجُثَث بعض الائتلاف[6] وكذلك المناقير . ووجدناها تتشابه[7] من طريق الزِّواج ، ومن طريق

---

(١) بدل هذا الشطر الأخير فى كل من ط ، س كلمة : « البيتين » .

(٢) هو جهم بن خلف كما سبق فى ص ١٩٩ . ل : « ثم قال الآخر » .

(٣) الدباسى : جمع دبسى بفتح الدال أو ضمها ، وهو من أنواع الحمام الوحشى ط ، س : « الديسى » ل : « الدبسى » والوجه فيه ما كتبت .

(٤) ل : « ونحن » .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وفى الجثث كذلك » .

(٧) ط فقط : « تشابه » بحذف التاء الأولى .

الدُّعاء والغناء والنَّوح ، وكذلك هى فى القَدودِ وصُورِ الأعناق ، وقصب الريش ، وصِيغَة[1] الرُّءوس والأرجل والسُّوق والبَرَاثِنِ[2] . والأجناسُ التى عددتم ليس يجمعها اسمٌ ولا بلدةٌ ، ولا صورةٌ ولا زِواج . وليس بين الدِّيَكة وبينَ تلك الذُّكورةِ نسبٌ إلَّا أنَّها من الطَّير الموصوفة[3] بكَثْرةِ السِّفاد ، وأنَّ فِراخَها وفرارِيجها تخرُج من بيضها كاسية [كاسبة] . والبطُّ طائرٌ مثقل ، وقد ينبغى أن تجعلوا فرخَ البطَّة فَرُّوجاً ، والأنثى دجاجةً والذَّكرَ دِيكا ، ونحنُ نجد الحمامَ ، ونجد الوراشين ، تتسافد وتتلاقح ، [ويجىء منها الراعبىُّ والوردانىُّ ؛ ونجد الفَواخِت والقمارىّ تتسافد وتتلاقح] ، مع ما ذكرنا من التشابُه فى تلك الوجوه . وهذا كلُّه يدلُّ على أنَّ بعضها من بعْضٍ كالبُخْتِ والعراب ونتائج مابينهما[4] ، وكالبراذين والعِتاق ، وكلها خيلٌ ، وتلك كلها إبل . وليس بين التَّدارج والقَبَج والحَجَلِ والدَّجاجِ هذه الأمورُ التى ذكرنا .

وعلى أنَّا قد وجدْنا الأطواقَ عامَّةً فى ذواتِ الأوضاح مِنَ الحمام ، لأنَّ فيها من الألوان ، ولها من الشِّياتِ وأشكالِ [و][5] ألوان الريش ما ليس لغيرها من الطَّير . ولَوْ احْتَجَجْنا بالتَّسافدِ دونَ التَّلاقُح ، لكان لقائل مقال ، ولكنَّا وجدنَاهَا تجمع[6] الخصلتين ، لأنَّا قدْ نجِدُ سَفهاءَ ٦٣

(١) الصيغة ، بالكسر : الهيئة والخلقة . وفى ط ، س : « وصفة » .

(٢) البراثن : جمع برثن ، وهو بمنزلة الإصبع من الإنسان .

(٣) ل : « الموصوف » .

(٤) ل : « وتناتج بينها » تحريف .

(٥) هذا الحرف ليس بالأصل .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وجدنا مايجمع » .

النّاس ، ومن لا يتقذّر[١] من الناس والأحداث[٢] ومن تشتدُّ غلمته عند احتلامه ، ويَقِلُّ طَرُوقُه[٣] ، وتطول عُزْبته[٤] ؛ كالمعْزِب[٥] من الرِّعاء[٦] فإنّ هذه الطَّبَقَةَ من النّاس ، لم يَدَعوا[٧] نَاقَةً ، ولا بقرَةً ، ولا شاةً ، ولا أتاناً ، ولا رَمَكَةً ، ولا حِجْراً ، ولا كلبةً ، إلّا وقد وقعوا عليها .

ولَوْلَا أَنَّ فى نفوسِ النَّاس وشَهوَاتِهِمْ ما يدعو إلى هذه القاذورة[٨] ، لَمَا وجدْتَ هذا العمَلَ شائعاً فى أهل هذه الصفة[٩] ، ولَوْ جمعتَهم لجمعتَ أكثرَ من أهلِ بغْدَادَ والبصرة . ثم لم يُلقحْ واحد[١٠] منهم شيئاً من هذه الأجناس على أنّ بعض هذه الأجناس يتلقى[١١] ذلك بالشَّهوةِ المفْرطة .

ولقد خبَّرنى من إخوانى من لا أَتَّهِمُ خَبَرَه أنّ مملوكاً كان لبعض أهل القَطيعة – أعنى قطيعة الربيع[١٢] – وكان ذلك المملوكُ يَكومُ بغلةً

---

(١) ل ، س : « يتقزز » ، ومعنياهما متقاربان .

(٢) ل : « من الأحداث » .

(٣) الطروق : مصدر طرق الفحل الأنثى . وفى الأصل : « تقل طروقته » والطروقة بالفتح : المرأة ، وبهذه يفسد المعنى .

(٤) العزبة ، بالضم : ألا يكون للمرء أهل .

(٥) المعزب : الذى أبعد بماشيته .

(٦) الرعاء ، بضم الراء وكسرها : جمع راع ، ومثله الرعاة . وبهذه الأخيرة جاءت الرواية فى ل.

(٧) ط ، س : « لم يرعوا » ، وليست ترعى الكلبة.

(٨) القاذورة : الفعل القبيح .

(٩) ل : « فى هذه الصفة » ولعل صوابهما : « فى هذه الطبقة » .

(١٠) ل : « أحد » .

(١١) على بمعنى مع . وفى ط ، س : « وعلى أنها تتلق ذلك بالشهوة المفرطة » .

(١٢) القطيعة : ما يقطعه الأمير الناس من الأرض التى لاملك لأحد عليها ، ولا عمارة توجب ملكا لأحد . ويظهر أن أول من توسع فى هذا النظام فى الإسلام هو الخليفة المنصور . معجم البلدان (قطيعة) . وقد تحدث الماوردى فى الأحكام السلطانية (١٦٨ – ١٧٥) حديثا مسهبا فى هذا النظام . والربيع هذا هو الربيع بن يونس حاجب المنصور ومولاه ، وهو والد الفضل وزير المنصور ، وهذه القطيعة كانت بكرخ بغداد . معجم البلدان .

وأنّها كانت تودق وتتلمّظ[١] وأنّها[٢] فى بعض تلك الوَقَعاتِ تأخَّرتْ وهو موعبٌ فيها ذكرَه تطلبُ الزيادة، فلم يَزَل المملوكُ يتأخّرُ وتتأخَّرُ البغْلة حتَّى أسندتْه إلى زاويةٍ مِنْ زَوايا الإصطبل ، فَاضَّغَطَتْه حتّى بَرَدَ[٣] ، فدخل بعضُ من دخل فرآه على تلك الحال[٤] فصاح بها [فتنحّتْ] وخرّ الغلام مَيّتاً[٥] .

وأخبرنى صديقٌ لى قال : بلغنى عن بِرْذَوْنٍ لزُرْقان[٦] المتكلِّم ، أنّهُ كان يدربخ[٧] للبغال والحمير والبراذين حتى تكومَهُ ، قال : فأقبلت يوماً فى ذلك الإصطبل ، فتناولت المجرفة[٨] ، فَوَضَعَتُ رأس عودِ المِجْرَفَة[٨] على

(١) تودق : تريد الفحل . ل : « تتودق » . تتلمظ : تخرج لسانها كتلمظ الآكل . ط س ، : « تلمظ » .

(٢) ط : « فإنها » ووجهه فى ل ، س .

(٣) « اضغطته » بقلب تاء الافتعال ضادا ، شذوذ صرفى ، قياسه : اضطغطته . وحكى صاحب اللسان : « اضتغط » . قال : « والقياس اضطغط » . ولم أرها إلا متعدية بعلى . وبرد : مات .

(٤) ل : « فاذا هو على تلك الحال » .

(٥) ل : « فخر العبد ميتا » . خر : سقط .

(٦) زرقان هذا هو غلام إبراهيم بن سيار النظام وتلميذه ، واسمه محمد بن شداد بن عيسى ، كما فى معجم البلدان (المسامعة) . وقد حكى زرقان عن النظام أقوالا فى الفرق ٥٠ — ٥١ وقد عده المسعودى فى التنبيه والإشراف ٣٤٢ . ط ، س : « لوزقان » ل : « لذرقان » وهو تحريف .

(٧) يدربخ لها : يطاوعها فيما تطلب منه ، وأصل ذلك فى الحمام . وفى ط ، س : « يشمع » ومؤداهما واحد .

(٨) المجرفة : المكنسة وزنا ومعنى . ط ، س : « المحرفة » تصحيف مافى ل .

مَرَائِه[1] وإنّه لأكْثرُ مِن ذرَاعٍ ونصف[2] ، وإنه لَخشِنٌ غليظٌ غير محكوك [الرأس] ولا مُمَلّسِه[3] ، فدفْعته حتى بلغ أقصى العود ، وامتنع من الدُّخول ببدن المِجْرفة . فحلَفَ أنّه ما رآه تأطّرَ ولا انثنى .

قال صاحب الحمام : فهذا فرق ما بيننا وبينكم .

(ما وصف به الحمام من الإسعاد وحسن الغناء والنوح)

ونَذْكر[4] ما وُصِف به الحمامُ من الإسعاد[5] ، ومن حُسْن الغِناء والإطراب والنَّوح والشّجَا[6] . قال الحسن بن هانئ :

إذا ثَنَتْه الغصون جلَّلنى فَيننانُ مَافى أديمه جُوَبُ[7]

---

(١) الكلام من : « فوضعت » ساقط من ل . والمراث : مخرج الروث .

(٢) ط ، س : « وهو أكثر » الخ . وما أثبت من ل أشبه بالكلام .

(٣) ط ، س : « ولا ملين » .

(٤) فى الأصل : « وذكر » .

(٥) الإسعاد : المعاونة والمشاركة فى البكاء والنوح . والعرب يعرفون ذلك من الحمام ، والشعر الآتى وما بعده ناطق به . وفى الأصل : « الأشعار » وهو تحريف خفى ، صوابه ما أثبت .

(٦) الشجا : التطريب . ل : « الشجى » ومادته واوية .

(٧) ثنته الغصون ، يعنى ظل العنب . جللنى : غطانى . والفينان : أصله الحسن الشعر الطويله ، وأراد به الغصون المشبهة بالشعر . والجوب : جمع جوبة بالفتح بمعنى الفجوة . وفى ط ، س والديوان : « جرب » وما أثبت من ل أجود وأصح . وقبل هذا الأبيات فى الديوان ٢٤٢ :

قطربل مربعى ولى بقرى الكرخ مصيف وأمى العنب

ترضعنى درها وتلحفنى بظلها والهجير يلتهب

تبيتُ في مأتمٍ حمائمُهُ ... كما تُرِنُّ الفواقدُ السُّلُبُ[١]

يَهِبُّ شوقي وشوقُهُنَّ معاً ... كأنّما يستخفُّنا طرب[٢]

وقال آخر[٣] :

لقد هَتَفَتْ في جُنحِ لَيلٍ حَمامةٌ ... على فَنَنٍ وهناً[٤] وإنّي لَنائمُ

فقلتُ اعتذاراً عند ذاكَ وإنّني[٥] ... لنفسي ممّا قد سَمِعتُ لَلائمُ

كذبتُ وبيتِ اللهِ لو كنتُ عاشقاً ... لما سَبَقَتْنِي بالبُكاءِ الحَمائمُ

٦٤ وقال نصيب :

ولو قَبْلَ مَبْكاها بَكَيتُ صبابَةً ... بسُعدى شَفَيتُ النّفسَ قبلَ التندُّمِ

ولكنْ بَكَتْ قَبلي فهيَّج لي البُكا ... بُكَاها فقلتُ الفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

وقال أعرابي :

عليكِ سَلامُ اللهِ قاطعةَ القُوى[٦] ... على أنَّ قَلبي للفِراق كليمُ

---

(١) ترن : من الإرنان ، وهو الصياح والتصويت . وفي ل : « ترثي » وهي صحيحة ، يقال رثى الميت ورثاه ، بالتشديد : بكاه وعدد محاسنه . وفي الديوان : « تراءى » وهي رواية غير مقبولة . الفواقد : جمع فاقد ، وهي التي مات زوجها أو ولدها . والسلب بمعنى الفواقد ، جمع سلوب .

(٢) كذا في ل والديوان . وفي ط ، س : « الطرب » . وهذا البيت هو الثاني في ط . وصواب الترتيب ما أثبت من ل ، س والديوان .

(٣) هو نصيب الأكبر مولى بني مروان ، كما في حماسة أبي تمام (٢ : ٩٧) .

(٤) الوهن : نحو نصف الليل ، أو بعد ساعة منه . وفي ط ، س : « تبكي » وأثبت ما في ل والحماسة .

(٥) ط : « ذا عندك » وهو تحريف مطبعي صوابه في س والحماسة . وهذا البيت ساقط من ل .

(٦) قوى الحبل : طاقاته ، جمع قوة . أراد أنها قطعت حبل وده .

قريحٌ بتغريدِ الحمامِ إذا بكت[١] وإن هبَّ يوماً للجَنُوبِ نَسيم[٢]

[وقال] المجنونُ ، أو غيره :

ولو لم يَهِجْنى[٣] الرائحون لهَاجَنِي حمائمُ وُرقٌ فى الدِّيارِ وُقوعُ
تجاوَبْنَ فاستبْكَيْنَ من كانَ ذا هوًى نوائِحُ لا[٤] تجرِى لهنَّ دُموعُ

[وقال الآخر] :

ألا ياسَيَالاتِ الدَّحائِلِ[٥] باللِّوى[٦]
عليكنَّ من بَين السَّيالِ سَلامُ
أرَى الوَحْشَ آجالًا[٧] إليكنَّ بالضحى
لهنَّ إلى أفيائكنَّ[٨] بُغام[٩]

---

(١) ل ، « يقرفه نوح الحمام إذا دعا » . يقال قرف الجرح : قشره قبل أن يبرأ .

(٢) ل : « وإن هب من ريح الجنوب نسيم » . س : « أو أن يهب للجنوب نسيم » .

(٣) ل : « ترعى » وصواب هذه الرواية : « يرعى » .

(٤) ل : « ما » .

(٥) الدحل بالفتح : نقب فى الأرض ضيق فمه ، ثم يتسع أسفله حتى يمشى فيه ، وهو أشبه ما يكون بهذه المخابئ الصناعية التى يحتمى بها الناس وقت الحرب . والجمع أدحل وأدحال ودحال ودحول ودحلان . وجمع الجمع دحائل . والدحائل هنا فى البيت لعلها اسم موضع بعينه ، كما قال ياقوت . وجاءت محرفة فى الأصل، فهى فى ط : « الأخايل » و س : « الأحايل » و ل : « الدخايل » . والصواب ماأثبت من معجم البلدان حيث وردت الأبيات . والسيالات : جمع سيالة ، كسحابة ، وهى واحدة السيال ، نبات له شوك أبيض طويل إذا نزع خرج منه شبه اللبن .

(٦) ل : « بالضحى » ووجه الرواية ما أثبت من ط ، س والمعجم .

(٧) آجال : جمع إجل ، بالكسر ، وهو القطيع من بقر الوحش . ط ، س : « اجلالا » وهو تحريف . ورواية المعجم : « أرى العيس آحادا » .

(٨) الأفياء : جمع فىء ، وهو الظل . ط فقط : « أفنانكن » تحريف يتهافت به البيت . ورواية المعجم : « أطلالكن » .

(٩) البغام : التصويت . ل : « نام » وضبطت بضم النون ، ولم أرلها وجها .

وإنّى لمجلوبٌ لى الشّوقُ كلما　　تَرَنّمَ فى أفنانكنّ(١) حَمامُ

وقال عمرُو(٢) بن الوليد :

حال مِنْ دونِ أنْ أحُلَّ بهِ النّأ　　ىُ وصَرْفُ النّوَى وحَرْبٌ عُقَامُ(٣)

فتبدَّلْتُ من مَسَاكِنِ قَوْمى　　والقصور التى بها الآطامُ

كلَّ قصرٍ مشيَّدٍ ذى أواسٍ(٤)　　تتغنَّى على ذُراه الحمامُ

وقال آخر(٥) :

ألا يا صَبَا نجدٍ متى هِجْتَ مِن نَجدِ　　فقد هاجَ لى مَسراكَ وجداً عَلَى وَجْدِ(٦)

أأن هَتَفتْ ورقاءُ فى رَوْنقِ الضُّحَى　　عَلَى غُصُنٍ غضٍّ النَّباتِ مِن الرَّنْدِ(٧)

---

(١) س : « أفيائكن » تحريف .

(٢) ل : « عمر » وصوابه ما أثبت من ط ، س والأغانى (١ : ٦) ، وكذا ذكره المرزبانى فى الشعراء ٢٤٠ فيمن اسمه « عمرو » من الشعراء . وهو عمرو ابن الوليد بن عقبة بن أبى معيط الأموى ، وقد غلب عليه لقب : « أبو قطيفة » . وكان يكثر القول فى حنينه إلى وطنه بالمدينة ، لما أخرجه ابن الزبير عنها مع من أخرج من بنى أمية ونفاهم إلى الشام . وفى ذلك يقول الأبيات الآتية . وقبلها :

ليت شعرى وأين منى ليت　　أعلى العهد يلبن فبرام

أم كعهدى العقيق أم غيرته　　بعدى الحادثات والأيام

وبأهلى بدلت عكا ولخما　　وجذاما وأين منى جذام

(٣) ل : « أصل به النأى » محرف . والحرب العقام ، بضم العين ، وفتحها : الشديدة .

(٤) أواس : جمع آسية ، على فاعلة : وهى الدعامة أو السارية . ويروى : « أواش » قال أبو الفرج : كأنه أراد به أن هذه القصور موشية أى منقوشة .

(٥) هوعبد الله بن الدمينة الخثعمى ، كما فى الحماسة (٢ : ١٠٠) . والأبيات فى ديوان ابن الدمينة ٢٩ ثم ٢٨ .

(٦) الصبا ، بالفتح : الريح الشرقية . ل : « جهداً من الجهد » .

(٧) أأن : أى ألأن ؟ ورواية الديوان والحماسة : « على فنن » . والرند : شجر طيب الرائحة .

بكيتَ كما يبكِى الوليدُ ولم تكنْ
جَليداً وأبْدَيتَ الذى لم تكنْ تُبدى[١]
وقد زعموا أنّ المحبَّ إذا دنَا[٢] يُمَلُّ، وأنّ النّأىَ يشفِى منَ الْوَجْد
بكلٍّ تَدَاوَيْنا فلم يَشْفِ ما بنا على أنّ قُربَ الدّارِ خيرٌ من البُعْد[٣]

(أنساب الحمام)

وقال صاحب الحَمام : للحمام مجاهيل ، ومعروفات ، وخارجيّات ، ومنسوبات . والذى يشتملُ عليه دواوينُ أصحاب الحَمام أكثرُ من كتب النَّسب التى تضاف إلى ابن الكلبىِّ ، والشّرقىِّ بن القطامىّ ، وأبى اليقظان[٤] ، وأبى عُبيدة النحوىِّ ؛ بل إلى دَغْفَلِ بن حنظلة ، وابن لسان الحُمَّرة[٥] ، بل إلى صُحارٍ العبدىِّ . وإلى أبى السَّطّاح اللّخمى[٦] ، بل إلى النَّخّار ٦٥

---

(١) الجليد : الصبور . ط ، س : « كنت لاتبدى » وأثبت رواية ل والحماسة والديوان .

(٢) ط ، س : « نأى » وهو تحريف يفسد المعنى ، وهو على الصواب فى ل والحماسة والديوان .

(٣) بعد هذا البيت – وكان جديراً بالجاحظ أن يثبته ؛ لأنه يتمم المعنى – :

على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذى ود

(٤) فى الأصل : « ابن أبى اليقظان » ، والصواب ما أثبت . وانظر ترجمة أبى اليقظان فى الجزء الثانى ص ١٠ .

(٥) سبقت ترجمته فى (٢ : ٢٠٠) ، وترجمة صحار فى (١ : ٩٠).

(٦) وكذا فى البيان (١ : ٣٦٢) وفى بعض نسخ البيان : « أبو الشطاح »، وفى الفهرست ١٥٦ : « ابن النطاح »، وذكر أن اسمه محمد بن صالح .

العذرىّ[١] ، وصُبح[٢] الطائىّ ، بل إلى مثْجور[٣] بن غيلان الضّبىّ ، وإلى سَطِيح الذئبىّ ، بل ابن شرِيَّة الجُرْهُمِىّ[٥] ، وإلى زيد بن الكيِّس النَّمَرِىّ ؛ وإلى كلٍّ نسَّابَةٍ راويَةٍ ، وكلٍّ متفنِّن علّامة .

ووصف الهذيل المازنىُّ ، مثنَّى بنَ زُهيرٍ وحفظَه لأنساب الحمام ، فقال : واللهِ لهو أنسَبُ من سعيد بن المسيِّب ، وقَتادةَ بن دِعامة[٦] للنَّاس ، بل هو أنسبُ من أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه ! لقد دخلت على رجلٍ

---

(١) النخار العذرى ، هو النخار بن أوس ، قال فيه صاحب القاموس : أنسب « العرب » . وكان معاصرا لجميل الشاعر ، وقد هجاه بشعر فى الأغانى (٧ : ٩٥) وقد ذكر الجاحظ فى البيان (١ : ١٠٥) علة تسميته بالنخار : قال : « كان إذا تكلم فى الحمالات ، وفى الصفح والاحتمال ، وإصلاح ذات البين ، وتخويف الفريقين من التفانى والبوار — كان ربما ردد الكلام على طريق التهويل والتخويف ، وربما حمى فنخر » . وفى البيان (١ : ٢٣٧) خبر طريف له مع معاوية . وانظر تلطف معاوية معه فى البيان (١ : ٣٣٣) .

(٢) ل : « صلح » وفى البيان (١ : ٣٠٤) : « صبح الحنفى » .

(٣) ط : « ميجور » س : « متجوز » وصوابه ما أثبت من ل والقاموس والبيان (١ : ٣٤١). وفيه يقول القلاخ بن حزن المنقرى :

إذا قال بذ القائلين مقاله ويأخذ من أكفائه بالمخنق

ولجرير فيه هجاء . انظر ديوانه ٢٣٣ .

(٤) سطيح الذئبى ، قال ابن إسحق فى السيرة ٤٧ جوتنجن : « وكانت العرب تقول لسطيح : الذئبى ؛ لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب » . وسطيح هذا هو الكاهن الجاهلى ، وهو وشق الكاهن المعاصر له ، كانا قد طلبهما ربيعة ابن نصر ملك اليمن ليعبرا له رؤيا هالته — زعموا — فاتفقا فى تعبير الرؤيا وبشرا برسالة الرسول الكريم ، بأسجاع تجدها فى أوائل السيرة . ط ، س : « الديلى » ، وهو تحريف صوابه فى السيرة والبيان (١ : ٢٩٠) . وقد ذكر فى المعمرين ص ٤ .

(٥) هو عبيد بن شرية — ويقال سرية ، ويقال سارية — الجرهمى ، أحد معمرى العرب وأدرك الإسلام فأسلم ، وقدم على معاوية بن أبى سفيان ، وجرى بينهما حديث طويل طريف تجده فى معجم الأدباء (١٢ : ٧٣) والمعمرين ٣٩ . وهو أول من نسب إليه كتاب فى التاريخ من المسلمين . انظر الفهرست ٨٩ ليبسك ١٣٢ مصر . وشرية ، بوزن عطية ، كما فى الإصابة ٦٣٩١ .

(٦) هو قتادة بن دعامة السدوسى البصرى ينتهى نسبه إلى الحارث بن سدوس ، ولد =

أعرفَ بالأمَّهاتِ المنْجبات من سُحَيم بن حفص[١] ، وأعرفَ بما دخَلَها من الهُجْنة والإقراف ، من يُونسَ بنِ حبيب .

(مما أشبه فيه الحَمام الناس)

قال : ومِمَّا أشبَهَ فيه الحَمامُ النَّاسَ فى الصُّوَر والشَّمائِلِ ورقّة الطباع ، وسُرعة القَبول والانقلاب[٢] ، أنَّك إذا كنتَ صاحبَ فِراسةٍ ، فمرَّ بك رجالٌ بعضُهم كوفىٌّ ، وبعضُهم بَصرىٌّ ، وبعضُهم مَدَنِىٌّ[٣] ، وبعضُهم شامىٌّ وبعضُهم يمانىٌّ ، لم يَخْفَ عليك أمُورهم فى الصُّوَر والشمائِلِ والقُدودِ والنَّغم أيّهم[٤] بصرىٌّ ، وَأيُّهم كوفىٌّ ، وَأيّهم شامىٌّ ، وَأيهم يمانىٌّ ، وَأيهم مدنىٌّ . وكذلك الحمام ؛ لا[٥] تَرَى صاحبَ حَمـامٍ تخفَى عليه نسب الحمام[٦] وجنسها وبلادُها إذا رآها .

= أعمى ، وكان تابعيا عالما كبيرا نسابة ، وكان ذا علم فى القرآن والحديث والفقه ، أخذ عن الحسن البصرى وابن سيرين . وقد أثر عنه النسيان : قال يوما : مانسيت شيئاً قط ! ثم قال : ياغلام ناولنى نعلى . فقال : نعلك فى رجليك ! ! ولد سنة ٦٠ وتوفى سنة ١١٧ فى أيام هشام بن عبد الملك . وفيات الأعيان ، ومعجم الأدباء ، والمعارف .

(١) هو أبو اليقظان الذى سبقت ترجمته فى (٢ : ١٠) .

(٢) ط ، س : « للألقاب » .

(٣) كذا فى ط ، س وهو الوجه . جاء فى معجم البلدان : « والمشهور عندنا أن النسبة إلى مدينة الرسول ، مدنى ، مطلقاً . وإلى غيرها من المدن ، مدينى ؛ للفرق لا لعلة أخرى . وربما رده بعضهم إلى الأصل فنسب إلى مدينة الرسول أيضاً مدينى ». وفى ل : « مدينى ».

(٤) ط ، س : « أنه » مكان « أيهم » فى مواضعها الخمسة .

(٥) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « ألا » .

(٦) ط ، س ، « جماعته » .

(مبلغ ثمن الحمام وغيره)

وللحمام من الفضيلة والفخْر ، أنَّ الحمامَ الواحدَ يباعُ بخمسمائة دينار ، ولا يبلغ[1] ذلك بازٍ ولا شاهينٌ ، ولا صقرٌ ولا عُقاب ، ولا طاوس ، ولا تَدْرَجٌ ولا ديكٌ ، ولا بعيرٌ ولا حمارٌ ، ولا بغلٌ . ولو أردْنَا أن نحقِّقَ الخبرَ بأنَّ برذوناً أو فرَساً بيع بخمسمائة دينار ، لما قدَرْنَا عليه إلاَّ فى حديث السَّمَر[2] .

وأنت إذا أردْتَ أن تتعرَّف مبلغَ ثمنِ الحَمام الذى جاء من الغايَةِ ، ثمَّ دخلْتَ بغدادَ والبصرةَ وجدْتَ ذلك بلا معاناة . وفيه أنَّ الحمام إذا جاء من الغاية بيع الفَرخُ الذَّكرُ من فراخه بعشرين ديناراً أو أكثر ، وبيعَت الأنثى بعشرة دَنَانير أو أكثر ، وبيعَت البيضة بخمسة دنانير . فيقوم الزَّوج منهما [فى الغَلَّةِ] مقام ضيعة ، وحتى[3] ينهَض بمُؤْنَة العِيال ، ويَقضىَ الدَّين ، وتبنى من غلاَّتِه وأثمانِ رقابهِ الدُّورُ الجياد[4] ، وتُبتاع الحوانيتُ المغِلَّة . هذا ؛ وهى فى ذلك الوقتِ مَلْهًى عجيبٌ ، ومنظرٌ أنيق ، ومعتَبَرٌ لمنْ فكَّر ، ودليلٌ لمن نظرَ[5] .

---

(١) ل : « ولم » .

(٢) السمر ، أصله الحديث ليلا . ولكنه يراد به فى مثل هذا الموضع حديث الخرافة . وقد جعل ابن النديم الخرافة والسمر مترادفين فى الفهرس (المقالة الثامنة) .

(٣) ط ، س : « حتى » .

(٤) ط ، س ونهاية الأرب (١٠ : ٢٧٥) : « والجنان » جمع جنة ، والجنان ليست مما يبنى . وصوابه فى ل ونثار الأزهار ٩٣ .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(عناية الناس بالحمام)

ومن دخل الحَجَر ورأى قصُورَها(١) المبنيَّة لها بالشَّامات(٢) وكيف اختزانَ(٣) تلك الغلاَّت ، وحِفْظَ(٤) تلك المئونات ؛ ومن شهد أربابَ الحمام، وأصحابَ الهُدَّى(٥) وما يحتملون فيها من الكُلف الغِلاظِ أيَّامَ الزَّجْل ، فى حملانها على ظهور الرِّجال ، وقبل ذلك فى بُطون السفن ، وكيف تُفْرَدُ فى البيوت ، وتجمع إذا كان الجمع أمثل ، وتفرَّقُ إذا كانت التَّفرِقَةُ أمثل(٦) وكيف تُنقلُ(٧) الإناثُ عن ذُكورتِها ، [وكيفَ تنقَلُ الذُّكورَةُ عن إناثِها] إلى غيرها ، وكيف يُخافُ عليها الضَّوَى(٨) إذا تقاربت أنسابُها ، وكيف يُخاف على أعراقِها من دخول الخارجيَّات فيها ، وكيف يحتاط(٩) فى صحَّة طَرْقها و نَجْلها(١٠) ؛ لأنَّهُ لاَ يُؤْمَن(١١) أن يقمُط الأنثى ذكرٌ من

٦٦

(١) الحجر ، بالتحريك ، هو حجر شغلان ، كسلطان : حصن فى جبل اللكام قرب أنطاكية . والقصر : المنزل ، أو كل بيت من حجر .

(٢) الشامات هى بلاد الشام ، وتشمل الثغور ، وهى المصيصة وطرسوس وأذنة وأنطاكية ، وجميع العواصم من مرعش والحدث وبغراس وغير ذلك . ط ، س : « بالسامان » محرف .

(٣) ط ، س : « اقتران » ، ل : « أقدار » ، والوجه فيه ما أثبت .

(٤) ل : « وخفة » تحريف .

(٥) انظر ماأسلفت من تحقيق هذه الكلمة (٢ : ٧٩) فىالتنبيه الثالث .

(٦) هذه الجملة ليست فى ل .

(٧) ط ، س : « تغفل » ، وصوابه فى ل .

(٨) الضوى : الهزال والدقة والضعف . ط ، س: « يحتال » .

(٩) ط ، س : « يحتال » .

(١٠) النجل : النسل وزنا ومعنى .

(١١) فى الأصل : « يأمن » .

عُرْضِ الحمام ، فيضربَ في النَّجلِ بنصيبٍ ، فتعتريه الهُجنة — والبيضة عند ذلك تنسب إلى طَرْقها[1] . وهم لا يحوطون أرحام نسائهم كما يحوطون أرحامَ المنْجِبات من إناثِ الحمام . [ومن شهد أصحاب الحمام] عند زَجْلها من الغاية ، والذين يعلّمون[2] الحمامَ كيف يختارون لصاحب العلامات ، وكيفَ يتخَيَّرُون الثِّقة وموضعَ[3] الصِّدقِ والأمانَةِ ، والبُعدِ من الكَذِب والرِّشوة ، وكيفَ يتوخَّوْن ذَا التَّجربَة والمعرفة اللَّطيفة ، وكيف تسخو أنفسُهمْ بالجعالة[4] الرَّفيعة ، وكيف يختارون لحملها من رجال الأمانةِ والجَلَدِ والشَّفَقَةِ والبَصَر وحُسْنِ المعرفَةِ — لعَلم عند ذلك[5] صاحب الدِّيك والكلب أنَّهما لا يجريان في هذه الحلبةِ ، ولا يتعاطيانِ هذه الفضيلة[6] .

(بعض خصائص الحمام)

قال : وللحمام من حسنِ الاهتداء ، وجودَةِ الاستدلاَلِ ، وثَباتِ الحِفْظِ والذِّكْر ، وقوّةِ النِّزاع إلى أربابه ، والإلف لوطنه ، [ماليس لشيء]

---

(١) طرقها : أي طارقها ، وهو فحل الأنثى .

(٢) ل ، ط ، « يعملون » وهو تحريف ظريف ، صوابه في س .

(٣) ط ، س : « في موضع » ، ووجهه ما أثبت من ل .

(٤) الجعالة ، مثلثة : ماجعل للإنسان في مقابل عمله .

(٥) لعلم : جواب : « ومن دخل الحجر . . » الخ في ص ٢١٣ . ط ، س : « ذلك عند » وصوابه من ل .

(٦) ط ، س : « القضية » ، بمعنى الحكم .

وكفاك اهتداءً ونزاعاً أن يكون طائرٌ من بهائم الطير ، يجيء من بَرْغَمَة[١] ، لا بَلْ من العليق ، أو من خَرشنة[٢] [أ] وْ من الصفصاف[٣] ، لاَ بَلْ من البَغْراس[٤] ، ومن لؤلؤة[٥] .

ثمَّ الدَّليلُ على أنه يَستدلُّ بالعقلِ والمعرفة ، والفِكرةِ[٦] والعناية ، أنَّه إنما يجيء من الغايةِ على تدريج وتَدْرِيبٍ وتنزيل[٧] . والدليل عَلَى علم أربابهِ بأنّ تلك المقدّمات قد نَجعنَ فيه ، وعملن فى طِباعه ، أنّهُ إذا بلغ الرَّقَّة غمَّروا بهِ بكَرّةٍ[٨] إلى الدَّرب وما فوقَ الدَّرْب من بلاد الرُّوم ، بل لا يجعلون ذلك تغميراً[٩] ؛ لمكان المقدَّمات والترتيبات التى قد عُمِلت فيه وحَذّقته ومَرَّنته .

---

(١) برغمة : مدينة من بلاد الروم . ذكرها ابن بطوطة فى رحلته (١ : ٢٣١) . وضبطت بباء موحدة مفتوحة ، وراء مسكنة وغين معجمة مفتوحة وميم مفتوحة . ط ، س : « ركة » ل : « رعمة » . ولعل صوابهما ما أثبت .

(٢) خرشنة : بلد قرب ملطية من بلاد الروم . معجم البلدان . وفى ط ، س : « حوساء » .

(٣) الصفصاف : كورة من ثغر المصيصة والمصيصة . من ثغور الشام ، بين أنطاكية وبلاد الروم . والمراد ببلاد الروم مايعبر عنه اليوم بتركية آسيا .

(٤) بغراس ، بالفتح : مدينة فى لحف جبل اللكام — بضم اللام — بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ . وفى الأصل : « النقراس » ، وهو تحريف ما أثبت من المعجم والقاموس . وهذه الكلمة وكلمة و« من » بعدها ساقطتان من ل .

(٥) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٧) كذا فى ل . وفى ط : « عن التدريج والتدرب والتنزيل » وفى س مثل مافى ط مع إبدال كلمة : « والتدرب » بجعلها : « التدريب » .

(٨) غمروا به : دفعوا به . فى ط ، س : « غمزوا أنه قطرة » ، وهو تحريف صوابه فى ل .

(٩) ط ، س : « تغميزا » ، وهو تصحيف ما فى ل .

ولو كان الحمام ممَّا يُرسَل باللّيل(١) ، لكان مِمَّا يستدِلُّ بالنُّجوم ؛ لأنّا رأيناه يلزَم بَطنَ الفُرات ، أو بطنَ دِجلة ، أو بُطونَ الأوديةِ التى قد مرَّ بها ، وهو يرى ويُبصِرُ ويفهَمُ انحدارَ الماء ، ويعلمُ بَعْدَ طُولِ الجَوَلاَنِ [و](٢) بَعْدَ(٣) الزِّجال ، إذا هو أشرف عَلَى الفُرات أو دِجلة ، أنّ طريقَه وطريقَ المَاء واحد ، وأنهُ ينبغِى أن ينحدِر مَعهُ .

وما أكثَرَ مَا يستدلُّ بالجَوَادِّ(٤) من الطُّرُق إذا أعيتْهُ بطونُ الأودية . فإذا لم يَدْرِ أمُصْعِدٌ هو أمْ مُنْحَدِرٌ ، تَعرَّفَ ذلك بالرِّيح ، ومواضعِ(٥) قُرْصِ الشمس فى السماء . وإنّما يحتاج إلى ذلك كلِّه إذَا لم يكُن وَقَعَ بعدُ عَلى رسم يعمَلُ عليه(٦) . فربَّما كَرَّ(٧) حين يزجل بِهِ(٨) [يميناً و] شِمالاً ، وجنوباً وشَمالاً ، وصَباً ودَبُورًا — الفَرَاسِخَ الكثيرةَ وفوقَ الكثيرة . ٦٧

---

(١) ل : « بالحيل » ، وصوابه من ط ، س ونثار الأزهار ٩٣ .

(٢) زدتها لحاجة الكلام إليها .

(٣) كذا فى ل ، ط . وفى س : « بقدر » .

(٤) الجوادّ : جمع جادة ، وهى معظم الطريق . وفى ط ، س : « بالجوّ أو » ، تحريف .

(٥) كذا فى ل ونثار الأزهار . وفى ط ، س : « وبموضع » .

(٦) كلمة « على » ساقطة من س . وفى الأصل : « يعمل به عليه » ، والوجه ما أثبت من نثار الأزهار .

(٧) كرّ : عطف ، أى مال فى سيره . ل ، وكذا نثار الأزهار : « كسر » .

(٨) كذا فى ل . وفى ط ، س : « حتى يرحل » وهذا تحريف وتصحيف .

(الغُمر والمجرَّب من الحمام)

وفى الحمام الغُمْر والمجرّب . وهم لا يُخاطِرون بالأغمار لوجهين : أحدهما أن يكون الغُمْر عريفاً[١] فصاحبُه يضنُّ به ، فهو يريدُ أن يدرِّبه ويمرِّنَه[٢] ثمَّ يكلفه بعدَ الشيء الذى اتّخذه له ، وبسببه[٣] اصطنعه [واتّخذهُ] . وإمَّا أن يكونَ الغمْر مجهولاً ، فهو لا يتعنَّى[٤] ويُشقى نفسَه ، ويتوقَّعُ[٥] الهِدَايَةَ من الأغمارِ المجاهيل .

وخَصلةٌ أخرى : أنّ المجهولَ إذا رَجَعَ مع الهُدَّى[٦] المعروفاتِ ، فحملهُ معها إلى الغَاية[٧] فجاء سابقاً ، لم يكنْ له كبيرُ ثمنٍ حتَّى تتلاحق به[٨] الأولاد . فإنْ أنْجَبَ فيهنَّ صار أباً[٩] مذْكوراً ، وصار نَسَباً[١٠] يرجَع إليه ، وزاد ذلك فى ثمنه .

---

(١) العريف : المعروف ، وبه سمى عريف القوم : أى رئيسهم . وأراد به المعروف النسب . وفى ل : « عريقا » ، من قولهم : فلان عريق النسب .

(٢) ل : « وهو على أن يدربه أو يمرنه » .

(٣) هذه الكلمة وكذلك كلمة « اتخذه » قبلها ، ساقطتان من ل .

(٤) يتعنى : ينصب ، أى يتعب . ط ، س : « يبقى » تحريف مافى ل .

(٥) ط ، س : « وتتوقع » ، وهو خطأ .

(٦) انظر الجزء الثانى من الحيوان ص ٧٩ التنبيه الثالث .

(٧) فحمله ، ضمير الفاعل عائد إلى صاحب الحمام ، وضمير المفعول راجع إلى المجهول من الحمام ، وضمير « معها » عائد إلى « الهدى » . وفى س : « معه » ويصح فإن « الهدى » جمع هاد كما سبق فى الجزء الثانى . والأفضل ماأثبت من ط ، ل .

(٨) ل : « له » وكلاهما جائز .

(٩) ط ، س : « أبدا » وهو تحريف ماأثبت من ل .

(١٠) ط : « نسيبا » .

فأمّا المجرَّب غير الغَمر ، فهو الذى قد عرّفوه الوُرودَ والتحَصُّب[١] ؛ لأنّه متى لم يقدرْ عَلَى أن ينقضّ حتَّى يشربَ المَاء من بطون الأوديةِ[٢] والأنهارِ والغُدْران ، ومناقع[٣] الميـاه ، ولم يتحَصَّب[٤] بطلب بُزُورِ البرارىِّ ، وجاعَ وعطش — التمسَ مواضعَ النـاس . وإذا مرَّ بالقرى والعُمْـران[٥] سقط ، وإذا سقط أُخِـذ بالبَايْـكِير[٦]

---

(١) المراد بالورود ورود المـاء . وفى ط ، س « بالورود » ولايصـح ؛ لأن « عرف » لاتتعدى بالباء ، إلا فى معنى آخر ، فيقال : عرفه بزيد ، أى سماه بزيد ، وعرفه بكذا : أى وسمه به . انظر اللسان . والتحصب ، بالحاء المهملة : خروج الحمام إلى الصحراء لطلب الحب ، وإنما يريدونه على ذلك ليعتاد البعد عن المدن حتى لايقع فى أيدى الناس . ط : « والتخصب » ، س : « والتخضب » وصوابهما فى ل .

(٢) كذا فى س . وفى ط : « من بطون أوسـاط الأودية » . وفى ل : « من أوساط الأودية » .

(٣) المناقع : جمع منقع كجمع ، وهو الموضع يستنقع فيه الماء . وفى ط ، س : « مواقع »، وليس من لغة الجاحظ .

(٤) انظر التنبيه الأول من هذه الصفحة . ط : « يتخصب » س : « يتخضب » محرفتان عما فى ل .

(٥) المراد بالعمران : المواضع العامرة بالناس . ل : « الغمران » ولا وجه له .

(٦) كتب إلى حضرة المحقق الـكبير الأب أنستاس مارى الـكرملى ، بمـا يأتى : « **البايكير** » بباء موحدة تحتية ، يليها ألف فياء مثناة ساكنة ، فـكاف فارسية مثلثة مكسورة ، فياء مثناة تحتية ساكنة فراء — : كلمة فارسية مركبة من : باى وهو نوع من الطـير يسمى بالعربية : بوهة ، وبالفرنسية : Effraie naine وبالإرمية باوا . ومن « **گير** » ، ومعناها جاذب . ومحصل اللفظين : جالب البوهة ويراد بذلك مصيدة تحبك بالحبال عيونا كعيون شبـكة صيد السمك ، وتجعل على شكل سلة كبيرة تقلب على فها . وقد دبر فيها بابان : باب خارجى أو أصلى ، وباب داخلى ، أو فرعى . فالباب الخارجى ، أو الأصلى ، يراه كل ناظر إليه . أما الداخلى فيـكون فى مثل دهليز يمتد من الباب الخارج ، ويفتح على يمين الطائر الداخل إليه أو على يساره . فيدخل الطائر من الباب الأول ، ثم إذا صار فى =

وبالقَفَّاعــة[١] وبالمِلْقَفِ[٢] وبالتَّدْبيق[٣] و بالدُّشَاخِ[٤] ؛ ورمى أيضا بالجُلاهِق[٥] ، وبغير[٦] ذلك من أسبابِ الصَّيد .

والحمام طائرٌ مُلَقًّى غير مُوَقًّى[٧] ، وأعداؤهُ كثير ، وسباعُ الطَّير تَطلُبه أشدَّ الطَّلب . وقد يترفَّع مع الشَّاهين[٨] ، وهو للشاهين أخْوَف . فالحمامُ

= الدهليز يبحث عن الباب الآخر فيجده على يمينه ، أو يساره ، حسبما دبر فى أول صنع المصيدة ، فإذا وجده ولجه ذاهبا إلى بطن السلة ليجد الطائر الذى يطلبه . فإذا دخل ، ثم حاول الخروج عائداً إلى موطنه الأول لايهتدى إلى الباب الداخلى لأنه مزور عن الخارج ، فيقبض عليه أسيرا ، أو محاولا التخلص من مأزقه . ووضعت البوهة لتكون ملواحا لسائر الطير ، فإن هذا الملواح يضطرب فتراه بعض إخوته الطير ، فتدخل لتنقذه من ورطته ، أو لترافقه فى أسره ، أو لتشاطره طعامه ، أو لتصيب شيئاً من نعيمه . فيؤخذ المخدوع بهذه الحيلة اللطيفة الدقيقة على فهم الطائر ، بدون أن يجرح المصيد » اه .

(١) القفاعة كرمانة : شيء يتخذ من جريد النخل ، ثم يغدف به على الطير فيصاد . يغدف : يسبل .

(٢) آلة من آلات الصيد . ط ، س : «باللقف» .

(٣) التدبيق : الاصطياد بالدبق . والدبق ، بكسر الدال : غراء يصاد به الطير .

(٤) الدشاخ : وأكثرهم يكتبونها « الدوشاخ » كلمة فارسية مركبة من (دو) أى اثنين ، و (شاخ) أى شعبة ، أو طرف أو رأس . ومحصل عناها : ذو الشعبتين أو ذو الرأسين أو ذو الطرفين . وأكثر ماتكون هذه الآلة من حديد ، يصاد بها السمك ، فى دجلة والفرات . واسمها معروف هناك إلى يومنا هذا . كتب بذلك إلى حضرة المحقق الأكبر الأب أنستاس مارى الكرملى . قلت : وهذه الكلمة هى فى ط ، س : « وبالفخ » وصواب نصها من ل .

(٥) الجلاهق : البندق الذى يرمى به الصيد . فارسي معرب . ل : « وبالرمى بالجلاهق » .

(٦) ل : « وغيره » .

(٧) ملقى : أى يلقى عنتا من الناس والطير . وغير موقى : غير مصون من الأذى . ط ، س : « والحمام أنيس » الخ .

(٨) يترفع معه : أراد يطير معه طيراً سريعاً .

أطْيرُ منْهُ ومن جميعِ سباع الطير ، ولـكِنَّهُ يُذْعرُ فيجهَلُ بابَ المَخْلَص ويَعتريه ما يعترى الحمارَ من الأَسدِ إذا رآه[١] ، والشاةَ إذا رأت الذِّئب ، والفارةَ إذا رأت السِّنَّور .

(سرعة طيران الحمام)

والحمامُ أشدُّ طيراناً من [جميع] سباع الطير ، إلَّا فى انقضاض وانحدار[٢] ؛ فإنَّ تلك تنحطّ انحطاط الصخور . [و][٣] متى التقت أُمَّةٌ[٤] من سباع الطَّير ، أوْ جُفالةٌ[٥] من بهائم الطير ، أو طِرْنَ عَلَى عَرَقَةٍ[٦] وخيطٍ ممدود ، فـكلُّهَا يعتريها عندذلك التَّقصيرُ عما[٧] ما كانت عليه، إذا طارت[٨] فى غير جماعة .

---

(١) قالوا : إنه يفر إلى الأسد منه .

(٢) ل : « إلا فى الانقضاص والانـكدار » . والانـكدار بمعنى الانقضاض .

(٣) هذه الزيادة الضرورية من ل ، س .

(٤) الأمة ، بالضم : الجماعة ، كما فى اللسان . ل : « رامة » س : « وامه » ط : « وأمه »، وصواب ذلك كله ما أثبت .

(٥) الجفالة ، بالجيم : الجماعة ، وفى ط ، س : « حفالة » بالحـاء المهملة ، وهى بمعنى الحثالة : الردىء من كل شىء. وليس مرادا هنا ، فهى مصحفة عما فى ل .

(٦) العرقة ، بالتحريك : السطر من الطير ، جمعه عرق ، بالتحريك أيضا . وفى ط ، س : « غرفة » ولا تصح . و « طرن » محرفة فى الأصل فهى فى ط ، س : « طرف » وفى ل : « كن »، وقد جعلتها كما ترى .

(٧) ط ، س : « عند »، تحريف .

(٨) ل : « إذ كانت » .

ولن ترى جماعةَ طير أكثرَ طيراناً إذا كَثُرْنَ من الحمام ؛ فإنّهُنّ كلما التففن وضاق موضِعُهنَّ كان أشدَّ لطيرانهنَّ . وقد ذكر ذلك النَّابِغة الذُّبيانىُّ فى قوله :

وَاحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الحىِّ إذ نَظَرَتْ

إلى حمامٍ شِراعٍ واردِ الثَّمَد[1]

يحفُّــه جانبا نِيقٍ ويَتْبَعُـهُ

مثلُ الزُّجاجةِ لم تُكْحَلْ من الرَّمَدِ[2]

قالت : ألا لَيتَما هذا الحمامُ لَنا إلى حمامَتِنا ونِصْفُهُ فَقَدِ[3]

فحسَبوه فألفَوهُ كما حَسَبَتْ تِسعاً وتِسْعِينَ لم تنقُصْ ولم تَزِدِ[4]

فكَمَّلت مائةً فيها حمامتُها وأسرَعَتْ حَسْبَةً فى ذلك العَدَدِ[5] ٦٨

---

(١) احكم : كن حكيما . وأراد بفتاة الحى : زرقاء اليمامة . و « شراع » هى رواية الأصمعى كما فى الخزانة (٤ : ٣٠٠ بولاق) . والشراع : التى شرعت فى الماء . والرواية المعروفة : « سراع » بالمهملة ، جمع سريعة . وهذه أوجه ؛ فإن بالأولى يكون التكرار ؛ إذ الشراع هن الواردات . والثمد : الماء القليل . والحمام وما أشبهه من أسماء الأجناس يجوز أن يعتبر جمعاً ومفرداً .

(٢) النيق ، بالكسر : الجبل أو أعلاه . و « يتبعه » روى فيها « تتبعه » من الإتباع كما فى الخزانة ، وشرح التبريزى للمعلقات . والفاعل فى الرواية الأولى هو كلمة : « مثل » وفى الثانية الضمير المستكن الراجع إلى « فتاة الحى » . وأراد بـ « مثل الزجاجة » عينى الزباء . يقول : هى صافية كما صفت الزجاجة . و « لم تكحل من الرمد » أى لم ترمد فتكحل ، كقوله :

* على لاحب لايهتدى بمناره *

(٣) للنحويين كلام طويل فى هذا البيت ، تجده فى مراجع النحو فى الكلام على « ليت » . وانظر الكلام على « ونصفه » فى الخزانة . وقد بمعنى حسب .

(٤) حسبوه : عدُّوه .

(٥) كان الحمام الذى رأت ستا وستين ، وهو ونصفه مع حمامتها مائة .

قال الأصمعيُّ : لما أراد مَديحَ الحاسب وسرعةَ إصابته ، شدَّدَ الأمرَ وضيَّقه عليه ؛ ليكون أحمدَ له إذا أصاب ؛ فجعَلَهُ حَزَر[١] طيرًا ، والطَّيرُ أخفُّ من غيره ، ثمَّ جعله حماماً والحمامُ أسرع الطَّيرِ ، وأكثرُها اجتهاداً في السرعة[٢] إذا كثر عددهنَّ ؛ وذلك أنّه يشتدُّ[٣] طيرانُه عند المسابَقةِ والمنافسة . وقال : يحفّه جَانبا نِيقٍ ويتبعه ، فأراد أنَّ الحمام إذا كان في مَضيقٍ من الهواء كان أسرَعَ منه إذا اتّسع عليه الفضاء .

(غايات الحمام)

وصاحب الحمام قد كان يدرِّب ويمرِّن ويُنزِل في الزِّجال ، والغايةُ يومئذٍ واسط[٤] . فكيف يصنَع اليومَ بتعريفه الطَّريقَ وتعريفِهِ الوُرود والتحصُّب[٥] ، مع بُعد الغاية ؟ ![٦] .

---

(١) الحزر ، بالزاى الساكنة : التقدير .

(٢) « وأكثرها اجتهاداً في السرعة » ساقط من ل .

(٣) ل : « وكثر العدد لأن الحمام » .

(٤) تسمى واسط الحجاج ، سميت بذلك لأنها توسطت بين البصرة والكوفة ، فبينها وبين كل واحدة منهما خمسون فرسخا . وبدلها في ط ، س : « أقصر » .

(٥) التحصب : خروج الحمام إلى الصحراء لطلب الحب . ط : « التخصب » ل ، س : « التخضب » ، مصحفتان .

(٦) هذه الجملة ساقطة من ل .

(ما يختار للزّجْل من الحَمام)

والبغداديون يختارون للزِّجال من الغايةِ الإناث ، والبصريّون يختارون الذُّكور. فحجَّة البغداديِّين أن الذَّكر إذا سافر وبَعُد عهده بقَمْط الإناث ، وتاقَتْ نفسُه إلى السِّفاد ، ورأى أنثاه فى طريقه[1] ، ترك الطَّلبَ إن كان بعُد فى الجوَلان ؛ أو ترك السَّيرَ إن كان وقع على القَصْد ، ومالَ إلى الأنثى وفى ذلك الفسادُ[2] كلُّه .

وقال البَصرىُّ : الذَّكرُ أحنُّ إلى بيتِه لمكان أنثاه ، وهو أشدُّ متْناً وأقوى بدَناً ، وهو أحسنُ اهتداء . فنَحنُ لا نَدَع تقديمَ الشىءِ القائم إلى معنًى قد يعرضُ وقد لايعرض .

(نصيحة شدفويه فى تربية الحَمام)

وسمعتُ شدفويه السلأحى[3] من نحو خمسين سـنة ، وهو يقول لعبد السلام بن أبى عمار[4] : اجعل كعبةَ حمامِك فى صَحْن دارِك ، فإنَّ الحَمامَ إذا كان متَى خرج من بيتـه إلى المعلاة لم يصل إلى معلاتِه إلاّ بجمع النَّفس والجناحين ، وبالنهوضِ ومكابدَةِ الصعود — اشتدَّ متْنُه ، وقوىَ

---

(١) ل : « فى طريقه ومجيئه » .

(٢) ط فقط : « السفاد » محرف .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « سرفوحة السائحى » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أبى العيان » .

جناحُه ولحمه . ومتى أرادَ بيتَه فاحْتاج (١) إلى أن ينتكس ويجىء منقضًّا — كانَ أقوَى على الارتفاع فى الهواء بعد أن يروى(٢) . وقد تعلمون أنَّ الباطِنِيِّين أشدّ [متناً] من الظاهريِّين(٣) ، وأنّ النِّقرِسَ لا يُصيب الباطِنِيَّ فى رجله(٤) ليس ذلك إلّا لأنّه يصعد إلى العَلالى (٥) فوق الكَنادِيجِ(٦) درجةً بعد درجة ، وكذلك نزوله . فلو درَّبتم الحَمامَ [على](٧) هذا التَّرتيب كانَ أصوب . ولا يعجِبُنى تَدْريب العاتق وما فوق العاتق(٨) إلّا من الأماكنِ القريبة ؛ لأن العاتقَ كالفتاةِ العاتق ، وكالصبىّ الغرير ، فهو لَا يَعْدِمُه ضعفُ البدن ، وقلّةُ المعرفة ، وسوءُ الإلف . ولا يُعجِبُنى أن تتركوا الحمام حتَّى

---

(١) ط : « فاهتاج » ، تحريف ما فى س ، ل .

(٢) كلمة « الهواء » هى فى ط ، س : « الهوى » محرفة . وكلمة « بعد » ساقطة من ل .

(٣) كذا جاءت كلمتا : « الباطنيين » و « الظاهريين » فى ل . وإن كان وجهه فى العربية : « الباطنيات » و « الظاهريات » إما لأن الجاحظ أراد أن ينقل كلام « شدفويه » كما وقع ، وإما لأنه نزل الحمام منزلة العاقل ، فجمعه جمع العاقلين . وفى ط : س : « الباطنتين » و « الظاهرتين » وهو لا جرم تحريف . والباطنى : نسبة إلى الباطن ، وهو الذى تكون تربيته فى باطن بيت مكنون قد مهدت له فى داخله كناديج : أى درجات يصعد عليها إلى قرموصه. والظاهرى : نسبة إلى الظاهر ، والمراد به ما كان صعوده إلى قرموصه من ظاهر البيت فيصمد إليه بالطيران لا بالصعود التدريجى كما يصنع الباطنى .

(٤) ل : « لا يصيب الباطنى فى رجليه » .

(٥) العلالىّ : جمع علية ، بالضم والكسر ، وهى الغرفة .

(٦) الكناديج : جمع كندجة : معرب كندة بالضم ، وهى خشبة عظيمة يستخدمها البانى فى بناء الجدران والطيقان ، انظر الألفاظ الفارسية ١٣٨ . وضبطت : « الكندجة » فى القاموس بفتح الكاف والدال ، ضبط قلم . والمراد بها الدرجات التى يصعد عليها الحمام . وفى ط : « الكساويح » ، محرفة .

(٧) ليست بالأصل .

(٨) العاتق من الحمام : فرخه ما لم يستحكم . ل : « العتق » فى الموضعين .

إذا صار فى عَدَد المسانِّ واكتهل ، وولَدَ البطونَ بَعْدَ البطونِ ، وأخذ ذلك من قوَّةِ شبابِهِ ، حملتموه على الزَّجْل ، وعلى التَّمْرين ، ثمَّ رميتم به أقصى غايةٍ .
لاَ ، ولكنَّ التَّدريب مع الشباب ، وانتهاء الحِدَّة[١] ، وكمال القُوَّة ، ٦٩
من قبل أن تأخذ القوَّة فى النُّقصان . فهو يلقَّن بقربه من الحداثة[٢] ، ويُعرَّف بخروجه من حدِّ الحداثة[٣] . فابتدِئوا به التَّعليمَ والتمْرينَ فى هذه المنزلة الوُسطى .

(الوقت الملائم لتمرين فراخ الحمام)

وهُمْ إذا أرادوا أن يمرِّنوا[٤] الفراخَ أخرجُوها وهى جائعة ، حتى إذا ألقَوا إليها الحبَّ أسرعت النزول . ولا تَخْرَجُ والرِّيح عاصف ، فتخرج قبل المغربِ وانتصاف النهار . وحُذّاقهم لا يخرجونها مع ذكورة الحمام ؛ فإنَّ الذُّكورةَ يعتريها النَّشاطُ والطَّيران والتَّباعُدُ ومجاوزةُ القبيلة . فإن طارت الفِراخُ معها سقَطَتْ على دُور الناس . فرياضتها شديدة ، وتحتاج إلى معرفةٍ وعنايَةٍ ، وإلى صبرٍ ومُطاوَلة ؛ لأنَّ الذى يُراد منها إذا احتيج[٥] إليه بعد هذه المقدّمات كان أيضاً من العجَب العجِيب .

---

(١) س : « مع انتهائه الحدة والشبام » .

(٢) كذا فى ل : وفى ط ، س : « بقوته مع الحداثة » .

(٣) ل : « الحلاثة » ، تحريف .

(٤) ل : « يثبتوا » .

(٥) ل : « جئن » .

(حوار يعقوب بن داود مع رجل فى اختيار الحمام)

وحدَّثنى بعضُ من أثقُ به أنّ يَعقوبَ بن داود ، قال لبعض مَنْ دَخلَ عليه ــ وقد ذهب عنِّى اسمُه ونسيتُهُ ، بَعْدَ أَنْ كُنْتُ عرفتُه ــ : أَمَا تَرَى كيف أخلفَ ظنُّنا وأخطأ رأيُنا ، حتّى عمَّ ذلك ولم يخصَّ ؟ ! أمَا كان فى جميع من اصطنعناه واخترناه ، وتفرَّسْنا فيه الخير وأردناه[1] بهِ ــ واحدٌ[2] تكفينا معرفته[3] [مؤنَةَ] الاحتجاجِ عنه ، حتَّى صرْتُ لاَ أقرّع[4] إلَّا بهم ، ولاَ أعابُ[5] إلَّا باختيارهم ! ! قال : فقال له رجل إنّ الحمام يُختارُ من جهة النَّسَب ، ومن جهة الخِلْقة ، ثمَّ لا يرضى له أربابُه بذلك حتّى ترتِّبه وتنزِّلهُ وتُدَرِّجهُ[6] ، ثم تُحمَل الجماعةُ منهُ[7] بعد ذلك التّرتيب والتَّدْريبِ إلى الغاية ، فيذهبُ الشَّطرُ ويرجعُ الشطر ، أو شبيهٌ بذلك أو قريبٌ[8] من ذلك . وأنتَ عمَدْتَ إلى حمامٍ لم تنظُرْ فِى أَنْسابها ولم تتأمَّلْ مَخِيلة الخيرِ فى خَلْقها[9] ثمَّ لم ترْضَ حتى ضربْتَ بها بِكرَّةٍ[10] واحدةٍ

(١) ط ، س ، « أردنا به » .

(٢) ط : « واحداً » ، وإنما هو اسم كان أو فاعلها .

(٣) ل : « معرته » محرفة ، وبعد هذه الكلمة واو حذفتها .

(٤) كذا فى ل ، س . وهو الصواب . وفى ط : « أفزع » .

(٥) ط ، س : « أداب » محرف .

(٦) كذا فى ط ، س ، وفى ل : « حتى يرتبوه وينزلوه » .

(٧) ط ، س « معه » وتصحيحه من ل .

(٨) ط ، س : « شبيها » و « قريبا » والوجه الرفع كما فى ل .

(٩) المخيلة : موضع الظن ، فهى كالمظنة . انظر اللسان . ط ، س : « مخيلة موضع الخير » وفيهما أيضاً : « فى خلقتها » .

(١٠) ط ، س : « ضربة » ، تحريف ما فى ل .

إلى الغاية[١] ، فليس بعَجَبٍ ولا مُنْكَرٍ[٢] ألاَّ يرجعَ إليكَ واحدٌ منها ، وإنما كان العَجبُ في الرُّجوع ، فأمّا في الضّلال فليس [في] ذلك عجبٌ[٣] .

وعلى أنّه لو رجع منها[٤] واحدٌ أو أكثرُ من الواحدِ لكان خطؤك موفَّرًا عليك ، ولم ينتقصْه خطأُ من أخطأ ؛ لأنّه ليس من الصواب أن يجيء طائرا من الغايَةِ على غير [عِرْقٍ ، وعلى غير] تدريب .

باب

ومن كرم الحَمام الإلف والأُنْس والنِّزاعُ والشّوق . وذلك يَدُلُّ على ثبات العهد ، وحِفْظِ ما ينبغي أن يُحفَظ ، وصوْنِ ما ينبغي أن يصان وإنه لَخُلُق صِدْق[٥] في بني آدم فكيفَ إذا كان ذلك الخلقُ[٦] في بعض الطير .

وقد قالوا : عَمَّرَ الله البُلدان بحبِّ الأوطان[٧] . ٧٠

قال ابن الزُّبير : ليس النّاسُ بشيء مِنْ أقسامهم[٨] أقنَعَ منهم بأوطانهم !

---

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « واحدة الغايات » .

(٢) ط ، س : « فليس ذلك بعجيب ولا بمنكر » الخ .

(٣) ط ، س : « فليس ذلك بعجب ولا بمنكر » .

(٤) ط ، س : « منهن » .

(٥) خلق صدق ، بالإضافة ، أي نعم الخلق . وبالوصف ، أي الخلق الكامل . « لخبيء صدق » ، تحريف .

(٦) ل : « فكيف بذلك الحق » .

(٧) القول في الحنين إلى الأول من رسائل الجاحظ ٢ : ٣٨٩ مع نسبته إلى عمر بن الخطاب .

(٨) أقسام : جمع قسم ، بالكسر : وهو الحظ والنصيب : ل : « لشيء » تحريف . ط ، س : « في اقتسامهم » ، ووجهه ما أثبت من ل .

وأخبر الله عزَّ وجلَّ عن طبائع النَّاس فى حبِّ الأوطان ، فقال : ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِى سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا [١] ﴾ وقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ [٢] ﴾ .

وقال الشاعر :

وكنتُ فيهمْ كممْطُورٍ ببَلْدتهِ فسُرَّ أنْ جَمعَ الأوْطَانَ والمطَرَا [٣]

فتجدُهُ يُرْسَلُ مِنْ موضعٍ فيجىء ؛ ثمَّ يخرج من بيته إلى أضيق موضع وإلى رخام [٤] ونَقان [٥] فيرسل من أبعد من ذلك فيجىء . [ثم يصنَع به مثلُ ذلك المرار الكثيرة ، ويزاد فى الفراسخ] ، ثم يكون جزاؤه [٦] أن يغمَّر به [٧] [من] [٨] الرَّقَّة إلى لؤلؤة [٩] فيجىء . ويُستَرَقُ من منزل

---

(١) هذا القول حكاية عن بنى إسرائيل ، وكانوا طلبوا من نبى لهم - وهو يوشع ، أو شمعون ، أو أشمويل - أن يعين لهم أميرا يتولى قيادتهم فى حرب العمالقة وكان العمالقة قد أجلوا الإسرائيليين وسبوا أولادهم . وكان النبى قال لهم : « هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا » - يقول ذلك متوقعا جبنهم عن القتال - فأجابوه بما فى هذه الآية . انظر التفاسير .

(٢) قال العسكرى فى ديوان المعانى (٢ : ١٨٧) تعقيبا على هذه الآية : « فجعل خروجهم من ديارهم كفء قتلهم لأنفسهم » .

(٣) أنشده فى الحنين إلى الأوطان . وأخذ ابن المولى هذا المعنى فقال (ديوان المعانى ٢ : ١٩٠) :

كممطور ببلدته فأضحى غنيا عن مطالعة السحاب

(٤) هو اسم موضع ، ولم أحققه . وفى ط فقط : « زحام » .

(٥) نقان ، بضم النون ويكسر : اسم جبل فى بلاد أرمينية . وفى ط ، س : « قفار » : وفى ل : « تفاد » وهو تحريف ما أثبت .

(٦) كذا فى ل . وفى ط : « الحرارة » ! وفى س : « الجراوة » .

(٧) يغمر به : أى يدفع به. س: « يغمز » تصحيف .

(٨) التكملة من ل ، س .

(٩) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس .

صاحبه[١] فيقصُّ ، ويَغْبُرُ هناك حولاً وأكثَرَ من الحول ، فحينَ ينبت جناحُه يحنُّ إلى إلفه ويَنْزِع إلى وطنه ، وإن كان الموضعُ الثّانى أنفعَ له ، وأنْعَمَ لباله . فيَهَبُ فضلَ ما بينهما لموضع تربيته وسكنه ؛ كالإنسان الذى لو أصاب فى غير بلادِه الرِّيفَ لم يقعْ ذلك فى قلبه ، وهو يعالجهم[٢] على أن يُعطَى عُشْرَ ما هو فيه[٣] فى وطنه .

ثمَّ ربَّما باعه صاحبُه ، فإذا وجد مَخْلَصاً رجع إليه ، حتَّى ربَّما فَعَلَ ذلك مِراراً . وربَّما طار دَهْرَهُ وجالَ فى البلادِ ، وألفَ الطَّيرانَ والتقلُّبَ فى الهواء ، والنَّظَرَ إلى الدنيا ، فيبدو لصاحبه[٤] فيقصُّ جناحَه ويُلقِيه فى دِيماس[٥] ، فينبت جناحُهُ ، فلا يَذْهَبُ عنه ولا يتغيَّر له . نَعَمْ ، حتَّى ربَّما جَدَف[٦] وهو مقصوصٌ ، فإمَّا صار إليهِ ، وإمّا بلغَ عذراً .

---

(١) يسترق : من الاستراق ، وهو السرقة . ل : « يسرق » وفيها أيضاً « نزل » مكان « منزل » ، وهما بمعنى .

(٢) يعالجهم : يمارسهم . وفى ل : « يصالحهم » .

(٣) ل : « عشر ذلك » .

(٤) يقال بدا له فى الأمر : نشأ له فيه رأى .

(٥) الديماس بالكسر : الكن .

(٦) جدف الطائر : طار وهو مقصوص الجناحين كأنه يرد جناحه إلى خلفه . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، س : « جد » ، وفى ل : « حذف » .

(قص جناح الحمام)

ومتى قصَّ أحد جناحيه كان أعجزَ له عن الطّيران ، ومتى قصَّهما جميعاً كان أقوى له عليه ، ولـكنهُ لا يُبْعِد ، لأنّه إذا كان مقصوصاً من شِقٍّ واحِدٍ اختلفَ خَلْقَه ، ولم يَعْتَدِلْ وزنَه ، وصارَ أحدُهما هوائيًّا والآخرُ أرضيًّا . فإذا قُصَّ الجناحانِ جميعاً طار ، وإن كانَ مقصوصاً فقد بلغ بذلك التعديل من جناحَيهِ[1] أكثرَ مما كانَ يبلغ [بهما] إذا كانَ أحدُهما [وافياً] والآخرُ مبتورا[2] .

فالـكلبُ الذى تَدَّعون له الإلفَ وثباتَ العهد، لايبلغُ هذا . وصاحبُ الدِّيك الذى لا يفخرُ[3] للدِّيك بشىءٍ من الوفاء والحفاظ والإلف ، أحقُّ بألاّ يعرِض فى هذا الباب .

قال : وقد يكونُ الإنسان شديدَ الُحضْر ، فإذا قُطِعَتْ إحدى يديه فأراد العَدْو كان خطوُه أقصر ، وكان عن ذلك القَصْد والسَّنَنِ أَذْهبَ ، وكانت غايَةُ مجهوده أقربَ[4] .

---

(١) فى الأصل : « جناحه » .

(٢) ط ، س : « إذا قص أحدهما وترك الآخر وافيا » .

(٣) أى لا يجد شيئا من وفاء الديك يستطيع أن يفخر به .

(٤) ل : « أنقص » .

(حديث نباتة الأقطع)

وخبّرنى كم شئتَ[١] ، أنّ نباتَة الأَقطع [وكان] مِنْ أَشِدَّاء الفتيان[٢] وكانت يَدُه قطعت[٣] من دُونِ المنكِب ، وكان ذلك فى شقِّه الأيسر ؛ فكان إذا صار إلى القتالِ وضربَ بسيفِه ، فإن أصاب الضَّربيةَ ثَبتَ ، وإن أخطأ سقَطَ لوجهِه ؛ إذ لم يكنْ جَناحه[٤] [الأيسر] يُمسكه ويثقّله حتّى يَعْتَدلَ بَدَنُهُ .   ٧١

(أجنحة الملائـكة)

وقد طعن قومٌ فى أجنحة الملائـكة ، وقد قال الله تَعالى : ﴿ الحَمْدُ لِلهِ فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ المَلاَئِـكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِى الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ . وزعموا أنَّ الجناحين كاليدين ، وإذا كان الجناح اثنين أو أَرْبَعَة كانتْ معتدلة ، وإذا كانت ثَلَاثَةً

(١) ل ، ط : « من شئت » . وانظر ماسبق فى ص ١٧٨ وكذا ٤ : ٤٦ و ٥ : ٣٧٤ وكتاب البغال من رسائل الجاحظ ٢ : ٢٦٤ .

(٢) فى الأصـل : « من أشداء الفتيان أن نباتة الأقطع » ، وقد رددت الكلمات الثلاث الأولى إلى موضعها ، كما زدت « وكان » لينتظم الـكلام .

(٣) ل : « وكانت قطعته » .

(٤) الجناح ، ليس خاصا بالطير ، بل يقال أيضا : جناح الإنسان : أى يده ، أو عضده أو إبطه .

كان[1] صاحبُ الثَّلاثَةِ كالجادِفِ[2] من الطَّير ، الذى أحدُ جناحَيه مقصوص ، فلا يستطيع الطَّيَرَان لعدم التعديل . وإذا كان أحدُ جناحيه وافياً والآخرُ مقصوصاً ، اختلفَ خَلْقُه وصار بَعْضُه يذهب إلى أسفلَ والآخر إلى فوق .

وقالوا : إنَّما الجناحُ مثل اليد ، ووجدنا الأيدىَ والأرجلَ فى جميع الحيوان لاتـكونَ إلَّا أزواجاً . فلو جعلتُمْ لـكُلِّ واحدٍ مِنهم مائَة جَناحٍ لم نُنْـكِرْ ذلك . وإن جعلتموها أنقَصَ بواحدٍ أو أكثَرَ بواحدٍ لم نُجوِّزه .

قيل لهم : قد رأينا من ذوات الأربع ما ليسَ له قَرن ، ورأينا ماله قَرْنَانِ أملسان ، ورأينا ماله قرنان لها شُعَبٌ فى مقاديم القرون[3] ، ورأينا بعضَها جُمًّـا ولأخَواتِها قرون ، ورأينا منها مالا يقال لها جُمٌّ لأنَّها ليست لها شـكلُ ذواتِ القرون ، ورأينا لبعض الشاءِ عِدَّةَ[4] قرونٍ نَابتَةٍ فى عظم الرَّأس أزواجاً وأفراداً ، ورأينا قُرُوناً جُوفاً فيها قرون ، ورأينا قروناً لاقرونَ فيها ، ورأيناها مُصمَتَة ، ورأينا بعضَها ينصُلُ قَرْنُه فى كلِّ سنة ، كما تسلَخ الحيَّةُ جلدَها ، وتنفضُ الأشجارُ ورقها ، وهى قُرون الأيائلِ . وقد زعموا أنَّ للحِمار الهندىِّ[5] قرنا واحداً .

---

(١) كذا فى ط . وفى ل ، س : « صار » .

(٢) الجادف : الذى يطير وهو مقصوص . وفى ط : « كالحاذق » وفى ل ، س : « كالجاذف » ؛ وصوابهما ما أثبت .

(٣) ط : « مقادير » وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « لبعض الساعدة » وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الحمار الهندى هو الـكركدن ، وحيد القرن . والذى سماه بالحمار الهندى هو أرسطو فى كتابه (الحيوان) . قال الجاحظ فى الحيوان (٧ : ٤٠) : « وقد ذكره صاحب المنطق فى كتاب الحيوان ، إلا أنه سماه بالحمار الهندى » .

وقد رأينا طائراً شَديدَ الطيران بلا ريشٍ كالخُفاش ، ورأينا طائراً لايطير وهو وافى الجَناح ، ورأينا طائراً لايمشى وهو الزُّرزُور . ونحن نُؤْمن بأنَّ جعفَرًا الطَّيارَ ابنَ أبي طالب ، له جناحان يطير بهما فى الجِنان ، جُعِلا له عوضاً من يديه اللتين قطعتا على لواء المسلمين فى يوم مؤتة[١] . وغير ذلك من أعاجيب أصناف الخلق .

فقد يستقيم — وهو سهلٌ جائزٌ شائع مفهوم ، ومعقول قريبٌ غير بعيد أن يكون إذا وُضع طباع الطائر على هذا الوضع الذى تراه ألَّا يطير[٢] إلَّا بالأزواج . فإذا وُضع على غير هذا الوَضع ، وركِّب غيرَ هذا التَّركيب صارت ثلاثَةَ أجنحة وَفُوقَ[٣] تلك الطبيعة . ولو كان الوَطواط فى وضْعِ أخلاطه[٤] وأعضائه وامتزاجاته[٥] كسائر الطير ، لما طار[٦] بلا ريش .

---

(١) كان يوم مؤتة فى الثامنة من الهجرة بين المسلمين والروم . وكان قد حمل لواء المسلمين زيد بن حارثة فقتل ، فحمله جعفر بيمينه فقطعت ، ثم بشماله فقطعت ، فاحتضنها بعضديه فقتل وخر شهيداً ، فحمل اللواء بعده عبد الله بن رواحة فقتل أيضاً . وكان جعفر أيضا يلقب بذى الهجرتين : هجرة الحبشة والمدينة . وانظر الإصابة ١١٦٢ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٦٨ — ٦٩ .

(٢) ط : « لا يسير » . س : « لا تطير » وتصحيحه من ل .

(٣) وفوق ، كرسول ، بمعنى ملائمة موافقة . ومثلها وفق ، بالفتح . انظر اللسان (وفق) ومعنى الكلام أن الأجنحة الثلاثة تكون موافقة لهذا التركيب الشاذ .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وضع فى أخلاطه » .

(٥) ط ، س : « وامتزاجه » .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « كان » .

(الطير الدائم الطيران)

وقد زعم البَحْريّون أنّهم يعرفون[١] طائراً لم يسقُط قطّ ، وإنما يكون سقوطه من لدُنْ خروجِهِ من بيضه [إلى] أنْ يتمّ[٢] قصبُ ريشه ، ثمَّ يطير فليس له رِزق إلّا من بعوضِ الهواء وأشباهِ البَعوض ؛ إلّا أنَّه قصيرُ العمر سريعُ الانحطام .

٧٢

(بقية الحديث فى أجنحة الملائكة)

وليس بمستنكر أن يُمزَج[٣] الطائر ويُعْجَن غيرَ عجْنه الأوّل[٤] [فيعيشَ ضعفَ ذلك العُمر] . وقد يجوز أيضاً أنْ يكونَ موضعُ الجَناح الثالث بين[٥] الجناحَين ، فيكون الثالث للثانى كالثانى للأوّل ، وتكون كلُّ واحدةٍ من ريشةٍ عاملةً فى التى تليها من ذلك الجسم[٦] ، فتستوى فى القوَى وفى الحِصَص .

---

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وقد زعم البحريون أن » . وهذا الطائر الذى حكى عنه الجاحظ ، تحدث عنه القزوينى فى عجائب المخلوقات ١٠٣ عند كلامه على بحر الصين ، ولم يسمه .

(٢) ط ، س : « تم » .

(٣) كذا فى ل . وفى ط : « يمرح » . وفى س : « يموج » ، محرفتان .

(٤) س : « غير عجنة الأوابد » .

(٥) ل : « من » ، تحريف .

(٦) ل : « البدن » .

ولعَلَّ الَجناح الذى أنكره الملحدُ الضَّيِّقُ العَطَن[١] أن يكونَ مركزُ قوادِمِهِ فى حاقِّ الصُّلب[٢] .

ولعَلَّ ذلك الجناح أن تكون الريشة الأولى منه معينةً للجَناح الأيمن والثانيةُ معينَة للجناح الأيسر . وهذا مما لايضيقُ عنه الوهم ، ولا يعجِز عنه الجواز[٣] .

فإذا كان ذلك ممكناً[٤] فى معرفة العبد بما أعاره الربُّ جلّ وعزَّ ، كان ذلك فى قدرةِ الله أجوز . وما أكثَرَ من يضيقُ صدرُه لقلَّة علمه !

(أعضاء المشى لدى الحيوان والإنسان)

وقد علموا أنَّ كلّ ذى أربعٍ فإنّه إذا مشى قدّم إحدى يديه ، ولا[٥] يجوز أن يستعمل اليَد الأُخرَى ويقدِّمها بَعْدَ الأُولى حَتَّى يستعمل الرِّجلَ المخالِفةَ لتلك اليد : إنْ كانت اليَدُ المتقدِّمة اليمنى حَرَّكَ الرِّجْلَ اليسرى ، وإذا حَرّكَ الرجل اليسرى لم يحرِّك الرِّجْل اليمنى — وهى أقرَبُ إليها[٦] وأشبهُ بها — حَتَّى يحرِّك اليَدَ اليسرى . وهذا كثير .

---

(١) الضيق العطن : الضيق الصدر ، السريع الغضب . وأصل العطن مربض الإبل والغنم حول الماء . ط ، ل : « لضيق العطن » .

(٢) حاق الصلب : وسطه .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « الجواب » .

(٤) ل : « مكيفا » ، وهو تحريف .

(٥) ل : « وقد » ، وهو تحريف يفسد المعنى .

(٦) كذا فى ل ، س . وهو الصواب . وفى ط : « اليد » .

[و[١]] فى طريقٍ أخرى فقد يقال : إنَّ كلَّ إنسانٍ فإنما رُكبَتَه فى رِجله ، وجميعَ ذواتِ الأربَع فإنَّما رُكبها فى أيديها . وكلُّ شىء ذى كفٍّ وبَنان كالإنسان ، والقرد، والأسدِ ، والضَّبّ ، والدُّب ، فكفُّه فى يده . والطَّائر كفّه فى رجله .

(استعمال الإنسان رجليه فيما يعمله فى العادة بيديه)

وما رأيتُ أحداً ليس له يَدٌ إلَّا وهو يعمل برجليه ما كان [يعمل[٢]] بيديه ، وما أقف على شىء من عمل الأيدى إلَّا وأنا قد رأيتُ قوماً يتكلّفونه بأرجلهم .

ولقد رأيتُ واحداً منهم راهنَ على أن يُفرِغ برجليه ما فى دَسْتيجة[٣] نبيذ فى قنانىَّ رِطليَّات وفُقَّاعِيَّات[٤] ، فراهنوه ، وأزعجنى أمرٌ فتركته عند ثقاتٍ لا أشكُّ فى خبرهم ، فزعموا أنّه وَفَى وزاد . قلت :

---

(١) الزيادة من س .

(٢) التكملة من ل ، س .

(٣) الدستيجة : واحدة الدستيج ، وهى – كما فى تاج العروس – : آنية تحول باليد وتنقل . فارسى معرب : « دستى » . وأصل « دست » فى الفارسية بمعنى اليد . انظر الألفاظ الفارسية ٦٣ .

(٤) رطليات، أى تسع للواحدة منها رطلا . والفقاعيات : ضرب من القوارير صغار ، ولم أجد لها نصاً يفسرها .

قد عرَفتُ قولَكم « وفى » فما معنى قولكم « زاد » . قالوا : هو أنّه لو صبَّ من رأس الدّستيجة حوالَىْ أفواهِ القنانىّ كما يعجِز عن ضَبطه جميعُ أصحاب الكمال فى الجوارح ، لما أنكرنا ذلك . ولقد فرَّغ ما فيها فى جميع القنانىّ فَما ضيّعَ أوقيَّةً واحدة .

(قيام بعض الناس بعمل دقيق فى الظلام)

وخبَّرنى الحزَامىُّ[1] عن خليل أخيه[2] ، أنّه متى شاءَ أن يَدْخُلَ فى بيتٍ ليلا بلا مصباح ، ويفرغ [قربة][3] فى قنانىّ فلا يصبُّ إستاراً[4] واحداً فعله .

و[لو] حكى لى الحزامىُّ هذا الصَّنيعَ عن رجل وُلِد أعمى أو عمِى فى صباه ، كان يعجبنى منه أقلُّ . فأمّا من تعوّد أن يفعل مثل ذلك وهو يبصر فما[5] أشدَّ عليه أن يفعله وهو مغْمَض العينين . فإن كان أخوه قد كان يقدر على ذلك إذا غمَّض عينيه فهو عندى عجب . وإن كان يبصر فى الظلمة فهو قد أشبه فى هذا الوجه السِّنّورَ والفأر ؛ فإنَّ هذا عندى عجبٌ ٧٣

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن كاسب ، كان معاصراً للجاحظ ، وقد أفرد له حديثاً فى البخلاء ٤٧ — ٥٤ . وفى ط ، س : « الخزامى » وفى ل : « الحرامى » .

(٢) ل : « مليك » .

(٣) الزيادة من س . وبدلها فى ل : « قرابة » محرفة .

(٤) الإستار : ثلاثة أخماس الأوقية ؛ إذ الأوقية إستار وثلثا إستار .

(٥) ل : « يبصره » .

آخر ، وغرائب الدُّنيا كثيرة عند كلِّ من كان كلفاً بتَعرافها ، وكان له فى العلم أصلٌ ، وكان بينه وبين التبَيُّنِ [١] نَسَب .

(اختلاف أحوال الناس عند سماع الغرائب)

وأكثر الناس لاتجدُهم إلَّا فى حالتين : [إمّا فى حال][٢] إعراض عن التبيُّن وإهمالٍ للنّفس[٣] ، وإمَّا فى حالٍ[٤] تكذيبٍ وإنكارٍ وتسرُّع إلى أصحاب الاعتبارِ وتتبُّعِ الغرائب ، والرغبةِ فى الفوائد . ثمَّ يرى بعضهم أنَّ له بذلك التكذيب فضيلةً[٥] ، وأنّ ذلك بابٌ من التوقِّى ، وجنسٌ من استعظام الكذب ، وأنّه لم يكن كذلك إلَّا من حاقِّ الرَّغبةِ[٦] فى الصِّدْق . وبئس الشىء عادةَ الإقرار والقبول . والحقُّ[٧] الذى أمر الله تعالى به ورغب فيه ، وحثَّ عليه [أن ننكر من الخبر ضربين : أحدهما ما تناقَضَ واستحال ، والآخر ما امْتنع فى الطَّبِيعة ، وخرج من طاقة الخِلقة . فإذا خرج الخبرُ من هذين البابين ، وجرى عليه] حكم[٨] الجواز ، فالتدبير[٩] فى ذلك التثبت

---

(١) التبين : التفهم . وفى ط س : « التبيين » ، وتوجيهه من ل . و « نسب » هى فى الأصل : « نصيب » ، والوجه ما أثبت . انظر (١ : ٣ س ٤) .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) ط ، س : « النفس » .

(٤) ط : « حاله » وأثبت ما فى ل ، س .

(٥) ط ، س : « فوائد » .

(٦) حاق الرغبة : شدتها . ط : « حاز الرغبة » وصوابها فى ل ، س .

(٧) ط ، س : « أو تبين الشىء معاندة للإقرار وقهراً بالحق و » ، مكان : « وبئس الشىء » . . الخ ، وهو تحريف ما أثبت من ل .

(٨) ط ، س : « ذكر » .

(٩) ط ، س : « والترتيب » ، محرفة .

وأن يكون الحقُّ فى ذلك هو ضالّتك ، والصِّدق هو بُغيتك ، كائناً ماكان ، وقَع منك بالموافقةِ ، أم وقع منك بالمكروه . ومتى لم تعلم أَنّ ثوابَ الحقِّ وثمرةَ الصِّدق أجدى عليك من تلك الموافقةِ لم تقَع[1] على أن تعطِيَ التثبُّتَ حَقّه .

(تشبيه رماد الأثافى بالحمام)

قال : وهم يصفون الرَّماد الذى بين الأثَافِيِّ بالحمامةِ ، ويجعلون الأثَافِيَّ أظئاراً لها ، للانحناء الذى فى أعالى تلك الأحجار ، ولأنَّها كانت معطّفاتٍ عليها وحانياتٍ على أولادها . قال ذو الرُّمَّة :

كأنّ الحمامَ الوُرْقَ فى الدَّارِ جَثَّمت على خَرِق بين الأثَافِى جَوازِلُه[2]

شبّه الرّماد بالفراخ قبل أن تنهض . والجُثوم فى الطير[3] مثل الرُّبوض فى الغنم . وقال الشماخ :

وإرثِ رَمادٍ كالحمامةِ ماثل ونُؤْيَيَنِ فى مَظْلومَتَيْنِ كُدَاهما[4]

---

(١) ل : « لم تقو » .

(٢) ط : «أجثم» مكان «جثمت»، وهو تحريف صوابه فى ل ، س والديوان ٤٦٥. وروى فى أمالى المرتضى ٣ : ١٢١ : « وقعت » . قال المرتضى : « شبه الأثافى بالحمام الورق ، وجعلها ظئوراً لتعطفها على الرماد . وشبه الرماد بفرخ خرق قد سقط ريشه . والجوازل : الفراخ ، واحدها جوزل » .

(٣) ل : « الخيل » ، وهو تحريف ظاهر .

(٤) إرث رماد : أى أصله . والنؤى بالضم : حفيرة تحفر حول الخباء يجعل ترابه حاجزاً لمنع المطر . والمظلومة : الأرض حفرت ولم تكن حفرت قبل ذلك . والكدى : جمع كدية بالضم ، وهى الأرض الغليظة . والرواية فى ديوان الشماخ : « ونؤيان » . وقبل البيت :

أقامت على ربعيهما جارتا صفا كميتا الأعالى جونتا مصطلاهما

وبعده :

أقاما لليلى والرباب وزالتا بذات السلام قد عفا طللاهما

وقال أبو حيَّة :

[مِنَ العَرَصاتِ غيرَ مُخَدٍّ نُؤْيٍ ... كباقى الوحْى خُطَّ على إمام[1]

وغيرِ خوالِدٍ لُوِّحْن حتّى ... بهنَّ علامةٌ من غير شام][2]

كأنَّ بها حماماتٍ ثَلَاثاً ... مَثَلْنَ ولم يَطِرْنَ مَعَ الحمامِ

وقال العَرْجى :

ومَرْبِطَ أفْرَاسٍ وخَيمٌ مُصَرَّعٌ ... وهابٍ كجُثْمانِ الحمامةِ هامِدُ[3]

وقال البَعيث :

وَسُفْعٍ ثَوَيْنَ العَامَ وَالعَامَ قَبْلَهُ ... وَسَحْقِ رَمادٍ كالنَّصيفِ من العَصْبِ[4]

(بعض ما قيل من الشعر فى نوح الحمام ، وفى بيوتها)

وقالوا فى نَوح الحمام ، قال جِران العَود :

٧٤ واستقبلوا وادياً نوحُ الحمامِ بِهِ ... كأنّه صوتُ أنباطٍ مَثاكيلِ[5]

---

(١) المخد : موضع الخد ، وهو الشق . والوحى : الكتابة . والإمام : الكتاب . وفى القرآن الكريم : « يوم ندعو كل أناس بإمامهم » أى كتابهم .

(٢) لوحن : غيرتهن النار . وعنى بالخوالد الأثافى لأنهن يبقين بعد هجرة أصحابهن ودروس ربوعهم . والشام : جمع شامة ، وهو الأثر الأسود فى البدن ، أو الأرض .

(٣) الخيم : أعواد تنصب فى القيظ وتجعل لها عوارض وتظلل بالشجر فتكون أبرد من الأخبية . وقيل : هى عيدان يبنى عليها الخيام . والهابى : الرقيق الدقيق المرتفع ، وأراد به الرماد .

وقبل البيت كما فى ديوان العرجى ١١٧ :

فؤادك أن يهتاج لما بدا له ... رسوم المغانى والأثافى الرواكد

(٤) النصيف : ماله لونان . والعصب : ضرب من البرود اليمنية ، يعصب غزلها أى يجمع ويشد ، ثم يصبغ وينسج فيأتى موشياً ، لبقاء ماعصب منه أبيض لم يأخذه صبغ .

(٥) ط : « وديا » .

وقالوا فى ارتفاعِ مواضعِ بُيوتها وأعشاشها . قال الأعشى :

ألم تر أن العِرْض أصبَحَ بطنُه نخيلاً وزرعاً نابتاً وفَصافِصا[١]

وذا[٢] شُرُفات يقصُرُ الطَّرف دونَه تَرَى للحمام الوُرقِ فيه قَرامصا[٣]

وقال عمرو[٤] بن الوليد :

فتبدَّلتُ من مساكنِ قومى والقُصورِ التى بها الآطامُ

كلَّ قصرٍ مشيَّدٍ ذى أواسٍ تتغنَّى على ذُراه الحمـــام[٥]

والحمام أيضاً ربما سكن أجْوَافَ[٦] الرَّكايا ، ولا يكون ذلك إلَّا لِلْوحشىِّ منها، وفى البِير التى لاتُورَد . قال الشاعر :

بدلو[٧] غير مُكرَبَةٍ أصابتْ[٨] حَماماً[٩] فى مساكِنِه فَطَارَا

يقول : استقى بِسُفرتِه[١٠] من هذه البئر ، ولم يستق بِدَلوٍ . وهذه بئر قد سكنها الحمام لأنَّها لاتُورَدُ .

---

(١) الفصافص : جمع فصفص أو فصفصة ، بكسر الفاءين من كل منهما ، وهى رطب القت.

(٢) ط ، س : « وذى » .

(٣) القرامص : جمع قرموص ، بضم القاف ، وهو عش الحمام . وقد حذف ياء القراميص للشعر .

(٤) ل : « عمر » ، وهو تحريف ماأثبت من ط ، س . وانظر تحقيق السابق فى التنبيه الثانى ص ٢٠٨ حيث تجد ترجمته .

(٥) سبق الكلام فى شرح الشعر وأصله ص ٢٠٨ .

(٦) ط ، ل : « أجراف » جمع جرف ، والمراد به الحفرة فى جدار الركية .

(٧) ط : « بدلو » وصوابه فى ل ، س .

(٨) كذا فى ل : وهو الصواب . وفى ط : س : « أطابت » . والمكربة : ذات الكرب بالتحريك ، وهو حبل الدلو .

(٩) ط : « جماما » وهو تطبيع .

(١٠) السفرة : مايضع فيه المسافر طعامه ، وأكثر مايكون ذلك جلداً مستديراً . ط : « بملغوة » س : « بملفوة » .

وقال جهم بن خلف[1] :

وقد هاج شَوقى أنْ تَغنَّت حمامةٌ مطوَّقةٌ ورقاء تصدَحُ فى الفجْر

هتوفٌ تبكِّى ساقَ حُرٍّ ، ولن ترَى لها دَمعةً يوماً على خدِّها تجرى

تغنَّتْ[2] بلحنٍ فاستجابَت لصوتها نَوائِحُ بالأصْياف[3] فى فَنَنِ السِّدْرِ[4]

إذا فَترَتْ كرَّتْ بلحنٍ شجٍ لها[5]

يُهَيِّج[6] للصَّبِّ الحزينِ جَوَى الصَّدْرِ

دعتْهُنَّ مِطرابُ العشيَّات والضُّحَى بصوتٍ يَهيجُ المستهَامَ على الذِّكْرِ

فلم أرَ ذا وَجدٍ يَزيدُ صَبابةً عليها ، ولا ثَكلَى تُبَكِّى على بِكْرِ[7]

فأسعَدْنَها بالنَّوح حتَّى كأنَّما شَرِبنَ سُلافاً من معتَّقة الخمرِ[8]

تجاوبْنَ لحناً فى الغُصونِ كأنَّها نوائِحُ مَيْتٍ يلتدِمْنَ لدى قبرِ[9]

بسُرَّةِ وادٍ من تَبَالةَ مُونِقٍ كسا جانبَيهِ الطَّلحُ واعتمَّ بالزَّهْرِ[10]

---

(١) جهم بن خلف المازنى : راوية عالم بالغريب والشعر فى زمان خلف والأصمعى ، وله شعر فى الحشرات والجارح من الطير . الفهرست ٤٧ ليبسك ٧٠ مصر . ط ، س : « بن ضابئ » وأثبت ما فى ل .

(٢) ل : « فغنت » والأجزل ما أثبت من ط ، س .

(٣) الأصياف : جمع صيف . ط ، س : « بالأصناف » ل : « بالأضياف » وهما تصحيف .

(٤) السدر : شجر النبق . وقد أراد بكلمة « فنن » الأفنان : أى الأغصان ، أطلق المفرد وأراد الجمع وذاك كثير فى كلامهم .

(٥) ط ، س : « شجونها » .

(٦) ط ، س : « تهيج » .

(٧) يزيد صبابة ، أى تكون صبابته أشد وأعنف من صبابتها . ط ، س : « على وكر » والوجه ما أثبت من ل .

(٨) ل : « فأسعدتها بالعوج » ! وجعلهن قد شربن الخمر لما كان لهن من شدة الصوت ؛ فعل العربيد .

(٩) يلتدمن ، من الالتدام ، وهو ضرب المرأة صدرها فى النياحة .

(١٠) تبالة : موضع ببلاد اليمن ، حيث الشجر والنضرة . والطلح : شجر عظام . ط ، س : « الزهر » .

(استطراد لغوى)

ويقال : هدر الحمام يهدِر . قال : ويقال فى الحمام الوحشى من القمارىّ والفواختِ والدَّباسى وما أشبه ذلك : قد هدل يهدِل هديلًا . فإذا طَرَّب قيل غرَّد يغرد تغريداً . والتغريد يكون للحمام والإنسان ، وأصله من الطير .

وأمَّا أصحابنا فيقولون : إنّ الجمل يهدِر ، ولا يكون باللام ، والحمام يهدل وربَّما كان بالراء . ٧٥

وبعضهم يزعُم أنّ الهديلَ من أسماء الحمام الذَّكر . قال الرَّاعى واسمه عبيد بن الحصين — :

كهداهِدٍ كَسَرَ الرُّماةُ جَناحَه يدعُو بقارِعَةِ الطَّريق هديلَا[1]

(ساق حُرٍّ)

وزعم الأصمعىُّ أنّ قوله : « هتوفٌ تبكّى ساقَ حرٍّ » إنّما هو حكايةُ صوت وحشيِّ الطير من هذه النَّوَّاحات . وبعضهم يزعم أنّ « ساق حرّ » هو الذكر ، وذهب إلى قول الطِّرِمَّاح فى تشبيه الرَّماد بالحمام ، فقال :

بين أظآرٍ بمظْلومـــةٍ كسَراةِ السّاقِ ساقِ الحمامْ[2]

---

(١) الهداهد : الهدهد . وقد شبه بذلك الهدهد الذى كسر جناحه ، رجلا أخذ المصدق إبله . وقبل البيت :

أخذوا حمولته فأصبح قاعداً لايستطيع عن الديار حويلا
يدعو أمير المؤمنين ودونه خرق تجر به الرياح ذيولا

وهو من قصيدة طويلة عدة أبياتها تسعة وثمانون ، ذكر منها البغدادى فى الخزانة (٣ : ١٣١ سلفية) أربعة وعشرين .

(٢) الأظآر : الأثافى . والمظلومة : الأرض حفرت فى غير موضع حفر . والسراة : الظهر . ط ، س : « كسرات » تحريف . والساق : الحمام . وقصيدة البيت فى ديوان الطرماح ٩٥ — ١١٠ . والبيت فى ص ٩٦ . والقصيدة من بحر المديد يصح فى رويها الإسكان والكسر ، كما فى تكملة الصاغانى .

(صفة فرس)

وقال آخر[١] يصف فرساً :

يَنْجيه مِنْ مِثْلِ حمام[٢] الأغْلَالْ رفعُ يدٍ عَجلَى ورِجل شملَالْ

* تَظْمَأُ من تحتُ وتُروَى من عَالْ[٣] *

الأغلال[٤] : جمع غَلَلٍ ، وهو الماء الذى يجرى بين ظهرَى الشّجر[٥]

قال : والمعنى : أنّ الحمام إذا كان يريد الماء فهو أسرعُ لها . وقوله : شِملال أىْ خفيفة .

باب[٦]

ليس فى الأرض جنسٌ يعتريه الأوضاح والشِّيات ، ويكون فيها المصْمَت والبهيمُ أكثرَ ألواناً ، [و] من أصناف التَّحَاسِين[٧] مايكون فى الحمام ، فمنها مايكون أخضرَ مُصمَّتا ، [وأحمر مصمتا] ، وأسودَ

---

(١) هو دكين الراجز ، كما فى اللسان (غلل) .

(٢) يقول : ينجى هذا الفرس من خيل سراع فى الغارة كالحمام الواردة . ل : « حمام » تصحيف .

(٣) تظمأ : أى تكون متوترة ليس فيها رهل ، وذلك محمود فى الفرس . وفى الأصل : « يظمأ » . وتروى : أى يكثر لحمها . من عال : من أعلى .

(٤) قبل هذه الكلمة فى ط ، س كلمة : « حمام » وليس يتطلبها الكلام .

(٥) بين ظهرى الشجر : وسطه . ومثله بين ظهرانيه .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل ، وبدلها : « وقال صاحب الحمام » .

(٧) التحاسين : جمع تحسين . وفى ط : « التخاسين » ، وهو تصحيف .

مصمتا ، [وأبيض مصمتا[١]] ، وضروبا من ذلك ، كلها مصمتة . إلاّ أنّ الهِدَايَةَ للخُضْر والنُّمْر[٢] . فإذا ابيضَّ الحمام [كالفقيع] فمثله من النّاس الصَّقلابىُّ[٣] ، فإن الصَّقلابىَّ[٣] فطيرٌ[٤] خامٌ[٥] لم تُنْضِجْه الأرحام ؛ [إذ كانت الأرحام] فى البلاد التى شمسُها ضعيفة .

وإن اسودّ[٦] الحمامُ فإنما ذلك احتراقٌ ، ومجاوزة لحدِّ النُّضج . ومثلُ [سود الحمام[٧]] من الناس الزِّنج ؛ فإنّ أرحامهمْ جاوزَت حدَّ الإنضاج إلى الإحراق ، وشيَّطت[٨] الشّمسُ شُعورَهم فتقبَّضت .

والشَّعر إذا أدنَيتَه من النَّار تجعَّد ، فإنْ زدْتَه تَفَلفَل[٩] ، فإن زدتَه احترق .

وكما أنّ عقولَ سُودانِ النَّاس وحُمرانِهم دونَ عقول السُّمر ، كذلك بيضُ الحمام وسودُها دونَ الخُضْر فى المعرفة والهدايَةِ .

---

(١) الزيادة من ل ، س . والمراد بالمصمت : الخالص .

(٢) النمر : جمع أنمر ، وهو ما فيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء .

(٣) كذا جاء . والوجه « صقلبى » ، نسبة إلى صقلب ، وهو موضع بصقلية ، وآخر بين بلغار والقسطنطينية .

(٤) فطير : لم ينضج . وفى ط : « قطر » وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الخام : أصل معناه الدبس الذى لم تمسه النار ، وكذلك الجلد لم يدبغ أو لم يبالغ فى دبغه ، وهى كلمة معربة . ط ، س : « خاص » تحريف .

(٦) ط : « أسود » وهو خطأ .

(٧) بدل هذه الزيادة المثبتة من ل ، كلمة « به » فى ط ، س .

(٨) شيطت : أحرقت . ط : « كشطت » س : « نشطت » تحريف ما أثبت من ل .

(٩) يقال شعر مفلفل : شديد الجعودة . فى الأصل : « تقلقل » وهو تصحيف .

(استطراد لغوى)

وأصل الخضرة إنّما هو لون الرَّيحانِ والبقولِ[١] ، ثمَّ جعلوا بعدُ الحديدَ أخضرَ ، والسماءَ خضراء ، حتَّى سمَّوا بذلك الكُحْلَ واللَّيل . قال الشَّمَّاخ بنُ ضِرار :

٧٦ ورُحْنَ رَواحاً مِنْ زَرُودَ فنازعت زُبالةَ جلبابا من الليل أخضرا[٢]

وقال الرّاجز :

حتَّى انتضاه الصُّبح من ليلٍ خَضِرْ[٣] مثلَ انتضاء البَطَلِ السَّيفَ الذّكَرْ[٤]

* نضو هوًى بالٍ على نِضْوِ سَفَرْ[٥] *

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . مُدْهَامَّتَانِ ﴾ ، قال : خضروان من الرِّى سوداوان .

ويقال : إن العراقَ إنّما سمِّى سواداً بلون السَّعَف الذى فى النّخل ، ومائه .

والأسودان : الماء والتمر . والأبيضان : الماء واللبن . والماء[٦] أسودُ إذا كان مع التّمر ، وأبيضُ إذا كان مع اللَّبن .

---

(١) ل : « إنما هو للريحان والبقول » .

(٢) بدل هذا البيت جميعه فى ط ، س : « فنازعت جلبابا من الليل أخضراً » ، وأثبت البيت كاملا من ل . على أن صواب روايته : « وراحت رواحا » لأنه فى صفة ناقة واحدة كما فى الديوان ص ٣١ وماقبلها وكما فى رسائل الجاحظ ٧٠ . وزرود : رمال بين الثعلبية والخزيمية . وزبالة ، بالضم : منزل بطريق مكة من الكوفة .

(٣) الرواية فى رسائل الجاحظ : « حتى انتضانى » .

(٤) السيف الذكر : الجيد الحديدة الشديدها . ل : « الليل الذكر » تحريف .

(٥) عنى بالنضو البالى : الراكب . وبالنضو الآخر : مركبه من الإبل .

(٦) ل : « فالماء » .

ويقولون : سُودُ البطون وحُمْر الكُلى[١] ، ويقولون : سود الأكباد يريدون العداوة ، وأن الأحقاد قد أحرقت أكبادَهم[٢] . ويقال للحافر أسود البطن ؛ لأنّ الحافر لا يكون فى بطونها شحم[٣] .

ويقولون : نحن بخيرٍ ما رأينا سَواد فلان بين أظهُرنا ، يريدون شخصه . وقالوا : بل يريدون ظلَّه .

فأمّا خضْرَ مُحارِب[٤] ، فإنما يريدّون السُّودَ[٥] وكذلك : خُضْر غسَّان . ولذلك قال الشاعِرُ :

إنّ الخَضارِمة الخضْرَ الذين غدَوْا أهْلَ البريصِ ثمانٍ منهمُ الحكَمُ[٦]

ومن هذا المعنى قول القرشىّ[٧] فى مديحِ نفسِه :

---

(١) الكلى : جمع كلية . وفى الأصل : « سود البطن حمر الكلا » ، وذا تحريف وتشويه .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « كالأحقاد أحرقت الأكباد » ، تحريف .

(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « لأن الحوافر لا يكون فى بطنها شحم » .

(٤) هم بنو محارب بن خصفة بن قيس عيلان .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « السودد » وليس مراداً ، وجاء فى الرسائل ٧٢ ساسى : « وقد فخرت خضر محارب بأنها سود ، والسود عند العرب الخضر » .

(٦) الخضارمة : جمع خضرم ، بكسر الخاء والراء — وهو السيد الحمول . وفى الأصل : « الحضارمة » وصوابه فى رسائل الجاحظ . والبريص ، بالصاد المهملة : اسم نهر دمشق ، حيث ملك الغساسنة . وفى الأصل : « البريض » بالضاد المعجمة ، خطأ تصويبه من الرسائل . وفى الرسائل : « ثمانى » ، أى ارتفع نسبى إليه .

(٧) هو عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى كما فى رسائل الجاحظ ٧١ أو الفضل ابن العباس اللهبى ، كما فى الرسائل أيضا والكامل ١٤٣ ليبسك ومعجم المرزبانى ٣٠٩ وكنايات الجرجانى ٥١ والأضداد ٣٣٥ . وهذه الأخيرة هى النسبة الصحيحة . وابن الأنبارى فى الأضداد يرى أن معنى الخضرة السخاء والعطاء .

وأنا الأَخضَرُ مَنْ يَعْرِفُنى أخضَرُ الجِلْدةِ فى بَيْتِ العرَبْ

وإذا قالوا : فلان أخضر القفا ، فإنما يعنون به أنّه قد ولدتْهُ سوداء .

وإذا قالوا : فلان أخضر البطْن ، فإنما يريدون أنّه حائك ، لأَنّ الحائكَ بطنَهُ لطول[1] التزاقه بالخشبة التى يطوى عليها الثّوب يسودّ .

(عداوة العروضى للنَّظّام)

وكان سبب عداوة العَروضى[2] لإبراهيم النَّظام ، أنّه كان يسمِّيه الأَخضرَ البطن ، والأَسوَد البطن ؛ فكان يكشِفُ بطنَه للناس — يريدُ بذلك تكذيبَ أبى إسحاق — حتى قال له إسماعيل بن غزْوان : إنَّما يريد أنّك من أبناء الحاكة ! فعاداه لذلك .

(استطراد لغوى)

فإذا قيل أخضر النَّواجذ ، فإنما يريدون أنّه من أهل القُرَى ، ممّن يأكل الكُرّاث والبصل .

وإذا قيل للثّور : خاضب ؛ فإنما يريدونَ أنّ البقل قدْ خَضَب أظلافه بالخضرة . وإذا قيل للظليم : خاضب ، فإنما يريدونَ[3] حمرةَ وظيفيه[4]

---

(١) ل : « لأن بطن الحائك » . والحائك : النساج .

(٢) اسمه عبد الله ، كما ورد فى البخلاء ص ٤٥ ، وهو من معاصرى الجاحظ .

(٣) كذا فى س . وفى ط ، ل : « يرون » .

(٤) الوظيف : مستدق الذراع والساق . ل : « وظيفه » . ط : « وطيفة » وهذه تحريف .

فإنهما يَحمرَّان فى القَيْظ ، وإذا قيل للرَّجل خاضب ، فإنَّما يريدون الحنَّاء فإذا كان خضابُه بغير الحِنَّاء قالوا : صَبَغ (١) ولا يقال خضب .

ويقولون فى شبيهٍ بالباب الأَوَّل : الأحمران : الذهب والزعفران والأبيضان : الماء واللَّبن ، والأَسودان : الماء والتمر .

ويقولون : أهلَكَ النِّساء الأَحمران (٢) : الذَّهب والزّعفران ، وأهلَكَ النّاسَ الأحامِر : الذهب ، والزعفران ، واللَّحم ، والخمر .

والجديدان : اللَّيل والنهار ، وهما الملوان (٣) .

والعصر : الدَّهر ، والعصران : صلاة الفَجْر وصلاة العشى (٤) ، والعصران : الغَداة والعَشِىُّ ، قال الشاعر (٥) :

وأمطُله العَصْرَينِ حتّى يملَّنى
ويَرْضى بِنِصْفِ الدَّينِ والأنفُ رَاغِمُ

---

(١) ط ، س : « صيغ » وصوابه فى ل .

(٢) كذا فى ل ، وهو الصواب . وفى ط : « الأحامران » وفى س : « الأحامر يراد » . وانظر جنى الجنتين للمحبى ١٦ — ١٧ .

(٣) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « لونان » .

(٤) جاء فى الحديث : « حافظ على العصرين » أى صلاة الفجر وصلاة العصر ، وسميا العصرين لأنهما يقعان فى طرفى العصرين ، وهما الليل والنهار . وجاء أيضا تفسيره فى الحديث : « قيل : وما العصران ؟ قال : صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها » . وكلمة : « الفجر » هى فى الأصل « العصر » محرفة . و « صلاة العشى » بدلها فى ط ، س : « العشاء » وهو تحريف أيضاً .

(٥) هو عبيد بن الأبرص الأسدى كما فى حماسة البحترى ٤١٥ . وقبله :

ألين إذا لان الغريم وألتوى إذا اشتد حتى يدرك الدين قاتلى

(٦) روى : « وأنطله » فى أمالى المرتضى (٢ : ٣٨) وهى لغة . وكلمة « راغم » هى فى ط : « زاغم » وتصحيحه من ل ، س واللسان والأضداد ١٧٥ ومحاضرات الراغب (١ : ٢٢٩) حيث تجد نظائر هذا المعنى .

ويقال : « البائعان بالخيار » وإنَّما هو البائع والمشترى[1] ، فدخل المبتاع فى البائع .

وقال الله عز وجلَّ : ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ ﴾ ، دخلت الأمُّ فى اسم الأبوَّة ، كأنهُمْ يَجمعُونَ على أنْبَهِ[2] الاسمَيْنِ وكقولهم : ثَبِيرَيْن[3] ، والبَصرتَين[4] . وليس ذلك بالواجب ؛ وقدْ قالوا : سيرَة العُمَرَين ، وأبو بكرٍ فوقَ عمر ، قال الفرزْدَق :

أخــذْنَا بآفاقِ السَّماءِ عليكمُ لنا قَمــرَاها والنُّجومُ الطَّوالعُ

وأمَّا قولُ ذى الرُّمَّة :

ولَيلٍ كجِلبابِ العَرُوسِ ادَّرعتُه بأربْعةٍ والشخْصُ فى العَينِ وَاحِدُ[5]

فإنهُ ليس يريدُ لونَ الجلباب ، ولكنَّهُ يريد سُبوغه .

---

(١) ل : « فإنما هو بائع ومشتر » .

(٢) أنبه الاسمين : أشهرهما وأعرفهما . وفى ط ، س : « ابنه » وصوابه فى ل .

(٣) ثبيران : هما ثبير وحراء كما فى المزهر (٢ : ١٢٢) ، وهما جبلان متقابلان من جبال مكة ، وفى ثانيهما الغار المشهور . وبدل ما أثبت من ل فى كل من ط ، س : « كالبحرين والمسلمين والزهدمين » .

(٤) البصرتان : البصرة والكوفة ، والأولى أقدم من الثانية .

(٥) ادرعته : لبسته كما يلبس الدرع . وقد فسر ذو الرمة الأربعة التى شخصها واحد فى العين ، أى التى يراها الناظر شخصا واحداً ، بقوله بعده :

أحم علافى وأبيض صارم وأعيس مهرى وأروع ما جد

فالأحم العلافى ، بكسر العين ، هو الرحل . والأحم : الأسود . والعلافى : المنسوب إلى علاف : رجل من الأزد صانع للرجال . والأبيض الصارم عنى به سيفه القاطع . والأعيس : الذى خالط بياضه شقرة . وعنى جمله . والمهرى : منسوب إلى مهرة بن حيدان . والأروع : الذى يعجبك حسنه . وعنى نفسه .

والشعر حديث فى ديوان المعانى (٢ : ٣٤٢) والعمدة (٢ : ٢٩) والصناعتين ٢٢١ .

(جواب أعرابىّ)

قال : وكذلك قول الأعرابىِّ حينَ قيل له : بأىِّ شىء تعرفُ حَملَ شائِك ؟ قال : « إذا استفاضَتْ خاصِرتها ، ودَجت شَعْرَتُها[١] » . فالدَّاجى هاهنا اللابس .

قال الأصمعى ومسعود [بن فيد[٢]] الفزارى : ألا تَرونَه يقول : «كان ذلك وثَوبُ الإسلام ِداجٍ» . وأما لفظ الأصمعىّ فإنّه قال : كان ذلك منذُ دَجَا الإسلام . يعنى أنّه ألبس كلَّ شىء[٣] .

(شِيات الحمام)

ثمَّ رجع بنا القول إلى ذكر شِياتِ الحمام .

وزعموا أنّ الأوضاحَ كلَّها ضعَف ، قليلها وكثيرها ، إلاّ أنَّ ذلك بالحِصَص على قدْر الكثْرة والقلَّة ، كذلك هى فى جميع الحيوانِ سواءٌ مستقبلُها ومستدْبرها . وذلك ليس بالواجبِ حتى لايغادر شيئاً ألبتة ؛ لأنَّ الكَلْبةَ السَّلوقيَّةَ البيضاءَ أكرمُ وأصيَدُ ، وأصبَرُ من السَّوْدَاء[٤] .

والبياضُ فى النَّاسِ على ضروب : فالمعيب منه بياضُ المُغْرَب[٥]

---

(١) انظر ٥ : ٤٨٢ .

(٢) هذه الزيادة المثبتة من ل ، هى فى الأصل « قيد » بالقاف . وصوابه ما أثبت .

(٣) أى قوى وانتشر ، كما فى اللسان (دجا) .

(٤) ط ، س : « السواد » ، وصوابه فى ل .

(٥) المغرب بضم الميم وفتح الراء : ما كل شىء منه أبيض . ط : « البياض المغرب » وتصحيحه من ل ، س .

والأشقَرُ والأحمرُ أقلُّ فى الضّعف والفَسادِ ، إذا[1] كان مشتقًّا من بَياضِ البَهَقِ والبَرَصِ والبَرَش [والشيب] .

والمغْرَبُ عند العرب لا خَير فيه ألبتّة . والفقيع[2] لا يُنجِب ، وليس عنده إلاّ حسنُ بياضه ، عند من اشتهى ذلك .

(سوابق الخيل)

وزعم ابن سلاّم الجُمحيّ أنّه لم يرَ قطُّ بلقاءَ ولا أبلق [جاء] سابقاً .

وقال الأصمعيّ : لم يسبق الحَلْبَة أهضَمُ قطُّ ؛ لأنهم يمدحون المُجْفَرَ[3] من الخيل ، كما قال[4] :

٧٨ خِيط على زَفرةٍ فتَمَّ ولم يرجعْ إلى دِقّة وَلاَ هَضَمِ[5]

ويقولون : إنَّ الفرَس بعُنُقِه وبطْنه .

وخبّرنى بعض أصحابنا ، أنّه رأى فَرَساً للمأمون بَلقاء سبقتِ الحلبة .

وهذه نادرةٌ غريبة .

---

(١) كذا فى ل ، س . وفى ط : « وإذا » .

(٢) الفقيع : الأبيض من الحمام .

(٣) المجفر ، بضم الميم وفتح الفاء : الواسع الجفرة بالضم ، وهى وسط الفرس .

(٤) هو النابغة الجعدى ، كما فى أدب الكاتب ٨٩ والاقتضاب ٣٣٠ .

(٥) يقول : كأنه زفر زفرة امتلأ جوفه بها ثم خيط على ذلك فلم تلحقه دقة ولا هضم . والهضم (بالتحريك) : استقامة الضلوع وانضمام أعالى البطن . وهذا البيت ساقط من ل . وقد أصلحته من اللسان والمصدرين السابقين . وهو فى ط : س محرف هكذا :

خيط على زفرة قم ولم يرجع إلى درقة وهضم

(نظافة الحمام و نفع ذرْقه)

والحمام طائر ألوفٌ مألوف ومحبَّب ، موصوفٌ بالنّظافة ، حتى إنّ ذرْقه لايعاف[١] ولا نتن له ، كسُلَاحِ[٢] الدَّجاج والدِّيَكة . وقد يُعالج بذرْقه صاحبُ الحصاة . والفلاّحون يجدون فيه أكثَرَ المنافع . والخبَّاز يُلقى الشيء منه فى الخمير لينتفخَ العجينُ ويعظُمَ الرغيف ، ثمّ لايستبينُ ذلك فيه . ولذَرْقه غلاّتٌ ، يعرف ذلك أصحاب الُحجَر . وهو يصلُح فى بَعض وُجوهِ الدَّبْغ .

باب [٣]

[وقال صاحبُ الدِّيك] : الحمامُ طائرٌ لئيمٌ قاسى القلب ، وإن برَّ بزَعْمِكم[٤] ولدَ غيرِه ، وصنَعَ به كما يصنع بفرخه ؛ وذلك أنهما يحضُنان كلَّ بيض ، ويزُقّان كلَّ فرْخ ، وما ذاك منهما إلاّ فى الفَرْط .

(لؤم الحمام)

فأمَّا لؤمه فمن[٥] طريق الغَيرة ، فإنّه يرى بعينه الذّكَرَ الذى هو أضعف منه ، وهو يطرُدُ أنثاه ويكسَحُ بِذَنَبه حَولها ، ويتطوَّس[٦] لها

---

(١) لايعاف : لا يكره .
(٢) السلاح ، بالضم : النجو .
(٣) ليست فى ل .
(٤) كذا فى ط ، س . وفى ل : « وإن برعم ببره » ، وليس يستقيم هذا .
(٥) كذا فى ل . وبدلها فى ط س : « فى » وأثبت الصواب .
(٦) التطوس : التزين . ويراد به هنا إبداء المحاسن فى الشكل والحركة .

ويستميلها ، وهو يرى ذلك بعَينه — ثمَّ لم نر قط ذكراً واثبَ ذكراً عند مثلِ ذلك .

فإذا قلت : إنّه يشتدُّ عليه ويمنعه إذا جثَمت[١] له وأراد أن يعلوَها ؛ فكلُّ ذكر وأنثى هنالك يفعل ذلك ، وليس ذلك من الذكر الغريب من طريق الغَيرة ، ولكنّه ضربٌ من البُخْل ومن النّفاسة[٢] . وإذا لم يكن من ذكَرِها إلاّ مثلُ مايكون من جميع الحمام عُلم أنّ ذلك منه ليس من طريق الغيرة . [وأنا رأيت النواهضَ تفعل ذلك ، وتقطع على الذّكر بَعْدَ أن يعلُوَ على الأنثى] .

قال : وأمَّا ما ذكرتم من أن الحمامَ معطوفٌ على فِراخه ما دامتْ محتاجةً إلى الزّقّ ، فإذا استغنَت نُزِعت منها الرحمةُ ، فليس ذلك كما قلتم . الحمامُ طائرٌ ليس له عهد ؛ وذلك أنّ الذّكرَ ربما كانت معه الأنثى السِّنينَ ، ثمَّ تُنقَلُ عنه وتُوارَى [عنه] شهراً واحداً ، ثم تظهر له مع زوجٍ أضْعَفَ منه ، فيراها طولَ دهْره وهى إلى جنب بيتِه وتماريده[٣] فكأنهُ لايعرفها بعد معرفتها الدّهرَ الطويل[٤] ، وإنما غابت عنه الأيّامَ اليسيرةَ . فليس يوجَّهُ[٥] ذلك الجهلُ الذى يُعامِل به فراخَهُ بَعد أن كبِرَت ، إلَّا على

---

(١) جثمت : لزمت مكانها أو وقعت على صدرها . وبدلها فى ط : « اجتمعت » .

(٢) النفاسة ، هنا ، من نفس عليه ، بكسر الفاء : حسده ، أو لم يره أهلا .

(٣) التماريد : جمع تمراد بالكسر ، وهو بيت صغير فى بيت الحمام لمبيضه . ط : « وبمرآه » . س : « بمرداته » وهذه محرفة .

(٤) ل : « بعد معرفة » . ل : س : « العمر الطويل » .

(٥) كذا الصواب فى ل ، س . وفى ط : « يوجد » .

الغباوةُ وسُوءِ الذِّكر ، وأنّ الفرْخ حين استوى ريشهُ وأشبَهَ غيرَه من الحمام جهِل الفصْل[١] الذى بينهما .

فإن كان يعرف أنثاه وهو يجدُها مع ذكَرٍ ضعيف وهو مسلِّم لذلك وقانعٌ بِهِ ، وقليلُ الاكتراث به ، فهو من لؤمٍ فى أصل الطبيعة . ٧٩

(قسوة الحمام)

قال : وبابٌ آخر من لؤمه: القسوةُ ، وهى ألأمُ اللّؤم ؛وذلك أن الذّكَر ربَّما كان فى البيت طائرٌ ذكرٌ قد اشتدَّ ضعفُه ، فينقُر رأسَه والآخرُ مستخذٍ[٢] له ، قد أمكَنَه من رأسِهِ خاضعاً له ، شديدَ الاستسلام لأمره ، فلا هو يرحُمه لضعفِه وعجْزِه عنهُ ، ولا هو يرحَمُه لخضوعه ، ولا هو يملُّ[٣] وليس له عنده وِتر . ثمّ ينقُر يافُوخَه حتى ينقُبَ عنهُ ، ثمَّ لايزال ينقُر ذلك المكانَ بَعْدَ النّقْب حتى يُخرِجَ دِمَاغَهُ فيموتَ بين يَدَيْه .

فلو كان ممَّا يأكل اللَّحمَ واشتهى الدماغ كان ذلك له عذراً ؛ إذ لم يَعْدُ ماطَبَعَ الله عليه سِباعَ الطير .

فإذا رأينا من بعض بهائمِ الطيرِ من القَسوةِ ما لا نرى من سِباع الطير لم يكن لنا إلاّ أن نقضىَ عليهِ من اللؤم على حسب مباينته لشكل

---

(١) الفصل بالصاد المهملة : أى الفرق . ط ، س : « الفضل » وليس بشىء .
(٢) مستخذ ، بالذال : خاضع . س فقط : « مستخز » ،وهو تصحيف .
(٣) ل: « ولا يميل » .

البهيمة ، ويزيد[١] فى ذلك على ما فى جوارح الطير من[٢] السَّبُعية .

(أقوال لصاحب الديك فى الحمام)

وقال صاحب الديك[٣] :

زعم أبو الأَصبغ بن ربعىّ[٤] قال : كان رَوحٌ أبو همام صاحِب المعمّى ، عند مثنَّى بن زهير ، فبينما هو يوماً وهو معهُ فى السطح إذ جاء جماعةٌ فصعِدوا . فلم يلبثْ أن جاء آخرون ، ثمَّ لم يلبَثْ أن جاءَ مثلهُمْ ، فأقبلَ عليهم فقال : أىٌّ شيءٍ جاء بكم ؟ وما الذى جَمَعكم اليوم ؟ قالوا : هذا اليومُ الذى يرجع فيهِ مَزَاجيلُ الحمامِ من الغايَةِ . قال : ثمَّ ماذا ؟ قالوا : ثمَّ نَتَمَتَّعُ بالنَّظَر إليها إذا أقبلت . قال : لـكِنَّنى أتمتّع بتغميض العين إذا أقبلت ، وتَرْكِ النَّظَرِ إليها !! ثمَّ نزَل وجلس وحدَه .

(التلهِّى بالحمام)

وقال مثنَى بنُ زهير ذاتَ يوم : ما تَلَهَّى النّاسُ بشيءٍ مثل الحمام ، ولا وجدنا شيئا مما يتخذه النّاس ويُلعَبُ بِهِ ويُلْهَى بِهِ ، يخرج من أبواب

---

(١) ل : « ونزيده » .

(٢) ط ، س : « مثل » وصوابه فى ل .

(٣) هذه الجملة ليست فى ط ، س . وبدلها كلمة « باب » .

(٤) ماعدا ل : « أبو الأصبع بن ربعى » . وانظر ص ١٠٩ .

الهزل إلى أبواب الجدّ – كالحمام – وأبو إسحاق[١] حاضر – فغاظه ذلك ، وكظم على غيظه . فلمّا رأى مثنّى سكوته عن الردّ عليه طمِع فيه فقال : يبلغُ واللهِ مِنْ كرَم الحمام ووفائِه ، وثباتِ عهْدِه ، وحنينِه إلى أهله ، أنّى ربّما قصَصتُ الطَّائر[٢] بعد أنْ طار عِندى دهراً ، فتى نبَتَ جَناحه كنباته الأوَّل ، لم يَدْعُه سوءُ صنيعِى إليه إلى الذَّهاب عنِّى . ولربَّما بِعْتُه فيقصُّه المبتاعُ حيناً ، فما هو إلاَّ أن يجدَ فى جَناحِه قوَّةً على النُّهوض [حتَّى أراه[٣]] أتانى جادفاً أو غير جادف[٤] . وربَّما فعلتُ ذلك به مراراً كثيرة ، كلَّ ذلك لايزدَادُ إلَّا وفاء .

٨٠

قال أبو إسحاق : أمَّا أنت فأراكَ دائباً تحمَده وتذمُّ نَفْسَك . ولئنْ كان رجوعُه إليك من الكرم إنّ إخراجَك له من اللُّؤم ! وما يُعجبنى من الرِّجال مَنْ يَقْطَعُ نفسَه لصلةِ طائرٍ ، وينسى ماعليه فى جنبِ مااللبهيمة . ثم قال : خبِّرنى عنكَ حين تقول : رجَعَ إلىَّ مرَّةً بعدَ مرَّة ، وكلما زهِدْتُ فيه كان فىَّ أرغبَ ، وكلّما باعدْتُه كان لى أطْلَبَ ؛ إليكَ جاء ، وإليكَ حنَّ أمْ إلى عُشِّه الذى درَج منه ، وإلى وكْره الذى رُبِّى فيه ؟ ! أرأيت أنْ لو رجَعَ إلَى وكرِه وبيتِه ثمَّ لم يجدْك ، وألفاك غائباً أو ميِّتاً ، أكان يرجِعُ إلى موضعه الذى خلّفه ؟ ! وعلى أنّك تتعجَّب من هدايتِه ، وما لك فيه

---

(١) هو إبراهيم بن سيار النظام شيخ الجاحظ .

(٢) فى الأصل : « قصصت الطائر دهرا » . وكلمة : « دهرا » مقحمة بلا ريب .

(٣) ليست بالأصل ، وزدتها تكملة للكلام .

(٤) جدف الطائر جدوفا : طار وهو مقصوص .

مقالٌ غيره . فأمَّا شكرُك على إرادته لك ، فقد تبيَّنَ خطَاؤك[1] فيه ، وإنما بقي الآن حسنُ الاهتداء ، والحنينُ إلى الوطن .

(مشابَهَة هداية الحمام لهداية الرخم)

وقد أجمعوا على أنَّ الرَّخَمَ من لئام الطير وبغاثها ، وليست من عِتاقها وأحْرارها ، وهي من قواطِع الطّير ، ومِنْ موضِع مَقْطَعها إلينا[2] [ثمَّ] مرجِعِها إليه من عندنا ، أكثرُ وأطوَلَ من مقدارِ أبعَدِ غايات حمامكم . فإن كانتْ وقتَ خُروجها من أوطانها إلينا خرجتْ تقطَع الصَّحارىَ والبرارىَّ والجزائرَ والغِياضَ والبِحارَ والجبالَ ، حتّى تصير إلينا فى كلِّ عام — فإن قلت إنّها ليستْ تخرج إلينا على سمْتٍ ولا على هِدايةٍ ولا دَلالةٍ ، ولا على أمارةٍ وعَلامة ، وإنما هَرَبت من الثُّلوج والبَرْد الشديد ، وعلمت أنّها تحتاج إلى الطُّعْم ، وأنّ الثّلجَ قد ألبَس ذلك العالم ، فخرجتْ هاربةً فلا تزالُ فى هربها إلى أن تصادفَ أرضا خِصْباً[3] دفئاً ، فتقيم عندَ أدنى ماتجد — فما تقولُ فيها عند رجوعها ومعرفتِها بانحسارِ الثلوج عن بلادها ؟ ! أليست قد اهتدتْ[4] طرِيقَ الرُّجوع ! ؟ ومعلوم عند أهل تلك الأطراف ، وعند أصحاب التَّجارب

(١) الخطاء ، كسحاب ، مثل الخطأ .

(٢) ط ، س : « إلى » ، وصوابه فى ل .

(٣) يقال : أرض خصب وخصبة بكسرها ، وخصبة بالفتح . بدلها فى ل : « بيضاء » وليس بشىء .

(٤) يقال هو يهدى الطريق ويهتدى الطريق بمعنى يعرفه .

وعند القانص ، أنّ طَيْرَ كلٍّ جهةٍ إذا قَطَعَتْ رَجَعت إلى بلادها وجبالها وأوكارها ، وإلى غياضها وأعشّتها[1] . فتجد هذه الصِّفة في جميع القواطع من الطَّير ، كرامها كلئامها[2] ، وبهائمها كسباعها . ثمَّ لايكون اهتداؤها على تمرينٍ وتوطين ، ولا عن تدريبٍ وتجريبٍ ، ولم تلقّن[3] بالتّعليم ، ولم تثبّتْ بالتّدبيرِ والتقويم . فالقواطع لأنفسها تصير إلينا ، ولأنفسها تعودُ إلى أوكارها . وكذلك الأوابد من الحمام ، لأنفسها ترجع . وإلفُها للوطن إلفٌ مشترَكٌ مقسومٌ على جميع الطّير . فقدْ بَطلَ جميعُ ما ذكرت .

(قواطع السمك)

ثم قال : وأعجبُ من جميعِ قواطعِ الطّيرِ قواطعُ السَّمك ، كالأسبور[4] والجُوَاف[5] والبَرستُوج[6] ، فإنَّ هذه الأنواعَ تأتى دِجلَة البصرةِ من

---

(١) لم أر هذا الجمع لغير الجاحظ . والمعروف عشاش وعششة وأعشاش .

(٢) ط ، س : « ولئامها » وصوابه ما أثبت من ل .

(٣) كذا فى ط ، س . وفى ل : « ولم تعلّ » .

(٤) فصيلة الأسبور ، أسماك بحرية مشهورة ، منها المرجان ، والسرغوس ، والسرب والكحلاء ، ونحوها . معجم المعلوف ٢٣٢ . ولم أهتد إلى ضبطه لأنه ليس من ألفاظ المعاجم المشهورة . وبدل هذه الكلمة فى ط ، س : « الأشبور » وبدون إلحاق كاف التشبيه فى أوله ، وهو تحريف . وجاء الكلام عليه فى عجائب المخلوقات ١١٤ .

(٥) الجواف بالواو ، بوزن غراب ، كما فى القاموس : ضرب من السمك . وقال صاحب عجائب المخلوقات : « ووصفه مثل وصف الأسبور » . وهذه الكلمة جاءت محرفة فى س وعجائب المخلوقات بلفظ « الجراف » . وفى ط بلفظ « الجوان » وصوابه فى القاموس و ل .

(٦) البرستوج ، هو فى القاموس : « البرشتوك كسقنقور : سمك بحرى » قلت : هو =

٨١ أقصى البحار ، تستعذبُ الماء فى ذلك الإبَّان ، كأنها ، تتحمَّضُ بحلاوة الماءِ وعذوبَتِه ، بعدَ مُلوحةِ البحر ؛ كما تتحمَّض الإبلُ فتطلب الحَمْضَ — وهو ملحٌ — بَعْدَ الخُلَّة — وهو ماحلا وعذب .

(طلب الأسد للملح)

والأُسدُ إذا أكثَرتْ مِن حَسْوِ الدِّماء — والدِّماءُ حلوةٌ — وأكْلِ اللَّحْم واللَّحمُ حلو — طلبت المِلْحَ لتتملَّحَ[1] به ، وتجعلَه كالحَمْض بعْدَ الخُلّة .

ولولا حُسنُ موقعِ المِلْح لم يُدْخله النّاسُ فى أكثَرِ طعامهم .

والأَسَدُ يخرج للتملُّح ، فَلَا يزالُ يسيرُ حتّى يجِدَ مَلَّاحَة[2] . وربّما اعتادَ الأَسَدُ مكاناً فيجدُه ممنوعا ، فلا يَزَالُ يقطَعُ الفراسِخَ الكثيرَةَ بَعْدَ ذلك[3] فإذا تملَّح رجع[4] إلى موضعِهِ وغَيْضَتِه وعَرِينِه ، وغابه وعِرِّيسته[5] ، وإن كان الذى قَطَع خمسين فرسخاً .

= معرب « پرستوك » ، وهو لفظ فارسى معناه الخطاف واحد الخطاطيف ، ولعل سبب تسميته بذلك أنه يشبه الخطاف فى أنه من القواطع كما أن الخطاف من القواطع . وفى عجائب المخلوقات ١١٤ : « وحاله كحال الخطاطيف وغيرها من الطيور ينتقل من مكان إلى مكان » . « وذكر البحريون أن البرستوج فى الوقت الذى يوجد فى البصرة لايوجد بالزنج ، وفى الوقت الذى يوجد فى الزنج لايوجد فى البصرة » . ط : « البزستوج » تصحيف .

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « تستملح » .

(٢) الملاحة : منبت الملح أى معدنه . وأفعال هذه الجملة فى س مبدوءة بالتاء ، فتقرأ « الأسد » بهذه جمعاً ، أى بضم الهمزة وإسكان السين .

(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « وبعد ذاك » والواو مقحمة .

(٤) س : « عاد » .

(٥) الغاب : جمع غابة ، وهى الأجمة . والأوفق فى هذه الكلمة أن تكون « وغابته » =

(مجىء قواطع السمك إلى البصرة)

ونحن بالبصرة نعرف الأَشْهُر التى يقبل إلينا فيها هذه الأَصناف[١] وهى تقبلُ مرَّتين فى كلِّ سنة ، ثمّ نجدُها فى إحداهما أسمَنَ[٢] الجنس فيقيم كلُّ جنس منها عنْدَنا شهرَين إلى ثَلَاثَة أشْهُر ، فإذا مضى ذلك الأَجلُ ، وانقضتْ عِدّةُ[٣] ذلك الجنسِ ، أقْبل[٤] الجنسُ الآخر . فهم[٥] فى جميع أقسام شُهورِ السَّنَةِ من الشتاء والربيعِ ، والصَّيفِ والخريف ، فى نوعٍ من السَّمك غيرِ النّوع الآخَر . إلّا أنْ البَرَسْتُوجَ[٦] يُقْبِل إلينا قاطعاً من بلاد الزِّنج[٧] ، يستعذب الماء من دِجلةِ البَصْرَةِ ، يعرفُ ذلك جميعُ الزِّنج والبَحْرِيِّين .

= بالإفراد ليتساوق الكلام ، ولكن هكذا وردت فى ل . وفى ط ، س : « محرابه » ، وهو تحريف ظاهر . والعريسة ، بكسر العين وتشديد الراء المكسورة : مأوى الأسد ، ومثلها « العريس » بالضبط المتقدم ، وجاءت بهذه فى ط ، س .

(١) كذا فى ل . وبدل الكلمتين الأخيرتين فى ط ، س : « الأشبور وأصناف السمك » ، وكلمة « الأشبور » مصحفة سبق الكلام فيها ص ٢٥٩ .

(٢) بعد هذا اللفظ فى ط فقط كلمة « الجنس » ، وليس لها وجه .

(٣) عدته أى عدد أيامه . وفى الكتاب العزيز : « ولتكملوا العدة » ط ، س : « مدة » .

(٤) ط : « قبل » صوابه فى ل ، س .

(٥) فهم : أى فأهل البصرة . س « فيهم » تحريف .

(٦) ط : « البزسبوج » ، وهو تصحيف نبهت عليه ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٧) بلاد الزنج ، يراد بها مايعرف الآن ببلاد الصومال الإيطالى وما جاورها من الجنوب وأكبر بلادهم هى (مقدشو) كما ورد فى معجم البلدان برسم (بحر الزنج) . ولا تزال هذه المدينة عامرة إلى وقتنا هذا . وهى عاصمة بلاد الصومال .

(بُعْدُ بلاد الزِّنج والصِّين عن البصرة)

وهم يزعمون أنّ الذى بين البصرة والزِّنج ، أبعَدُ مما بين الصِّين وبينها[١]

وإنما غلط ناسٌ فزعموا أنّ الصِّين أبعد ، لأن بحرَ الزِّنج[٢] حفرةٌ واحِدة عميقَة[٣] واسعة ، وأمواجها عِظام ، ولذلك البَحْرِ ريحٌ تهبُّ من عُمانَ إلى جهة الزِّنج شهْرَين ، وريحٌ تَهُبُّ من بلاد الزِّنج تريدُ جِهَة عُمان شهْرين ، على مقْدَارٍ واحدٍ فيما بينَ الشِّدَّة واللِّين ، إلاّ أنّها إلى الشدّةِ أقْرَب ، فلما كان البَحْرُ عميقا والرِّيحُ قَوِيَّةً ، والأمْواجُ عظيمَةً ، وكان الشِّراعُ لايحطُّ ، وكان سيرهم مع الوَتَر ولم يكن مع القَوْس[٤] ، ولا يَعْرفون الخِبَّ والمكَلَّأَ[٥] ، صارت الأَيّامُ التى تسير فيها السُّفن إلى الزِّنْجِ أقل .

---

(١) أى وبين البصرة . ط ، س : « بينهما » ، وصوابه فى ل .

(٢) بحر الزنج ، هو الجانب الغربى من المحيط الهندى ، المجاور لبلاد الزنج . وانظر ٢٦١ .

(٣) ل : « عميمة » وصوابه فى ط ، س .

(٤) المراد بالوتر الوتر الهندسى ، وهو الخط الذى يصل بين طرفى القوس . والوتر أبداً أقل من قوسه .

(٥) الخب ، بالكسر : اضطراب أمواج البحر . والمكلأ ، كمعظم : المرفأ . يقول : لايضطرب بهم الموج فيلجئهم إلى الرسو بجوار الساحل . ط : س : « الجيب الميل » ، وهما على الصواب الذى أثبت فى ل .

(البرستوج)

قال : والبَرَسْتوج[١] سَمكٌ يقْطَعُ أمواجَ الماء ، ويَسيح[٢] إلى البصرة مِنَ الزنْج ، ثم يَعُودُ مافَضَلَ عنْ صيدِ الناس إلى بلاده وبحره . وذلك أبْعَدُ ممَّا بين البصرة إلى العليق[٣] المرارَ الكثيرة . وهم [لا][٤] يصيدون من البَحْر فيما بين البَصرة إلى الزَّنْج[٥] من البَرَسْتُوج[٦] شيئا [إلَّا] فى إبانِ مَجيئها إلينا ورجوعِها عنَّا[٧] ، وإلَّا فالبحر منها فارغٌ خالٍ .

فَعامة الطيرِ أعجبُ من حمامكم ، وعامَّةُ السّمك أعجبُ من الطَّير .

(هداية السمك والحمام)

والطَّيرُ ذو جناحين ، يحلِّق فى الهواء ، فله سُرعةُ الدَّرَك وبلوغ الغاية بالطيران[٨] ، وله إدراك العالم بما فيـــهِ بعلامات وأمارات[٩] إذا هو ٨٢

---

(١) ط : « والبزسبوج » وصوابه فى ل ، س . وانظر التحقيق فى ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٢) كذا فى ل ، ط . وفى س : « يسبح » بالموحدة .

(٣) كذا فى ل ، وانظر ماسبق فى ص ٢١٥ . ط : « العين » س : « العلين » .

(٤) الزيادة من ل ، س .

(٥) فى ط فقط بعد هذه الكلمة : « ولا نرى » .

(٦) ط : « البزستبوج » وهو تصحيف انظر له ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٧) ل : « عنها » تحريف .

(٨) ط ، س : « والطيران » .

(٩) ل : « بعلاماته وأماراته » .

حلَّق[١] فى الهواء ، وعلا[٢] فَوق كل شيء . والسَّمكة تسبِّح فى غَمْر البَحْر والماء[٣] ، ولا تسبِّح فى أعلاه . ونسِيمُ الهواء الذى[٤] يعيشُ بهِ الطيرُ لو دامَ على السمَكِ ساعةً مِنْ نهارٍ لقتله[٥]

وقال أبو العنبر[٦] : قال أبو نُخيلة الراجز[٧] وذَكَرَ السمك :

تغمُّـــه النشرَةُ[٨] والنسِيم فَــلا يزال مُغرَقا[٩] يَعُومُ

فى البَحر والبَحْرُ له تخميمُ[١٠] وأمُّـــهُ الوَالدَةُ الرءومُ

* تَلهمهُ جهلًا وما يَريمُ *

---

(١) تحليق الطائر : ارتفاعه فى طيرانه . ل : « تحلق » ، ولم أجد هذه إلا فى تحلق القمر : صارت حوله دوارة ، وتحلق القوم : جلسوا حلقة حلقة .

(٢) علا : ارتفع . ط : « على » تحريف .

(٣) ل : « غمر الماء » . وتجد أنى ضبطت « تسبح » من التسبيح ، وهو مراد الجاحظ ، جاء فى نقل الدميرى : « قال الجاحظ : السمك يسبح الله فى غمر الماء » وانظر ما نقله عن صفوة الصفوة .

(٤) ط : « والذى » وصوابه فى ل ، س والدميرى .

(٥) قال الدميرى معترضاً : « وما ذكره الجاحظ من كون النسيم يضر بالسمك فليس على إطلاقه ، فإن الغزالى قد استثنى منه نوعاً لايضره النسيم فقال : ومن السمك نوع يطير على وجه البحر مسافة طويلة ثم ينزل » .

(٦) ط ، س : « ابن أبي العنبر » ل : « أبو العس » . وجاء فى معجم المرزبانى ٥١٣ : « أبو العنبر بن أبي نخيلة ، ويقال هو أبو العبير » .

(٧) أبو نخيلة الراجز سبقت ترجمته فى (٢ : ١٠٠) . فى الأصل : « بن أبي نخيلة الراجز » ، وقد أبدلته بما ترى .

(٨) ط : « النشزة » وصوابه فى ل ، س واللسان (نشر) .

(٩) س : « معرقا » وتصحيحه من ط ، ل واللسان .

(١٠) ط ، س والدميرى : « حميم » ، وصوابه فى ل واللسان .

يقول : النشرَة والنسيم الذى يُحيى جَميعَ الحيوانات ، إذا طال عليه الُحمُومُ[1] واللَّخَنُ والعَفَن ، والرُّطوباتُ الغليظة ، فذلك يغمُّ السَّمَك ويكرُبُه ، وأمُّه التى ولدته تأكله ؛ لأنّ السَّمكَ يأكلُ بعضُه بعضاً ، وهو فى ذلك لا يَرِيمُ هذا الموضع[2] .

وقال رؤبة[3] :

والحوت[4] لا يَكفِيه شىءٌ يَلْهَمُه   يُصبِحُ عَطْشَانَ وفى الماءِ فَمُهْ[5]

يصف طباعَه واتِّصالَه بالماء ، وأنَّه شديد الحاجةِ إليه ، وإن كان غَرِقا [فيه[6]] أبدا .

---

(١) الحموم : العفن . ط ، س : « الحموم » وتصحيحه من ل واللسان .

(٢) رام الموضع يريمه : تركه .

(٣) فى محاضرات الراغب (١ : ٣٠٤) نسبة الرجز إلى جرير والصواب ما هنا . والبيتان من أرجوزة طويلة لرؤبة أولها كما فى ديوانه ١٤٩ ، وشرح شواهد المغنى ١٢٠ :

* قلت لزير لم تصله مريمه *

(٤) الرواية الصحيحة : « كالحوت » . انظر المحاضرات وشرح شواهد المغنى . وقد روى البكرى الأرجوزة فى أراجيز العرب ١٣٩ — ١٥٥ . وقبل هذا البيت :

* أتاك لم يخطئ به ترسمه *

يعنى نفسه . ويخاطب أبا جعفر المنصور مادحاً .

(٥) استشهد به ابن سيده فى المخصص (١ : ١٣٦) على أنه اضطر فقال « فمه » وقال : « وهذا الإبدال إنما هو فى الإفراد » ، أى إبدال عين الكلمة بميم ، وكان ينبغى أن يقول : « فوه » ، ولا يصح النطق بكلمة « فم » إلا حين إفرادها عن الإضافة . قال البكرى : « يقول : إنه لا يروى حتى يلقى الممدوح » .

(٦) الزيادة من ل ، س .

(شعر فى الهجاء)

وأنشدنى محمَّدُ بنُ يسير لبعض المدنيِّين[1] ، يهجُو رجلا ، وهو قوله :

لو رأى فى السَّقفِ فرْجاً لنزَا حتَّى يمـوتاَ[2]

أو رآهُ وَسْطَ بحـرٍ صارَ فيـه الدَّهرَ حُوتاَ[3]

قال : يقول فى الغَوْصِ فى البَحْرِ ، وفى طُول اللبْثِ فيه .[4]

(شعر فى الضفدع)

وقال الذَّكوانى ، وهو يصف الضِّفْدعَ :

يُدخل فى الأشْدَاق[5] ماءً يَنصُفه كَيماَ[6] يَنقَّ والنَّقيقُ يُتْلِفهُ

قال : يقول : الضِّفدع لايصوِّت ، ولا يتهيَّأ له ذلك حتَّى يكون فى فيه ماء ، وإذا أرادَ ذلك أدخل فكه الأسفلَ فى الماءِ ، وترَك الأعلى حتى يبلُغَ الماءُ نِصفَه .

---

(١) الصواب أن الشعر لأبى نواس ، وليس فى هجاء رجل ، بل فى غرض آخر . انظر الكنايات للجرجانى ٣٧ ومعاهد التنصيص (١ : ٣٤) وأخبار أبى نواس ٣٥ .

(٢) نزا : وثب . وفى الأصل : « لزنا » وصوابه فى أخبار أبى نواس . وفى المعاهد : « لنزى » تحريف كتابى . وفى الكنايات : « لرق » .

(٣) ل : « صار للتغطاط » ، وصوابها « للتنعاط » . المعاهد : « صار للإنماط » .

(٤) هذا التفسير ساقط من ل .

(٥) فى الأصل « الأشدق » ، ولم أر هذا الجمع ، وأثبت ما فى الدميرى وعيون الأخبار (٢ : ٩٧) .

(٦) ط ، س : « كما » ، تحريف . وانظر ٥ : ٥٣٢ .

والمثل الذى يَتَمَثَّلُ بِهِ النّاس : « فلانٌ لايستطيعُ أن يُجيبَ خُصومَه لأنّ فاهُ مَلآن ماءً » . وقال شاعرهُم[1] :

وما نسيت مكان الآمريكِ بذا يامَنْ هويتُ ولكنْ فى فِمِى ماءُ[2]

وإنَّما جعلوا ذلك مثلا[3] ، حينَ وجَدُوا الإنسانَ إذا كان فى فمه ماءٌ على الحقيقة لم يَسْتطع[4] الكلام . فهو تأويلُ قولِ الذَّكوانىِّ :

* يُدخِلُ فى الأشداقِ ماءً يَنْصُفُه *

بفتح الياءِ وضمِّ الصَّاد ، فإنَّه ذهبَ إلى قول الشاعرِ[5] :

وكنتُ إذا جارى دَعا لمَضُوفةٍ أشمِّرُ حتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ مِئْزَرِى[6] ٨٣

[المضوفة : الأمر الذى يشفقُ منه] .

وكقول الآخر[7] :

* فإنَّ الظَّنَّ يَنْصُفُ أو يزيدُ *

وهذا ليس من الإنصاف الذى هو العَدْل ، وإنَّما هو من بلوغ نِصْفِ الساق .

---

(١) هو أبو نواس من أبيات فى الديوان ٣٥٩ .

(٢) كذا فى ط ، س . وفى ل : « بذا * من الوشاة » . وفى الديوان : « وما جهلت مكان لاشريك به * من الوشاة » .

(٣) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « مثله » .

(٤) ط : « يستطيع » ، وهو خطأ .

(٥) هو أبو جندب الهذلى ، كما فى اللسان (نصف) .

(٦) تكلم فى هذا البيت ابن الأنبارى فى الأضداد ١١٣ وابن سيده فى المخصص (١٢ : ١٢٥) والبغدادى فى الخزانة (٣ : ٣٢١ بولاق) .

(٧) هو أبو الفضة قاتل أحمر بن شميط ، كما سبق فى ٦٠ . وصدره :

* فإلا يأتكم خبر يقين *

وأمّا قوله :

* كَما[1] ينقُّ والنَّقيقُ يُتلِفهُ *

فإنه ذهَبَ إلى قول الشاعِر[2] :

ضفادِعُ فى ظلماء ليلٍ تجاوَبتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهاَ حَيَّةَ البَحْرِ

(معرفة العرب والأعراب بالحيوان)

وقلَّ معنًى سَمِعناهُ فى باب مَعْرفةِ الحيوان من الفلاسفة ، وقرأناه فى كتُبِ الأطبَّاءِ والمتكلمين – إلّا ونحنُ قد وجدناه[3] [أو] قريبا منهُ فى أشعار العَرب والأعراب ، وَفى[4] معرفةِ أهلِ لغَتنا ومِلّتنا . ولولا أنْ يطولَ الكتابُ لذكرتُ ذلك أجمعَ[5] . وعلى أنِّى قد تركتُ تفسيرَ أشعارٍ كثيرة ، وشواهد عديدة[6] مما لايعرفه إلَّا الرَّاويةُ النِّحرير[7] ؛ مِنْ خوفِ التطويل .

---

(١) ط ، س : « كما » ، وصوابه فى ل .

(٢) هو الأخطل كما فى البيان (١ : ٢٧٠) والحيوان (٥ : ١٥٤) . وللبيت قصة طريفة فى العقد (٢ : ١٤) ومعاهد التنصيص (٢ : ١٩٩) والكنايات ٧٢ .

(٣) ط ، س : « وجدنا » .

(٤) ل : « فى » والوجه ما اثبت من ط ، س .

(٥) ط ، س : « لذكرت لك الجميع » .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « مع شواهد كثيرة » .

(٧) النحرير : الحاذق الفطن البصير بكل شىء . ط ، س : « إلا الرواة للتحرز » تحريف ما أثبت من ل .

(حمام النساء وحمام الفراخ)

وقال أفليمون[١] صاحبُ الفِراسة : اجعل حمامَ النساء المسرْوَلاتِ العِظامَ الحِسَانَ ، ذواتِ الاختيال والتَّبختر والهدير ؛ واجعل حمام الفِراخِ ذواتِ الأنساب الشريفة[٢] والأعراق الكريمة ، فإنّ الفراخَ إنَّما تكثُر عن حُسْن التعهُّد ، ونظافةِ القرامِيص[٣] والبُروج . واتَّخِذْ لهنَّ بيتاً محفوراً عَلَى خِلقة الصَّومَعة ، محفوفا من أسفله[٤] إلى مقدارِ ثُلثَى حيطانِه بالتماريد[٥] ، ولتَكُنْ واسعةً وليكن بينها حِجاز[٦] . وأجودُ ذلك أن تكونَ تماريدُها محفورَةً فى الحائطِ[٧] على ذلك المثال ، وتعهَّد البُرْج بالكنس والرَّشِّ[٨] [فى زمان الرشَ]، وليكن مخرجُهنَّ من كَوٍّ[٩] فى أعلى

(١) ط ، س : « أقليمون » بالقاف ، تصحيف ما فى ل .

(٢) ط ، س : « من غير ذوات الأنساب » وكلمة « غير » تفسد الكلام . ولفظ « الشريفة » ساقط من ل .

(٣) القرموص : العش يبيض فيه الحمام . قال الأب أنستاس مارى : هى يونانية بلا أدنى ريب ، من : Kheramos,ou ومعناه الحفرة والأفحوص والقلت والوجار وهى مشتقة من فعل أصله عندهم Kha .

(٤) ط ، س : « أوله » .

(٥) التماريد : جمع تمراد بالكسر ، وهو بيت صغير فى بيت الحمام لمبيضه .

(٦) حجاز ، بالكسر : حاجز . ط فقط : « أحجاز » وهو تحريف .

(٧) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « والحائط » .

(٨) ل : « بالكسح » وهو بمعنى الكنس . وكلمة « الرش » هى فى ط : « الريش » وصوابها فى ل ، س .

(٩) الكو : الخرق فى الحائط ، ومثله الكوة بضم الكاف وفتحها ، جمعه كوى وكواء . ط :« من كون » ولا يستقيم الجمع مع سياق الكلام .

الصَّومعة ، وليكن مقتصداً فى السَّعةِ والضِّيق ، بقدر ما يدخُل منه ويخرج [منه] الواحد [بعد الواحد] . وإن استطعتَ أن يكونَ البيتُ بقُربِ مزرعةٍ فافعلْ . فإنْ أعجزَكَ المنسوبُ منها فالتمسْ ذلك بالفِراسةِ التى لاتخطئُ . وقلَّما يُخطئُ المتفرِّس .

قال : وليس كلُّ الهُدَّى[1] تَقْوَى على الرّجعة من حيثُ أرسِلتْ ؛ لأنَّ منها ما تفضَل قوَّتهُ على هِدايته ، ومنها البطىء وإن كان قويّا ، ومنها السَّريع وإن كان ضعيفا ، على قدر الحنين والاغترام[2] . ولا بدَّ لجميعها من الصَّرامةِ ، ومن التّعليم أوَّلًا والتَّوطين آخِراً .

(انتخاب الحمام)

وقال : جِماع الفِرَاسةِ لايَخرج[3] من أربعة أوجه : أوَّلها التقطيع ، والثانى المجسَّة ، والثالث الشمائل ، والرابع[4] الحركة .

فالتقطيع : انتصاب العنق والخِلْقة ، واستدارةُ الرأس من غير عِظَمٍ ولا صِغَر ، مع عظم القرطمتين[5] ، واتِّساع المنخرين ، وانهرات الشدقين

---

(١) الهدى سبق الكلام عليها فى (٢ : ٧٩) . ط ، س : « وقال ليس » الخ .

(٢) ط ، س : « على قدر التحقيق والاعتزام » والوجه ما أثبت من ل .

(٣) الجماع ، كرمان : مجتمع أصل الشىء . ط ، س : « جميع الفراسة لاتخرج »

(٤) فى الأصل : « والرابعة » وهو خطأ . وفى س أيضاً : « والثانية » « والثالثة » وليس بشىء .

(٥) القرطمتان بكسر القاف والطاء : نقطتان على أصل منقار الحمامة .

وهذان مِنْ أعلامِ الكَرَم فى الخيل ؛ للاسترواح[١] وغير ذلك . ثمّ حُسنُ خِلْقة العينين ، وقِصَر المنقار فى غير دِقّة[٢] ثمَّ اتّساعُ الصّدرِ وامتلاءُ ٨٤ الجؤجؤ ، وطولُ العنق ، وإشراف المنكِبين ، وطولُ القوادمِ فى غير إفراط ، ولُحوق بَعض الخوافى ببعض ، وصلابة العَصَبِ[٣] فى غير انتفاخٍ ولا يُبس واجتماعُ الخلْق فى[٤] غير الجعودةِ والكَزَازَةِ ، وعِظَمُ الفخذين ، وقِصَر الساقين والوظِيفَين ، [وافتراق[٥] الأَصابع] ، وقِصَر الذّنب وخِفَّته ، من غير تَفْنين وتفرُّق[٦] . ثم تَوَقُّدُ الحَدَقتين ، وصفاءُ اللَّون . فهذه أعلامُ الفِراسة فى التقطيع .

وأمَّا أعلامُ المجسة ، فَوثَاقةُ الخلْق ، وشدَّة اللَّحم ، ومَتانَة العَصَب ، وصَلَابَةُ القَصَب ، ولينُ الرِّيش فى غيرِ رِقّةٍ[٧] وصَلَابَةَ المِنقارِ فى غيرِ دقة .

وأمّا أعلام الشمائل ، فقلّة الاخْتيال ، وصفاءُ البصر[٨] وثباتُ النَّظَر

---

(١) الاسترواح : التشمم . ل : « وهذان من أعلام الكرم فى الاسترواح » تحريف .

(٢) ط ، س : « رقة » بالراء . وأثبت مافى ل ونهاية الأرب ١٠ : ٢٧٠ والمخصص ٨ : ١٧٠ .

(٣) ط ، س : « القصب » وتصحيحه من ل ونهاية الأرب .

(٤) ل : « من » .

(٥) فى الأصل — وهو هنا ل — : « اقتدار » وتصحيحه من نهاية الأرب .

(٦) التفنين أصله فى الثوب أن يبلى فيتقزز بعضه من بعض . ل : « تفنن » وأثبت صوابه من ط ، س : والمصدرين السابقين .

(٧) فى الأصل : « دقة » بالدال ، وأثبت مافى المخصص والنهاية .

(٨) ط ، س : « البطن » وصوابه من ل والمرجعين السابقين .

وشدّة الحَذر ، وحسنُ التّلَفت[1] ، وقلَّةَ الرعْدةِ عنْدَ الفزع ، وخفَّةَ النّهوض إذا طار ، وَتركُ المبادرةِ إذا لَقَطَ .

وأمّا أعلام الحركَةِ ، فالطيران[2] فى علوٍّ ، ومدُّ العُنق فى سُموٍّ ، وقلة الاضطراب فى جوِّ السماءِ ، وضمُّ الجناحين فى الهواء[3] ، وتَدَافُعُ الركض فى غير اختلاط ، وحُسْنُ القَصْدِ فى غيرِ دَوَرَانٍ ، وشِدَّةُ المدِّ فى الطيران . فإذا أصبتَه جَامعاً لهذه الخصال[4] فهو الطائر الكامل . وإلا فبقدر ما فيهِ من المحاسن تكون هدايتَه وفَرَاهتهُ .

(أدواء الحمام وعلاجها)

قال : فاعلموا أنَّ الحمامَ من الطيرِ الرقيق ، الذى تَسرِع إليهِ الآفة ، وتَعْرُوهُ الأدواءُ[5] ، وطَبيعتُهُ الحرارة واليُبْس . وأكثرُ أدوائِه الُخنان والكباد ، والعُطاش ، والسل ، والقمَل[6] . فَهوَ يحتاجُ إلى المكانِ الباردِ

---

(١) فى الأصل : « التقلب » وهو تحريف عجيب ، صوابه فى المخصص والنهاية . وقد زاد المخصص فى أعلام المجسة خصالا أخرى كثيرة فانظرها .

(٢) س : « فبالطيران » تحريف .

(٣) فى الأصل : « فى جو السماء » ، فيكون تكراراً ركيكا . وأثبت مافى المخصص والنهاية .

(٤) ل : « الصفة » . المخصص والنهاية : « الصفات » .

(٥) ل : « تعتوره » .

(٦) الخنان : داء فى الحلق . والكباد ، كغراب : وجع الكبد . والعطاش ، كغراب أيضاً وبالشين المعجمة : داء لايروى صاحبه . وهى فى ط ، س : « العطاس » مصحفة . والقمل ، بالتحريك : كثرة القمل .

والنَّظيف ، وإلى الحبوبِ البارِدَة كالعَدَس والماشِ [١] والشّعير المنخول .
والقُرْطَمُ له بمنزلة اللَّحم للإنسان ؛ لما فيه من قوّةِ الدَّسم .

فممَّا يُعالَجُ بهِ الكُبادُ : الزَّعفران والسكر الطبَرْزَذ [٢] ، وماء الهِندبا ، يجعل فى سُكرَّجة [٣] ، ثمَّ يُوجر [٤] ذلك أو يمجُّ فى حلقه مجًّا وهو على الرِّيق .

وممَّا يعالَجُ به الْخنان أنْ يليَّنَ لسانَه يوماً أو يومين بدُهْن البنفسج ، ثمَّ بالرَّمادِ والملحِ ، يُدْلَكُ بها [٥] حتَّى تنسَلخ الجلدة العليا [٦] التى غشيت لسانَه [٧] . ثمَّ يطلى بعَسل ودُهنِ ورد [٨] ، حتّى يبرأ .

وممَّا يعالج به السّلّ أنْ يُطعَم الماشَ المقْشور ، ويمجَّ فى حلْقه من اللَّبن الحليبِ ، ويُقطَعَ من وظيفَيْهِ عِرقان ظاهران فى أسفل ذلك ، مما يلى المفصل [من باطن] .

---

(١) الماش : حب صغير أخضر اللون براق له عين كعين اللوبيا ، وشجرته كشجرة اللوبيا . المعتمد ٣٢٦ .

(٢) السكر الطبرزذ : الأبيض الصلب ، معرب تبرزد ، تبر بمعنى الفأس ، وزد بمعنى ضرب ، لأنه كان يدقق بالفأس . الألفاظ الفارسية ١١١ . ط : « والطيرزد » تحريف .

(٣) السكرجة : الإناء الصغير . وأكثر مايوضع فيه الكوامخ ونحوها .

(٤) يوجر ذلك : أى يصب فى حلقه ليبلعه . ط : « يؤجر » ، تحريف .

(٥) عيون الأخبار : « بهما » .

(٦) ط : « الجلدة العلياء » ، وصوابه فى ل ، س وعيون الأخبار ٢ : ٩١ .

(٧) ط ، س : « عشت على لسانه » ، وتصحيحه من ل وعيون الأخبار .

(٨) كذا فى ل : وعيون الأخبار . وفى ط ، س : « الورد » .

ومِمَّا يعالَج بهِ القَمَل أنْ يُطلى أصولُ ريشهِ بالزِّيبَق المحلّلِ[١] بدُهن البنفسَج ، يفعل بِه ذلك مرَّاتٍ حتى يسقُطَ قملُه ؛ ويُسكْنَسَ مكانُهُ الذى يكون فيهِ كنساً نظيفاً .

(تعليم الحمام وتدريبه)

وقال : اعلم أنَّ الحمامَ والطيرَ كلَّها لايصلُح التَّغمير[٢] بهِ من البُعْد . وهدايته على قدْر التعليم ، وعلى قدر التوطين . فأوَّل ذلك أن يخرج إلى[٣] ظهر سطحٍ يعلو عليه ، ويُنْصَبَ عليه علَمٌ يعرفُهُ ، ويكونَ طيرانُه لايجاوز مَحَلَّتَه ، وأن يكون عَلَفُه[٤] بالغداة والعَشِيِّ ، يُلقَى له فوقَ ذلك السَّطْح ، قريباً من علَمِهِ المنصوبِ له ، حتَّى يألفَ المكانَ ويتعوَّدَ الرُّجوعَ إليه . ولكن ٨٥

---

(١) فى مفاتيح العلوم ١٤٩ : « التحليل أن تجعل المنعقدات مثل الماء » . وهذه الكلمة جاءت فى ل : « المنحل » . وجاء فى عيون الأخبار : « ودواء القمل أن تطلى أصول ريشه بالزنبق المخلوط بدهن البنفسج » . وكلمة « الزنبق » محرفة صوابها « الزئبق » كما ورد فى النسخة الألمانية من عيون الأخبار ، يؤيد ذلك ماورد فى المعتمد ١٢٨ فى الكلام على الزئبق : « وإذا قتل كان جيداً للجرب والقمل » ، وماجاء فى تذكرة داود فى الكلام عليه أيضاً : « ويقتل القمل إذا جعل فى الزيت والحناء ودهن به » .

(٢) التغمير : مصدر غمر به تغميراً : دفعه وأرسله .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وأولى ذلك أن يخرج على » ، وما أثبت أشبه .

(٤) العلف ، أصله طعام الدواب ، ولم يعهد استعماله للطير . ل : « غلفه » تصحيف ، كما أن كلمة « أن » ساقطة من ل .

لِيَنْظُرْ[١] مِنْ أيِّ شيء يتّخذ العلَم؟ فإنّه لاينبغى أنْ يكون أسودَ ، ولا يكونَ شيئاً تراه من البُعْدِ أسود . وكلما[٢] كان أعظمَ كان أدلَّ .

ولا ينبغى أن يطيِّره وزوجتَه معاً ، ولكن يَنْتِفُ أحدهُما ويطيِّر الآخر ، ويُخرَجان إلى السَّطح جميعاً ، ثمَّ يطيَّر الوافى الجناح ؛ فإنّه ينازِع إلى زوجتِه . وإذا عرَف المكان ، ودَارَ[٣] ورَجع ، وألِفَ ذلك الموضع ، ونبتَ ريشُ الآخرِ ، صُنع به كذلك .

وأجود من ذلك أن يُخرَجا إلى السَّطْح وهما مقصوصان ، حتّى يألفا ذلك الموضع ، ثمَّ يطيَّرَ أحدُهما قبلَ صاحبه ، ويُصْنَعَ بالثّانى كما صُنع بالأوّل.

وما أشبه قولَه هذا بقول ماسرجويه ؛ فإنهُ وصفَ فى كتابه ، طباعَ جميعِ الألبان ، وشُرْبَها للدَّواء[٤] ، فلمّا فرغَ من الصّفة قال : وقد وصفت لك حالَ[٥] الألبان فى أنفسها ، ولكن انظُرْ إلى من يسقيك اللّبن ؛ فإنّكَ بدءًا[٦] تحتاجُ إلى تنظيف جوفك[٧] ، وتحتاج إلى مَن يعرفُ مقدارَ عِلّتك من قدر اللّبن ، وجنس علّتك من جنس اللّبن[٨] .

---

(١) ط ، س : « ينظر » .
(٢) فى الأصل : « وكل ما » وهو خطأ .
(٣) ط ، س : « وداره » ، ووجهه فى ل .
(٤) المراد بكلمة : « الدواء » التداوى .
(٥) ل : « وصفت للرجال » ، تحريف ماأثبت من ط ، س .
(٦) بدءا : أى أولا . ل : « بديئا » . ط : « أبداً » وهذه محرفة تفسد المعنى .
(٧) ط ، س : « ثوبك » ، وصوابه فى ل .
(٨) كذا فى ل . وفى ط ، س : « من يعرف مقدار علتك من جنس اللبن ، وجنس اللبن من جنس علتك » .

(حوار مع نجار)

ومثلُ ذلك قول نجَّارٍ كان عندى ، دعوته لتعليقِ بابٍ ثمينٍ كريم فقلت له : إنّ إحكامَ تعليق الباب شديدٌ ، ولا يحسنه من مائة نجَّارٍ نجارٌ واحد . وقد يُذْكر بالحذْق فى نِجارة السقُوف[١] والقِباب ، وهو لايكمُلُ لتعليق[٢] بابٍ على تمـامِ الإحكام [فيه . والسّقُوف] ، والقِباب عند العامَّة أصعب .

ولهذا أمثال : فمن ذلك أنّ الغلام والجاريةَ يشويان الجَدْىَ والحملَ ويحكمان الشىَّ[٣] ، وهما لا يُحكمانِ شىَّ جنبٍ . ومَن لاعِلْم له يظنُّ أنَّ شىَّ البَعْض أهونَ من شىِّ الجميع !

فقال لى : قد أحسنتَ حين أعلمْتَنى أنّك تُبصِر العمل ، فإنَّ معرفتى بمعرفتك تمنعنى من التشفيق[٤] . فعَلَّقه فأحكَمَ تَعليقَه ؛ ثمَّ لم يكنْ عندى حَلْقةٌ لوجه الباب إذا أردتُ إصفاقَه ، فقلت له : أكره أنْ أحبسَك[٥] إلى

---

(١) ط ، س : « السيوف » ، وهو تحريف .

(٢) تعليق الباب : نصبه وتركيبه ، كما فى اللسان . ط ، س : « لايـكمل تعليق » وما أثبت من ل أجزل .

(٣) ط ، س : « وهما يحكمان الشىء » وأثبت مافى ل .

(٤) كذا فى ل ؛ بالفاء ثم القاف بينهما ياء . وهو من شفق النساج الملحفة تشفيقا : جعلها شفقا – بالتحريك – فى النسج . وشفق النسج : رديئه . وفى ط ، س : « التشقيق » بقافين بينهما ياء ، وليس بشىء . وفيهما أيضا : « تمنع » .

(٥) ل : « أكـره حبسـك » ط ، س : « أكره أن أجلسك » ، وجعلت القول كما ترى .

أن يذهب الغلامُ إلى السوق ويرجع . ولـكن اثقبْ لى موضعها[1] . فلما ثقَبهُ وأخذ حقّه ولاّنى ظَهرَه للانصراف ، والتفت إلىَّ فقال : قد جوّدتُ الثَّقب ، ولـكن انظُرْ أىُّ نجارٍ يدُقُّ فيه الزِّرَّة[2] ؛ فإنه إن أخطأ بضربة واحدة شقّ الباب ـــ[والشق عيب]ـــ فعلمتُ أنهُ يفهَمُ صِناعتَهُ فهماً تامًّا .

(قص الحْمام و نتفه)

وبعض الناس إذا أراد أن يعلِّم زوجاً قصّهُما ولم ينْتِفْهما[3] . وبين النَّتفِ والقصِّ بَونٌ بَعيد . والقصُّ [كثير القصِّ] لايُوجعُ ولا يُقَرِّحُ مَغارِزَ قصب الرِّيش[4] ، والنَّتْف يُوهن المنكِبين[5] . فإذا نُتِفَ الطائرُ مِراراً لم يقْوَ على الغاية ، ولم يزَلْ واهنَ المنكِبين . ومتى أبطأ[6] عليه فنتفهُ وقد جفّت أصولُه وقرُبت من الطَّرح كان أهونَ عليهِ ، وكلما كان النباتُ أطرأ[7] كان أضرَّ ٨٦

---

(١) كذا فى ط . وفى ل : « موضعه » تحريف ؛ فالضمير عائد إلى الحلقة . س : « فى موضعها » .

(٢) فى الأصل : « الرزة » . وجاء فى لسان العرب (زرر) : « ويقال الحديدة التى تجعل فيها الحلقة التى تضرب على وجه الباب لإصفاقه : الزرة ، قاله عمرو بن بحر » .

(٣) كذا فى ط ، س ، وهو الصواب . وفى ل : « إذا أراد أن يلقى زوجا يعليهما كتفهما » .

(٤) بدل هذا فى ط ، س : « لايرجع بالنتف » ، تحريف ونقص ظاهر .

(٥) ط ، س : « لايوهن المنكبين » ، وهو عكس المعنى المراد لاجرم .

(٦) فى الأصل : « أخطأ » ،والوجه فيه ماأثبت .

(٧) أطرأ : من الطروء ، وهو ظهور الشىء فجأة . وفى ل : « أطرا » بدون همز =

عليه . وإنه ليبلَغُ من مضرَّته ، أنّ الذّكَرَ لايجيدُ الإلقاحَ ، والأنثى لاتجيد القَبول . وربّما نتفت الأنثى وقد احتشتْ بيضاً ، وقد قاربَت أن تبيضَ ، فتبطئُ بَعْدَ وقتها الأيّامَ ؛ وربُما أضرَّ ذلك بالبيض .

(زجْل الحمام)

قال : وإذا بَلغ الثّانى مبلغَ الأوّلِ فى استواءِ الرِّيش ، والاهتداءِ إلى العَلَم ، طيِّرا جميعاً ، ومُنِعا من الاستقرار ؛ إلاّ أن يظن بهما الإعياء والكلال . ثم يُوَطَّنُ[1] لهما المَزَاجِلُ برًّا وبحْراً ، من حيث يبصران إذا هما ارتفعا فى [الهواء] السَّمتَ ونفْسَ العَلَم، وأقاصىَ ماكانا يريانِه[2] منها عند التَّباعد فى الدّوَرانِ والجَوَلان . فإذا رَجَعا من ذلك المكانِ مَرَّاتٍ زُجِلا[3] من أبعَدَ منه ــ وقد كانوا مَرَّةً يعجبهم أن يزجَلوا من جميع التوطينات ، مالم تبعدْ ، مرّتين [مرَّتين]ــ فلا يزالان كذلك حتّى يبلغا الغاية ، ويكون أحدهما محتبساً إذا أرسل صاحبه ؛ ليتذكّرَه فيرجعَ إليه . فإنْ[4] خيفَ عليه أن

= من طرا يطرو طروا بالمعنى المتقدم ، أو من طرى كفرح : أى صار طريا غضا . وتكون صواب كتابة مافى ل : « أطرى » .

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وتوطن » .

(٢) ط ، س : « يريا » وصوابه فى ل .

(٣) زجلا : أى أرسلا على بعد . ط ، س : « رجعا » ، وهو تحريف ما فى ل .

(٤) ط ، س : « وإن » .

يكون قد ملَّ زوجتَه ، عَرضت عليه زوجةٌ أخرى [قبل الزَّجل] ؛ فإذا تسنَّمَها[١] مرَّةً حِيلَ بينه وبينها يومَه ذلك ، ثمَّ عرضوها عليه قبل أنْ يُحمَل[٢] ، فإذا أطاف[٣] بها نُحِّيت عنهُ ، ثمَّ حُمِل إلى الزَّجل ؛ فإنَّ ذلك أسرعَ له .

وقال : اعلموا أنَّ أشدَّ المزَاجِلِ ماقلَّتْ أعلامُه، كالصَّحارى والبِحار .

قال : والطير تختلفُ فى الطِّباع اختلافاً شديداً : فمنها القويُّ ، ومنها الضعيف ، ومنها البطىء ، ومنها السَّريع ، ومنها الذَّهولُ ، ومنها الذَّكورُ ومنها القليل الصَّبرِ على العطش ، ومنها الصَّبورُ . وذلك لايخفى فيهنَّ عند التَّعليمِ والتَّوطين ، فى سرعة الإجابة والإبطاء . فلا تُبْعِدَنّ[٤] غايَةَ الضَّعيفِ والذَّهولِ والقَليلِ الصَّبر على العطش ، ولا تَزجلَنَّ ماكان منشؤه فى بلاد الحرِّ فى بلاد البرد ، ولا ماكان منشؤه فى بلاد البَرْد فى بلاد الحرِّ ؛ إلاَّ ما كان بعد الاعتياد . ولا يصبرُ على طول الطيران فى غير هوائِه [وأجوائه طائرٌ] إلا بطولِ الإقامةِ فى ذلك المكان، ولا تستوى حالُه وحالُ من لايَعْدُو هَوَاءَه[٥] والهَوَاءَ الذى يقرُبُ من طِباع هوائه .

---

(١) تسنمها : علاها . وفى ل : « تجشمها » ، وهى صحيحة وبمعنى الأولى . ومنه الحديث « فلزمها حتى تجشمها » .

(٢) أى يحمل على الزجل . ل : « يمل » س : « تحمل » وهما تحريف ما فى ط .

(٣) أطاف بها : قاربها . ط ، س : « طاف » بمعنى دار . وما أثبت من ل أشبه .

(٤) ط : « تبعدون » ، صوابه فى ل ، س .

(٥) كذا فى ل وهو الصواب . وفى س : « يغدو دواء » و ط : « يعذو دواه » .

(تعليم الحمام ورود المـاء)

قال : ولا بدَّ أن يُعلَّمَ الورودَ ، فإذا أَردتَ به ذلك فأَوْرِدْه العيونَ والغُدْرانَ والأنهارَ ، ثمَّ حُلْ[1] بينه وبين النَّظرِ إلى الماء ، حتى تكفَّ بصرَه بأصابِعِك عن جهة الماء واتِّساع المورد ، إلَّا بقدْر ما كان يشربُ فيه من المساقى ، ثمَّ أوسِعْ له إذا عَبَّ قليلا بقدر مالا يَرُوعه ذلك المنْظر[2] وليكنْ معطَّشاً ؛ فإنّه أجدرُ أن يشرَب . تفعلُ به ذلك مراراً ، ثمَّ تفسحُ له المنْظَر أوّلًا أوّلًا ، حتَّى لايُنكِر ماهو فيه . فلا تزالُ بِهِ حتَّى يعتادَ الشُّربَ بغَيرِ سترة[3] .

(استئناسه واستيحاشه)

٨٧ قال : واعلم أنَّ الحمامَ الأهليَّ الذى عايشَ النّاسَ ، وشَرِب من المساقى ولَقَط فى البيوت يختلُّ[4] بالوَحدة ، ويَستَوحِش[5] بالغُربة .

---

(١) ط : « خل » وهو عكس المعنى المراد . وأثبت ما فى ل ، س .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « النظر » . وفى س أيضاً : « يردعه » مكان : « يروى » وهو تحريف .

(٣) كذا فى ط ، س ؛ وهى صحيحة . والسترة ، بالضم ، بمعنى الستارة ، وهو ما يستر به . وفى ل : « ستر » .

(٤) يختل : يضعف . ط ، س : « يخيل » ، تصحيف ما فى ل .

(٥) ط ، س : « ومستوحش » ، صوابه فى ل .

قال : واعلم أنّ الوحشىَّ يستأنِس ، والأهلى يستوحش[١] ؟

قال : واعلم أنّه ينسى التّأديبَ إذا أُهمِلَ ، كما يتأدّب بعد الإهمال .

(ترتيب الزجْل)

وإذا زَجَلتَ فلا تُخَطْرِف به[٢] من نصف الغاية إلى الغاية ، ولكن رتِّب ذلك ؛ فإنّه ربّما اعتادَ المجىء من ذلك البُعد ، فمتى[٣] أرسلتَه من أقربَ منه تحيَّر ، وأرادَ أن يبتدئَ أمْرَه ابتداءً . وهم اليومَ لايفعلون ذلك ؛ لأنّه إذا بلغ الرَّقّة أو فوقَ ذلك شيئاً [فقدْ] صار عُقْدَةً[٤] ، وصار له ثمنٌ وغَلّة . فهو لايرى أن يُخاطر بشىءٍ له قدْر . ولكنّه إن جاءَ من هِيتَ أُدرِبَ[٥] [به] ؛ لأنّه إن ذهب لم يذهب شىءٌ له ثمن ، ولا طائرٌ له رياسة ؛

---

(١) ط ، س : « يستوحش بالغربة » ، والكلمة الأخيرة مقحمة .

(٢) خطرف : أسرع . ومثله « تخطرف » . وفى ل : « تتخطرف » .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وإن » .

(٤) العقدة ، أصلها : الضيعة والعقار الذى اعتقده صاحبه ملكا.

(٥) هيت ، بالكسر : بلدة على الفرات من نواحى بغداد فوق الأنبار . وبدلها فى ط ، س : « حيث » ، وهو تحريف . و « أدرب » هو من أدرب القوم : إذا دخلوا الدرب . والدرب هنا كل مدخل إلى بلاد الروم ، وإلى تلك الدورب كان يزجل الحمام من البصرة . يريد أنه متى عرف منه الهداية من المكان القريب أمكن أن يزجل إلى المكان للبعيد . جاء فى ط ، س : « درب » . وهو نقص وتشويه صوابه فى ل .

وليس له اسم ولا ذِكر ؛ وإن جاء شيء كبير وخطير[١] ، وإن جاء من الغاية فَقَدْ حَوَى به ملكاً . على هذا [هم] اليوم[٢] .

وقال : لاتُرسِل الزَّاقّ[٣] حتى تستأنف [به] الرِّياضة[٤] ولا تَدَعْ ماتُعِدُّه للزِّجال[٥] أن يحضن بيضاً ، ولا يجثم عليه ، فإنّ ذلك ممّا ينقُضه[٦] ويُفَتِّحه[٧] ، ويعظم له رأسَه ، لأنّه عندَ ذلك يسمَن وتكثُر رطوبتُه ، فتقذِفُ الحرارةَ تلك الرُّطوبةَ الحادَّة العارضةَ إلى رأسه ، فإن ثقَبَ[٨] البيضَ وزقَّ وحَضن ، احتجْت إلى تضميره واستئناف[٩] سياستِه . ولكنْ إنْ بَدَا لك أن تستفرخه[١٠] فانقُلْ بيضَهُ إلى غيره ، بَعْدَ أن تُعلِمه بعلامةٍ تعرِفُه بها إذا انصدَع .

---

(١) خطير : ذو خطر وشرف . ل : « فإن ذهب شيء ليس له كبير خطر » ، فيكون تكراراً لما سبق . والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٢) ط : « على هذا اليوم » س : « على هذا هو اليوم » . ل : « على هداهم اليوم » وصححته بما ترى .

(٣) الزاق : الذي يزق فراخه ، أي يطعمها بمنقاره . ط ، س : « المزاق » وليس لها وجه هنا . والوجه ما أثبت من ل .

(٤) ط ، س : « حتى تستأنف الرياضة له » .

(٥) للزجال : للزجل . وجاء فى ل : « للزجل » .

(٦) ينقضه : بمعنى يضعف قوته . ط ، س : « ينقصه » وليست من لغة الجاحظ .

(٧) كذا فى ل . وهو بمعنى يسمنه . روى عن ابن السكيت : ناقة مفاتيح ، وأينق مفاتيح : سمان . وفى ط ، س : « يقبحه » ولست أثبتها .

(٨) كذا فى ل . وفى ط ، س : « تقب » وهما بمعنى .

(٩) ل : « استينان » وليس بشيء .

(١٠) تستفرخه : تطلب منه الفراخ ، يقال : استفرخ الحمام : اتخذها للفراخ . ط ، س : « تستفرغه » وصوابه فى ل .

(علاج الحمام الفزع)

وإن أصاب الحمامَ أيضاً فَزَعٌ وذُعْرٌ ؛ عن طلب شيءٍ من الجوارح له ، فإيَّاك أن تعيدَه إلى الزَّجل حتّى ترضمه وتستفرخهُ (١) ؛ فإن ذلك الذُّعْرَ لايفارقهُ ولا يسكن حتى تستأنفَ به التّوطين .

(طريقة استكثار الحمام)

وإنْ أردتَ أن تستكثرَ من الفِراخ فاعزِلِ الذُّكورةَ عن الإناث شهرا أو نحوَه ، حتى يصول بعضها على بعض ، ثم اجمعْ بينها ؛ فإنّ بيضها سيكثُر ويقلُّ سَقطهُ ومُرُوقه . وكذلك كلُّ أرضٍ أثيرت ، وكذلك الحِيالُ (٢) لما كان من الحيوان حائلا . قال الأعشى :

مِنْ سَرَاة الهِجَانِ صَلَّبَهَا العُ ضُّ ورَعْىُ الحِمَى وطُولُ الحِيَالِ (٣)

---

(١) ترضمه ، هكذا وردت فى ط ، س . وفى القاموس : « رضمت الطير : ثبتت » فلعلها بمعنى تثبته وتقره . وبدلها فى ل : « تريحه » . و « تستفرخه » هى فى ط ، س : « تستفرغه » . وانظر التنبيه الأخير من الصفحة السابقة .

(٢) الحيال : مصدر حالت الناقة تحيل : لم تحمل . ل : « وكذلك الحيال من الحيوان » .

(٣) يقول : هى من خيار الإبل البيض ، قد شددها رعى العض — بضم العين ، وهو النوى المرضوخ ، أو القت — وكذلك رعيها فى الحمى — وهو مكان فى نجد — وخلوها من الحمل زمنا طويلا . وكلمة « العض » هى فى الأصل : « العرض » محرفة ، وصوابها فى ديوانه ٦ والمعلقات بشرح الزوزنى ١٨٨ وكذا فى اللسان (مادتى : عضض ، حيل) .

وقال الحارث بن عبادٍ وجَعَل ذلك مثلا :

قَرِّبا مَرْبِط النَّعامـــةِ مِنِّى لَقِحَتْ حَرْبُ وائل عن حِيَالِ[1]

(حديث أفليمون عن نفع الحمام)

وقال أفليمون[2] صاحب الفِراسة ، لصاحبه : وأنا محدِّثك عن نَفع الحمام بحديثٍ يزيدُك رغبةً فيها : وذلك أنَّ مَلِكَين طلب أحدُهما مُلْكَ صاحبِهِ ، وكان المطلوبُ أكثرَ مالًا وأقلَّ رجالاً ، وأخصب بلاداً ، وكانت بينهما مسافةٌ من الأرضِ بعيدة ، فلما بلغَه ذلك دعا خاصَّتَه فشاوَرَهُمْ في أمْره وشَكا إليهم خوفَه على مُلكِه ، فقال له بعضهم : دامتْ لك أيُّها الملِكُ السلامةُ ، ووُقيتَ المكروه ! إنَّ الذى تاقَتْ له نفسك قد يُحتالُ له باليَسيرِ من الطمع ، وليسَ مِنْ شأنِ العاقلِ التَّغريرُ ، وليس بعد المُناجزَة بقيّة ، والمناجزُ لايدرى لمن تكون الغَلَبة ، والتمسُّك بالثقةِ خيرٌ من الإقدام على الغرَر .

٨٨

---

(١) النعامة : فرس الحارث بن عباد . وعنى بحرب وائل تلك الحروب الكثيرة التى كانت أبداً مشتعلة بين ابنى وائل وهما تغلب وبكر . وقد قال الحارث الشعر الآتى لما قتل ابنه بجير ، قتله مهلهل التغلبى ، فلما قالوا له : إن ابنك قتل ! قال : إن ابنى لأعظم قتيل بركة ؛ إذ أصلح الله به بين ابنى وائل . فقيل له : إنه لما قتل قال مهلهل : بؤ بشسع نعل كليب ! فعند ذلك أدخل الحارث يده فى الحرب . وقال الشعر . انظر الكامل ٣٧١ ليبسك والعقد (٣ : ٣٥٢) . واليوم الذى شهده الحارث بن عباد البكرى هو (يوم قضة) . انظر خبره فى العقد ومعجم البلدان .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أقليمون » وهو تصحيف .

وقال بعضهم : دامَ لك العزُّ ، ومُدّ لك فى البقاء ! ليسَ فى الذُّلِّ دَرَكٌ ولا فى الرِّضا بالضيم بقيَّــة ، فالرَّأىُ اتخاذ الحُصون وإذكاءُ العُيونِ ، والاستعدادُ للقتال ؛ فإنَّ الموتَ فى عزٍّ خيرٌ من الحياة فى ذلّ[١] ! .

وقال بعضهم : وُقِيتَ وكُفِيت ، وأُعطيتَ فَضْلَ المزيد ! الرَّأىُ طلب المصاهرة له[٢] والخِطْبة إليه ؛ فإنّ الصهرَ سببُ أُلفةٍ تقعُ به الحُرْمةُ ، وتثبت بِهِ المودَّة ، ويَحُلُّ به صاحبُهُ المحلَّ الأدنى[٣] . ومنْ حلَّ من صاحبه هذا المحلَّ لم يخلِّه مما عَراه[٤] ، ولم يمتنع من مناوأة من ناواه[٥]. فالتمس خِلطتَهُ ؛ فإنّه ليسَ بَعْدَ الخِلطةِ عداوةٌ ، ولا مَع الشِّركة مبايَنة !

فقال لهم[٦] الملك : كلٌّ قد أشارَ برأيٍ ، ولـكلٍّ مدَّة ، وأنا ناظِرٌ فى قولِـكم ، وبالله العِصمة ، وبشكره تتمُّ النعمة . وأظهَرَ الخِطبةَ إلى الملكِ الذى فَوقَه ، وأرسل رُسلاً ، وأهدى هدايا ، وأمَرَهُم بمصانعةِ جميع مَن يَصِل إليه ، ودسَّ رجالاً من ثقاتِه ، وأمَرَهُمْ باتِّخاذ الحمام فى بلاده وتَوطينِهِنَّ واتخذَ أيضاً عندَ نفسه مِثلهنَّ ، فرفَّعهن من غايَةٍ إلى غاية . فجعلَ هؤلاء يرسلون من بلاد صاحبهم ، وجعل مَن عندَ الملِكِ يرسلون من بلاد[٧]

---

(١) ل : « فإن المحاماة عن العز خير من الحياة فى ذل » .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « الرأى أن تطلب مصاهرته » .

(٣) ط ، س : « محل الأولياء » .

(٤) عراه : اعتراه . والمراد أنه يخبره بـكل ما يعروه ويطلعه على دخيلته . ط : « لم يخل مما عزاه » س : « لم يحل مما عداه » وأثبت ما فى ل .

(٥) كذا فى ل . وناواه : تسهيل ناوأه . والمناوأة : المعاداة . ط ، س : « ولم يمتنع منه بشىء امتنع منه » .

(٦) فى الأصل : « له » . والوجه ما أثبت .

(٧) كذا فى ل . وهو ما تقتضيه المقابلة . وفى ط ، س : « عند » .

الملك ، وأمرهمْ[١] بمكاتَبتِه بخبرِ كلِّ يوم ، وتعليقِ الكُتُب فى أصولِ أجنحة الحمام[٢] . فصار لايخفى عليه شىءٌ من أمره . وأطمعَهُ الْملِكُ فى التزويج واستفردَهُ[٣] وطاولَه، وتَابعَ [بين] الهدايا، ودسّ لحرسِه رجالاً يلاطفونَهمْ حتى صاروا يبيتون بأبوابه معهم . فلمَّا كتبَ أصحابهُ إليه بغِرَّتهم وصل الخبر إليه من يومِه، فسار إليه فى جندٍ قد انتخبهم، حتى إذا كان على ليلةٍ أو بَعْض ليلة ، أخذ بمجامع الطُّرُق ، ثمّ بيَّتَهُمْ[٤] ووثبَ أصحابهُ من داخِل المدينةِ وهو وجنده من خارج[٥] ، ففَتحوا الأبوابَ وقَتلوا الْملِك . وأصبَحَ قد غَلَبَ على تلك المدينة ، وعلى تلك المملكة ، فَعظُمَ شأنُه ، وأعظَمتْه الملوك ، وذُكِر فيهم بالحزْم والكَيْد .

وإنما كان سبب ذلك كلِّه الحمام ! .

---

(١) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « وأمره » .

(٢) هذا الصواب من ل . وفى ط ، س : « فى أول أذناب الحمام » ! .

(٣) ل : « استفزه » ط : « استغرره » وصوابه فى س . واستفرده : أراد أرسل إليه رسلا ، وفى القاموس : « وأفرده : عزله ، وإليه رسولا : جهزه » . وفى اللسان : « وأفردته : عزلته ، وأفردت إليه رسولا » .

(٤) بيتهم : أوقع بهم ليلا .

(٥) كذا فى ل . وفى ط : « وهو من خارج وجنده » س : « وهو من الخارج وجنده » .

(حديث آخر له فى نفع الحمام)

قال : وأحدِّثك عن الحمام أيضاً بحديثٍ آخر فى أمر النساءِ والرِّجال وما يصابُ من اللَّذَّةِ فيهنَّ ، والصَّواب فى معاملتهنَّ . قال : وذلك أنَّ رجلاً أتانى مرَّةً فشَكا إلىَّ حالَه فى فتاةٍ عُلِّقها فتزَوّجها[1] ، وكانت جاريةً [غِرًّا] حسناء ، وكانت بكراً ذاتَ عقلٍ وحياء ، وكانت غَريرةً فيما يحسِن النِّساءُ من استمالةِ أهواء الرِّجال ، ومِنْ أخْذِها بنصيبها من لذّة النساء فلما دخَلَ بها[2] امتنعتْ عليه ، ودافعته[3] عن نفسها ، فَزاولها بِكلِّ ضربٍ كان يحسنُه من لَطَفٍ ، وأدخل عليها مِن نسائه ونسائها مَنْ ظَنَّ[4] أنَّها تقبَلُ منهنّ ، فأعيتْهُن ، حتى هَمَّ[5] برفْضها مع شدّة وجْده بها ، فأتَانى فشكا ذلك إلىَّ مرةً ، فأمرْته أن يُفرِدَها ويخلِّيَها من الناس ؛ فلا يَصِلَ إليها أحدٌ ، وأنْ يُضْعِفَ لها الكرامة فى اللَّطفِ والإقامة لما يُصلِحها من مَطْعَم ومشرَبٍ ومَلبس وطيبٍ وغير ذلك ، مما تلهو به امرأةٌ[6] وتُعجَبُ بِهِ ، وأنْ يجعَلَ خادِمَها أعجميَّةً لاتَفْهَمُ عنها ، وهى فى ذلك عاقلة ، ولا تفهُمُها إلَّا

٨٩

---

(١) ل : « فزوجوه إياها » .
(٢) ط ، س : « عليها » .
(٣) ل : « ودفعته » .
(٤) ط ، س : « يظن » .
(٥) كذا فى ل . أى عزم على ذلك . وفى ط ، س : « اهتم » ، أى أحزنه رفضها إياه .
(٦) كذا فى س ، وفيه جزالة . وفى ط ، ل : « تلهو المرأة به » .

بالإيماء[١] ؛ حتى[٢] تستوحِشَ إليها وإلى كل من يصل[٣] إليها من النِّساء [و[٤]] حتى تشتهيَ أن تجِدَ مَنْ يراجعها الكلامَ وتشكو إليه وحْشة الوَحْدة ، وأنْ يَدخِل عليها أزواجاً من الحمام ، ذواتِ[٥] صورةٍ حسنة ، وتخيُّل وهدير[٦] فيُصَيِّرَهُنّ فى بيتٍ نظيف ، ويجعل لهنّ فى البيت تماريد[٧] وبين يَدى البيت حجْرةً نظيفة ، ويفتحَ لها من بيتها باباً فيصِرْن نُصْبَ عينها فتلهو بهن وتنظر إليهنَّ ، ويجعل دخوله[٨] عليها فى اليوم دَفْعَةً لايزيدها[٩] فيه على النَّظَرِ إلى تلك[١٠] الحمام ، والتسلّى بهنّ ، والاستدعاء لهنّ إلى الهدير ساعةً ، ثم يخرج[١١] ، فإنَّها لاتلبث أنْ تتفكّر فى صنيعهنّ إذا رأتْ حالهن ؛ فإنَّ الطَّبيعةَ لاتَلبَثُ حتى تحرّكها ، ويكون أوفقُ المقاعد لها الدنوّ منهن[١٢] ، وأغلبُ الملاهى عليها النَّظَرَ إليهن ؛ لأنَّ الحواسّ لاتؤدى إلى النَّفس شيئا من قِبَل السمعِ ، والبَصر ، والذوق ، والشم

---

(١) ط ، س : « بالإشارة » وهما بمعنى .

(٢) ط ، س : « ولا » وهو خطأ .

(٣) ل : « يقبل » .

(٤) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

(٥) ط ، س : « ذات » .

(٦) التخيل هنا من الخيلاء . وفى ط ، س : « تحيل » ، وهى هنا بمعنى الحذق فى الاستمالة .

(٧) ط ، س : « ويحمل لهن » ، وصوابه فى ل . والتماريد : جمع تمراد بالكسر وهو بيت صغير فى بيت الحمام لمبيضه .

(٨) ط ، س : « وتجعل دخولك » .

(٩) ط ، س : « لا تزيدها » .

(١٠) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ذلك » وهما صحيحتان . والحمام يذكر ويؤنث .

(١١) ط ، س : « تخرج » .

(١٢) س : « لهن » .

والمجسّة[١] إلّا تحرّك مِنَ العَقْل فى قَبُولِ ذلك أوْ ردِّه ، والاحتيالِ فى إصابته أو دفعِه ، والكراهيةِ[٢] له أو السُّرورِ به بقدر ماحرّك النَّفسَ منه . فإذا رأيتَ الغالبَ عليها الدنوّ منهنّ ، والتأمُّل لهنّ ، فأدخِلْ عليها امرأةً مجرِّبةً غَزِلةً تأنسُ بها ، وتفطِّنها[٣] لصنيعهنّ ، وتعجِّبُها منهنّ ، وتستميلُ فِكرتها إليهنّ ، وتَصِفُ لها موقعَ اللّذّة على قدْر ماترى من تحريك الشّهوة . ثمّ أخْرِج المرأةَ عنها ، وحاوِلِ الدُّنُوَّ منها ، فإنْ رأيتَ كراهيَةً[٤] أمسكْتَ وأعدْتَ المرأةَ إليها ، فإنها لاتلبَثُ أن تمْكِنَك . فإنْ فعلتْ ماتحبُّ وأمكنَتْكَ بعض الإمكان ، ولم تَبْلُغ ماتريد فأخْبِرنى بذلك .

قال : وقلتَ له : مُرِ المرأةَ فلتسألها عن حالها فى نفسها ، وحالِك عندها ، فلعلَّ فيها طبيعةً من الحياء تَمْنَعُها[٥] من الانبساط ، ولعلَّها [غِرٌّ] لايُلتمس ماقِبَلها من الخَرق[٦] . [ففعل ، وأمر المرأة أن تكشفها عن ذات نفسها ، فشكت إليها الخَرق]، فأشارت[٧] عليها بالمتابعة ، وقالت : اعتبرى بما تَرَينَ من هذا الحمام ؛ فقد تَرَينَ الزّوجين كيفَ يصنعان ! قالت : قد ٩٠

(١) ل : « من قبل سمع ، أو بصر ، أو ذوق ، أو شم ، أو مجسة » .

(٢) ط ، س : « الكراهة » ، وهما بمعنى .

(٣) تفطنها : تجعلها تفطن . ط ، س : « توقظها » .

(٤) ط ، س : « كراهة » .

(٥) ط ، س : « منعتها » .

(٦) ط : « لا تلتمس فاقبلها على ما قبلها من الخرق » س : « لا تلمس ما قبلها من الخرق » ل : « لا يلتمس ماقبلها بالخزق » ، وجعلت الكلام كما ترى . والخرق ، بالتحريك : الحياء .

(٧) ط ، س : « وأشارت » .

تأمَّلتُ ذلك فعجِبتُ منه ، ولستَ أحْسِنه ! فقالت لها : لاتمنعى يدَه ولا تحمِلى على نفسك الهيبة[١] ، وإنْ وجدتِ من نفسِك شيئاً تدعوكِ إليه لذَّةُ فاصنَعيه ؛ فإنَّ ذلك يأخذُ بقلبه ، ويزيدَ فى محبَّتِك ، ويحرِّك ذلك منهُ أكثرَ مما أعطاك . فلم يلبثْ أنْ نال حاجتَه وذهبت الحشمة ، وسقطت المداراة[٢] فكانَ سببُ الصُّنع لها ، والخروج من الوَحْشة إلى الأُنس[٣] ، ومن الحال الدَّاعِية إلى مفارقتها إلى الحال الدَّاعية إلى ملازمتها ، والضَّنِّ بها[٤] ـ الحمام[٥] .

(الخوف على النساء من الحمام)

وما أكثرَ مِنَ الرِّجال ، من ليسَ يمنَعه من إدخال الحمام إلى نسائه إلَّا هذا الشيءُ الذى حثَّ عليه صاحبُ الفِراسة ؛ وذلك أنَّ تلك الرُّؤيةَ قد تذكِّر وتشهِّى وتَمْحَن[٧] . وأكثرُ النِّساء بين ثلاثة أحوال : إمَّا امرأةَ قد ماتَ زوجُها ، فتحريكُ طِباعِها خِطار[٨] بأمانتها وعَفافِها . والمُغيبة[٩]

---

(١) ل : « له » .

(٢) ل : « وسقطت الحشمة ، وذهبت المداراة » .

(٣) ل : « الأنسة » ، وهى بالتحريك بمعنى الأنس . والأنس : ضد الوحشة .

(٤) بدل هذه العبارة الطويلة فى ط ، س : « ومن حال الفرقة إلى حال الاتفاق » .

(٥) بعد هذا اللفظ فى س كلمة : « باب » ، وأراها مقحمة .

(٦) س : « وتشتهى » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٧) تمحن : تصيب بالمحنة ، أى البلية . ل : « تحن » .

(٨) الخطار ، بالكسر : مصدر خاطر : إذا ركب الخطر . ط : « خطر » ل ، : « إخطار » .

(٩) امرأة مغيب ومغيبة ومغيب بضم الميمات ، وكسر الغين فى الأولين وإسكانها فى الثالثة : غاب عنها زوجها .

فى مثل هذا المعنى . والثَالثة : امرأةٌ قد طال لُبثها مع زوْجها ؛ فقد ذهب الاستطراف ، وماتت الشهوة . وإذا رأت[1] ذلك تحرَّك منها كلُّ ساكن وذكَرَتْ ماكانتْ عنه بمندوحة .

والمرأةُ سليمة الدِين والعِرْضِ والقَلب[2] ، مالم تَهْجِسْ فى صدرها الخواطر ، ولم تتوهَّمْ حالاتِ اللَّذَّة وتحرُّكِ[3] الشهوة . فأمَّا إذا وقعَ ذلك فعزْمُها أضعَفُ العَزْم ، وعزْمُها على ركوبِ الهَوى[4] أقوى العَزْم .

فأمَّا الأبكارُ الغريرات فهنَّ إلى أن يُؤْخَذْن بالقراءة فى المصحف[5] ، ويُحتالَ لهن حتى[6] يصرْنَ إلى حال التشييخ[7] والجبن والكَزَازَة[8] ، وحتَّى لايَسمعَن من أحاديث البَاهِ والغَزَل قليلاً ولا كثيراً ـ أحوجُ .

---

(١) ل « أرادت » ولا تصح . والمراد : رأت فعل الحمام .

(٢) ل : « والصدر » .

(٣) ل : « وتخير » ، وليس بشىء .

(٤) ط : « ركوبها لهوى » .

(٥) س : « مصحف » .

(٦) كذا الصواب فى ط ، س . وفى ل : « إلا أن » .

(٧) التشييخ : مصدر شيخ : صار شيخا . والمراد أن تطرأ عليهن طباع الشيخوخة وما لها من ركانة وتزمت . ل : « الشح » .

(٨) الكزازة : البخل . ط ، س : « الغرارة » ، وهى بالفتح بمعنى الغفلة وقلة التجربة .

(نادرة لعجوز سندية)

ولقد ركبت عجوزٌ سنديةٌ ظهرَ بعيرٍ ، فلما أقبَلَ بها [هـذا] البعيرُ وأدبر وطمَر(١) ، فمخضها مَرَّةً مخضَ السقاء(٢) ،وجعلَها مَرَّةً كأنَّها ترْهَزُ(٣) فقالت بلسانها ــ وهى سنديّةٌ أعجميَّة ــ أخزَى الله هذا الذَّمَل(٤) ؛ فإنّه يذكِّر بالسَّرِّ(٥) ! تريد : أخزى الله هذا الجمل ، فإنه يذكِّر بالشر . حدثنا بهذه النادرة(٦) محمَّد بن عبَّاد بن كاسب .

(نادرة لعجوز من الأعراب)

وحدَّثنا رِبْعِيٌّ الأنصاريُّ : أنَّ عجوزاً من الأعرابِ جَلستْ فى طريق مكة إلى فتيانٍ يشربون نبيذاً [لهم] ، فسقَوْها قَدَحاً فطابت نفسُها ،

---

(١) طمر : وثب .

(٢) المخض : التحريك الشديد . كلمة « مرة » ساقطة من ل . وكلمة : « مخض » جاءت فى ط ، س : بالحاء المهملة ، وتصحيحها من ل .

(٣) رهزها : حركها فارتهزت هى .

(٤) فى الأصل : « الزمل » وصوابه بالذال ، كما صرح بذلك الجاحظ فى البيان (١ : ٧٤) .

(٥) ط ، س : « بالشر » بالشين ، وصوابه بالمهملة كما فى ل والبيان . جاء فى البيان : « فجعلت الشين سينا والجيم ذالا » . وانظر نظائر هذه اللكنة فى البيان (١ : ٧١ - ٧٤) .

(٦) ط ، س : « بهذا النادر » .

وتبسمت ؛ ثمَّ سقَوْها قدحاً آخرَ فاحْمَرَّ وجهها وضَحِكت ، فسقَوْها قدَحًا ثالثاً فقالت: خبِّرونى عن نسائكم بالعراق،أيشرَبْنَ من هذا الشراب ؟ فقالوا: نعم . فقالت : زَنَيْنَ ورَبِّ الـكعبة !

(عقاب خصىّ)

وزعمَ إبراهيم الأنصارىُّ المعتزلىُّ أنَّ عباسَ بن يزيد بن جريرٍ دخَلَ مقصورةً لبعض جَواريه ، فأبصَرَ حماماً قد قَمَط حمامةً ، ثمَّ كسَحَ بِذنبه ونفَش ريشه ، فقال : لمن هذا الحمام ؟ فقالوا : لفلانٍ خادِمِك ـ يعْنونَ[1] خَصِيًّا له ـ فقدَّمه فضرَبَ عنقهُ .

٩١

(قول الحطيئة فى الغناء)

و [قد] قال الحطيئةُ لفتيانٍ من بنى قُرَيع[2] ـ و [قد] كانوا رُبَّما جلَسُوا بقُربِ خَيْمتِه ، فتغَنَّى[3] بعضُهمْ غِناء الرّكبان ـ فقال: يابنى قريع ! إيَّاىَ والغِناءَ ؛ فإنّه داعِيةُ الزِّنَى[4] !

---

(١) ط ، س : « يريدون » .

(٢) بنو قريع كانوا ممن مدحهم الحطيئة ، فرفع شأنهم . كان يقال لهم بنو أنف الناقة فيغضبون ، حتى قال الحطيئة :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

فصارا يتباهون بهذه النسبة . العمدة (١ : ٢٥ ــ ٢٦) . ط : « قريريع » ، تحريف مافى ل ، س .

(٣) ط ، س . « فيغنى » .

(٤) ط ، س : « إلى الزنا » .

(أبو أحمد التمار وصاحب حمام)

وأمّا أبو أحمد التمّار المتكلم ، فإنّه شاهَدَ صاحبَ حمامٍ في يوم مجيء حَمامِه من واسط ، وكانت واسطَ يومئذٍ الغايَة ، فرآه كلما أقبلَ طائرٌ من حمامه نعر[١] ورَقَص ، فقال له : والله إنِي لأرَى[٢] منك عجبا ؛ أراك تفْرَحُ بأن جاءك[٣] حمامٌ من واسط ، وهو ذلك الذى كان ، وهو الذى جاء ، وهو الذى اهتدى ؛ وأنتَ لم تجئْ ولم تهتَدِ ؛ وحين جاء من واسط ، لم يجئْ معه بشيءٍ من خبر أبي حمزة ، ولا بشيءٍ من مقاريض[٤] واسط ، وبزيون[٥] واسط ، ولا جاء معه أيضاً بشيء من خِطْمِيٍّ[٦] ، ولا بشيءٍ من جوز

---

(١) نعر نعيراً ونعارا : صاح . ط ، س : « سر » .

(٢) فى الأصل : « لا أرى » .

(٣) ط ، س : « بأزجال » ، وصوابه من ل .

(٤) لم أر واحد هذه الكلمة . وفى القاموس : المقارض : أوعية الخمر ، والجرار الكبار .

(٥) فى القاموس : « البزيون كجردحل وعصفور : السندس » . والسندس : ضرب من رقيق الديباج . وهو مركب من « بز » و « يون » أى يشبه « البز » . و « يون » لغة فى « كون » بالفارسية . الألفاظ الفارسية ٢٢ . ط « بزبون » س : « بزبوه » وهى على الصواب الذى أثبت فى ل .

(٦) الخطمى بكسر الخاء وفتحها : نبت له زهر شبيه بالورد ، وتسمى شجرته « كثيرة المنافع » . المعتمد ٩١ . واسمه العلمى .Malvarotundifolia ويعرف أيضا بالخبازى البرية . وكتب الفقه الإسلامى تردد ذكر هذا النبت فى باب الجنائز ؛ إذ أن من خواصه جودة تنظيف الشعر ، وهو بمنزلة الصابون . انظر مثلا مسكين ٤٩ — ٥٠ . ل « خطى » مع حذف كلمة « واسط » قبلها .

ولا بشيءٍ من زبيب[1] . وقد مرَّ بكسكَرَ ، فأين كان عن جِدَاء كسكر ، ودَجاج كسكر[2] ، وسمك كسكر ، وصحناة[3] كسكر ، ورُبيثاء[4] كسكر [وشعير كسكر؟!و] ذهب صحيحاً نشيطاً، ورجع مريضاً كسلان، وقد غرمت ما غرمت[5] ! ! فقل لى : ماوجه فرحك ؟ فقال : فرحى أنِّى أرجو أن أبيعه بخمسين ديناراً . قال : ومَن يشتريه منك بخمسين ديناراً ؟ قال : فلان ، وفلان . فقام ومضى إلى فلان[6] فقال : زعم فلان أنّك تشترى منه[7] حماراً جاء من واسِطَ بخمسين ديناراً ؟ قال : صدق . قال : فقل لى[8] لم تشتريه

---

(١) ل : « وشىء من جوز ، وشىء من زبيب » .

(٢) دجاج كسكر سبق الكلام فيه (٢ : ٢٤٨) . وقد أبديت عجبى هناك من تقدير ثمنه ، لكن وجدت ياقوتا يؤيد ما ذكره فى كسكر بما ذكره فى (واسط) أيضاً حيث قال : « رأيت فيها — يعنى واسطاً — كوز زبد بدرهمين واثنتى عشرة دجاجة بدرهم ، وأربعة وعشرين فروجا بدرهم » . ط ، س : « عن دجاجها » .

(٣) الصحنا والصحناة ، ويمدان ويكسران : إدام يتخذ من السمك الصغار والملح . القاموس والمعتمد ١٩٧ . قال داود : « لاتعرف إلا بالعراق ، ويقرب منها ما يعمل بمصر ويسمى : الملوحة » . ط : « وصحنا بها » تحريف وأثبت ما فى ل . وفى س : « وصحناء كسكر » . وانظر ٦ : ٨٤ — ٨٥ .

(٤) فى مفاتيح العلوم ١٠٠ : « الربيثاء ، والصحناء ، والصير : السميكات تعمل من السمك الصغار والملح » . وبدل هذه الكلمة فى ط ، س : « سعتر » وهو نبت طيب الرائحة .

(٥) ط ، س : « وقد عرفت ماعرفت » .

(٦) ط ، س : « إلى فلان وفلان » وصوابه ما أثبت من ل .

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٨) س : « قال فقل له » ، وصوابه ما أثبت من ل . وفى ط : « فقال له » .

بخمسين دينارا ؟ قال : لأنّه جاء من واسط . قال : فإذا جاء من واسط فلِمَ تشتّرِيه بخمسين دينارا ؟ قال : لأنّى أبيع الفرخَ منه بثلاثة دنانير ، والبيضة بدينارين . قال : ومن يشترى منك ؟ قال : مثلُ فلان وفلان . فأخَذ نَعْله ومضى إلى فلان ، فقال : زعم فلان أنّك تشترى منه فرخا من طائرٍ جاءَ من واسط بثلاثة دنانير ، والبيضةَ بدينارَين . قال : صَدَق . قال : فقل لى : لِمَ تشترى فرخَة بثلاثة دنانير ؟ قال : لأنَّ أباه جاءَ من واسط . قال : ولِمَ تشتريه بثلاثة دنانيرَ إذا جاء أبوه من واسط ؟ قال : لأنى أرجو أن يجيءَ من واسط . قال : وإذا جاء مِن واسط فأيَّ شيء يكون ؟ قال : [يكون أن] أبيعَه بخمسين ديناراً . قال : ومَن يشتريه مِنك بخمسين دينارا ؟ قال : فلان . فتركَه ومضى إلى فلانٍ ، فقال : زعم فلانٌ أنّ فرخاً من فراخه إذا جاءَ أبُوه من واسط اشتريته أنت منه بخمسين ديناراً[1] . قال : صدق . قال : ولم تشتريه بخمسين دينارا ؟ [قال : لأنّه جاءَ من واسط . قال : وإذا جاء من واسط لم تشتريه بخمسين دينارا ؟] قال : فأعاد عليه مثل قولِ الأوَّل[2] . فقال : لا رزق الله مَن يشترى حماماً جاءَ من واسط بخمسين دينارا ، ولا رزق الله [إلَّا] مَن لا يَشتريه بقليل ولا بكثير[3] .

---

(١) كلمة « أبوه » ساقطة من ل . وكذا « أنت منه بخمسين دينارا » .

(٢) ل : « مثل قولة الأول » ، وصوابه فى ط ، س .

(٣) كلمة « دينارا » ساقطة من ل . و « يشتريه » هى فى ط : « يشريه » وشرى تكون بمعنى اشترى .

(نوادر لأبى أحمد التمار)

٩٢ وأبو أحمد هذا هو الذى قال — وهو يعظ بعض المسرفين — لو أنَّ رجلاً كانت عنده ألفُ ألف دينار ثم أنْفقها كلَّها لذهبت [كلها] . وإنما سمع قول القائل : لو أنَّ رجلا عنده ألفُ ألفِ دينار فأخَذَ منها ولم يضَعْ عليها لـكان خليقاً أن يأتِىَ عليها (١) .

وهو القائل فى قصَصه : ولقد عظَّمَ [رسول الله صلى] الله [عليه وسلَّم] حقَّ الجارِ ، وقال فيه قولاً أستحْيِى واللهِ من ذكره !

وهو الذى قال لبعضهم (٢) : بلغنى أنَّ فى بستانك أشياءَ تهمّنى ، فأحبُّ أن تَهَبَ لى منه أمراً من أمْرِ الله عظيم (٣) .

وكان زَجَّالا (٤) قبل أن يكون تمارا .

وزعم سليمان الزجَّال (٥) وأخوه ثابت ، أنّه قبل أن يكون تماراً (٦) قال يوماً — وذكر الحمام ، حينَ زَهِدَ فى بيع الحمام ؛ وذكَرَ بعضَ الملوك — فقال : أمَّا فلان فإنّه لما بلغنى أنّه يلعبُ بالحمام سقط من عينى !

---

(١) ط ، س : « على أكثرها » .

(٢) ل : « للهفتى » .

(٣) ل : « بلغنى أن فى أرضك أشياء تهمنا فهب لى منه أمراً من أمر الله عظيما » .

(٤) الزجال هنا : الذى يتاجر فى حمام الزاجل ، كما يظهر من الـكلام . ل : « جدالا » تحريف .

(٥) ل : « الجدال » . وما كتبت من ط ، س أوفق ؛ لما سيأتى من الـكلام .

(٦) التمار : بائع التمر . والـكلام من مبدأ « قبل » ساقط من ل

والله سبحانه وتعالى أعلم[١] .

[تمَّ القولُ فى الحمام ، والحمدُ لله وحدَه] .

باب

القول فى أجناس الذِّبَّان[٢]

بسم الله ، وبالله [والحمد لله] ولا حَوْلَ ولا قُوَّة إلا بالله ، وصلَّى الله على سيِّدنَا محمَّدٍ النبىِّ الأمىِّ وعلى آله وصحبِه وسلَّم ، وعلى أبرار عِتْرَتِه[٣] الطيِّبينَ الأخيار[٤] .

أُوصيك أيُّها القارئُ المتفهِّم ، وأيُّها المستمعُ المنصِت المصيخ[٥] : ألاّ تحقِرَ شيئاً أبداً لصغر جثَّته ، ولا تستصغر قدرَه لقلَّة ثمنٍ .

---

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) كلمة « باب » وكذا « أجناس » ساقطتان من ل .

(٣) العترة ، بالكسر : نسل الرجل ، ورهطه ، وعشيرته الأدنون ممن مضى وغبر . ل ، ط : « عشيرته » .

(٤) يبدو أن الفقرة من أولها دخيلة على الكتاب ، فليست من أسلوب صاحبنا .

(٥) المصيخ : المستمع . وبدلها فى ط ، س : « المتصفح » . وكيف يكون المستمع متصفحاً ؟ ! .

(دلالة الدقيق من الخلق على الله)

ثمَّ اعلمْ أنَّ الجبلَ ليس بأدلّ على الله من الحصاة ، ولا الفَلكَ المشتمل على عالَمنا هذا بأدلَّ عَلَى الله من بدَن الإنسان . وأنَّ صغيرَ ذلك ودقيقَهُ كعظيمهِ وجليله . ولم تفترقِ الأمورُ فى حقائقها ، وإنما افترقَ المفكِّرونَ فيها ، ومَن أهمَل النَّظرَ ، وأغفَلَ مواضع الفَرْق ، وفُصولَ الحدود .

فمِنْ قِبَلِ ترْكِ النَّظرِ ، ومن قِبَلِ قطْع النَّظر ، ومن قِبَل النظر من غير وجه النَّظَرِ ، ومن قِبَل الإخلال ببعض المقدّمات ، ومن قِبَل ابتداءِ النَّظر من جهَة النَّظرِ ، واستمام النظرِ مع انتظام المقدَّمات ــ اختلَفوا .

فهذه الخصالُ هِيَ جُمَّاع هذا الباب ، إلاَّ ما لم نذْكرْه من باب العجز والنقص ؛ فإن الذى امتنع من المعرفة من قِبَل النُّقصانِ الذى فى الخِلقة[1] بابٌ عَلَى حِدة .

وإنما ذكرنا بَابَ الخطأ والصَّواب ، والتَّقْصِيرِ والتكميل . فإياك أن تسىء الظَّنّ بشيءٍ من الحيوان لاضطراب الخلق ، ولتفاوُت التركيب ، ولأنّه مشنوءٌ فى العَين ، أو لأنّه قليلُ النّفع ِوالرَّدِّ ؛ فإنَّ الذى تظُنُّ[2] أنّه أقلُّها نفعا لعله أن يكون أكثرَها ردًّا . فإلاّ يكن[4] ذلك من جهةِ عاجلِ أمرِ الدنيا ،

---

(١) ط ، س : « الذى بابه فى الخلقة » . وكلمة « بابه » مقحمة .

(٢) ط ، س : « يظن » ، وتقرأ بالبناء للمفعول .

(٣) ط : « إن لايكون » س : « ألا يكون» وتصحيحه وفق مافى ل .

٩٣ كان ذلك فى آجل أمر[١] الدين . [وثوابُ الدين] وعقابُهُ باقيان ، ومنافعُ الدنيا فانية زائلة ؛ فلذلك قدِّمت الآخرة على الأولى .

فإذا رأيتَ شيئاً من الحيوانِ بعيداً من المعاوَنة ، وجاهلاً بسبب[٢] المكانَفَةِ[٣] ، أو كان مما يشتدُّ ضررُه ، وتشتدُّ الحِراسة منهُ ، كذوات الأنيابِ من الحيَّات والذئابِ[٤] وذواتِ المخالبِ من الأسْدِ والنُّمور ، وذوات الإبر والشعر من العقارب والدَّبْر ، فاعلم أنّ مواقع[٥] منافعها من جهة الامتحان ، والبلوَى . ومن جهة ما أعد الله عزَّ وجلَّ للصابرين ، ولمن فهم عنه ، و [لمن][٦] علِم أنَّ الاختِيارَ والاختبَار [لاَ][٧] يكونَان والدنيا كلُّها شرٌّ صِرْفٌ أو خيرٌ محْض ؛ فإنّ ذلك لا يكون إلاّ بالمزاوجةِ بين المكروهِ والمحبوب ، والمُؤلم والملِذّ ، والمحقَّرِ والمعظَّم ، والمأمُون والمخوفِ . فإذا كان الحظُ الأوفَرُ فى الاختبار والاختيار[٨] ، وبهما يُتوسل إلى ولاية الله عزّ وجلّ ، وآبِدِ[٩] كرامته ، وكان ذلك إنما[١٠] يكونُ فى الدار المزوجةِ من

(١) ط ، س : « ثواب » .
(٢) س : « بسبيل » ط : « لسبيل » وهذه تحريف الأولى . وأثبت ما فى ل .
(٣) المكانفة ، بالنون : المعاونة . كانفه : عاونه . ل : « المكاتفة » بالتاء . ولم أجدها .
(٤) ط : « الذبان » ، وهو تحريف عجيب ، صوابه فى ل ، س .
(٥) ليست فى ل ، س .
(٦) الزيادة من ل ، س .
(٧) الزيادة من س . والكلام بعده إلى كلمة « ذلك » ساقط من ل .
(٨) ط ، س : « والاعتبار » ، والوجه ما أثبت من ل .
(٩) الآبد : الدائم . وبدلها فى ط ، س : « وإلى » .
(١٠) ل : « لا » ، وهو تحريف يفسد المعنى .

الخير والشرِّ ،والمشتركة والمركَّبة بالنّفع[١] والضر ، المشوبةِ باليُسْرِ والعسْر — فليعلَمْ موضعَ النَّفْعِ في خَلْق العقرب ، ومكانَ الصُّنْع في خَلْق الحيَّة ، فلا يحقرنَّ الجِرْجِس[٢] والفرَاشَ والذرَّ والذِّبان[٣] ولْتقِفْ حتَّى تتفكَّرَ في الباب الذى رميتُ إليك بجمْلَتِه ، فإنّك ستكْثِرُ حَمْدَ اللهِ عزّ وجلّ ، على خلْق الهمَجِ والحشرَاتِ ، وذواتِ السُّمومِ والأنياب ، كما تحمَده عَلَى خلْقِ الأغذيةِ من الماءِ والنَّسيم .

فإنْ أردتَ الزِّرايةَ والتَّحقيرَ ، والعَداوةَ والتَّصغير ، فاصرفْ ذلك كلَّهُ إلى الجنِّ والإنس ، واحقِرْ منهم كلَّ مَن عمِل عملاً من جهةِ الاختيار[٤] يستوجبُ به الاحتقار ، ويستحقُّ به غايةَ المقْت من وجــهٍ ، والتصغيرَ من وجه .

فإن أنت أبغضت من جهةِ الطبيعة[٥] ، واستَثْقَلتَ من جهةِ الفِطرة ضَربينِ من الحَيَوان : ضرباً يقتلك بسمه ، وضربا يقتلك بشدةِ أسْره[٦] لم تُلَمْ . إلاّ أنّ عليكأنْ تَعلَمَ أنّخالقَهما لميخلقْهما لأذاك[٧] ،وإنماخلقهما لتصبرَ عَلَى أذاهما ، ولأنْ تنالَ بالصَّبر الدرَجةَ التى يستحيل أنْ تنالها [إلاّ] بالصَّبر[٨] .

---

(١) ل : « ومكان النفع فى صنع الحية » .

(٢) الجرجس ، بكسر الجيمين : البعوض الصغار . ويقال أيضاً : القرقس ، بوزنه .

(٣) الذر : صغار النمل . و « الذبان » بالكسر : جمع « الذباب » . وبهذه جاءت فى ط ، س .

(٤) ط ، س : « الاختبار » وهو تحريف ما فى ل .

(٥) ل : « فإن أنت بنية الطبيعة » وهو كلام مشوه .

(٦) الأسر : شدة الخلق والخلق . ط : « أشره » تحريف .

(٧) ط : « لذاك » . وما أثبت من س ، ل أوفق .

(٨) ط ، س : « التى تستحق أن تنالها بالصبر » ، ومؤدى العبارتين واحد .

والصبرُ لا يكونُ إلاّ عَلَى حَالٍّ[١] مكروه . فسواءٌ عليك [أ] كان المكروه سبُعا وثّابا ، أوكانَ مَرَضًا قاتلا . وعَلَى أنّك لاتدرى ، لعلَّ النزْعَ ، والعَلَزَ والحشْرَجة[٢] ، أن يكون أشدَّ من لدْغ[٣] حيَّة ، وضَغْمةِ سبعٍ[٤] . فإلاّ تكُنْ له حُرقةٌ كحرق النار[٥] وألمٌ كألم الدّهَق[٦] ، فلعلَّ هناك من الكَرْب ما يكون موقعهُ من النَّفس فوقَ ذلك .

وقد علمنا أنّ النّاس يُسَمُّون[٧] الانتظار لوقع السيف عَلَى [صليف[٨]] العُنق جهَدْ البلاءِ ؛ وليس ذلك الجهْدُ من شكل لذْع النار ، ولا من شكل ألم الضربِ بالعصا . فافهم فهَّمَكَ الله مواقع النفع كما يعرفها أهلُ الحكمة ، وأصحاب الأَحْسَاس الصحيحة .	٩٤

ولا تَذْهب فى الأمورِ مذهَبَ العامّةِ ، وقد جَعَلَكَ اللهُ تَعالى من الخاصة ، فإنّكَ مسئولٌ عن هذه الفضيلة ؛ لأنّها لم تجعَل لعِبا[٩] ، ولم تترَكْ

---

(١) حال ، أى حاضر . ل : « عاجل » .

(٢) النزع : قلع الحياة . والعلز بالتحريك : هلع يصيب المحتضر . والحشرجة : الغرغرة عند الموت .

(٣) ط ، س : « لذع » وصوابه فى ل .

(٤) هاتان ساقطتان من ل . والضغمة : العضة . وسمى الأسد ضيغما لذلك .

(٥) كذا فى ل . وفى ط : « فلا يكون حرقة كحرق اللسع » وفى س : « فلا يكون لك حرقة كحرق اللسع » ، محرفتان .

(٦) الدهق ، بالتحريك : خشبتان يغمز بهما الساق ، فارسيته : أشكنجه .

(٧) ل : « لايسمون » ، وكلمة « لا » تفسد المعنى .

(٨) الصليف ، كأمير : عرض العنق .

(٩) ل : « لغوا » .

هَمَلا . واصرِفْ بُغْضَك إلى مُريدِ ظلمكَ[١] ، لا يراقِب فِيكَ إلاًّ ولا ذِمَّة ، ولا مودةً ، ولا كتابا ولا سنَّة . وكلما زادك الله عزَّ وجلَّ نعمةً ازدادَ[٢] عليك حَنَقا ، ولكَ بُغْضاً . وفِرّ كلَّ الفِرارِ واهرُبْ كلَّ الهرَب ، واحترسْ كلَّ الاحتراس ، ممن لا يراقبَ اللهَ عزَّ وجلَّ ؛ فإنه لا يخلو من أحد أمرين ، إمَّا أن يكونَ لا يعرفُ رَبَّهُ مع ظهور آياتهِ ودلالاته ، وسبوغِ آلائهِ ، وتتابُع نَعْمائِه ، ومع برهانات رُسله، وبيانِ كتبِهِ؛ وإمَّا أنْ يكون بهِ عارفاً وبدينهِ[٣] موقناً ، وعليهِ مجترئاً ، وبحُرماتِه مستخفًّا . فإن كان بحقِّهِ جاهلا فهو بحقِّك أجهل، وله أنْكَر . وإن كان بهعارفاًوعليه مجترئاً فهو عليك أجرأ، ولحقوقك أضْيَع[٤] ولأياديك أكفر .

فأمَّا خلْق البَعُوضةِ والنَّملة والفَرَاشةِ والذَّرَّة والذِّبّان[٥] والجِعْلان ، واليعاسيب والجراد – فإياك أن تهاونَ بشأن هذا الجُنْد ، وتستخف[٦] بالآلة التى فى هذا الذَّرْء[٧] ؛ فَرُبَّتَ أمة قد أجلاها عن بلادها[٨] النملُ ، ونقلَها

(١) س « لمن يريد ظلما » .

(٢) ط فقط : « ازدادوا » .

(٣) س : « وبذنبه » وهو تحريف .

(٤) ط ، س : « ولحقك » . و « أضيع » تفضيل من أضاع . وفى التفضيل من أفعل مذاهب ثلاثة : المنع مطلقا ، والجواز مطلقا ، والمنع إن كانت الهمزة لغير النقل .

(٥) الذبان : جمع ذباب . ط ، س : « والذباب » .

(٦) ط : « تسخفف » تحريف صوابه فى ل ، س .

(٧) الذرء : الخلق . وفى الأصل : « الذر » .

(٨) ل : « مساكنها » .

عن مساقِطِ رءُوسِها الذَّرُّ ، وأُهلِكت بالفأر[1] ، وجُرِدت بالجَرادِ، وعُذِّبت بالبعوض ، وأفسَدَ عيشَها الذِّبَّان ؛ فهى جُندٌ إن أرادَ اللهُ عزَّ وجلَّ أن يهلِك بها قوماً بَعْدَ طُغْيانِهم وتجبُّرِهم وعُتوِّهم ؛ ليعرِفوا أو ليُعرَفَ بهم أنَّ كثيرَ أمرِهم ، لا يقوم بالقليلِ من أمر الله عزّ وجل . وفيها بَعْدُ مُعتبرٌ لمن اعتبر ، وموعِظةٌ لمن فكَّر ، وصلاحٌ لمن استبصر[2] ، وبلوَى ومحْنة ، وعذابٌ ونِقْمة، وحُجَّةٌ صادقة، وآيةٌ واضحة[3] ، وسَبَبٌ إلى الصَّبْرِ والفِكْرَةِ. وَهما جِمَاع الخيرِ فى باب المعْرفة وَالاستبانة[4] ، وَفى بابِ الأجْر وعِظم المثوبة[5] .

وسَنَذْكُر جملةً من حَال الذِّبّان ، ثم نقولُ فى جملةِ ما يَحضرُنا منْ شأْنِ الغِرْبانِ والجعلانِ .

(أمثال فى الفراش والذباب)

ويقال[6] فى موضع الذمِّ والهجاء : « ما هُمْ إلاّ فَراشُ نارٍ وَذِبَّانُ طَمَعٍ ». وَيقال : « أطْيَشُ مِنْ فَراشَة ، وَأزْهى مِنْ ذِبّانٍ » .

---

(١) إشارة إلى حادثة سيل العرم . زعموا أن السبب فيه فأرة ، قال الجاحظ : « لايشك الناس فى أن أرض سبأ وجنتها إنما خربت حين دخلها سيل العرم ، وأن الذى فجر المياه فأرة » . ثمار القلوب ٣٢٨ . ط ، س : « بالقراد » وليس بشىء .

(٢) ل : « معتبر وموعظة وصلاح » .

(٣) سقط الكلام من ل ، من مبدأ : « وحجة » .

(٤) ط : « والإبانة » .

(٥) « وعظم المثوبة » ساقطة من ل .

(٦) ل : « قالوا : يقال » .

وقال الشاعر :

كأنَّ بنى ذويبة رهْطَ سَلمَى　　فَرَاشٌ حول نارٍ يَصْطلينا

يُطِّفْنَ بحرِّها ويَقَعْنَ فيها　　ولا يَدْرِينَ ما ذا يتَّقينا

والعرب تجعل الفَراشَ والنَّحلَ والزَّنابيرَ والدَّبْرَ كلَّها من الذِّبان .

وأما قولهم[١] : « أزْهى مِنْ ذُباب » فلأنَّ الذُّبابَ يسقُط على أنفِ الملِكِ[٢] الجبَّار ، وعلى مُوقِ عينيه[٣] ليأكله ، ثم يطرده فلا ينطرد[٤] .　٩٥

(معانٍ وأمثالٌ فى الأنف)

والأنف هو النَّخْوة وموضعُ التَّجبُّرِ .

وكان من شأن البطارقة[٥] وقوَّاد الملوك إذا أنفوا [من شىء] أن ينخُروا كما ينْخِر الثَّورُ عندَ الذَّبح ، والبِرذونُ عند النَّشاط .

---

(١) ل : « قوله » .

(٢) ل : « الملوك »، وهو تحريف .

(٣) موق العين : طرفها مما يلى الأنف . وللعينين موقان . ولكنه أفرد ، وذلك جائز فى العربية . ومنه قوله تعالى : « بدت لها سوأتهما » بالإفراد ، فى قراءة الحسن . انظر همع الهوامع (١ : ٥١) .

(٤) كذا فى ل . وفى ثمار القلوب ٣٩٥ : « ثم يطرد فلا ينطرد » . وفى ط ، س « فيطرده ولا ينطرد » .

(٥) البطريق ، ككبريت : القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل . وهو معرب من الرومى : Patricius .

والأنف هو موضعُ الُخنْزُوانة والنُّعَرةِ[1] . وإذا تكبَّرت النَّاقةُ بعد أن تَلْقَح فإنَّها[2] تزمُّ بأنفها .

والأصيد : الملك الذى تراه أبداً من كِبْره مائلَ الوجه . وشُبِّه بالأسد فقيل أصيد ؛ لأنَّ عُنقَ الأسدِ من عظمٍ واحد ، فهو لا يلتفتُ إلَّا بكُلِّه ، فلذلك يقال لِلمُتَكَبِّرِ : « إنَّما أنفُه فى أسلوب » ، ويقال : أرغَمَ الله أنفَه وأذلَّ معطِسَه ! و [يقال] : ستفعل ذلك وأنفُك راغم ! والرَّغام : التراب . ولولا كذا وكذا[3] لهشَّمت أنفك . فإنما يخصُّون بذلك الأنف ؛ لأنَّ الكبر إليه يضاف[4] . قال الشاعر[5] :

يا رُبَّ مَنْ يُبْغِضُ أذْوادنا ... رُحْن علَى بَغْضَائِه واغتدَيْن[6]

لو نَبَتَ البَقْلُ عَلَى أنفِهِ ... لرُحْنَ منه أُصُلاً قد أبين[7]

---

(١) الخنزوانة ، بالخاء والزاى مضمومتين بينهما نون ساكنة : الكبر ، ومثله النعرة ، كهمزة ، وبالتحريك .

(٢) ل : « فإنما » .

(٣) ل : « ولولا كذا » .

(٤) كذا الوجه فى ل ، س . وفى ط : « يضاف إليه » .

(٥) هو عمرو بن قيئة ، كما فى أمالى ابن الشجرى (٢ : ٣١١) .

(٦) الأذواد : جمع ذود ، وهو القطيع من الإبل . وأراد بقوله : « على بغضائه » أنهن يرعين ويرتوين ، ولا يستطيع العدو منعهن لقدرة صاحبهن وعزته . وكلمة « بغضائه » هى فى ط : « بغصائه » وفى س : « بعصائه » ، وصوابها من ل وأمالى ابن الشجرى ، ومحاضرات الراغب (٢ : ٦٣) .

(٧) الأصل ، بضمتين : الأصيل ، وهو العشى أى آخر النهار . وبعضهم قال : إن الأصل جمع أصيل . وليس بشىء . وأبين ، يقول : قد أبين الطعام من كثرة مارعين فأشبعن شهواتهن . ط ، س : « أتين » وصوابه فى ل . والرواية فى المحاضرات : « رعين » . وجاء فى ط ، س : « رحن إليه » وتصحيحه من ل والمحاضرات .

ويقال « بعير مذبوب » إذا عرض له ما يدعو[١] الذِّبَّانَ إلى السُّقوط عليه . وهم يعرفون الغُدَّة[٢] إذا فشَتْ أو أصابَتْ بعيراً بسُقوط الذِّبَّان عليه .

(احتيال الجمالين على السلطان)

وبسقوط[٣] الذِّبّان على البعير يحتال الجَمَّال للسُّلطان ، إذا كان قد تسخَّرَ إبِلَهُ[٤] وهو لذلك كاره ، وإذا كان في جماله الجملُ النفيسُ أو الناقةُ الكريمة[٥] ؛ فإنه يعمِد إلى الخَضْخاض[٦] فيصبُّ فيه شيئا من دِبس[٧] ثم يَطْلى به ذلك البعير ، فإذا[٨] وجد الذِّبّان رِيحَ الدِّبس تساقَطْنَ عليه ، فيدَّعى عند ذلك أنَّ به غُدَّة[٩] ويجعلُ الشاهدَ له عندَ السُّلطان[١٠] ما يُوجد عليه من الذِّبان ! فما أكثر ما يتخلصون بكرائم أموالهم[١١] بالحيلِ من أيدى

---

(١) ل : « داء يدعو » .

(٢) الغدة بالضم : طاعون الإبل . ط ، س : « العرة » ، وهى بالضم بمعنى الجرب . ولا تستقيم هذه مع بقية الكلام .

(٣) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « ولسقوط » .

(٤) يقال سخره تسخيراً ، وتسخره كذلك : كلفه عملا بلا أجرة . ط ، س : « يسخر إبله » وأثبت ما فى ل .

(٥) ل : « فإذا كان فيها جمل نفيس أو ناقة كريمة » .

(٦) الخضخاض : نفط أسود رقيق تهنأ به الإبل الجربى .

(٧) الدبس ، بالكسر وبكسرتين : عسل التمر ، وعسل النحل . والأول المعنى .

(٨) ط ، س : « وإذا » .

(٩) كذا فى ل . وفى ط ، س : « عرة » . وانظر التنبيه الثانى من هذه الصفحة وفى ل : « فتدعى عند ذلك أنه » . وفيه تحريف .

(١٠) كلمة : « له » ساقطة من ل .

(١١) يتخلصون : ينجون . ل : « يخلصون » وهما بمعنى . ل ، س :

السُّلطان ، ولا يظنُّ ذلك السُّلطانُ إلّا أنه متى شاء أنْ يبيعَ مائةَ أعرابيٍّ بدرهم فَعَل . والغُدّة[1] عندهُمْ تُعدِى ، وطِباع الإبل أقبلُ شيءٍ للأَدواء التى تُعْدِى ، فيقول الجمَّال عنْدَ ذلك للسُّلطان : لو لم أخف على [الإبل إلّا] بعيرى هذا المغِدّ أن يُعدِىَ لم أبال[2] ، ولـكنِّى أخافُ إعداء الغُدَّةِ ومضرَّتها فى سائر مالى ! فلا يزالُ يستعطِفه بذلك ، ويحتالُ له به[3] حتَّى يخلِّىَ سبيلَه .

(نفور الذِّبَّان من بعض الأشياء)

ويقال إنَّ الذِّبَّان لايقرُب قِدْراً فيه كمأة ، كما لا يَدخُل سامُّ أبْرَص[4] بيتاً فيه زعفران .

(الخوف على المـكلوب من الذِّبَّان)

ومن أصابه عضُّ الـكلب الـكَلِبِ حمَوا وجهَه من سقوط الذِّبان عليه. قالوا : وهو أشدُّ عليه من دبيب النِّبْر[5] على البعير .

= « من كرائم » والوجه ما أثبت من ط .

(١) ط ، س : « والعرة » . وانظر التنبيه الثانى من الصفحة السابقة .

(٢) المغد ، هو من أغد البعير : أصابته الغدة ، أى الطاعون . ط ، س : « المعر » ولم أجد لها وجها تصح به وكلمة « يعدى » هى فى س : « يعر » وليست مرادة . ل : « لم أبل » وهما صحيحتان .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ويحتال له ويميله » .

(٤) ل : « كما لاتدخل » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٥) الدبيب : المشى الخفيف . ل : « سقوط » . والنبر ، بالكسر ، سيفسره الجاحظ بعد هذا .

(النِّــبر)

والنِّــبْر دويْبَّةٌ إذا دبَّت على البعــير ، تورَّم ، وربَّمــا كان ذلك سبَبَ هلاكِه .

قال الشاعِرُ وهو يصف[١] سِمَن إبله ، وعِظَمَ أبدانها :

حمر تحقَّنَت النّجيل كأنَّما ... بجلودهِنَّ مَدَارِجُ الأنْبارِ[٢]

(مميزات خلقيَّة لبعض الحيوان)

وليس فى الأرض ذبابٌ إلَّا وهو أقْرَح[٣] ، ولا فى الأرض بعيرٌ إلَّا وهو أعلم[٤] ، كما أنَّه ليس فى الأرض ثورٌ إلَّا وهو أفطس . ٩٦

وفى أنَّ كلَّ بعير أعلمُ يقولُ عنترة :

وحَليلِ غانيةٍ تركتُ مجدَّلاً ... تمكو فريصَتُه كشِدْق الأعلَمِ[٥]

---

(١) ل : « يذكر » .

(٢) « حمر » فى اللسان : « جردا » . وتحقنت النجيل : امتلأت أجوافها به . ط ، س : « تحققت المحيل » ، وتصحيحه من ل واللسان . والنجيل : خير الحمض كله وألينه على السائمة . والحمض : ما ملح وأمر من النبات . والأنبار : جمع نبر بالكسر وقد مر تفسيره . ومدارجه : مواضع دروجه ، أى مشيه .

(٣) « أقرح » ، وهو من القرحة . وكل ذباب فى وجهه قرحة . انظر أمثال الميدانى (٢ : ٤٠٣) . ط ، ل : « أقدح » والوجه ما أثبت ؛ إذ هو الصفة الخلقية التى تساير السياق . وانظر عيون الأخبار ٢ : ٧٥ وفيه « كل ذباب أقرح » . وانظر كذلك العقد ٦ : ٢٣٦ تأليف .

(٤) الأعلم : مشقوق الشفة العليا .

(٥) حليل : بمعنى زوج . ط ، س : « جليل » والصواب فى ل ، مجدلا : ملقيا على الجدالة وهى الأرض . تمكو فريصته : تصفر . والفريصة : لحمة فى وسط الجنب عند منبض القلب ، وهى ترتعد عند الفزع . قال التبريزى : « كأن هذه الطعنة فى سعتها شدق الأعلم » . وكأن الجاحظ يفهم هذا المعنى كما سيأتى بعد سطر . وأنا أقول : إنه فى هذا البيت ما شبهها بشدق الأعلم فى السعة ، بل أراد أن صوت الدم الدافق من هذه الطعنة ، يحكى الصوت الصادر من شدق البعير . وهذا لايمنع أن بعض الشعراء أراد فى شعره هذا المعنى الذى أدركه التبريزى والجاحظ .

كأنّه[١] قال : كشدق البعير ، إذ كان كلُّ بعيرٍ أعلم .

والشعراء يشبِّهون الضربةَ بشِدْق البعير ، ولذلك قال الشاعر[٢] :

كَمْ ضربةٍ لَكَ تحكِى فاَ قُراسِيَةٍ ... من المَصاعِبِ فى أشداقِهِ شَنَع[٣]

وقال الكميت :

* مَشافِرَ قَرْحَى أكلْنَ البريرا[٤] *

وإذا قيل الأعْلم ، عُلِم أنَّه البعير ، كما أنَّه إذا قيل الأقرح[٥] علم أنَّه الذِّبّان . قال الشاعرُ :

ولأنتَ أطيَشُ ، حينَ تَغْدُو سادرًا ... حذر الطعان، مِنَ القَدُوحِ الأقْرَح[٦]

يعنى الذبّان لأنَّه أقرح[٧] ، ولأنّه أبدا يحكُّ بإحدى ذراعَيْه على

---

(١) كذا فى ل ، وهو الوجه . وفى ط ، س : « كما أنه » .

(٢) هو النمر بن تولب ، كما فى البيان (١ : ٥٥) .

(٣) تحكى فاه : تماثله . والقراسية : الضخم الشديد من الإبل ، ذكراً كان أوأنثى ، وهو فى الذكور أغلب . والمصاعب ، واحدها مصعب ، وهو الفحل . فى أشداقه : أراد فى شدقيه ، ومثل هذا جائز . فى الأصل : « فى أشداقها » ، والوجه ما أثبت من البيان ؛ إذ أن المراد بالقراسية هنا الفحل .

(٤) قرحى : جمع قريح ، وهو هنا المصاب بالقرحة فى فيه ، فيهدل لذلك مشفره . والبرير : الأول من ثمر الأراك . وهذا عجز بيت ، صدره كما فى الحيوان ٥ : ٦٠٢ :

* تشبه فى الهام آثارها *

(٥) فى الأصل : « الأقدح » .

(٦) السادر : الراكب رأسه . و « حذر الطعان » كذا فى ط ، س ، وفى ل « حذر العظام »، والرواية المعروفة: « رعش الجنان » كما فى أمثال الميدانى (١ : ٤٠٣) وثمار القلوب ٣٩٥ واللسان والتاج (قدح) . والجنان : القلب. والقدوح : الذى يحك ذراعا بذراع ، يحكى فعل القادح الذى يطلب النار . والأقرح : الذى فى وجهه قرحة . وفى الأصل وكذا اللسان : « الأقدح » ، خطأ ، صوابه فى الثمار وأمثال الميدانى .

(٧) فى الأصل : « أقدح ». وانظر التنبيه السالف .

الأخرى كأنّه يقدح بعودَى مَرْخٍ وعَفار[1] ، أو عرجون، أو غير ذلك مما يقدح به .

(أخذ الشعراء بعضهم معانى بعض)

ولا يعلم فى الأرضِ شاعِرٌ تَقَدَّمَ فى تشبيهٍ مُصيبٍ تامّ ، وفى معنًى غريبٍ عجيب ، أو فى معنًى شريف كريم ، أو فى بديعٍ مُختَرَع ، إلّا وكلُّ مَنْ جاءَ من الشُّعراءِ منْ بَعْدِهِ أو معه ، إنْ هو لم يعْدُ[2] على لفظه فيسرقَ بعضه أو يدعِيَه بأسْره ، فإنّه لايَدعُ أن يستعينَ بالمعنى ، ويجعَلَ نفسه شريكاً فيه ؛ كالمعنى[3] الذى تتنازعُه الشعراءُ فتختلفُ ألفاظهم، وأعاريضُ أشعارهِمْ ، ولا يكونُ أحدٌ منهم أحقَّ بذلك المعنى من صاحبه . أو لعلّه [أن] يجحد أنهُ سمع بذلك المعنى قَطُّ ، وقال إنَّه خَطرَ على بالى من غير سماع ، كما خطَر على بال الأوَّل . هذا إذا قرَّعُوه به . إلاّ ما كان من عنترة فى صفةِ الذُّباب ؛ فإنه وصفَه فأجاد صفته[4] فتحامى معناهُ جميعُ الشعراء

---

(١) المرخ ، بالفتح : شجر من العضاه خشبه كثير الورى سريعه . والعفار ، كسحاب : شجر خوار . ومن المرخ يتخذ الزندة ، وهى السفلى ، ومن العفار يتخذ الزند وهو الأعلى ، ويقتدح بهما . قال :

إذا المرخ لم يور تحت العفار   وضن بقـــدر فلم تعقب

ط : « بعود من مرخ ، أو غفار » ، س « بعود فى مرخ أو عفار » وتصحيحه من ل .

(٢) كذا الصواب فى ل . وفى ط ، س : « يقدر » .

(٣) ل : « وكالمعنى » .

(٤) ط ، س : « وصفه » .

فلم يعرضْ له أحدٌ منهم[١] . ولقد عَرَض له بعضُ المحدَثين ممن كان يحسِّنُ القَول ، فبلغ من استكراهه لذلك المعنى ، ومن اضطرابه فيه ، أنّه صار دليلاً على سوء طبعه فى الشعر[٢] . قال عنترة :

جادَتْ عليها كلُّ عينٍ ثَرَّةٍ ... فتَركْنَ كلَّ حَدِيقةٍ كالدِّرْهم[٣]

فترى الذُّبابَ بها يغنِّى وحْدَه ... هَزِجاً كفِعْل الشَّارِبِ المترنِّم

غَرداً يحُكُّ ذِراعَــــه بذِرَاعِهِ ... فِعْلَ المكبِّ على الزِّنَادِ الأجذمِ

قال : يريد فعل الأقْطعِ المكبِّ على الزِّناد . والأجذم : المقطوع اليدين . فوصف الذّباب إذا كان واقعاً ثمَّ حكّ إحدى يديه بالأخرى ، فشبَّهَهُ عند ذلك برجلٍ مقطوع اليدين ، يقدَحُ بعودين . ومتى سقَط الذُّبابُ فهو يفعل ذلك . ٩٧

ولم أسمع فى هذا المعنى بشعر أرضاه غير شِعر عنترة .

(قولٌ فى حديث)

وقد كان عندنا فى بنى العدويّة[٤] شيخٌ منهم مُنْكر[٥] ، شديد العارضة [فيهِ توضيع]، فسمعنى أقول : قد جاء فى الحديث : « إنَّ تَحتَ جَناح

(١) ط ، س : « فلم يعرضوا له » .

(٢) لست أدرى الآن من عنى الجاحظ بقوله ، ولم أجد الشعر الذى أشار إليه .

(٣) أراد بالعين الثرة : السحابة الغزيرة المطر ، وجعل الحديقة كالدرهم فى استدارته لا قدره .

(٤) ط : « العروبة » والأشبه ما أثبت من ل ، س .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٦) التوضيع : التخنيث . وفى الحديث : « إن رجلا من خزاعة يقال له هيت ، فيه توضيع » أى تخنيث .

الذُّباب اليمين شفاءً وتحتَ جَناحِه الأيسر[1] سمًّا . فإذا سقط فى إنَاءٍ أو فى شرابٍ أو فى مَرَق فاغمسوه فيهِ ؛ فإنه يرفَعُ عند ذلك الجناحَ الذى تحتَه[2] الشفاء ، ويحطُّ [الجناح] الذى تحتَه السمّ » . فقال : بأبى أنتَ وأمّى هذا يجمع العداوةَ والمَكِيدة !

(قصّة لتميمى مع أناس من الأزد)

وقد كان عندنا أُنَاسٌ من الأزد ، ومعهم ابن حزن[3] ، وابن حزن هذا عدوىٌّ من آل عموج[4] ، وكان يتعصّب[5] لأصحابه من بنى تميم وكانوا على نبيذٍ ، فسقَطَ ذبابٌ فى قدَح بعضِهم ، فقال له الآخر : غطِّ التميمى ، ثمَّ سقط آخر فى قدَح بعضِهم ، فقال الباقون[6] : غطِّ التميمىّ ! فلمَّا كان فى الثالثة قال ابن حزن : غطِّه فإنْ كان تميميًّا رسَبَ ، وإن كان أزْديًّا طفا . فقال صاحب[7] المنزل : مايسرُّنى أنَّه كان نقصكم حرفا[8] . وإنما عَنَى أنَّ أزْدَ عُمان مَلَّاحُون .

---

(١) س : « اليمنى » و « اليسرى » . والجناح مذكر .

(٢) ل : « فيه » .

(٣) ط ، س : « حذر » فى المواضع الثلاثة . وأثبت ما فى ل .

(٤) ط ، س « عدولى » : نسبة إلى عدولى ، بفتح أوله وثانيه وفتح اللام والقصر ، وهى قرية بالبحرين تنسب إليها السفن . وأثبت ما فى ل . وهو منسوب إلى بنى العدوية السالف ذكرهم ، وهم من تميم ، كما فى المعارف ٣٥ . و « آل عموج » هى فى ط ، س : « أهل تنوخ » .

(٥) فى الأصل : « يتصعب » .

(٦) ل : « بعضهم » .

(٧) ل : « رب » .

(٨) كذا فى ل . وفى ط : « كان قال بعضهم مرقا » ، محرف . وفى س : « كان قال بعضكم حرفا » .

(ضروب الذِّبَّان)

والذِّبَّان[١] ضروبٌ سِوى ما ذكرناه[٢] من الفَراش والنَّحلِ والزَّنابير.

فمنها الشَّعْراء[٣] ، وقال الراجز :

* ذبّان شَعْرَاءَ وبيت ماذل[٤] *

وللكلاب ذبابٌ على حِدَة يَتَخَلَّقُ منها ولا يُريدُ سِواها[٥] . ومنها ذبّان[٦] الكلإِ والرِّياض . وكلُّ نوعٍ منها يألفُ ما خُلقَ منه . قال أبو النَّجْم :

مُستأسِـد ذبَّانه فى غَيْطَـلِ يقلنَ للرَّائِدِ أعشَبْتَ انزلِ[٧]

---

(١) الذبان بالكسر : جمع ذباب . ط ، س : « والذباب » .

(٢) ل : « ماذكر » .

(٣) الشعراء ، بفتح الشين وكسرها ، وبالعين المهملة الساكنة : ذباب أزرق ، أو أحمر ، يقع على الإبل ، والحمير ، والكلاب ، فيؤذيها أذى شديداً، واسمه العلمى : Hippodoscidae .

(٤) « بيت ماذل » كذا فى الأصل وسيأتى فى ص ٣٩٠ : « وصيف ماذل » . وفى نهاية الأرب (١٠ : ٢٩٩) : « ونبت مائل » . وقبله:

* تذب عنها بأثيث ذائل *

(٥) ط ، س : « يخلق منها ولا يريد سواها » .

(٦) ط ، س : « ذباب » .

(٧) مستأسد : هو من استأسد النبت : إذا بلغ وقوى والتف ، أراد كثرته وتكاثفه . ويروى : « مستأسداً » . والغيطل : الشجر الكثير الملتف، وكذلك العشب. وأرجوزة أبى النجم هذه طويلة نادرة ، عدة أشطارها ١٩١ شطرا .

وقد نشرت فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (٨ : ٤٧٢ — ٤٧٩) سنة ١٩٢٨ . وكان رؤبة يسميها : أم الرجز .

(شعرٌ ومثل فى طنين الذّباب)

والعربُ تسمِّى طَنِينَ الذِّبَّانِ والبعوض غِناءً . وقال الأخطلُ فى صفة الثَّور :

فَرَدًا تغنِّيه ذبَّانُ الرِّياض كما غَنَّى الغُواةُ بِصَنْجٍ عِنْدَ أسْوارِ [١]

وقال حَضْرمىٌّ بن عامرٍ فى طنين الذباب :

ما زالَ إهداءُ القَصائدِ بينَنا شَتْمَ الصَّديقِ وكثْرَةَ الألقاب

حتَّى تركت كأنَّ أمْرَكَ بينَهم فى كلِّ مجمعَةٍ طنينُ ذُبَاب [٢]

ويقال : « ما قولى هذا عندك إلّا طنينُ ذُبَاب [٣] » .

(سفاد الذباب وأعمارها)

وللذُّباب وقتٌ تهيج فيهِ للسِّفاد [٤] ، مع قصر أعمارها . وفى الحديث : « أنَّ عُمْرَ الذباب أربعون يوماً » ، ولها أيضاً وقت هَيْجٍ فى [٥] أكْلِ النّاس

---

(١) ط : « فرد » . والصنج ، بالفتح : آلة موسيقية وترية . ط ، س : « بصبح » ، وهى تصحيف ما أثبت من ل . والأسوار : واحد الأساورة ، وهم قواد الفرس ، أو قوم من العجم نزلوا بالبصرة قديما .

(٢) ط وثمار القلوب ٣٩٧ : « فى كل مجتمع » .

(٣) طنين الذباب ، يضرب المثل به للكلام يستهان ولا يبالى به . ثمار القلوب . فى ل : « كطنين ذباب » .

(٤) ل : « وقت هيج للسفاد » .

(٥) ل : « على » .

وعضِّهم ، وشُربِ دمائهم . و [إنما يعرض هذا] الذِّبَّان في[1] [البيوت عند قرب أيَّامها ؛ فإنّ هلاكها يكون بعد ذلك وشيكا . والذِّبَّان] في وقتٍ من الأوقات من حتوف الإبل والدوابِّ .

(علّة شدّة عضّ الذباب)

والذُّباب والبَعوضُ من ذوات الخراطيم ؛ ولذلك اشتدَّ عضُّها وقوِيتْ على خرْق الجلودِ الغِلاظ . وقال الراجز [في وصف البعوضة] : ٩٨

مثل السَّفاةِ دائمٌ طَنينُها[2] ركِّبَ في خُرطومها سِكِّينُها

(ذوات الخراطيم)

وقالوا : ذوات الخراطيم من كلِّ شيء أقوى عضًّا ونَاباً وفكًّا ؛ كالذيب والخنزير ، والكلب . وأمّا الفيل فإنّ خرطومَه هو أنفه ، كما أنَّ لكلِّ شيءٍ من الحيوان أنفا ، وهو يده ، ومنه يُغَنِّي[3] وفيه يجري الصَّوت ، كما يُجري الزَّامرُ الصَّوتَ في القصَبةِ بالنّفخ . ومتى تضاغطَ الهواءُ صوَّتَ على قدْر الضّغْطِ ، أو على قدر الثّقب[4] .

---

(١) زدت هذه الكلمة لحاجة الكلام إليها .

(٢) السفاة : واحدة السفا ، وهو شوك البهمى والسنبل ، أو كل الشوك . والرجز رواه أبو علي في الأمالي (٣ : ١٢٩) . وجاءت روايته عند الدميري : « مثل السفاة دائما طنينها » . وانظر ٥ : ٤٠٢ .

(٣) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « يضني » .

(٤) ل : « السبب » ، وصوابه في ط ، س .

(أمثال من الشعر فى الذباب)

والذباب : اسم الواحد ، والذِّبّان : اسم الجماعة . وإذا أرادوا التَّصغير والتقليلَ ضربوا بالذبَّان المثل . قال الشاعر [١] :

رأيتُ الخبزَ عزَّ لدَيكَ حتَّى ... حَسِبتُ الُخبْزَ فى جوِّ السَّحابِ

وما روّحْتَنا لتذُبَّ عنّا ... ولكنْ خِفْتَ مَرْزِيَة الذُّبابِ [٢]

وقال آخر [٣] :

لما رأيت القَصْرَ أُغْلِقَ بابهُ ... وتعلَّقتْ هَمْدَانُ بالأسباب [٤]

أيقَنتُ أنّ إمَارة [٥] ابن مضارب [٦] ... لم يبق منها قِيسُ أيْرِ [٧] ذبابِ

---

(١) هو أبو الشمقمق كما فى عيون الأخبار (٢ : ٣٦ و ٣ : ٣٤٧) . وجاء فى البخلاء ٥٩ : « وكان أبو الشمقمق يعيب فى طعام جعفر بن أبى زهير ، وكان له ضيفا ، وهو مع ذلك يقول » ، وأنشد البيتين ، كما أعادهما فى ١٠٦ . وقد نسب البيت الثانى مع سابق له غير المروى هنا ، إلى أبى الشيص . انظر محاضرات الراغب (١ : ٣١٨) . وإلى أبى نواس كما فى المحاسن والأضداد ٥٠ والمحاسن والمساوى (٢ : ٢٠٣) . وهو بدون نسبة فى العقد (٦ : ١٩١ تأليف) .

(٢) المرزئة ، بفتح الميم والراء الساكنة بعدها زاى مكسورة ؛ من رزأه : أى أصاب منه شيئا . سهلت الهمزة هنا ، وجاءت بالهمز فى البخلاء وديوان المعانى (١ : ١٨٧) . ورويت فى العقد (٤ : ٢٢٥) : « من دب الذباب ». والدب بالفتح : مصدر دب : مشى على هينته .

(٣) هو عبد الله بن همام السلولى ، كما سيأتى فى (٦ : ٧٦) .

(٤) همدان : قبيلة يمنية . ط ، س : « بالأسلاب » وأثبت مافى ل والجزء السادس وثمار القلوب ٣٩٨ .

(٥) ط ، س : « إثارة » ، وتصحيحه من ل والجزء السادس وثمار القاوب .

(٦) كذا فى ل والجزء السادس . ط ، س : « مجرب » وفى الثمار : « ابنى مقرب » .

(٧) قيس ، بالكسر : قدر . والكلمة التى بعدها هى فى ط : « بن » س : « ابن » وتصحيحه من ل والجزء السادس والثمار .

قال بعضهم : لم يذهب إلى مقدار أيْره[1] ، وإنما ذهب إلى مثل قول ابن أحمر :

ما كنت عنْ قومى بمهتضم[2] لو أنَّ معصيًّا له أمرُ
كلّفتنى مُخَّ[3] البَعوضِ فقدْ أقصرت لا نُجْحٌ ولا عُذْرُ[4]

(ما يَلَغُ من الحيوان وما لا يلَغ)

قال : وليس شىءٌ مما يطيرُ يلَغُ فى الدَّم ، وإنما يلغ فى الدماء من السِّباع ذواتُ الأربع . وأمّا الطّيرُ فإنّها تشربُ حَسوًا ، أو عبَّة بعد عَبّة . ونُغبةً بعد نغبة . وسباع الطَّيرِ قليلة الشُّرب للماء ، والأُسد كذلك . قال أبو زُبَيد الطائىُّ[5] :

تذبُّ عنهُ كفٌّ بها رَمَقٌ طيراً عكوفاً كزُوَّرِ العُرُسِ[6]

---

(١) ط ، س : « أثره » ، وصوابه فى ل والثمار .

(٢) ل : « بذاهلة » .

(٣) ط ، س : « متح » وصوابه من ل والثمار . و « كلفتنى مخ البعوض » مثل يضرب لمن يكلفك الأمور الشاقة . أمثال الميدانى (٢ : ٨٤) .

(٤) النجح ، بالضم : النجاح : ط : « ولا غدر » وتصحيحه من ل والثمار .

(٥) تقدمت ترجمته فى (٢ : ٢٧٤) .

(٦) يقول : إن كفه التى بها بقية من حياة ، تدفع الذباب التى تحاول أن تظل عاكفة عليه مقيمة ؛ لتأكل منه . وهى فى تجمعها كأنه زور العرس قد اجتمعوا له . والعرس : وليمة الزواج ، وقد ضم الراء للشعر . والزور : جمع زائر . وهذا تمثيل جيد بارع . ط : « كذود » وأراها تصحيفا . والبيتان فى صفة أسد صريع ، كما فى الأغانى (١١ : ٢٦) حيث تجد القصيدة . وأنشدهما ابن الشجرى فى حماسته ص ٢٧٣ .

إذا ونى ونْيَةً دَلَفنَ له فهنَّ مِنْ والغٍ ومُنْتَهِسِ[(١)]

قال : والطّير لاتَلغ ، وإنما يلغَ الذباب . وجعله من الطّير ، وهو وإن كان يطير فليس ذلك من أسمائه . فإذ قد جاز أن يستعير له اسم الطائر ، جاز أن يستعير للطير ولْغ السِّباع فيجعَلَ حسْوها ولْغا ، وقال الشاعر :

سراع إلى ولْغِ الدماءِ رماحَهم وفى الحرب والهيجاءِ أُسْدٌضَراغِمُ[(٢)]

(خصلتان محمودتان فى الذباب)

٩٩ قال وفى الذباب خَصْلتانِ من الخصال المحمودة : أمَّا إحداهما فقُربُ الحيلة لصرف أذاها ودفع مكروهها[(٣)] ؛ فمن[(٤)] أراد إخراجَها من البيت فليس بينَهُ وبين أن يكونَ البيتُ على المِقدارِ الأوّلِ من الضِّياءِ والكِنِّ[(٥)] [بعد إخراجها] مع السَّلامة من التأذى بالذبان ـ إلاّ أن يُغْلقَ البابُ ، فإنَّهُنَّ يتبادَرْنَ إلى الخروج ، ويتسابَقْنَ فى طَلب الضوء والهرَب من الظلمةِ ، فإذا أُرخِيَ السِّترُ وفتحَ البابُ عاد الضَّوءُ وسلِمَ أهلَه من مكروهِ الذباب . فإنْ كان فى الباب شقٌ[(٦)] ، وإلاّ جافَى المغلقُ أحدَ البابَين عن صاحبه[(٧)]

---

(١) ونى : أبطأ ، أى عن ذب تلك الطيور ودفعها . دلف : مشى مشية المقيد .

(٢) ل : « سريع » س : « سود ضراغم » ويصح إذا قصرت « الهيجاء » وتكون صحة كتابتها على هذا الوجه : « والهيجا أسود ضراغم » .

(٣) ط : « مكروها » وصوابه فى ل ، س .

(٤) ل : « لمن » .

(٥) الكن بالكسر : الستر . ط ، س : « ولكن » ، والوجه ما أثبت من ل

(٦) لم يذكر الجواب .

(٧) ط ، س : « وإلا جاء فى المغلق أحد ـ س : إحدى ـ البابين من صاحبه » وتصحيحه من ل . وجافى : أبعد .

ولم يطبقه [عليه[١]] إطباقاً . وربّما خرجْن من الفتْح الذى يكون بين أسفل الباب والعتَبة . والحيلةُ فى إخراجها والسَّلامةِ من أذاها يسيرة[٢] ، وليس كذلك البعوض ، لأنَّ البعوضَ إنما يشتدُّ أذاه ، ويقوى سلطانُه ، ويشتدُّ كَلَبُه[٣] فى الظلمةِ ، كما يقوَى سُلطانَ الذبان[٤] فى الضياءِ ، وليس يمكنُ النّاسَ أنْ يُدخلوا منازلَهمْ من الضِّياءِ مايمنعُ عَمَلَ البَعوض ؛ لأنَّ ذلك لايكونَ إلاّ بإِدخال الشَّمسِ ، والبعوض لايكونَ إلّا فى الصَّيف ، وشمسُ الصَّيفِ لاصبْرَ عليها . وليس فى الأرضِ ضياءٌ انفصلَ من الشمس إلّا ومَعه نصيبهُ من الحَرِّ ، وقد يفارق الحرُّ الضياءَ[٥] فى بَعضِ المواضع ، والضِّياءُ لايفارِقُ الحرَّ فى مكانٍ من الأماكن .

فإمكان الحِيلة فى الذباب يسير ، وفى البَعُوض عَسير !

والفضيلة الأُخْرى : أنه لولا أن الذّبابة تأكل البَعُوضة [و] تطلبها وتلتمسها على وجوهِ حيطان البيوت ، وفى الزوايا ، لما كان لأَهلها فيها قَرار !

(الحِكمة فى الذباب)

وذكَر محمدُ بن الجهْم ــ فيما خبَّرنى عَنْه َبعضُ الثقات ــ أنه قال لهم ذاتَ يوم : هل تَعْرِفُون الحِكمة التى استفَدْناها فى الذُّباب[٦] ؟ قالوا : لا .

---

(١) الزيادة من س .

(٢) ط ، س : « يسير » وتصحيحه من ل .

(٣) كلبه ، بالتحريك : شدة رغبته فى العض .

(٤) كذا فى ل ، س . وفى ط : « الذباب » .

(٥) ط : « أيضاً » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٦) ل « الخبر الذى استفدناه فى الذباب » .

قال : بلى ، إنها تأكل البعوض وتصيده وتلقطه وتفنيه[١] : وذلك أنى كنت أريد القائلة[٢] ، فأمرتُ بإخراج الذّباب وطرْحِ السِّترِ وإغلاقِ الباب[٣] قبلَ ذلك بساعة . فإذا خرجن حَصل فى البيت البعوضُ ، فى سلطان البعوض[٤] و[موضِعِ] قوّته . فكنتُ أدخلُ إلى القائلة فيأكلنى البعوضُ أكلا شديداً . فأتيتُ ذاتَ يومٍ المنزِلَ فى وقت القائلة ، فإذا ذلك البيتُ مفتوحٌ ، والسِّترُ مرفوع ، وقد كان الغلمان أغفلوا ذلك فى يومهم ، فلما اضطجَعْتُ للقائلة لم أجد من البعوض شيئاً[٥] وقد كان غضبى اشتدَّ على الغِلمان[٦] ، فنمتُ فى عافية . فلما كان من الغد عادُوا إلى إغلاق البابِ وإخراجِ الذّباب ، فدخلتُ ألتمسُ القائلة ، فإذا البعوضُ كثير . ثمَّ أغفلوا[٧] إغلاقَ البابِ يوماً آخر ، فلما رأيته مفتوحاً شتمتُهُمْ فلمَّا صرتُ إلى القائلة لم أجدْ بعوضةً واحدةً، فقلت فى نفسى [عند ذلك] : أرانى قد نمتُ فى يَوْمَىِ [الإغْفَالِ وَ] التَّضْييع ، وامتَنعَ منِّى النَوْمُ فى أيَّام التحفُّظِ والاحتراس. فلِمَ لا أجرِّبُ ترْكَ إغلاقِ الباب فى يومى هذا. فإن نمتُ[٨] ١٠٠

---

(١) كذا فى ل ، س . وفى ط : « وتصيدها وتلقطها وتفنيها »، وهما صحيحتان .
(٢) القائلة : النوم فى القائلة ، وهو نصف النهار .
(٣) ط : « فاغلاق الباب »، وهو تحريف . والإشارة بكلمة « ذلك » الآتية إلى القائلة .
(٤) ط ، س : « وقوى سلطانه » .
(٥) ل : « لم أجد البعوض كثيراً » .
(٦) ط ، س : « وقد كان الغضب يشتد على الغلمان » .
(٧) فى الأصل « أغلقوا »، والوجه ما أثبت . وانظر ماسيأتى بعد سطر .
(٨) كذا على الصواب فى ل ، س . وفى ط : « تمت » .

ثلاثة أيّام[1] لا ألقى من البَعوضِ أذًى مع فتح الباب ، علمتُ أنَّ الصَّواب فى الجمع بين الذِّبان و [بين[2]] البعوض ؛ فإنَّ الذِّبّان [هى التى] تُفنيه[3] ، وأنَّ صلاحَ أمرنا فى تقريبِ ما كُنَّا نباعد . ففعلتُ ذلك ، فإذا الأمر قد تمّ . فصرنا إذا[4] أردْنا إخراجَ الذِّبّانِ أخرجْناها بأيسرِ حيلة ، وإذا أردنا إفناء البعوض أفنيناها [على أيدى الذِّبّان بأيسر حيلة] .

فهاتان خَصْلتان من مناقب الذِّبّان .

(طبّ القوابل والعجائز)

وكان محمد بن الجهم[5] يقول : لاتتهاونوا بكثيرٍ ممَّا تروْنَ[6] من علاجِ القوابل والعجائز ، فإنّ كثيراً من ذلك إنما وقع إليهنَّ[7] من قدماءِ الأطباء ؛ كالذِّبّان يُلقى فى الإثمِـد ويسحق معه ، فيزيد [ذلك[8]] فى نور البصر ، ونفاذ[9] النظر ، وفى تشديد[10] مراكز [شعر[11]] الأشفار[12] فى حافَات الجُفون .

---

(١) ل : « يومين » .

(٢) من س .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « يفنيه » .

(٤) ط ، س : « إن » .

(٥) ل : « وكان ابن الجهم » .

(٦) ط : « تريدون » وتصحيحه من ل ، س وعيون الأخبار (٢ : ١٠٤) والعقد (٦ : ٢٤٥) .

(٧) ط ، س : « إليهم »، وهى على الصواب فى ل وعيون الأخبار .

(٨) من ل وعيون الأخبار .

(٩) كذا فى ل وعيون الأخبار . وفى ط ، س : « ويقوى » .

(١٠) ط ، س : «ويشد » .

(١١) من ل ، س .

(١٢) الأشفار جمع شفر بالضم ، ويفتح ، وهو أصل منبت الشعر فى الجفن .

(نفع دوام النظر إلى الخضرة)

وقلت له مرّة : قيل لماسَرجَويه : ما بالُ الأكَرَة[١] وسُكَّان البساتين ، مع أكلهم الكرَّاث والتمر ، وشربهم ماء السّواقى على المالح[٢] أقلَّ النَّاس خُفْشانا [وعميانا] وعُمْشانا[٣] وعورا ؟ قال : إنى فكّرت فى ذلك فلم أجد له علّةً إلَّا طولَ وُقوع أبصارِهِمْ على الُخضْرة .

(من لا يتقزّز من الذّبّان والزنابير والدّود)

قال ابن الجهم : ومن أهل السُّفالة[٤] ناسٌ يأكلون الذّبان ، [وهُمْ] لا يرمدون. وليس لذلك أكلوه[٥] وإنما هُمْ كأهل خُراسان الذين يأكلون فراخ الزَّنابير ، والزَّنابير ذِبان ، وأصحاب الجبن الرَّطب يأخذون الجبنة التى قد نَغِلت[٦] دوداً ، فينكتها [أَحَدُهم[٧]] حتَّى يخرُج مافيها من الدُّود فى راحَتِه ، ثمَّ يقمَحُها كما يقمَحُ السَّويق[٨]. وكان الفرزدق يقول : ليت أنَّهُمْ دفعوا إلىَّ

---

(١) الأكرة : جمع أكار ، وهو الحراث .

(٢) كذا . وفى عيون الأخبار (٢ : ١٠٨) : « وشربهم الماء الحار على السمك المالح » .

(٣) الأخفش : الضيق العينين ، أو الذى ضعف بصره خلقة ، أو الذى فسد جفنه بلا وجع . ط ، س : « خفشانا وعشيانا » . والأعشى : الذى لا يبصر ليلا .

(٤) السفالة ، بالضم من بلاد الزنج .

(٥) ط : « أكلوا » .

(٦) نغلت : فسدت .

(٧) ليست بالأصل، والكلام فى حاجة إليها .

(٨) قمح السويق ، كفرح : استفه . والكلام من : « يأخذون » إلى هنا ، ساقط من ل .

نصيبى من الذبان ضَرْبة واحدة ، بشرط أنْ آكله لراحة الأبد منها[١] . وكان كما زعموا[٢] شديدَ التقذُّر لها [والتقزُّز][٣] منها .

(دعوتان طريفتان لأحد القصاص)

وقال ثُمامة : تساقط[٤] الذبّان فى مَرَق بَعض القصَّاص وعلى وجْهه فقال : كثَّر اللهُ بكنّ القبور !

وحكى ثمامة عن هذا القاصِّ أنه سمعه بعَبَّادَان[٥] يقول فى قَصَصِه : اللهمَّ مُنَّ علينا بالشهادةِ ، وعلى جميع المسلمين !

(قصَّة فى عمر الذُّباب)

وقال لى المكِّىُّ مرَّة : إنما عمر الذبّان أربعونَ يوماً . قلت[٦] : هكذا جاء فى الأثر . وكنّا يومئذ بواسط فى أيَّام العسكر[٧] وليس بَعْدَ أرض

---

(١) ضمير « آكله » للنصيب ، وضمير « منها » للذبان . ل : « منه » والتذكير والتأنيث جائزان .

(٢) ل : « وكان زعموا » .

(٣) هذه من س . وكلمة « لها » ساقطة من ل .

(٤) كذا فى ل والبيان (٢ : ٣١٧) وفى ط ، س والعقد (٤ : ٢٠٠) : « وقع » .

(٥) عبادان : جزيرة فى دجلة ، قرب مصبها . وفى العقد : « ببغداد » .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أربعين » ، ولا تصح هذه إلا بجعل « عمر » فعلا .

(٧) ل : « العساكر » . وانظر ماورد فى ص ٣٤٧ .

الهنْد أكثرُ ذبَاباً من واسط ، ولربّما رأيتَ الحائطَ وكَأَنَّ عليهِ مِسْحا[١] شديدَ السَّواد من كثْرة ما عليه من[٢] الذبّان . فقلت للمكّيِّ : أحسب الذبَّان يموت[٣] فى كل أربعين يوماً ، وإن شئت فى[٤] أكثرَ ، وإن شئت فى أقلَّ. ونحنُ كما ترى ندوسُها بأَرجلنا ، ونحن ها هنا مقيمون من أكثر من أربعين يوماً[٥] ، بل منذ أشهر [وأشهر] ، وما رأينا ذباباً واحداً ميّتاً . فلوكان ١٠١ الأمر على ذلك لرأينا الموتى كما رأينا الأحياء . قال : إنَّ الذّبابة إذا أرادتْ أن تموت ذهبتْ إلى بعض الخرِبات[٦] . قلت : فإنّا قد دخلنا كلَّ خَرِبةٍ[٧] فى الدُّنْيا ، مَا رأينَا فيها قطْ ذبابا ميّتا .

(المَكِّيُّ)

وكان المكيّ طيّباً[٨] طيّب الحُجَج ، ظَرِيفَ الحِيَل[٩] ، عجيبَ العلل وكان يدَّعى كلَّ شيءٍ على غاية الإحكام ، ولم يُحْكِمْ شيئاً قطُّ ، [لا] من

---

(١) المسح ، بالكسر : الكساء من الشعر ، جمعه أمساح ومسوح . قال أبو ذؤيب :
ثم شربن بنبط والجمال كأ ن الرشح منهن بالآباط أمساح

(٢) ط ، س : « من كثرة الذبان الذى عليه » .

(٣) ل : « أحسب أن الذبابة تموت » .

(٤) ط ، س : « فى » .

(٥) ط ، س : « منذ أربعين يوما » .

(٦) الخربات : جمع خربة ، كفرحة ، وهى موضع الخراب . ط ، س : « الخزايب » وصوابه ما أثبت . ل : « الخرابات » ، ولم أر هذا الجمع ولا مفرده .

(٧) ط ، س : « خربة » ، وهى على الصواب فى ل .

(٨) طيبا ، أى ظريفا فكها . وانظر هذا الجزء ص ٦ . س : « طبيبا » .

(٩) ل : « كثير الحيل » .

الجليل ولا من الدَّقيق . وإذْ قد جرى ذِكره فسأحدِّثك ببعضِ أحاديثِه ، وأخبرك عن بعض علله ؛ لِتَلَهَّى[1] بها ساعةً ، ثمَّ نعودَ إلى [بقية] ذكر الذِّبَّان .

(نَوادر للمكّىّ)

ادّعى هذا المكّىُّ البَصَرَ بالبراذين ، ونظرَ إلى برذونٍ واقف ، قد ألقى صاحبه [فى] فيه اللِّجام ، فرأى فأسَ اللِّجام[2] وأين بَلَغَ منه ، فقال لى : العجب ! كيف لا يذْرَعُه القىء ، وأنا لو أدخلت إصبعى [الصغرى] فى حلقى لما بَقِيَ فى جوفى شىءٌ إلَّا خرج ؟ ! قلت : الآنَ علمتُ أنَّك تُبْصر[3] ! ثمَّ مكث البرذَونَ ساعةً يلوكُ لجامه ، فأقبل علىَّ فقال لى : كيف لا يبرُدُ أسنانَه ؟ ! قلت : إنما يكون [علم هذا] عند البصراءِ مثلِك ! ثمّ رأى البِرذَونَ كلَّما لاكَ اللِّجامَ والحديدةَ[4] سال لعابُه على الأرض فأقبل عَلَىَّ وقال : لولا أنَّ البِرذَونَ أَفسَدُ الخلق عقلاً لكان ذهنُه قد صفا[5] ! قلت له : قد كنت أَشكُّ فى بَصرك بالدَّوابّ ، فأمَّا بعْدَ هذا فلستُ أَشكُّ فيه !

---

(١) ل : « لتتلهى » ، وحذف التاء فى مثل هذا جائز .

(٢) فأس اللجام : الحديدة القائمة فى الحنك .

(٣) ل : « بصير » .

(٤) لاكه يلوكه لوكا : عضه . ل : « كلما لاك الحديدة » .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فقال لى إن البرذون أفسد الخلق عقلا ، ولولا ذلك لكان ذهنه قد صفى » .

وقلت له مرّةً ونحن فى طريق بغداد: مَا بالُ الفرْسَخِ فى هذه الطريق يكون فرسخين ، والفرسخ يكون أَقلَّ من مقدار نصفِ فرسخ ؟ ! ففكَّر طويلا ثمَّ قال : كان كِسرى يُقْطِعُ للنّاس الفراسخ ، فإذا صانَعَ صاحبَ القطيعة زادوه ، وإذا لم يصانعْ نقصوه !

وقلت له مَرَّةً : علمتُ أَنّ الشارى[1] حدّثنى أَنَّ المخلوعَ[2] بعث إلى المأمونِ بجرابٍ فيه سمسِم ؛ كأَنّه يخبِرُ أَنَّ عندَه من الجند بعددِ ذلك [الحبّ] وأنَّ المأمونَ بعث إليه بديكٍ أعورَ ، يريد أنَّ طاهر بن الحسين[3] يقتُلُ هؤلاءِ كلَّهم ، كما يلقط الدِّيك الحبَّ ! قال : فإِنَّ هذا الحديث أنا ولَّدته . ولكن انظرْ كيفَ سار فى الآفاق ؟ !

وأحاديثه وأعاجيبه كثيرة .

---

(١) ل : « السيارى » .

(٢) المخلوع هو محمد الأمين بن هارون الرشيد ، وهو أخو المأمون .

(٣) طاهر بن الحسين ، كان الساعد الأيمن للمأمون . ولما خلع المأمون بيعة أخيه الأمين أرسل طاهراً إلى محاربته ، فوجه الأمين على بن عيسى لملاقاة طاهر ، فلقيه بالرى فقتله طاهر سنة ١٩٥ وتقدم طاهر إلى بغداد وأخذ ما فى طريقه من البلاد وحاصر بغداد والأمين بها ، فقتله سنة ١٩٨ ، وحمل رأسه إلى خراسان ووضعه بين يدى المأمون ، وعقد للمأمون على الخلافة . ولد طاهر سنة ١٥٩ وتوفى سنة ٢٠٧ . وكانت له عين واحدة ، فى ذلك يقول عمرو بن بانة :

ياذا اليمينين وعين واحده نقصان عين ويمين زائده

(معارف فى الذّباب)

ثمَّ رجع بنا القولُ إلى صلةِ كلامِنا فى الإخبار عن الذّبّان .

فأمّا سكّان بلاد الهند فإنّهم لا يطبُخون قِدرًا ، ولا يعملون حَلْوَى[1] ولا يكادون يأكلون إلّا ليلاً ؛ لِمَا يتهافت من الذِّبّان فى طعامهم . وهذا يدلُّ على عفَنِ التُّربة و َلخَنِ الهواء .

وللذِّبّانِ يعاسيبُ وجِحْلانٌ[2] ، ولكن ليس لها قائدٌ ولا أمير . ولو كانتْ هذه الأصناف التى يحرسُ بعضها بعضاً ، وتتّخذ رئيساً يدبِّرها ويحوطها ، إنّما أخرج[3] ذلك منها العقْلُ دونَ الطّبع ، وكالشيء يخصُّ به البعض دون الكلّ[4] — لكان الذّرُّ [وَالنَّمْلُ] أَحقَّ بذلك من الكراكىِّ والغرانيق[5] والثِّيران ، ولكان الفيلُ أحقَّ به من البعير ؛ لأنه ليس للذّرِّ قائدٌ ولا حارس، ولا يعسوبٌ يجمعها ويحميها بعضَ المواضع ، ويوردها بعضاً . ١٠٢

---

(١) فى الأصل : « الحلوا » ، وإنما هى «الحلوى» تقصر وتمد .

(٢) الجحلان ، بتقديم الجيم المكسورة على الحاء : جمع جحل بالفتح ، وهو العظيم من اليعاسيب . واليعاسيب هى كبار الذباب كما نقل الدميرى عن الجاحظ . ولفظ « الجحلان » جاء فى الأصل بتقديم الحاء ، وهو تصحيف .

(٣) ل ، س : « خرج » .

(٤) ل : « دون البعض » ، ومؤدى العبارتين واحد .

(٥) الغرانيق : جمع غرنيق ، بضم الغين وفتح النون ، وهو طائر أبيض طويل العنق من طير الماء . ويطلق فى العراق على مايسمى بالإوز العراقى .

وكلُّ قائدٍ فهو يعسوبُ ذلك الجنسِ المَقُود . وهذا الاسم مستعارٌ من فحل النَّحل وأمير العَسَّالات[١] .

وقال الشاعر[٢] وهو يعنى الثَّور :

كما ضُربَ اليعسوبُ إذ عاف باقِرٌ   وما ذنْبُه إذ عافَتِ الماءَ باقِرُ

وكما قال على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فى صلاح الزَّمان[٣] وفساده : « فإذا كان ذلك ضَربَ يعسوبُ الدِّين بذَنَبِه[٤] » .

وعلى ذلك المعنى قال حين مَرَّ بعبد الرحمن بن عتَّاب [بن أسيد][٥] قتيلا يوم الجمل : « لهفى عليكَ يَعْسُوبَ قريش ! جدَعْتَ أنْفِى وشفَيْتَ نفسى ! » .

قالوا : وعلى هذا المعنى قيل : « يعسوب الطُّفاوة[٦] » .

---

(١) العسالات : النحل التى تخرج العسل .

(٢) هو الهيبان الفهمى ، كما سبق فى (١ : ١٩) .

(٣) ط ، س : « الذبان » ، وهو تحريف طيب ، صوابه فى ل .

(٤) يعسوب الدين : سيد الناس ورئيسهم فى الدين . وضرب ، أى ضرب فى الأرض مسافرا أو مجاهداً . وبذنبه أى أتباعه الذين يتبعونه على رأيه . وللعبارة معان أخر تـكفل بها صاحب اللسان .

(٥) عبد الرحمن بن عتاب ، أحد الرواة الذين ولدوا فى آخر عهد الرسول . وقد شهد وقعة الجمل مع عائشة ، والتقى هو والأشتر فقتله الأشتر ، وقيل قتله جندب بن زهير ورآه على وهو قتيل فقال ما قال . الإصابة ٦٢٢٠ والمعارف ١٢٣ . و « أسيد » ضبط فى الإصابة ٥٠٣٨٣ والاشتقاق ٧٨ بتحقيقنا بفتح الهمزة. قال ابن دريد : « وأسيد : فعيل من قولهم أسد يأسد أسدا إذا صار كالأسد . وفى اللسان (عسب) بضمها على هيئة التصغير ، تحريف.

(٦) الطفاوة ، بالضم : حى من قيس عيلان . وليت شعرى من سمى بهذا اللقب .

(أقذر الحيوان)

وزعم بعض الحكماء أنَّه لا ينبغى أن يكون فى الأرض شىءٌ من الأشياء أنتنُ من العَذِرة ، فكذلك لا شىء أقذَرُ من الذِّبَّان والقمل . وأمَّا العَذرة فلولا أنَّها كذلكَ لكان الإنسان مع طول رُؤيتِه لهَا ، وكثرةِ شمِّه لها من نفسه فى كلِّ يوم صباحًا ومَساء ، لقد كان ينبغى أن يكونَ قد ذهَب تقذُّرُهُ له على الأيَّام[1] ، أو تمَحَّق[2] ، أو دخله[3] النَّقص . فثباتُها ستِّين عامًا وأكْثَرَ وَأقَلّ على مقدار واحد [من النتن] فى أنفِ الرَّجل ومنهم من وجدناه بعد مائة عام كذلك[4] ، وقد رأينا المِران[5] والعاداتِ وصنيعَها فى الطَّبائع ، وكيف تهوِّن الشديدَ ، وتقلِّل الكثير . فلولا أنَّها فوقَ كلِّ شىءٍ من النَّتْنِ ، لَما ثبتَتْ هذا الثَّباتَ ، ولعَرض لها ما يعرِض لسائرِ النَّتْنِ . وبَعْد فلو كان إنَّما يشَمُّ شيئاً خرجَ من جوفِ غيره ولم

---

(١) ط ، س « أن يكون ذلك قد أذهب تقذره له على الأيام » . ل : « أن يكون ذلك قد ذهب على الأيام » ، وقد عدلت القول بما ترى

(٢) تمحق : امحى وذهب . ط ، س : « يمحق » ، وأثبت ما فى ل .

(٣) ط ، س : « يدخله » .

(٤) ل : « فى أنف من وجده ألف عام كذلك » .

(٥) لم أر المران بمعنى التعود والإلف . ووجدته مصدراً لمارنت الناقة مرانا ، إذا ظهر أنها قد لقحت ولم يكن بها لقاح . وأما المعنى الأول فلفظه المرون والمرونة والمرانة . ط ، س : « المرات » تحريف .

يخرجْ من جوفِ نفسه ، لـكان ذلك أشْبَه . فإذْ قد ثبت فى أنفه على هذا المقْدار[١] ، وهو منه دونَ غيره ، وحتَّى صار يجدُه أنْتَنَ من رَجيع [جميع] الأجناس — فليس ذلك إلاَّ لما قد خُصَّ به من المـكروه .

وكذلك القول فى القمل الذى إنَّمَا يُخْلق من عَرَق الانسان ، ومن رائحته ، ووسَخِ جلده ، وبخار بدنه . وكذلك الذِّبَّانُ المخالطةُ لهُمْ فى جميع الحالات ، والملابِسَةُ لهم دُونَ جميعِ الهوامِّ والهمَجِ والطَّيرِ والبهائمِ والسِّباع حَتَّى تـكون ألزمَ من كلِّ ملازم ، وأقربَ من كلِّ قريب ؛ حتى ما يمتنعُ عليه شىءٌ من بدن الإنسانِ ، ولا من ثوبه ، ولا من طعامِهِ ، ولا مِن شرَابِهِ ، [حَتَّى لزمه لزوماً] لم يلزمه شىء[٢] قطُّ كلزومه ، حتى إنّه يسافر السَّفَرَ البعيدَ من مواضع الخِصْب ، فيقطعُ البرارىَّ والقِفارَ التى ليس فيها ولا بقربهـا نباتٌ ولا ماءٌ ولا حيوان ، ثمَّ مع ذلك يتوخَّى عند الحاجة إلى الغائط فى تلك البرِّيّة أنْ يفارق أصحابَه ، فيتباعدُ فى الأرض ، وفى صحراء خلْقاء[٣] ، فإذا تبرَّزَ فمتى وقع بصرُه على بَرازِهِ رأى الذِّبَّانَ ساقطا عليه . فقَبْلَ ذلك ما كان يَراه . فإن كان الذُّبابُ شيئاً يتخلَّق له فى تلك الساعة فهذه أعجبُ مما رآه ومما أردنا[٤] ، وأكثرُ ممَّـا قلنا . وإن كان قد كان ساقطاً على الصُّخورِ المُلْسِ ، والبِقاعِ الجُرْدِ ، فى اليوم القائظِ ، وفى الهاجرةِ

١٠٣

---

(١) ط ، س : « على هذا المقدار من النتن » .

(٢) ط ، س : « ولا من شرابه لم يلزم شيئا » وله وجه .

(٣) الخلقاء : المصمتة التى لا نبات فيها ، الملساء . ل : « صخرة ملساء » .

(٤) ط فقط : « أردناه » . ل : « أعجب ما أردنا » .

التى تَشْوِى كلَّ شىء ، وينتظِرُ مجيئه ـ فهذ أعجبُ ممَّا قلنا . وإن كانت قد تبعته من الأمصار ، إمَّا طائرةً(١) معه ، وإمَّا ساقطةً عليه ، فلما تبرَّزَ انتقلتْ عنه إلى بَرازه ، فهذا تحقيقٌ لقولنا إنّه لا يلزَمُ الإنسانَ شىءٌ لزومَ الذُّباب ؛ لأنَّ العصافيرَ ، والخطاطيف ، والزَّرازير ، والسَّنانيرَ ، والكلابَ وكلَّ شىءٍ يألفُ النَّاسَ ، فهو يقيمُ مع النَّاس . فإذا مضى الإنسانُ فى سفره ، فصار كالمستوحش(٢) ، وكالنَّازل بالقِفار ، فكلُّ شىءٍ أهلىٍّ يألفُ النَّاسَ فإنَّما هو مقيمٌ على [مثل] ما كان من إلفه لهم ، لا يتبعهم من دورِ النَّاسِ إلى منازل الوحش ؛ إلاَّ الذِّبَّان .

قال : فإذا كان الإنسانُ يستقذِرُ الذِّبَّان فى مَرَقه وفى طعامِهِ هذا الاستقذارَ ، ويستقذِرُ القَمْلَ مع محلِّه من القَرابَةِ والنِّسبةِ هذا الاستقذار فمعلومٌ أنَّ ذلك لم يكن إلَّا لمَا خصّ به من القذَر . وإلَّا فبدون هذه القرابةِ وهذه الملابَسَةِ ، تطيبُ الأنفُس عن كثيرٍ من المحبوب .

(إلحاح الذُّباب)

قال : وفى الذِّبَّان خُبْرٌ آخَر : وذلك أنهُنَّ ربَّما تعوَّدْنَ المبيتَ على خُوصِ فَسيلةٍ وأقلابها(٣) من فسائل الدُّور ، أو شجرةٍ ، أو كِلَّةٍ(٤) ، [أوْ]

---

(١) ط ، س : « سائرة » والوجه ما أثبت من ل .

(٢) المستوحش : ضد المستأنس . ط س : « كالمتوحش » .

(٣) الفسيلة كـكريمة : النخلة الصغيرة . والأقلاب : جمع قلب ، بالضم ، وهو شحمة النخلة أو أجود خوصها .

(٤) الكلة ، بالكسر : الستر الرقيق ، والغشاء الرقيق يتوقى به من البعوض . ط ، س : « أو بلة » .

بابٍ ، أو سقفِ بيت ، فيُطْرَدْن إذا اجتمعن لوقتهنّ عند المساء[١] ليلتين أو ثلاث ليال ، فيتفرقْنَ أو يهجُرْن ذلك المكان فى المُسْتَقْبَلِ ، وَإِنْ كانَ ذلِك المكانَ قريباً ، وهو لهنّ معرَّض ، ثمَّ لايدعْنَ أن يلتمِسْنَ مبيتاً غيرَه . ولا يعرض لهنّ من اللَّجاجِ فى مثل ذلك ، مثلُ الذى يعرِض لهنّ من كثرة الرُّجوعِ إلى العينين والأنف بعدَ الذَّبِّ والطَّرْد ، وبعدَ الاجتهادِ فى ذلك .

(أذى الذباب ونحوها)

وقال محمَّد بن حرب[٢] : ينبغى أن يكونَ الذِّبّانُ سُماً نَاقِعاً ؛ لأنَّ كُلَّ شىءٍ يشتدُّ أذاه باللّمس من غيره ، فهو بالمداخلة والملابسة أجْدَرُ أن يؤذىَ . وهذه الأفاعى والثَّعابينُ والجرَّارات[٣] قد تمسُّ جلودَها ناسٌ فلا تضرُّهم[٤] إلّا بأن تلابسَ إبرةُ العقربِ ونَابُ الأفعى الدَّم . [ونحن] قد نجد الرَّجُلَ يدخُل [فى خَرْق أنفِه ذبَابٌ ، فيجولُ فى أوله من غير أنْ يجاوزَ [ما حاذى]

---

(١) ط ، س : « العشاء » .

(٢) هو أبو على محمد بن حرب الهلالى ، كان من أعلام متكلمى الخوارج ، وكان من البلغاء الأبيناء ، وكتب للأمين . انظر الفهرست ٢٥٨ ، ١٨٢ . وقد روى عنه الجاحظ فى غير ما موضع من البيان .

(٣) الجرارات : ضرب من العقارب صغار تجرر أذنابها ، وهن أشد العقارب فتكا . ط ، س : « والجرار » ، وهى على الصواب فى ل .

(٤) ط : « ولا وتضرهم » محرفة .

روثَة أنفه وأرنبَته[١] فيخرجه الإنسانُ من جوفِ أنفه بالنّفخِ وشدَّة النَّفَس ولم يكن له هنالك لَبْثٌ ، ولا كان منه عضّ ، وليس إلاّ ما مسّ[٢] بقوائمه وأطراف جناحيه ، فيقع [فى[٣]] ذلك المكان من أنْفه ، من الدَّغدغة والأُكال[٤] والحِكَّة ، ما لا يصنع الخرْدَل[٥] وبَصَلُ النَّرجِسِ ، ولبنُ التِّين . فليس يكون ذلك منه إلّا وفى طبعه من مضادَّةِ طباع الإنسان ما لا يبلغه مضادَّةُ شيءٍ وإن أفرط .

١٠٤

قال : وليس الشّأنُ فى أنّه لم ينخُس[٦] ، ولم يجرح ، ولم يَخِزْ[٧] ولم يَعضّ ، ولم [يغمز] ، ولم يخدش . وإنّما هو على قدْر منافرةِ الطِّباعِ للطباع ، وعلَى قدر القَرابةِ والمشاكلةِ .

---

(١) روثة الأنف : طرف الأرنبة . والأرنبة : طرف الأنف . ط ، س : « روث أنفه »، وصحته فى ل .

(٢) ط : « بما »، وهذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) الأكال ، بالضم : الحكة .

(٥) الخردل : نبت يسمى بمصر (الكبر) بالتحريك ، يخرج كثيراً مع البرسيم ، وله بذر حار . ومن طريف ماروى داود ، أن أهل مصر يأكلونه مع الشواء فى عيد الأضحى . وبدل هذه الكلمة فى ل : « الحرب » ، صوابها « الحرف » كقفل ، وهو حب الرشاد .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « يخمش » .

(٧) ط ، س : « يغمز » .

(الأصوات المكروهة)

[و] قد نجدُ الإنسانَ يغتَمُّ بِتَنَقُّضِ[1] الفتيلة وصوْتِها عندَ قربِ انطفاء النار ، [أ] وْ لبعض البلَل يكون قد خالط الفتيلة ، ولا يكون الصَّوت بالشَّديد[2] ، ولكنَّ الاغتمامَ به ، والتكَرُّه له ، يكونُ فى مقدارِ ما يعتريه من أشدِّ الأصوات . ومنْ ذلك المكروهُ الذى يدخُلُ عَلَى الإنسان من غَطيط النَّائم ، وليست تلك الكراهةُ لعلَّةِ الشِّدّةِ والصَّلابة ، ولكن من قِبَلِ الصُّورَةِ والمقدار ، وإنْ لم يكن من قبل الجنس[3] . وكذلك صوتُ احتكاك الآجُرِّ الجديدِ بعضِه ببعض ، وكذلك شجر الآجَام عَلَى الأجراف[4] ؛ فإنَّ النّفسَ تكرهُه كما تكرهُ صوتَ الصَّاعقة . ولو كان عَلَى ثِقةٍ من السَّلامة من الاحتراق ، لَمَا احتفَل بالصَّاعقةِ ذلك الاحتفالَ . ولعلَّ ذلك الصَّوت وحدَه ألاّ يقتله[5] . فأمَّا الذى نشاهدُ اليومَ الأمْرَ عليه ، فإنّه متى قرُب منه قتله . ولعلَّ ذلك إنَّما هو لأنَّ الشّى إذا اشتدّ صَدْمُه[6] فَسَخَ القوّة

---

(١) تنقضت الفتيلة : صوتت . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « بتقض »، وفى س ، ل : « بتنفض » .

(٢) ط : « بالشر » وتصحيحه من ل ، س .

(٣) ط : « إذا لم يكن من قبل الجنس » .

(٤) الآجام : جمع أجمة ، وهى الشجر الكثير الملتف . والأجراف : جمع جرف بالضم وبضمتين ، وهو ما أكل السيل من أسفل شق الوادى والنهر .

(٥) ل : « ولعل ذلك الصوت أن لو خالطه لم يقتله » .

(٦) ط ، س : « صوته » .

أو لعلَّ الهواء الذى فيه[١] الإنسانُ والمحيط [به] أن يحمَى ويستحيلَ نارًا[٢] ؛ للذى قَدْ شارك ذلك الصَّوتَ من النّار . وهم لم يجدوا الصَّوتَ[٣] شديدا جدًّا إلَّا مَا خالَطَ منه النّار .

(ما يقتاتُ بالذِّباب)

وقال ابن حرب : الذِّبّان قوتُ خلْقٍ كثيرٍ من خلق الله عزّ وجلّ ، وهو قوتُ الفراريج ، والخفافيش ، والعنكبوت ، والخُلْد[٤] ، وضروبٍ كثيرةٍ من الهَمَج ، همجِ الطير ، وحشرات السّباع[٥] . فأَمّا الطّير والسُّودَانِيَّات[٦] ، والحصَانيّات[٧] ، والشاهْمُرْكات[٨] ، وغير ذلك من أصنافِ الطّير ؛ وأمّا الضِّباع ــ فإنّها تأْكل الجيف ، وتدع فى أفواهها فُضُولاً ، وتفتَحُ أفواهَها

---

(١) ل : « فى » .

(٢) كذا فى ل واللسان (صعق ٦٧) . وفى س : « يستحر » وفى ط : « ويستحر » .

(٣) ط ، س : « وهم لم يجدوا الصوت من النار » . والوجه ما أثبت من ل .

(٤) الخلد ، بالضم ويفتح : دابة عمياء صماء ، سيتحدث عنها الجاحظ فى (٦ : ٤١١)

(٥) كذا .

(٦) السودانيات : الزرازير . ل : « وكالسودانيات » تحريف .

(٧) فى القاموس : « الحصانيات : طير » . ط س : « الحضانيات » ، تصحيف صوابه فى ل .

(٨) الشاهمرك ، ويقال الشاهمرج كما ورد فى المخصص (٨ : ١٥٢) : كل طائر طويل الساقين . بذا فسره شيخ المحققين الأب أنستاس مارى فى رسالة إلى . وقال : «هو بالفرنسية : Echassier ، وبالمعنى المتقدم فى الفارسية » . قلت : قد ضبطت هذه الكلمة وفسرت خطأ فى (١ : ٢٨) . وقد عده الجاحظ من الحيوان آكل الحيات (١ : ٢٨ ، ٦ : ١٢٤) .

للذِّبَّان ، فإذا احتشَتْ ضمَّت عليها . فهذه إنّما تصيد الذِّبَّانَ بنوعٍ واحدٍ ، وهو الاختطافُ والاختلاس ، وإعجالها عن الوثوب إذا تلقّطته بأطراف المناقير ، أو كبعض ما ذكرنا من إطباق الفم عليها .

(صيد اللَّيث للذُّباب)

فأمَّا الصَّيدُ الذى ليس للكلب ، ولا لعَنَاق الأرض[1] ، ولا للفهد ، ولا لشيءٍ من ذوات الأربع مثلُه فى الحِذْق والخَتْل والمداراة ، وفى صواب الوثْبةِ ، وفى التسدُّدِ وسرعة الخطف ، [فليس[2]] مثل الذى يقال له الليث وهو الصِّنف المعروفُ من العناكب بصيد الذِّبّان[3] ؛ فإنّك تجدُه إذا عاين الذِّبَّانَ ساقطاً ، كيف يَلْطأ[4] بالأرضِ ، وكيف يسكِّن جميعَ جوارحِه للوثْبة ، وكيفَ يؤخِّر ذلك إلى وقت الغِرَّة ، وكيف يريها أنّه عنها لاهٍ ؛ فإنّك ترى من ذلك شيئا لم تر مثله من فهدٍ قطُّ ، وإن كان الفهدُ موصوفا منعوتاً . ١٠٥

---

(١) عناق الأرض : دابة نحو الكلب الصغير تصيد صيداً حسنا . الحيوان (٦ : ٣٥٢) فى الأصل : « لعتاق » بالتاء ، وهو خطأ .

(٢) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

(٣) ل : « وهو صنف من العناكب » .

(٤) لطأ بالأرض ، كمنع وفرح : لصق . ط ، س : « يلتطئ » .

واعلم أنّه قد ينبغى ألّا يكونَ فى الأرض شىءٌ أصيَدُ منه ؛ لأنّه لا يطير، ولا يصيدُ إلاّ ما يطير ! ويصيدُ طائرًا شديدَ الحذر ، ثمّ يصيد صيّادًا ! لأن الذّباب يصيد البعوض . وخديعتك للخدّاع أعجبُ ، ومكرُكَ بالماكِرِ أغرب ! فكذلك يكون صيدُ هذا الفن[1] من العنكبوت .

(صيد الوزغ والزنابير للذباب)

وزعم الجردانى[2] أنّ الوزغَ تَخْتِلُ الذّبانَ ، وتصيدُها صيدًا حسناً شبيهاً بصيد اللّيث .

قال : والزُّنبور حريصٌ على صيدِ الذّبّان ، ولكنه لا يطمع فيها إلاّ أن تكون ساقطةً على خَرْءٍ ، دونَ كلِّ تمروعسل ؛ لشدّة عجبها بالُخرْء ، وتَشاغلها به ! فعند ذلك يطمَعُ فيه الزنبور ويصيده .

وزعم الجردانى[3] وتابعه كيسان : أنّ الفهدَ إنما أخَذ ذٰلِكَ عن اللّيث . ومتى رآه[4] الفهدُ يصيد الذّبّانَ حتى تَعلّم منه ؟ ! فظننت أنّهما قلّدَا فى ذلك بعض مَنْ إذا مَدَحَ شيئاً أسرف فيه .

---

(١) الفن : الضرب والنوع . ل : « الفز » ، وهو تحريف .
(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل . وبدلها فى س : « الجرذابى » .
(٣) س : « الجرذابى » . ل : « الجرادى » .
(٤) ل : « وحتى » ، وهو تحريف .

(تقليد الحيوان للحيوان وتعلمه منه)

ويزعمون أنّ السّبع الصَّيُودَ إذا كان مع سبعٍ هو أصْيَدُ منه ، تعلَّمَ منهُ وأخَذَ عنه . وهذا لم أحقّه . فأمّا الذى لا أشكُّ فيه فأنَّ الطائرَ الحَسَنَ الصَّوتِ الملحِّنَ ، إذا كان مع نوائح [الطَّيرِ][1] ومغنِّياتها ، فكان بقربِ الطَّائرِ[2] من شِكله ، وهو أحذق منه [وأكرز][3] وأمهر ، جاوبَه وحكاه ، وتعلَّم منه ، أو صنَع شيئاً يقوم مقامَ التعلُّم .

(تعليم البراذين والطير)

والبِرذَونُ يُراضُ فيعرِفُ مايراد منه ، فيعين على نفسه . وربّما استأجروا للطّيرِ رجُلاً يعلِّمها . فأمّا الذى رأيتَه أنا فى البلابل ، فقد رأيتُ رجُلاً يُدْعَى لها فيطارِحُها من شكل أصواتها .

(ما يخترع الأصوات واللحون من الطير)

وفى الطّيرِ مايخترع الأصواتَ واللُّحون التى لم يُسمَع بمثلها قطُّ من المؤلِّف للُّحونِ من النَّاس ؛ فإنّه ربّما أنشأ لحناً لَمْ يمرّ على أسماع[4] المغنِّين قطُّ .

---

(١) ليست بالأصل .
(٢) ط : « يقرب » .
(٣) أكرز بمعنى أحذق .
(٤) ط : « سماع » .

وأكثرُ ما يجدون ذلك من الطَّير فى القمارىِّ ، وفى السُّودَانيات[1] ، ثمَّ فى الكرارِزة[2] . وهى تأْكل الذِّبّان أكلاً ذريعاً .

(اللَّجوج من الحيوان)

ويقال إن اللَّجاج فى ثلاثةٍ أجناسٍ من بينِ جميع الحيوان : الخنفساء ، والذُّباب ، والدُّودة الحمراء ؛ فإنَّها فى إبَّانِ ذلك تَرومُ الصُّعودَ إلى السَّقف ، وتمرُّ على الحائط الأملس شيئا قليلا فتسقطُ وتعود ، ثمَّ لا تَزال تَزداد شيئا ثمَّ تسقط ، إلى أن تمضىَ إلى باطن السَّقف ، فربما سقطتَ ولَمْ يبق عليها إلَّا مقدارُ إصبع ، ثمَّ تعود .

(لجاج الخنفساء واعتقاد المفاليس فيها)

والخنفساء تُقْبِلُ قِبَلَ الإنسانِ فيدفعُها ، فتبعُد بقدر تلك الطَّردة والدَّفعة ثمَّ تعود أيضاً ، فيصنع بها أشدَّ من تلك ثمَّ تعود ، حتَّى ربما كان ذلك سبباً لغضبه ، ويكون غضَبُه سبباً لقتلها .

---

(١) السودانيات : الزرازير .

(٢) الكرارزة : جمع كرّز ، كقبر ، وهو البازى . ط ، س : « الكرارة » وهو تحريف .

وما زالوا كذلك ، وما زالت كذلك ، حتَّى سقط إلى المفالِيس[١] أنَّ ١٠٦
الخنافسَ تجلب الرِّزق . وأنّ دنوَّها دليلٌ على رزقٍ حاضر : من صِلَةٍ أو جائزة ، أو ربحٍ ، أو هديَّةٍ ، أو حظّ . فصارت الخنافسُ إنْ دخلَتْ فى قُمُصهم ثمَّ نفذَتْ إلى سَراويلاتهم لَمْ يقولوا لها قليلاً ولا كثيراً . وأكثرُ ماعندهم اليومَ الدَّفعُ لها ببعض الرِّفق . ويظنُّ بعضهم أنه إذا دافعها[٢] فعادَتْ ، ثمّ دافعها ، فعادت ، ثمّ دافعها فعادت ـــ أنّ ذلك كلما كان أكثرَ ، كان حظُّهُ من المال الذى يؤمِّله عند مجيئها أجزَل[٣] .

فانظرْ ، أيّة واقيةٍ ، وأيَّة حافِظة[٤] ، وأىُّ حارسٍ ، وأىُّ حصنٍ أنشأه لها هذا القول[٥] ! وأىُّ حظٍّ [كان] لها حينَ صدَّقوا [بهذا الخبر] هذا التصديق[٦] ! والطَّمعُ هو الذى أثارَ هذا الأمْرَ مِن مدافِنه[٧] ، والفقر هو الذى اجتذب[٨] هذا الطَّمع واجتلبه . ولكن الويل لها إنْ ألحّتْ على غَنِيٍّ عالِمٍ ، وخاصَّةً إن كان مع جِدَتِه وعلمِه حديداً عَجُولا[٩] .

---

(١) المفاليس : جمع مفلس . ط ، س : « المقاييس » ولا تصح .
(٢) ل : « دفعها » فى مواضعها الثلاثة .
(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س « أكثر » .
(٤) كذا فى ل ، س . وفى ط : « أية واقية دائمة حافظة » .
(٥) القول هنا بمعنى الاعتقاد . ط ، س : « وأى حصن إن شاء الله تعالى لها بهذا القول » ، ووجهه من ل .
(٦) كذا فى ل . س : « بهذا القول ذلك التصديق » .
(٧) ل : « مواقيه » .
(٨) كذا فى ل . وفى ط ، س : « سبب » .
(٩) هذه العبارة ساقطة من ل . والجدة ، كعدة : الغنى واليسار . وفى الأصل : « مع حدوثه » .

(اعتقاد العامة فى أمير الذّبّان)

وقد كانوا يقتلون الذبابَ الكبير الشديد الطنين[١] الملحَّ فى ذلك ، الجهيرَ الصوت ، الذى تسميه العوامُّ : « أمير الذِّبَّان » ، فكانوا يحتالون فى صرفه[٢] وطرده [وقتله] ، إذا أكربَهمْ بكثرةِ طنينه وزَجَله وهَماهِمه[٣] فإنّه لايفتر[٤] . فلمَّا سقط إليهم أنّه مبشّرٌ بقدومِ غائبٍ وبُرء سقيم ، صاروا[٥] إذادخل المنزلَ وأوسَعَهُم شرًّا ، لم يَهِجْه أحدٌ منهم .

وإذا أرادَ الله عزَّ وجلَّ أن يُنْسِئَ فى أجلِ شيءٍ من الحيوان هيَّأ لذلك سبباً ، كما أنّه إذا أراد أن يقصُر عمرُه [ويَحينَ يومُه] هيَّأ لذلك[٦] سبباً . فتعالى الله علوًّا كبيراً !

ثمَّ رجَع بنا القولُ إلى إلحاح الذّبّان .

---

(١) كلمة « الكبير » ساقطة من ل . ولفظ « الطنين » هى فى ط ، س : « البطش » وتصحيحه من ل .

(٢) ل : « ضربه » وليس بشىء .

(٣) هماهم : جمع همهمة ، والمراد بها الطنين .

(٤) أى لايسكن ولاينقطع عن الطنين . ط : « يفير » وصوابه فى ل ، س .

(٥) ل : « صار » .

(٦) ط ، س : « له » .

(عبد الله بن سوَّار وإلحاح الذُّباب)

كان لنا بالبَصرة قاضٍ يقال له عبدُ الله بنُ سَوَّار[١] ، لَمْ يَرَ النَّاسُ حاكماً قطُّ ولا زِمِّيتاً ولا رَكيناً[٢] ، ولا وقوراً حليماً ، ضبَط من نفسه ومَلَكَ من حركته مثلَ الذى ضبَط وملَك . كان يصلِّى الغداةَ فى منزله ، وهو قريب الدَّار من مسجده ، فيأْتى مجلسَه فيحتبى ولا يتَّكئُ ، فلا يزالُ منتصبا لايتحرَّك له عضوٌ ، ولا يلتفت ، ولا يحلُّ حُبْوَته[٣] ولا يحوِّل رِجلاً عن رجل[٤] ، ولا يَعتمد على أحد شِقَّيه ، حتَّى كأنّه بناءٌ مبنىٌّ ، أو صخرةٌ منصوبة . فلا يزال كذلك ، حتّى يقوم إلى صلاة الظهر ثمّ يعودُ إلى مجلسِه فلا يزال كذلك[٥] حتى يقوم إلى العصر ، ثمَّ يرجع لمجلسه ، فلا يزال كذلك حَتى يقوم لصلاة المغرب ، ثمَّ رُبما عاد إلى محلِّه ، بل كثيراً ما كان يكون ذلكَ إذا بقى عليه من قراءة العهود والشُّروط والوثائق ، ثمَّ يُصلِّى العشاء [الأخيرة[٦]] وينصَرف . فالحق يقال : لَمْ يقَمْ

---

(١) هو عبد الله بن سوار (بالتشديد) بن عبد الله بن قدامة العنبرى البصرى . وسبقت ترجمة ولده سوار بن عبد الله بن سوار فى ٢ : ١٨٧ . والقصة رواها المرتضى فى أماليه ٤ : ٢٢ .

(٢) كلمة : « قط » ساقطة من ل ، كما سقطت « ولا » من ط ، س . والزميت كسكيت : العظيم الوقار . والركين الرزين .

(٣) الحبوة ، بالفتح وتضم : أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها .

(٤) ط ، س : « ولا يحل رجلا على رجل » وأثبت ما فى ل وثمار القلوب ٣٩٦ .

(٥) الكلام من مبدأ « حتى يقوم » ساقط من ل ، والثمار .

(٦) الزيادة من ثمار القلوب . والعشاء الأخيرة خلاف الأولى ، والأولى هى المغرب .

فى طول تلك المدّةِ والوِلايةِ مَرَّةً واحدةً إلى الوضوء ، ولا احتاجَ إليه ،
١٠٧ ولا شربَ ماءً ولا غيرَه من الشّراب . كذلك كانَ شأْنُه فى طوال الأيام
وفى قصارها ، وفى صيفها وفى شتائها[١] . وكان مع ذلك لايحرِّك يدَه ، ولا
يُشيرُ برأسِه . وليس إلاّ أن يتكلمَ [ثمَّ يوجز ، ويبلغ بالكلام اليسير المعانى
الكثيرة][٢] . فبينا هو كذلك ذاتَ يوم وأصحابه حواليه ، وفى السِّماطين[٣]
بينَ يديه ، إذْ سقَطَ على أنفِه ذُبَابٌ فأطال المكث ، ثمَّ تحوّل إلى مُؤْقِ
عينه[٤] ، فرام[٥] الصَّبر فى سقوطه عَلَى المؤق ، وعلى عضِّه ونفاذِ خَرطومه
كما رَام[٦] من الصبر عَلى سقوطه عَلَى أنفه من غير أن يحرِّك أرنبَته ،
أو يغضِّنَ[٧] وجهَهُ ، أو يذبّ بإصبعه . فلمّا طال ذلك عليهِ من الذبَاب
وشغَله وأوجعَه وأحرَقهُ ، وقصدَ إلى مكانٍ لايحتمل التّغافُلَ ، أطبَق جفنَهُ
الأعْلى عَلى جفنِه الأسفلِ فلم ينهض ، فدعاه ذلك إلى أن وَالىَ[٨] بينَ الإطباقِ
والفتْح ، فتنحَّى ريثما سكنَ جفنُهُ ، ثمَّ عاد إلى مؤقِه بأشدَّ من مرَّته الأولى
فغَمَسَ خَرطومهُ فى مكان كان قد أوهاهُ قبلَ ذلك ، فكان احتماله له

(١) كلمة : « فى » ساقطة من ل فى الموضعين .
(٢) الزيادة من ل ، وثمار القلوب .
(٣) السماط ، بالكسر : الصف .
(٤) فى الأصل : « عينيه » ، وأثبت مافى الثمار . والمؤق : طرف العين مما يلى الأنف .
(٥) ل فقط : « فدام » ، وبكل من العبارتين يتجه المعنى .
(٦) ل فقط : « ودام » وانظر التنبيه السابق .
(٧) غضن وجهه : جعل به غضونا ، وذلك بأن يقبض جلده . ط ، س : « يغض » بمعنى يخفض . وفى الثمار : « بعض » .
(٨) والى : تابع . ط ، س : « يوالى » وأثبت مافى ل والثمار .

أضعف ، وعجزُه عن الصَّبر فى الثانية أقوى[١] ، فحرَّك أجفانَهُ وزاد فى شدَّة الحركة وفى فتح العين[٢] ، وفى تتابُع الفتْح والإطباق ، فتنحَّى عنهُ بقدْرِ ماسكَنتْ حركتُهُ ثمَّ عاد إلى موضِعِه ، فما زالَ يلحُّ عليه حتى استفرغَ صبْرَه وبَلَغَ مجهُودَه . فلم يجدْ بُدًّا من أن يذبَّ عن عينيهِ بيده ، ففعل ، وعيونُ القوم إليه ترمُقه ، وكأنَّهم لا يَرَوْنَه[٣] ، فتنَحَّى عنه بقدْر ما رَدَّ يدَه وسكَنتْ حركته ثمَّ عاد إلى موضعه ، ثمَّ ألجأَه إلى أن ذبَّ عن وجْهه بطَرَف كمه ، ثم ألجأه إلى أن تابَعَ بين ذلك ، وعلم أنَّ فِعلَه كلَّه بعينِ مَنْ حَضَره من أُمنائه وجلسائه . فلمَّا نظروا إليه قال : أشهد أنَّ الذّباب ألَحُّ[٤] من الخنفساء ، وأزهى من الغراب ! وأستَغفر الله ! فما أكثر مَن أعجبَتْه نفسُه فأراد الله عزَّ وجلَّ أن يعرِّفه من ضعْفِهِ ما كان عنهُ مستوراً ! وقد علمت أنِّى عند الناس مِنْ أزْمَتِ الناس[٥] ، فقد غلبَنى وفضَحَنى أضعفُ خلْقِه ! ثمَّ تلا قولَهُ تعالى : ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ .

---

(١) ط ، س : « وعجزه عن الصبر عليه فى الثانية أقل » ، وصوابه فى ل . ونحو منه مافى الثمار .

(٢) ط ، س : « وألح فى فتح العين »

(٣) كلمة : « إليه » ليست فى الثمار . وليس مايمنع بقاءها . و « يرونه » هى فى الأصل « يريدونه » ، وتصحيحه من الثمار .

(٤) كذا فى الأصل : « الح » بالحاء كما فى أمثال الميدانى ٢ : ١٨٠ . ويروى بالجيم ، كما فى الثمار وكما سيأتى فى ص ٥٠٠ .

(٥) أزمت الناس : أى أشدهم وقاراً وسكونا . ط : « أضعف » ووجهه فى س ، ل . وفى الثمار : « أرزن » ، وكلمة « الناس » الأولى هى فى ط ، س فقط : « نفس » . كما أن كلمة « من » ساقطة من س .

وكان بيِّن اللِّسان ، قليلَ فضولِ الكلام ، وكان مَهيباً فى أصحابه ، وكان أحدَ منْ لم يَطْعَنْ عليهِ فى نفسه ، ولا فى تعريض أصحابهِ للمَنَالة[1] .

(قصّة فى إلحاح الذباب)

فأمَّا الذى أصابنى أنَا من الذِّبَّان ، فإنِّى خَرَجتُ أمشى فى المبارك[2] أريد دَيْرَ الربيع ، ولم أقدِرْ علَى دابَّةٍ ، فمررتُ فى عشْبٍ [أَشِبٍ][3] ونباتٍ ملتفٍّ كثيرِ الذِّبَّان ، فسقط ذبابٌ من تلك[4] الذِّبّان عَلى أنفى ، فطردته ، فتحوّل إلى عينى[5] [فطردْتُه ، فعاد إلى مُوقِ عينى] ، فزدتُ فى تحريكِ يدىَّ فتنحَّى عنى بقدْر شدّة حركتى[6] وذبِّى عن عينى — ولِذِبّان الكلإ والغِياضِ والرِّياضِ وقْعٌ ليس لغيرها — ثمَّ عادَ إلىَّ فَعُدْتُ عليهِ ، ثمّ عَاد [إلىّ] فعدتُ بأشدّ من ذلك ، فلما عاد استعملتُ كمِّى فَذَبَبْتُ بهِ عن وجهى ، ثمّ عاد ، وأنَا فى ذلك أحثُّ السَّير ، أؤمِّل بسرعتى انقطاعَهُ عنِّى[7] فلما عَاد نزعتُ طَيْلَسانِى[8] من عُنُقى فذببت بهِ عَنِّى بَدَلَ كُمِّى ، فلما ١٠٨

---

(١) المنالة : مصدر نلت أنال .

(٢) المبارك : اسم نهر بالبصرة احتفره خالد بن عبد الله القسرى . ويمشى فيه : أى فى شاطئه . ط ، س : « من عند ابن المبارك » .

(٣) أشب : أى ملتف . وكلمة « عشب » ساقطة من ل .

(٤) ط ، س : « ذلك » .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فطردته فلم أقدر فتحول إلى عينى » .

(٦) ل : « فتنحى على قدر شدة حركتى » .

(٧) ل : « أحث السير » وقد سقط منها « أؤمل بسرعتى » .

(٨) الطيلسان : كساء مدور أخضر ، لحمته أو سداه من صوف ، يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ ، وهو من لباس العجم ، وهو لفظ معرب من تالسان الفارسية .

عاوَدَ ولم أجدْ له حيلةً استعملتُ العدْوَ ، فعدوْت منه شوطاً [تامًّا] لم أتكلفْ مثلَه مذْ كنتُ صبيًّا ، فتلقّانى الأندلسىُّ فقال لى : مالك يا أبا عثمان ! هل مِنْ حادثة ؟ قلت : نعم ، [أكبر الحوادث] ، أريد أن أخرجَ من موضعٍ للذِّبَّان عَلَيَّ فيه سلطانٌ ! فضحك حتى جلس . وانقطع عنى ، وما صدّقتُ بانقطاعه عنّى حتّى تباعد[1] جدًّا .

(ذبّان العساكر)

والعساكر أبداً كثيرة الذِّبَّان . فإذا ارتحلوا لم يَرَ المقيمُ بعدَ الظّاعن منها إلا اليسير .

وزعم بعضُ النَّاسِ أنّهنَّ يتبعن العساكرَ ، ويسقُطْنَ على المتاع ، وعلى جِلَالِ[2] الدّوابّ ، وأعجاز البراذِينِ التى عليها [أسبابها[3]] حتى تؤدَّىَ إلى المنزل الآخر .

[و] قال المكِّيُّ : يتبعوننا ليُؤْذونا ، ثمَّ لايركبون إلَّا أعناقَنا ودوابّنا[4] !

---

(١) ل : « تباعدت » .

(٢) الجلال : جمع جل بالضم وبالفتح ، وهو ماتلبسه الدابة لتصان به .

(٣) كذا فى س . وبدلها فى ل : « أربابها » .

(٤) هذا حكاية من الجاحظ للفظ المكى . وفيه استعمال ضمير العاقل لغيره .

(تخلّق الذُّباب – ١ –)

ويقول بعضهم : بل إنما يتخلَّق من تلك العُفونات والأبخرة والأنفاس ، فإذا ذهبت فنيتْ مع ذهابها[1] ويزعمون أنّهم يعرفون ذلك بكثْرتها في الجنائبِ ، وبقلّتها في الشمائِل[2] .

قالوا : وربَّما سددْنا فمَ الآنيةِ التي فيها الشَّرابُ بالصِّمامةِ ، فإذا نزعْناها وجدنا [هناك] ذباباً صغاراً .

وقال ذو الرّمّة[3] :

وأيقنَ أنّ القنع صارت نِطافه[4] فَرَاشاً وأنّ البَقْلَ ذاو ويابسُ

[القِنْع : الموضع الذي يجتمع فيه نقران الماء[5] . والفراش : الماء الرقيق الذي يبقى في أسفل الحِياض] .

وأخبرني رجلٌ من ثقيف ، من أصحاب النّبيذ أنّهمْ [رُبّما] فلقوا السَّفرجلة أيّامَ السَّفرجل للنَّقْل[6] والأكل ، وليس هناك من صغار الذّبّان شيءٌ ألبتّة

---

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « فإذا ذهب ذلك خف » .

(٢) الجنائب : جمع جنوب . وهي الريح الجنوبية . والشمائل : جمع شمال ، بالفتح ، وهي الريح الشمالية . ل : « في الشمال » .

(٣) يصف الحمر الوحشية . ديوانه ٣١٣ .

(٤) النطاف : جمع نطفة ، وهي هنا الماء الكثير . وتقال أيضاً للماء القليل ، بل هو الأكثر . ط ، س : « نطاقة » ووجهه في ل .

(٥) النقران : جمع نقير . و « يجتمع » هي في الأصل : « يجمع » ، والتفسير بعده مخالف للاستشهاد . وانظر ماسيأتي في ٥ : ٤٠٤ .

(٦) النقل بالفتح : مايتنقل به على الشراب ، وهو مايعبث به الشارب على شرابه .

ولا يُعدِمُهمْ أنْ يَرَوا على مَقاطعِ السَّفرجلِ ذُبابا صغاراً . وربَّما رصدوها وتأمَّلوها ، فيجدونَها تعظُم حتّى تلحق بالكبار فى السَّاعة الواحدة .

(حياة الذُّباب بعد موته)

قال : وفى الذِّبان طبع كطبع الجِعلان ، فهو طبعٌ غريب عجيب . ولولا أنّ العِيانَ قهَرَ أهلَهُ لكانوا خلقاءَ أن يدفعوا الخبرَ عنهُ ؛ فإنّ الجُعَلَ إذا دُفِنَ فى الوردِ[1] ماتَ فى العين ، وفنِيت حركاتُه كلُّها ، وعاد جامداً تارزاً[2] ولم يفْصِلِ الناظرُ إليه بينَه وبين الجُعَلِ الميِّت ، ما أقام على تأمله[3] . فإذا أُعيد إلى الروث عادت إليه حركة الحياةِ من ساعته[4] .

وجرَّبتُ أنا [مثلَ] ذلك فى الخنفساء ، فوجدْتُ الأمر فيها قريباً من صِفَةِ الجعَل ، ولم يبلغْ كلَّ ذلك [إلّا[5]] لقَرابةِ [ما] بينَ الخنفساء والجُعَل .

ودخلت يوماً على ابن أبى كريمة ، وإذا هو قد أخْرَجَ إجّانَةً[6] كان فيها ماءٌ من غُسالةِ أوساخ الثياب ، وإذا ذِبّانٌ كثيرةٌ قد تساقطْنَ فيه من اللّيل فَمَوَّتْنَ[7] . هكذا كُنَّ[8] فى رأى العين . فَغَبَرْنَ كذلك

---

(١) ط : « المورد » وصوابه فى ل ، س . وانظر ماسبق فى (٢ : ١١٢) .

(٢) التارز : اليابس الذى لا روح فيه .

(٣) ل : « تأملها » ، ولكل وجه .

(٤) ل : « عاد إليه حركة الحيوان من ساعته » .

(٥) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٦) الإجانة : الوعاء يغسل فيه الثياب . فى الأصل : « من إجانة » ، والوجه حذف « من » .

(٧) يقال موتت الدواب تمويتا : كثر فيها الموت . انظر اللسان . ط ، س : « فتن » .

(٨) كذا فى ل ، س . وفى ط : « كان » أى كان الأمر .

١٠٩ عَشِيَّتَهُنَّ وليلتهنّ ، والغَدَ إلى انتصاف النهار ، حتّى انتفخْنَ وعفِنَّ[1] واسترخين ؛ وإذا ابن أبى كريمة قد أعدّ آجُرّةً جديدة[2] ، وفُتاتَ آجُرٍّ جديد، وإذا هو يأخذ الخمس منهنّ[3] والستّ، ثمّ يضعهُنّ عَلى ظهر الآجرّة الجديدة ، ويذرّ عليهنّ من دقاق ذلك الآجُرِّ الجديدِ المدقوق بقدْر مايغمُرها فلا تلبث أن يراها[4] قدْ تحرَّكتْ ، ثمَّ مشت ، ثمَّ طارت ؛ إلَّا أنّه طَيَرَانٌ ضعيفٌ .

(ابن أبى كريمة وعود الحياة إلى غلامه)

وكان ابنُ أبى كريمة يقول : [لا] واللهِ ، لادفنتُ ميِّتاً أبداً حَتّى يَنْتُنَ ! قلت : وكيف [ذاك] قال : إنّ غلامى هذا نُصيراً ماتَ ، فأخَّرْتُ دفنَهُ لبعْضِ الأمْر ، فقدِمِ أخوه تلك اللّيْلَة فقال : ما أظنُّ أخى ماتَ ! ثمَّ أخذ فتيلتين ضخمتين ، فروّاهما دُهْناً ثمَّ أشعل فيهما النّارَ ، ثمَّ أطفأهما وقرَّبهما إلى منخريه ، فلم يلبَثْ أنْ تحرَّك . وها هو ذا قد تراه ! قلت له : إن أصحاب الحروب [و]الذين يغسلون الموتى، والأطبَّاء، عندَهم فى هذا دَلالاتٌ وعلامات فلا تحمل عَلَى نفسك فى واحدٍ من أولئك ألَّا تستُره بالدفن حتى يَجيف .

---

(١) ل : « وغضن » .
(٢) ل : « أجراً جديداً » .
(٣) ل : « منها » .
(٤) س : « نراها » ل : « تراها » .

والمجوس يقرِّبون الميِّتَ منْ أنف الكلب ، ويستدلون بذلك عَلى أمره .
فعلمت أنَّ الذى عايَنّاه[1] من الذِّبَّان قد زادَ فى عزْمِه .

(النُّعَر)

والنُّعَر : ضربٌ من الذِّبان ، والواحدةُ نُعَرة . وربما دخلتْ فى أنف البعيرِ أو السَّبع ، فيزمُّ بأنفِه[2] ؛ للذى يلقَى من المكروه بسببه . فالعَرَبُ تشبِّه ذا الكِبْر من الرجال إذا صعَّر خده ، وزَمّ بأنفه ــ بذلك البعير فى تلك الحال . فيقال عند ذلك : « فلان فى أنفه نعرَة ، وفى أنفِه خُنْزوانةٌ » .
وقال عمر[3] : « والله لا أقلعُ عنه أو أطيِّرَ[4] نُعرَته » .

ومنها القَمَع ، وهو ضربٌ من ذبّان الكلأ . وقال أوس[5] :

ألم ترَ أن اللهَ أنزَلَ مُزْنه[6] وعفْرُ الظِّباءِ فى الكِناسِ تَقَمَّعُ[7]

وذلك مما يكون فى الصيفِ وفى الحرِّ .

---

(١) ل : « عاينه » .
(٢) زم البعير بأنفه : رفع رأسه لألم به . ط ، س : « فتورم أنفه » وليس هنالك .
(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل .
(٤) لا أقلع عنه : لا أتركه . س : « اطر » وصوابه فى ط ، ل ونهاية ابن الأثير .
(٥) هو أوس بن حجر . ديوانه ١١ .
(٦) المزن بالضم : السحاب ، أو أبيضه ، أو ذو الماء منه . والقطعة منه مزنة . وبهذه الأخيرة جاءت الرواية فى الديوان .
(٧) العفر : جمع أعفر ، وهو الظبى يعلو بياضه حمرة . والكناس مأواه . والتقمع : أن تحرك رءوسها لتطرد القمع .

(أذى الذّبّان للدوابّ)

والذّبان جُنْدٌ من جند الله شديدُ الأذى. وربّما كانَ أضرّ من الدَّبْر [1] فى بَعضِ الزمان ، وربما أتت عَلَى القافلة بما فيها ؛ وذلك أنّها تغشى [2] الدوابّ حتّى تضربَ بأنفسها الأرض – وهى فى المفاوز – وتسقط ، فيهلك أهل القافلة ؛ لأنهم لايخرجون من تلك المفاوز عَلَى دوابهمْ . وكذلك تُضْرِب الرِّعاء [3] بإبلهم ، والجمالون بجمالهم عن تلك الناحية ، ولا يسْلُكُها [4] صاحبُ دابَّة ، ويقول بعضُهمْ لبعض : بادِرُوا قَبْلَ حركَةِ الذِّبان ، وقبل أنْ تتحرك ذبّان [5] الرِّياضِ والكلأ !

والزّنابير لا تكادُ تدْمِى [6] إذا لسعت بأذنابها . والذِّبّان تغمس خراطيمها فى جوفِ لحوم الدوابّ ، وتخرِق الجلودَ الغلاظ حتى تنزفَ الدَّمَ نزفا . ولها مع شدّة الوقعِ سمومٌ . وكذلك البَعوضة ذاتُ سمّ ، ولو زِيدَ فى بَدَن البعوضة وزِيدَ فى حرْقة لسْعها إلى أن يصيرَ بَدَنها كبدن الجرَّارة [7] – فإنها أصغرُ العقارب [8] – لما قام له شىءٌ ، ولكان أعظمَ بليَّةً من الجَرَّارة ١١٠

---

(١) الدبر ، بالفتح : جماعة النحل والزنابير . ويقال بالكسر أيضاً .

(٢) س : « تعش » محرفة .

(٣) ل : « ولذلك ينصرف الرعاة » .

(٤) س : « يستلكها » .

(٥) جاء فى ط ، س : « الذباب » و « ذباب » .

(٦) ط ، س « ترمى » وصوابه فى ل .

(٧) الجرارة سبق تفسيرها فى ص ٣٣٣ . ط : « الجرادة » وصوابها فى ل ، س .

(٨) كذا الصواب فى ل . وفى ط ، س : « أصغر من العقارب » .

النصيبيَّة [١] أضعافاً كثيرة . وربَّما رأيت الحمار وكأنّه مُمَغَّر [٢] أو معصفر . وإنَّهُـمْ [٣] مع ذلك ليجلِّلون حمُرَهم ويُبَرقِعونها ، وما يَدَعون موضعًا إلاَّ ستروه بجهدهم ، فربَّما رأيتَ الحمير وعليها الرِّجال [فيما بين عَبْدَسى [٤] والمذار [٥]] بأيديهم المناخس والمذابُّ [٦] ، وقد ضربت بأنفسها الأرضَ [٧] واستسلمت للموت . وربّما رأيت صاحبَ الحميرِ [٨] إذا كانَ أجيراً يضربُها بالعَصا بكلِّ جَهْده ، فلا تنبعث .

وليس لجلد البقرة والحمار والبعير عندَه خطر . ولقدْ رأيتُ ذُباباً سقط على سالفة [٩] حِمار كانَ تحتى ، فضرب بأُذنيه ، وحرَّك رأسه بكلٍّ

---

(١) ط : « الجرادة النصيبية » ، وتصحيحها من ل ، س . والنصيبية : نسبة إلى نصيبين ، وهى مدينة من بلاد الجزيرة ، كما ذكر ياقوت . قالوا : وسبب كثرة العقارب بها أن كسرى أنوشروان كان حاصرهـا فاستعصت عليه ، فأمر أن تجمع له العقارب من قرية تسمى طيرانشاه ، فرماهم بها فى العرادات والقوارير ، فتملأ القارورة وتدفع بالعرادة ، فإذا وقعت انكسرت فتخرج العقارب ، حتى ضج أهلها وأسلموا له الأمر .

(٢) ممغر : مصبوغ بالمغرة ، وهى بالفتح وبالتحريك : صبغ أحمر طينى ، وأجوده ما كان من مصر . ط ، س : « منعر » ، ل : « منغر » وصوابه ما أثبت .

(٣) ط : س : « فإنهم » .

(٤) عبدسى ، كما فى معجم البلدان : اسم مصنعة كانت برستاق كسكر ، خربها العرب وبقى اسمها على ما كان حولها من العمارة .

(٥) المذار ، بالذال : مدينة بين واسط والبصرة .

(٦) ما بعد المعقفين ساقط من ل .

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٨) ل : « المكارى » . والمكارى : الذى يكريك دابته . والكراء : الأجرة .

(٩) السالفة : ماتقدم من العنق .

جهده[١] ، [و[٢]] أنا أتأمَّله وما يقلع عنه ، فعَمَدْتُ بالسَّوطِ لأنحِّيَه به[٣] فنزا عنه ، ورأيت مع نزْوِهِ عنه الدَّمَ[٤] وقد انفجر ؛ كأنَّهُ كان يشرب الدَّمَ وقد سدَّ المخرج بفيه ، فلمَّا نحَّاه طلع .

(ونيم الذّباب)

وتزعمُ العامَّةُ أنَّ الذِّبَّان يَخْرَأ [عَلَى] ماشاء[٥] قالوا : لأنَّا نراه يخرأ عَلَى الشيء الأسود أبيضَ ، وعلى الأبيضِ أسود .

ويقال قد ونَمَ الذُّباب — فى معنى خرئ الإنسان — وعرَّ الطائر[٦] ، وصام النَّعام ، وذَرَق الحمام . قال الشاعر[٧] :

وَقَدْ وَنَمَ الذُّبابُ عليه حتَّى كأَنَّ وَنِيمَه نقطُ المِدَادِ[٨]

وليس طولُ كَوْمِ البعير إذا ركب النَّاقةَ ،والخنزير إذا ركب الخنزيرة ، بأطولَ ساعةً من لَبْثِ ذكورةِ[٩] الذبّان عَلَى ظهور الإناثِ عندَ السِّفاد .

---

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وحك رأسه بكل جهة » .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) ل : « وما يقلع عنه الذباب فلما طراد ذلك يطرده عنه قصدت بالسوط لأنخسه » .

(٤) كذا فى ط ، س . وبدله فى ل : « فمع نزوعه عنه نزا الدم » . نزا : وثب .

(٥) ل : « على ماشاء » ، فتكون « ما » مصدرية .

(٦) كذا على الصواب فى ل ، س . وفى ط « عرا » .

(٧) هو الفرزدق ، ذكر ذلك أبو العباس المبرد . الاقتضاب ٣٤٩ .

(٨) يروى : « لقد ونم » كما فى المخصص (٨ : ١٨٦) ، وأدب الكاتب ١٣٤ والاقتضاب .

(٩) الذكورة : الذكور . ط : « ذكور » .

(تخلق الذُّباب - ٢ -)

والذّباب من الخلْق الذى يكونُ مَرّةً من السِّفاد والوِلاد[١] ، ومرّةً من تعفُّن الأجسام والفَسادِ الحادث فى الأجرام .

والباقلاءُ[٢] إذا عتَقَ شيئا فى الأنبار[٣] استحال كلُّه ذُباباً[٤] ، فربّما أغفلوه فى تلك الأنْبار فيعودون إلى الأنبارِ وقد تطاير من الكُوَى والخروقِ فلا يجدون فى الأنبار إلاّ القشور .

والذّباب الذى يخلق من الباقلاء يكون دوداً ، ثمّ يعود ذباباً . وما أكثر ما ترى الباقلاء مثقّبا فى داخله شىءٌ كأنّه مسحوق ، إذا كان الله قد خلق منه الذّبّان وصيّره[٥] . وما أكثر ما تجده فيه تامَّ الخلق . ولو[٦] تمّ جناحاه لقد كان طار .

---

(١) الولاد — بالكسر — أحد مصادر ولد يلد . ط ، س : « والولادة » .

(٢) الباقلى ، بكسر القاف وتشديد اللام وتخفف ، والباقلاء مخففة ممدودة هى الفول . هذه هى الباقلاء النبطية ، وأما الباقلاء المصرية فهى الترمس . والأولى هى المرادة ؛ لارتباط العراقيين بالأنباط .

(٣) الأنبار : بيوت الطعام التى يختزن فيها ، واحدها نبر بالفتح ؛ سميت بذلك لأن الطعام إذا وضع فيها انتبر : أى ارتفع . ومنه المنبر لارتفاعه . ط ، س : « الأقباء » فى كل موضع ترد فيه هذه الكلمة .

(٤) ل : « ذبانا » .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « خلق فيه الذباب وطيره منه » .

(٦) ل : « ولم » تحريف .

(حديث شيخ عن تخلق الذّباب)

وحدّثنى بعض أصحابِنا عن شيخٍ من أهل الُحريبة[(١)] قال : كنت أحبُّ الباقلاء ، وأردت ، إمَّا البَصرة وإما بغداد – ذهب عنّى حفظه – فصرتُ فى سفينةٍ حِمْلها باقلاء ، فقلت فى نفسى : هذا والله من الحظِّ وسعادة الَجدِّ ، ومن التَّوفيق والتسديد ، ولقد أربع من وَقَعَ له مثل هذا[(٢)] الذى [قد] وقع لى : أجلسُ فى هذه السفينة على هذا الباقلاء ، فآكلُ منه نِيًّا[(٣)] ومطبوخا ، ومقلوًّا ، وأرضُّ بعضَه وأطحنهُ[(٤)] ، وأجْعله مرقا[(٥)] وإداماً ، وهو يغْذو[(٦)] غذاءً صالحاً ، ويُسْمِنُ ، ويزيد فى الباه[(٧)] . فابتدأت فيما أمَّلته ، ودفعْنا السَّفينة ، فأنكَرْتُ كثرة الذّبَّان . فلما كان الغدُ جاء منهُ ما لم أقدرْ معه على الأكلِ والشربِ . وذهبت القائلة وذهب الَحديث ، وشُغِلت بالذَّبِّ . على أنهنَّ لم يكنَّ يبرحْنَ بالذَّبّ ، وكنَّ[(٨)]

١١١

---

(١) الحريبة بالتصغير : موضع بالبصرة . ط ، س : « الجزيرة » وليس بشىء .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل . وأربع : أخصب . ط ، س : « ربح » .

(٣) مسهل « نيئا » . والنىء ، بالكسر : الذى لم ينضج .

(٤) الرض : الدق . س : « أصحنه » موضع « أطحنه » ، ولم أجده بمعنى الطحن ، وإن كان معروفا فى عاميتنا المصرية بمعنى الطحن .

(٥) س : « مذقا » .

(٦) كذا فى س . وفى ل ، ط : « يغذى » .

(٧) يقال الباه والباءة : وفى الحديث : « من استطاع منكم الباءة فليتزوج » . جاء فى س : « الباءة » ، وفى ل : « يزيدنى الماء » .

(٨) ط : « ولن » وتصحيحه من ل ، س .

أكثَرَ من أنْ أكونَ أقوى عليهنَّ ؛ لأنّى كنتُ لا أطردُ مائةً حتى يخلفها مائةٌ مكانها . وهُنَّ فى أولِ مايخرجْنَ من الباقلاء كأنَّ بهنّ زَمَانَةً (١) فلما كانَ طيرانهنَّ أسوأ [كان أسوأ] (٢) لحالى ، فقلت للملاح : ويلك ! أىُّ شىءٍ معك حتى صار الذبان يتبعك ! قدْ واللهِ أكلَتْ وشربَتْ ! قال : [أ] وَليس تعرف القصة ؟ قلت : لا والله ! قال : [هى والله] من هذه الباقلاء ، ولولا هذه البليّة لجاءنا (٣) من الرُّكاب كما يجيئون إلى جميع أصحاب الحمولات (٤) . وما ظننته (٥) إلاّ ممن قد اغتفر [هذا] للين الكِراء ، وحبِّ التفرُّد بالسفينة . فسأَلتهُ أنْ يقربنى إلى بعض الفُرَض (٦) ، حتى أكترىَ من هناك إلى حيث أريد ، فقال لى : أتحبُّ أنْ أزوِّدك منه ؟ قلت : ما أحبُّ أنْ ألتقىَ أنا والباقلاء فى طريقٍ أبدًا !

(من كره الباقلاء)

ولذلك كان أبو شمر (٧) لا يأكل الباقلاء ، وكان أخذ ذلك عن معلِّمه مَعَمَّر أبى الأشعث (٨) . وكذلك كان عبدَ الله بن مسلمة بن محارب والوكيعىُّ ، ومُعمَّر ، وأبو الحسن المدائنىُّ ، برهةً من دهرهم .

(١) الزمانة ، بالفتح : العاهة والآفة .
(٢) التكملة من ل ، س .
(٣) ط : « لجأنا » وصوابه فى ل ، س .
(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « إلى أصحابنا » .
(٥) ط ، ل : « وما أظنك » .
(٦) الفرض : جمع فرضة بالضم ، وهى محط السفينة . ل : « القرى » .
(٧) أبو شمر هذا أحد أئمة القدرية المرجئة . وآراؤه فى الفرق بين الفرق ١٩٠ — ١٩٤ . قال فيه الجاحظ : « وكان شيخا وقورا وزميتا ركيناً ، وكان ذا تصرف فى العلم ، ومذكورا بالفهم والحلم . البيان (١ : ٩١) . وضبطه السمعانى ٣٣٨ بكسر الشين وسكون الميم ، ومرة أخرى بكسر الشين وتشديد الميم المفتوحة .
(٨) معمر هذا أحد أئمة الاعتزال ، وكان من تلاميذه أبو الحسن المدائنى ، وحفص الفرد =

وكان يقول : لولا أنَّ الباقلاء عفِنٌ فاسدُ الطّبعِ ، رديءٌ يخثّر الدَّمَ ويغلّظُه ويورث السَّوداءَ وكلَّ بلاء — لما ولّدَ الذِّبان . والذّبان أقذرُ ما طار ومشَى ! وكان يقول : كلُّ شيءٍ ينبت منكوساً فهو رديءٌ للذِّهن ، كالباقلاء والباذنجان .

وكان يزعم أنّ رجلاً هرب من غرمائه فدَخل فى غابةِ باقلاء ، فتستَّر عنهم بها ، فأَراد بعضهُمْ إخرَاجه والدُّخولَ فيها لطلبهِ ، فقال : أحكَمهَمْ وأعلمهم : كفاكم له بموضعه شرًّا !

وكان يقول : سمعت ناساً من أَهل التجْربةِ يحلفون بالله : إنَّه[1] ما أقام أحدٌ أربَعين يوماً فى مِنبت باقلاءَ وخرج منه إلّا وقد أسقمهُ سُقْماً لا يزايلُ جِسمَهَ .

وزعم أنّ الذى منع أصحاب الأذْهان[2] والتربيةِ بالسمسم منْ أن يربُّوا السّماسِم[3] بنَوْر الباقلاء ، الذى[4] يعرفونَ من فسادِ طبعهِ[5] ، وأنَّه[6] غير

= ومعمر ، وأبو شمر ، وأبو بكر الأصم ، وأبو عامر عبد الكريم بن روح . فهرست ابن النديم ١٤٧ مصر ١٠٠ ليبسك . وذكر فيه باسم معمر بن الأشعث . لكن اتفاق نسخ الحيوان على أنه أبو الأشعث ، وورود ثلاث مرات فى الجزء الأول من البيان برسم أبي الأشعث ، يرجح كتابته كما أثبت .

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « الأذهان » . والذهن بكسر الذال المعجمة : الشحم .

(٣) السماسم ضبط فى نسخ القاموس بضم السين ، وفسره بأنه طائر . قال شارحه : « كذا هو بالضم فى النسخ وصوابه بالفتح » . قلت : يظهر أنها هى « السمائم » واحدته سمامة ، وهو طائر من الخطاطيف ، ومن أسمائه عصفور الجنة . انظر معجم المعلوف ٢٤١ .

(٤) س : « الذين » ، تحريف .

(٥) ل : « طباعه » والطباع والطبع بمعنى ، يقال : هو ذو طباع حسن .

(٦) س : « فانه » .

مأمونٍ على الدِّماغ وعلى الخيشوم والسِّماخ[1] ، ويزعمون أنّ عمله [الذى عمله هو[2]] القصد إلى الأذهان بالفساد[3] .

وكان يزعم أنَّ كلَّ شيءٍ[4] يكون رديئا[5] للعصب فإنَّه يكون رديئاً للذِّهن ، وأن البصل [إنما كان] يفسد الذهن ؛ إذ كان رديًّا للعصب ، [وأنّ البَلادرَ[6] إنما صار يُصلح العقلَ ويورثُ الحفظ ؛ لأنَّه صالح للعَصَب] .

وكان يقول : سواءٌ علىّ أكلت الذِّبان أو أكلت شيئا لا يولِّد إلَّا الذِّبانَ ، وهو لايولِّده [إلَّا هُوَ] . والشيءُلايلد الشيءَ إلّا وهو أولى الأَشياءِ ١١٢ بهِ ، وأقربها إلى طبعهِ[7] ، وكذلك جميع الأَرحام ، وفيما ينتج أرحام الأَرض[8] وأرحام الحيوان ، وأرحام الأَشجار ، وأرحام الثِّمار ، فيما يتولَّد منها وفيها[9] .

---

(١) السماخ بالكسر : خرق الأذن . جاء فى ط : « الصماخ » ، وهما لغتان .

(٢) الزيادة من س .

(٣) ل : « الفصد » بدل « القصد » ، وهو تصحيف . وفيها أيضا : « إلى الذهن بالإفساد له » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أن كل شىء ردىء » .

(٥) ط ، س : « رديا » بالتسهيل .

(٦) البلادر ، ويقال البلاذر ، لفظه هندى . وهو ثمرة لونها إلى السواد على لون القلب وفى داخلها مادة إسفنجية بها شيىء شبيهبالدم . ومن أسمائه : تمر الفؤاد ، وحب الفهم ، وثمرالفهم . وذكروا أنه يقوى الحفظ ، ولكن الإكثار منه يؤدى إلى الجنون . وانظر قصة تتعلق به فى الألفاظ الفارسية لأدى شير ص ٢٥ .

(٧) ل : « من طبعه » .

(٨) ل : « فيما تنتج من أرحام الأرض » .

(٩) « وأرحام الثمار . . » الخ ساقط من ل .

(حديث أبى سيف الممرور)

وبينما أنا جَالسٌ يوماً فى المسجِد مع فِتيانٍ من المسجديِّين[١] مما يلى أبواب بنى سليم ، وأنَا يومئذٍ حَدَثُ السّنّ[٢] إذْ أقْبَلَ أبو سَيف[٣] الممرور — وكان لايؤذى أحداً ، وكان كثير الظَّرْفِ من قوم سَراة — حتى وقف علينا ، ونحن نرى فى وجهه أثر الجِدِّ ، ثمّ قال مجتهداً : واللهِ الذى لا إلٰه إلاَّ هو إن الخُرْءَ لحلو . ثمَّ واللهِ الذى لا إلٰه إلاَّ هو [إنَّ الخرء لحلو . ثم والله الذى لا إلٰه إلا هو إنّ الخرء لحلو]، يميناً بَاتَّةً[٤] يسألنى اللهُ عنها يوم القيامة! فقلت له : أشهد أنَّك لا تأكلُه ولا تذوقُه ، فمن أين علمت ذلك ؟ فإن كنْتَ علمت أمراً فعلِّمنَا ممَّا علمَكَ الله . قال : رأيت الذِّبَّان يَسقط على النَّبِيذ[٥] الحلو ، ولا يسقط على الحازِر[٦] ، ويقع على العسل ولا يقع[٧] على الخلّ ، وأراه عَلَى الخُرء أكثرَ منـه على التَّمْر . أفتريدون حُجَّـةً أبين من

---

(١) المسجديون : طائفة كانت تلزم المسجد الجامع بالبصرة والكوفة . انظر حواشى البيان ١ : ٢٤٣ .

(٢) ل : « وأنا يومئذ حدث » .

(٣) ل ، س : « أبو يوسف » ، وما أثبت من ط أشبه بأنباز الممرورين .

(٤) باتة : قاطعة . ط ، س : « ثانية » ، وهو تحريف .

(٥) ط : « النيذ » ، وتصحيحه من ل ، س . وفى س : « تسقط » فى هذه الجملة ولاحقتها .

(٦) الحازر : الحامض الشديد الطعم . ط ، س : « الحاز » محرف .

(٧) س : « تقع » ، فى الموضعين .

هذه[1] ؟ فقلت : يا أبا سَيْفٍ[2] بهذا وشبهه يُعرفُ فضْلُ الشَّيخِ عَلَى الشابِّ .

(تخلق بعض الحيوان من غَيرِ ذكر وأنثى)

ثُمَّ رَجَعَ بنا القول إلى[3] ذِكر خلق الذِّبان من الباقلاء . وقد أنكر ناسٌ من العوامِّ وأشْباهِ العوامِّ أن يكونَ شيءٌ من الخلق كانَ من غير[4] ذكرٍ وأنثى . وهذا جهلٌ بشأن العالَم ، وبأقسام الحيوان . وهم يظنُّون أنَّ على الدِّين من الإقرار بهذا القول مضرَّةً . وليس الأمر[5] كما قالوا . وكلُّ قولٍ يكذِّبُه العِيانِ فهو أفحش[6] خطأً ، وأسخَفُ مذهباً ، وأدلُّ على معاندةٍ شديدة أو غفْلة مفْرطة .

وإنْ ذهب الذَّاهبُ إلى أن يقيس ذلك[7] على مجازِ ظاهر الرَّأى ،

---

(١) ل : « هذا » .

(٢) كذا فى س ، ط . وانظر التنبيه الثالث من الصفحة السابقة . وفى ل : « أبا يوسف » .

(٣) ط : س : « فى » .

(٤) ل : « نحن » ، وهو تحريف .

(٥) ط ، س : « القول » .

(٦) كلمة : « فهو » ساقطة من ل . و « أفحش » هى فى ط ، س : « فحش » تحريف .

(٧) س : « على أن يقيس ذلك » . ط : « إلى أن لا يقيس ذلك » ، والأخيرة محرفة .

دونَ القطْعِ على غيب حقائق العِلل ، فأجْرَاه فى كلِّ شىء – قال قَوْلاً[1] يدفعه العِيانُ أيضاً ، مع إنكار الدِّين له .

وقد علمنا أنَّ الإنسانَ يأكُلُ الطّعامَ ويشرَبُ الشَّرابَ ، وليس فيهما حيَّةٌ ولا دودةٌ ، فيُخْلق منها[2] فى جوفِه ألوانٌ من الحَيَّاتِ ، وأشكالٌ من الدِّيدان من غير ذَكرٍ ولا أنثى . ولكنْ لابدَّ لذلك الوِلادِ واللِّقاحِ من أنْ يكون عن تناكح طِباع[3] ، وملاقاة أشياءَ تشبه بطباعها الأرحامَ ، وأشياءَ تشبه فى طبائعها ملقِّحات[4] الأرحام .

(استطراد لغوى بشواهد من الشعر)

وقد قال الشاعر :

فاسْتَنْكَحَ اللَّيْلَ البهيمَ فَأَلْقِحَت[5] … عن هَيْجِهِ واستُنْتِجَتْ أحلاما[6]

وقال الآخر :

وإذا الأمُــــور تناكَحَتْ … فالجـود أكــرمُها نِتاجا

---

(١) « قال قولا » هو جواب الشرط . وفى ط ، س : « وقال قولا » ، والوجه حذف الواو .

(٢) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « منها » .

(٣) ل : « طبائع » .

(٤) ط : « ملاقات » محرفة . ل : « فى طباعها » .

(٥) الليل البهيم : الشديد الظلمة . ل ، س : « وألقحت » .

(٦) ل : « واستفتحت » ، والوجه ما أثبت من ط ، س . والمراد بالأحلام الرؤى .

وقال ذو الرُّمَّة :

وإنِّى لِمدلاجٌ إذا ما تناكَحَتْ مَعَ اللَّيلِ أحلامُ الهِدَانِ المثقَّلِ (١) ١١٣

وقال علىٌّ بن مُعاذ (٢) :

لَلْبَدْرُ طِفلٌ فى حِضَان (٣) الهـوا مُسْتَزْلِقٌ من رَحِمِ الشَّمْسِ (٤)

وقال دُكينٌ الرَّاجز (٥) ، [أو أبو محمد الفقعسىّ] :

وقـد تعللتُ ذميـلَ العنْسِ (٦) بالسَّوطِ فى ديمومةٍ كالتُّرسِ (٧)

* إذْ عَرَّجَ اللَّيلَ بروجُ الشَّمس (٨) *

وقال أمية بن أبى الصَّلت :

والأرضُ نوَّخها الإلٰهُ طَرُوقةً للمـاء حتَّى كلُّ زَنْدٍ مُسْفَدُ (٩)

---

(١) الهدان ، بالكسر : الأحمق الثقيل .

(٢) على بن معاذ: أحد شعراء الدولة العباسية ، وروى عنه الجاحظ فى البيان والتبيين .

(٣) الحضان : مصدر حضن الطائر بيضه . ط ، ل : « حصان » بالمهملة ، صوابه فى س . والهوا أصله الهواء وقصر للشعر . وكتب فى الأصل بالياء ، « الهوى » وصواب كتابته بالألف .

(٤) مستزلق : من أزلقت الفرس : إذا ألقت ولدها تاما . ط : « متزلق » س : « مسترق » .

(٥) تقدمت ترجمته فى ٧٤ من هذا الجزء .

(٦) س : « تغللت » ! وانظر تحقيق هذا البيت فى ص ٧٤ .

(٧) الديمومة : الفلاة الواسعة . ط : « كالندس » وصوابه فى ل ، س . والترس هو ذاك الذى يتوق به المحارب . وجعل الفلاة كالترس فى صلابتها .

(٨) انظر ما سبق فى ص ٧٤ .

(٩) نوخها : أى أبركها . والطروقة ، بالفتح : أنثى الفحل . والزند : هو قرين الزندة ، ومنهما تقتدح النار . فالأول لا فجوة فيه ، وفى الزندة فجوة يدار فيها الزند فيظهر الشرر . والمسفد بفتح الفاء : الذى طلب السفاد فناله . وضبطت فى اللسان بكسر الفاء ، وصوابه ما ذكرت . يقول : إن نظام التلاقح ليس خاصا =

والأرضُ مَعقِلنَا وكانتْ أمَّنا فيها مقابِرُنَا وفيهـا نولد[1]

وذكر أميَّة الأرْضَ فقال :

والطُّوط نَزْرعُـه فيهـا فنَلبَسهُ والصُّوف نجتزُّه ما أردف الوَبَرُ[2]

هى القرارُ فما نبْغِى بهَا بدلا ما أرحَمَ الأرضَ إلاَّ أنَّنا كُفُرُ[3]

وطَعنَةَ اللهِ فى الأعـداءِ نافذةٌ تُعيِي الأطِبَّاءَ لا تَثْوَى لها السُّبُرُ[4]

ثمَّ رجع إليها فقال :

مِنها خُلِقْنَا وكانتْ أُمَّنا خُلِقَتْ ونحنُ أبناؤها لو أنَّنَا شُكُرُ[5]

= بالأحياء ، بل نراه أيضاً بين الأرض والماء حيث يتغلغل فيها ، ونجده أيضاً بين الزند والزندة اليابسين . وهو معنى شعرى بارع . ط ، س: « زبد » تصحيف . س : « مفسد »، تحريف . وهذا البيت فى ل هو الثانى فى الترتيب .

(١) كذا فى ل والجزء الخامس ص ٤٣٧ والمخصص (١٣ : ١٨٠) . وفى ط ، س : « نوءد » .

(٢) الطوط ، بالضم : القطن ، أو قطن البردى خاصة . وأردف الوبر : توالى وتتابع ط ، س : « أدفأ ». ورواية البيت فى اللسان هكذا :

والطوط نزرعه أغن جراؤه فيه اللباس لـكل حول يعضد

(٣) الكفر ، بضمتين : جمع كفور بمعنى كافر ، وهو يقال للمذكر والمؤنث . ط : « لها بدلا » .

(٤) السبر : جمع سبار بالكسر ، وهو ما يقدر به غور الجراحات ، وهو أيضا الفتيلة تجعل فى الجرح . والمعنى يتجه بكل منهما . وتثوى : تقيم وتستقر . ط ، س : « يلوى » يقال لوى يلوى : انتظر وتحبس . وكل منهما متجه ؛ فإن المعنى أن تلك الطعنة لشدة ما يتدفق منها من دم تدفع بما يوضع فيها دفعا . ومثله قول الآخر :

* ترد على السابرى السبارا *

وقوله :

* ترد السبار على السابر *

(٥) الشكر ، بضمتين : جمع شكور بالفتح .

(ما تستنكره العامة من القول)

وتقول العرب : الشمسُ أرحمُ[١] بنا ! فإذا سمع السامعُ منهم أنَّ جالينوسَ قال : عليكم بالبَقْلةِ الرحيمة – السِّلق[٢] – استشنعه السامع ، وإذا سمع قولَ العرب : الشمسُ أرحم بنا ، وقولَ أميّة :

* ما أَرْحَمَ الأرضَ إلا أنَّنا كُفُرُ *

لم يستشنعه ، وهما سواء . فإذا سمع أهل الكتاب يقولون : إنَّ عيسى ابن مريم أخَذَ في يده اليمنى غَرْفَةً[٣] ، وفي اليسرى كِسرَةَ خبز[٤] ، ثم قال : هذا أبي، للماءِ ، وهذه أمِّي ، لكسرة الخبز[٥] . استشنعه، فإذا سمعَ قولَ أميّة[٦] :

والأرضُ نَوَّخَها الإلٰه طَرُوقَةً للماءِ حتَّى كل زَنْد مُسفَدُ

لم يستشنعه . والأصل في ذلك أنّ الزّنَادِقَةَ أصحابُ ألفاظٍ في كتبهمْ ، وأصحابُ تهويل ؛ لأنَّهم حينَ عدِمُوا المعانيَ ولم يكن عندهم فيها طائل ، مالُوا إلى تكلُّف ماهو أخْصَرُ وأيسرُ وأوجَزُ كثيرًا .

---

(١) انظر الحيوان ٥ : ١٠٢ .

(٢) ط ، س : « السلقة » .

(٣) الغرفة ، بالضم : مقدار ما يغترف المرء بيده . ل : « أخذ في يده كسرة خبز » .

(٤) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٥) ط ، س : « هذا أبي وهذه أمي لكسرة الخبز والماء » .

(٦) انظر ما سبق من الكلام على هذا البيت ، في ص ٣٦٣ .

(حُظْوة طوائفَ من الألفاظ لَدَى طوائف من النّاس)

ولكلِّ قَوْمٍ ألفاظٌ حظِيتْ عِنْدَهم . وكذلك كلُّ بليغٍ فى الأرض
١١٤ وصاحِب كلامٍ منثور ، وكلُّ شاعِرٍ [فى الأرض[1]] وصاحِبِ كلامٍ موزون ؛ فلا بد من أن يكون قد لهجَ وألف ألفاظاً بأعيانها ؛ ليديرَها فى كلامه وإن كان واسعَ العلمِ غزيرَ المعانى ، كثيرَ اللّفظ . فصار حظُّ الزَّنَادِقَةِ من الألفاظ التى سبقتْ إلى قلوبهم ، واتَّصلت بطبائعهم ، وجَرتْ على ألسنتهم التناكحَ ، والنتائِج[2] ، والمِزاج ، والنُّور والظلْمة ، والدفَّاع والمنَّاع[3] ، والساتِر والغَامر ، والمنحلّ[4] ، والبُطلان ، والوِجْدان ، والأَثير والصِّدِّيق[5] وعمود السبح[6] ، وأشكالاً من هــذا الكلام . فَصَارَ[7] وإن كان غريبًا

(١) الزيادة من ل، س . وانظر لنحو هذا البحث سر الفصاحة ٩٨ — ٩٩ .

(٢) ل : « والنتاتج » .

(٣) ط ، س : « والبقاع » .

(٤) هذه ساقطة من ل .

(٥) الصديق يعنون به المؤمن الخالص الإيمان ، وفى اعتقاد المانوية أن الصديق حين يحتضر تحضره أربعة آلهة ، ومعهم ركوة ولباس وعصابة وتاج وإكليل النور، فيلبسونه التاج والإكليل ويعطونه الركوة بيده ، ويعرجون به فى عمود السبح إلى فلك القمر . وانظر بقية الكلام فى الفهرست ٤٦٩ مصر ٣٣٥ ليبسك . ط : « الصداق » س : « الصدا » وصوابهما ما أثبت . وهذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من ل . وسبق فى الجزء الأول ، ص ٧٥ برسم « الصنديد » وهذه أيضا من كلمات الزنادقة . انظر لها الفهرس ٤٦٣ مصر ، ٣٣١ ليبسك .

(٦) السبح : يراد به العروج والصعود إلى السماء . وفى ذلك العمود الوهمى ترتفع التسابيح والتقاديس والكلام الطيب وأعمال البر . ذلك ما قاله مانى . انظر الفهرست ٤٦١ مصر ٣٣٠ ليبسك . فى الأصل: « الصبح » وسبقت فى الجزء الأول ص ٥٧ برسم « السنخ »، وصوابه ما أثبت .

(٧) ط ، س: « نصا » وتصحيحه من ل .

مرفوضاً[١] مهجوراً عنْد أهلِ ملَّتنا ودعوَتِنا ، وكذلك هو عِنْدَ عوامِّنا وجمْهُورنا ، ولا يستعملهُ إلاّ الخَواصُّ[٢] وإلَّا المتكلِّمون .

(اختيار الألفاظ وصوغ الكلام)

وأنا أقولُ فى هذا قَوْلا ، وأرجو أن يكون مرضياً . ولم أقلْ « أرجو » لأنى أعلمُ فيه خللًا[٣] ، ولكنِّى أخذتُ بآدابِ وجوهِ أهلِ دعوتى وملَّتى ، ولغتى ، وجزيرتى ، وجيرتى ؛ وهم العرب . وذلك أنّه قيل لصُحَارٍ[٤] العبدىّ : الرجل يقول لصاحِبه ، عنْدَ تذكيره أياديَه وإحْسانه[٥] : أما نحنُ فإنّا نرجو أن نكونَ قدْ بلغْنا من أداءِ مايجبُ علينا مبلغاً مُرضِيا . وهُوَ يعلم أنّه قَدْ وفّاه حَقّه الواجبَ ، وتفضّل [عليه] بما لايجب . قال صُحار : كانوا يستحبُّون أن يَدَعُوا للقول متنفَّسا ، وأن يتركوا فيه فضلا ، وأن يتجافَوا عن حَقٍّ إن[٦] أرادوه لم يُمنَعوا منه .

فلذلك قلت « أرجو » . فافهَمْ فَهّمَكَ الله تعالى .

---

(١) ط : « من فوضى » ، وصوابه فى ل ، س .

(٢) ط ، س : « والخاص » . والكلام من كلمة « عند » الأولى ، إلى « هو » ساقط من ل .

(٣) ل : « لأنى لا أعلم » .

(٤) صحار العبدى تقدمت ترجمته فى (١ : ٩٠) .

(٥) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « ما يقول الرجل لصاحبه عند تذكيره أياديه وإحسانه قال » .

(٦) ل ، « متى » .

فإنَّ رأيي في هذا الضَّربِ من هذا اللفظ ، أنْ أكونَ ما دمتُ في المعاني التي هي عبارتها ، والعادَة[1] فيها ، أن ألفِظ بالشّيء العتيد[2] الموجود ، وأدَعَ التكلّفَ[3] لِما عسى ألَّا يسلس ولا يسهلَ إلَّا بعد الرِّياضة الطويلة .

وأرى أنْ ألفِظ بألفاظِ المتكلمين ما دُمتُ خائضاً في صناعة الكلام مع خواصٍّ[4] أهل الكلام ؛ فإن ذلك أفهمُ [لهمْ] عنى[5] ، وأخفُّ لمؤنتهمْ[6] عليّ .

ولكل صناعةٍ ألفاظٌ قد حَصلت لأهلها بَعدَ امتحان سواها ، فلم تَلزَق بصِناعتهم[7] إلَّا بَعدَ أن كانتْ مُشاكَلاً بينها وبين تلك الصناعة[8] .

وقبيحٌ بالمتكلم أنْ يفتقر إلى ألفاظِ المتكلِّمينَ في خُطبةٍ ، أو رسالة ، أو في مخاطبةِ العوام والتجار[9] ، أو في مخاطبةِ أهله وعبْدِهِ وأمته ، أو في حديثه إذا تحدثَ[10] ، أو خبره إذا أخبر .

---

(١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « والعبادة » .

(٢) العتيد : الحاضر المهيأ .

(٣) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « التكليف » .

(٤) ط ، س : « خاص » .

(٥) كذا على الصواب في س ، ل . وفي ط : « عندى » .

(٦) ط ، ل : « لمؤنهم » .

(٧) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « بضاعتهم » .

(٨) ط : « وبين تلك المعاني الصناعة » ، والوجه حذف « المعاني » كما في ل ، س .

(٩) ط : « الجار » تحريف .

(١٠) ط : « حدث » . ل : « أو في مجاوبة أهله » .

وكذلك [فإنّه][1] من الخطأ أن يجلِبَ[2] ألفاظ الأعرابِ ، وألفاظ العوامّ وهو فى صناعة الكلام داخل . ولكلِّ مقامٍ مقال ، ولكلِّ صناعة شكل .

(خلق بعض الحيوان من غير ذكر وأنثى)

ثم رجع بنا القول إلى ما يحدث اللهُ عزَّ وجلّ من خلْقه من غير ذكرٍ ولا أنثى . فقلنا : إنّه لابدَّ فى ذلك من تلاقى أمرينِ يقومانِ مقامَ الذّكر والأنثى ، ومقامَ الأرضِ والمطر . وقد تقرب الطّبائعُ من الطبائع ، وإن لم تتحوّلْ فى جميع معانيها ، كالنطفة[3] والدَّم ، وكاللّبنِ والدَّم . ١١٥

وقد قال صاحبُ المنطقِ : أقول بقولٍ عامٍّ : لابدَّ لجميع الحيوان من دم ، أو من شىء[4] يشاكل الدَّم .

ونحن قد نجد الجيفَ يخلق[5] منها الدِّيدان ، وكذلك العذرة . ولذلك المجوسىُّ كلما تبرَّز ذرَّ على بُرازه شيئاً من التراب ؛ لئلا يخلق منها

---

(١) الزيادة من ل ، س .

(٢) ط ، س : « يجلب » .

(٣) النطفة : ماء الرجل . ط ، س : « كالنقطة » ، وصوابه فى ل .

(٤) ط ، س : « شكل » .

(٥) ل : « تخلق » .

دِيدان[1] . والمجوسىُّ[2] لايتغوَّط فى الآبار والبلاليع لأنّه بزعمه يُكرم بطنَ الأرض عن ذلك ، ويزعم أنّ الأرضَ أحَدَ الأركان التى بُنِيَتِ العوالمُ الخمسةُ عليها[3] بزعمهم : أبرسارس[4] وأبرمارس[5] وأبردس[6] وكارس[7] وحريرة أمنة[8] . وبعضهم يجعل العوالم ستة ويزيد أسرس[9] ، ولذلك لايدفنون موتاهم ولا يحفرون لهم القبور ، ويضعونهم فى النّواويس وضْعا . قالوا : ولو استطعنا أنْ نخرج تلك الجيف من ظهور الأرضين وأجواف الأحراز ، كما أخرجْناها من بطون الأرَضين[10] لفعلنا . وهم يسمُّون يوم القيامة روز رستهار[11] ، كأنّه يوم تقوم الجيف .

فمن بُغضهم لأبْدَان الموتى سمَّوها بأسمج أسمائهم[12] . قالوا : وعلى هذا المثال أعظمْنا النّار والماء[13] ، وليسا بأحقّ بالتعظيم من الأرض .

---

(١) « ولذلك المجوسى » . . الخ ، ساقط من س . وفى ط : « وكذلك » .
(٢) ل : « ولذلك المجوسى » .
(٣) كذا فى س . وفى ط : « تنبت » محرفة . ل : « عليها يثبت العوالم الخمسة » .
(٤) ط : « البرسارس » وفى رسائل الجاحظ ١٠٨ ساسى : « ابرشارش » .
(٥) ط : « البرمارس » وفى رسائل الجاحظ : « ابربارش » .
(٦) ابردس هى فى الرسائل : « ايددش » :
(٧) س : « كاومرة » .
(٨) كذا .
(٩) الكلام من مبدإ « ابرسارس » ساقط من ل . وانظر الاستدراكات .
(١٠) الأرضين : جمع أرض . ط ، س : « الأرض » فى الموضعين . والأحراز : جمع حرز ، وهو المكان الحصين . ط . « الأحرار » س : « الأحرا » ل : « الأجواء » ، ولعل الوجه فيه ما أثبت .
(١١) س : « روز سرهار » ، ط : « روز سهرهار » .
(١٢) ل : « أسمائها » .
(١٣) ل : « عظمنا الماء فالنار » .

وبعد فنحن ننزِع الصِّمامة من رءوس الآنية التى يكونُ فيها بعضُ الشراب ، فنَجد هنالك من الفراش مالم يكن عن[١] ذكر ولا أنثى ، وإنما ذلك لاستحالة بعضِ أجزاءِ الهواء وذلك الشرابِ إذا انضمَّ عليه ذلك الوعاء[٢]. وهذا قولُ ذى الرمَّة وتأويلُ شعره ، حيث يقول :

وأبصَرْنَ أن القِنْعَ صارتْ نِطافُهُ فَرَاشاً وأنَّ البَقلَ ذاوٍ ويابِسُ[٣]

وكذلك كلُّ ما تخلَّق من جُمَّارِ النَّخلة وفيها[٤] ، من ضروب الخلق والطَّير ، وأشباه [الطير] ، وأشباه[٥] بناتِ وَردان ، وَالذى يسمَّى بالفارسية فاذو[٦] ، وكالسُّوس ، والقوادح[٧] ، والأَرَضة ، [وَبَنات وَرْدانَ اللاتى يخلقْن من الأَجذاع والخشب والحشوش[٨] . وقد نجد الأَزَج[٩] الذى يكبس فيه اليخُّ[١٠] بخراسان ، كيف يستحيل كله ضفادِعَ . وما الضِّفدع بأدَلّ عَلَى الله من الفَراش .

---

(١) ط ، س : « عند » والوجه ما أثبت من ل .
(٢) ل : « وإنما ذلك استحالة » . ط : « إذا انضم » ، وصواب الأخيرة فى ل ، س .
(٣) سبق شرح البيت فى ص ٣٤٨ من هذا الجزء . وصدر البيت محرف فى ط هكذا :
* وأبصرت أن النقع صارت لطافة *
(٤) ل : « وكذلك ما يخلق » . . الخ .
(٥) ط ، س : « وأشباه ذلك » .
(٦) ط ، س : « وأن الذى » ، والوجه حذف « أن » كما فى ل . و « فاذو » هى فى ط ، س : « تارداد » .
(٧) القوادح : جمع قادحة ، وهى الدودة . ل: « القوارح » محرفة .
(٨) الحشوش : جمع حش بالضم ، وهو بيت الخلاء .
(٩) الأزج . بالتحريك : بيت يبنى طولا .
(١٠) اليخ : الثلج بالفارسية .

وإنما يستحيل ذلك الثَّلجُ إذا انفتح فيه كقدْر منخر الثّور ، حتَّى تَدْخُله الرِّيح التى هى اللاقحة ، كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾ ، فجعلها لاقحةً ولم يجعلها ملقحة .

ونجد وسْط الدَّهناء — وهى أوسع من الدوِّ ومن الصَّمّان[1] — وعلى ظهر مسجد الجامع[2] فى غبِّ المطر من الضَّفادِع مالا يُحصى عددُه . وليس أنَّ ذلك كان عن ذكرٍ وأنثى ، ولكنَّ اللهَ خَلقها تلك الساعةَ من طِباع تلك التُّربَةِ وذلك المطر وذلك الهواءِ المحيطِ بهما ، وتلك الرِّيح المتحرِّكةِ . وإنْ زعموا أن تلك الضَّفادعَ كانت فى السَّحاب ، فالذى أقرُّوا به أعجبُ من الذى أنكروه . وإنما تقيم الضَّفادعُ وتتربّى وتتوالَدُ فى مناقع المياه ، وفى أرض تلاقى ماءً . والسَّحابُ لا يوصف بهذه الصفة . قد نجد الماء يزيد فى دِجْلةَ والفُراتِ فتنزُّ البطون والحفائر التى تليها من الأَرض ، فيُخْلق من ذلك الماءِ السَّمكُ الكثير ، ولم يكن فى تلك الحفائر الحدث[3] ، ولا فى بحر تلك الأرضين شىءٌ من بيض السَّمك .

ولم نجد أهلَ القاطول[4] يشكُّون فى أنَّ الفأر تخلَّق من أرضهم ، وأنّهُمْ ربَّما أبصروا الفأرَة من قبل أن يتم خلْقُها . فنسبوا بأجمعهم خلق الفأرِ إلى الذكر والأنثى ، وإلى بعض المياه والتُّرَبِ والأجواء والزمان ، كما قالوا فى السمك ، والضَّفادعِ ، والعقارب .

---

(١) الدهناء : اسم لواد فى بادية البصرة . والدو : أرض ملساء بين البصرة ومكة . والصمان : بفتح الصاد ، أرض غليظة فيها ارتفاع قريبة من الدهناء

(٢) يقال المسجد الجامع ومسجد الجامع ، كما فى القاموس . والمراد به مسجد البصرة .

(٣) الحدث : واحد الأحداث ، وهى الأمطار الحادثة فى أول السنة .

(٤) قال ياقوت : نهر كان فى موضع سامرا قبل أن تعمر .

(ضعف اطراد القياس والرأى فى الأمور الطبيعية)

فإن قاس ذلك قائسٌ فقال][1] : ليسَ بين [الذِّبَّان و] بنات وردان و [بين] الزَّنَابير فرق ، ولا بين الزَّنَابير والدَّبْر والخنافس[2] فرق ، [ولا بين الزّرازير والخفافيش] ولاَ بين العصافير والزّرازير فرق : فإذا فرغوا من خشاش الأرض صاروا إلى بغاثها ثم إلى أحرارها ، ثم إلى الطواويس والتّدارجِ[3] والزمامج[4] حتى يصعدوا إلى الناسِ . قيل لهم : ليس ذلك كذلك ، [و] ينبغى لكم بَدِيًّا أن تعرفوا الطّبيعة والعادة ، والطبيعة الغريبة[5] من الطبيعة العامّية[6] ، والممكنَ من المُمْتَنِعِ ، وأَنّ المُمْكِنَ على ضربَين : فمنه الذى لا يزال يكون ، ومنه الذى لا يكاد يكون ، وما علة الكثرة والقلة ، وتعرفوا[7] أنّ الممتنع أيضا عَلَى ضربَين : فمنه ما يكُون لعلةٍ موضوعة يجوز دفعها ، وما كان منه لعِلة لا يجوز دفعها[8] ، [وفصلَ ما بين العلة التى لا يجوز دفعُها] وهى عَلَى كل حالٍ علة ، وبين الامتناع الذى لا علة له إلَّا عينُ الشيء وجنسهُ[9] .

---

(١) إلى هنا تنتهى الزيادة التى ابتدأت من ص ٣٧١ س ٨ .

(٢) ل : « وعين الزنابير والخفافيش »، والكلمة الأخيرة محرفة .

(٣) التدارج : جمع تدرج ، وهو طائر مليح مغرد . ط ، س : « التداريج » .

(٤) الزمامج : جمع زمج ، وهو من أنواع البزاة ، وفارسيته « دوبرادران » كما فى القاموس .

(٥) بدل هاتين الكلمتين فى ط ، س : « الغريزة » تحريف .

(٦) المراد بالعامية العامة ، التى لاغرابة فيها ولا شذوذ .

(٧) ط ، س : « يعرفون » ل : « يعرفوا » ووجهه ما أثبت .

(٨) هذه ساقطة من ل وفى ط : « للعلة التى » .

(٩) ط ، س : « الذى لا علة له غير الشيء وجنسه » .

١١٦ وينْبَغِي أنْ تعرفوا فَرْقَ ما بين المحال [و] الممتنع ، وما يستحيل كونُه من الله عزَّ وجلَّ ؛ وما يستحيل كونه من الخلق .

وإذا عرفتم الجواهرَ وحظوظها من القوى ، فعند ذلك فتعاطَوا الإنكارَ والإقرار ، وإلاّ فكونوا فى سبيل المتعلم ، أو فى سبيل [من[1]] آثَرَ الرَّاحة ساعةً عَلَى ما يورِث كدُّ التعلُّم من راحة الأبد . قد يكون أن يجىءَ عَلَى جهة التوليد شىءٌ[2] يبعُد فى الوهم [مَجيئُه ، ويمتنع شىءٌ هو أقربُ فى الوهم[3]] من غيره ؛ لأنّ حقائق الأمور ومغيَّبات الأشياء ، لا تُردُّ إلى ظاهر الرَّأىِ ، وإنما يردُّ إلى الرَّأى ما دخل فى باب الحَزْم والإضاعَة[4] وما هو أصوَبُ وأقربُ إلى نَيل الحاجة . وليس عنـدَ الرَّأى علْمٌ بالنُّجْح والإكداء[5] ؛ كنحو مجىء[6] الزُّجَاج من الرَّمل ، وامتناع الشَّبَهِ والزئبق من أن يتحوَّل فى طبع الذّهب والفضّة[7] . والزئبق أشبـهُ بالفضّة المايعة من الرَّمل بالزجاج الفرعونىّ[8] . والشَّبه الدمشقى بالذهب الإبريز أشبه من الرَّمل بفِلَق[9] الزجَاج النقىِّ الخالص الصافى .

---

(١) الزيادة من ل ، س .

(٢) ط ، س : « قد يكون أو يجىء على جهة التوليد وشىء » ، تحريف .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) كذا فى ل ، س . وفى ط : « الجزم والإضافة » محرف .

(٥) النجح بالضم : النجاح . ط ، س : « بالنصح » محرفة . والإكداء : الخيبة .

(٦) ط : س : « مخارج » ، وصوابه فى ل .

(٧) الشبه نوعان : أحدهما طبيعى يكون بجبال أصبهان . والآخر صناعى يؤخذ جزء من النحاس وعشرة من التوتيا يطعمها بالسبك بعد التنقية . عن تذكرة داود .

(٨) الزجاج الفرعونى : ضرب من الزجاج الصناعى ، تجد صفته فى تذكرة داود . وانظر الاستدراكات .

(٩) فلق : جمع فلقة ، وهى القطعة .

ومن العجب أنّ الزُّجاجَ — وهو مولَّد — قد يجرى مع الذهب فى كثيرِ مفاخرِ الذّهب ؛ إذْ كان لا يغيِّر طبعَهُ ماءٌ ولا أرض ؛ والفضّة التى ليسَتْ بمولدة[1] إذا دفنت زماناً غير طويلٍ استحالتْ أرضاً . فأمَّا الحديد فإنّه فى ذلك سريعٌ غير بطىء .

وقد زعمَ نَاسٌ أنّ الفرقَ الذى بينهما إنما هو أنّ كلَّ شىءٍ له فى العالم أصلٌ وخميرةٌ ، لم يكن كالشىء الذى يكتسب[2] ويجتَلب ويلفَّق ويلزّق ، وأن الذّهب لا يخلو من أن يكون ركناً من الأركان قائما[3] منذ كان الهواء والماء والنار والأرض . فإن كان كذلك فهو أبعد شىءٍ من أن يولِّد النّاسُ مثلَه[4] . وإن كان الذّهب إنما حدث فى عمق الأرض[5] ، بأن يصادف من الأَرض جَوْهَرًا[6] ، ومن الهواءِ الذى فى خلالها جوهرا . ومن الماءِ الملابِس لها جوهرا ، وَمن النار المحصورة فِيها جوهرا ، مَع مقدار من طول مُرور الزمان ، ومقدارٍ من مُقَابلات البروج . فإن كان الذَّهب إنما هُوَ نتيجة [هذه] الجواهِرِ عَلَى هذه الأَسباب[7] ، فَواجب ألاّ يكون الذهب أبداً إلاّ كذلك .

---

(١) ط ، س : « ليست بمواده » ، ل : « والفضة مولدة » وجعلتها كما ترى .

(٢) ط : « يكتب »، وصوابه فى ل ، س .

(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « قديما » .

(٤) ل : « فهو أبعد للناس من أن يؤلفوا مثله » .

(٥) س : « فى عين الأرض » .

(٦) ط : « جواهر أو » فى المواضع الأربعة . وصوابه فى ل ، س .

(٧) ل : « الأصناف » !

فيقال لهؤلاء : أرأيتم الفأرة التى خُلِقَتْ من صُلْب جُرَذٍ ورحم فأرة ، وزعمتم أنَّها فأرة على[1] مقابلة من الأمور السَّماويّة والهوائيَّة والأرضيَّة ، وكانت نتيجة هذه الخصال ، مع استيفَاء هذِه الصِّفات[2] ؟ ألَسْنا قَدْ[3] وجدنا فأرةً أخرى تهيَّأ لها من أرحام الأَرَضِين ، ومن حَضـانة الهواء ، ومن تلقيح المـاء ، ومن مُقابلات[4] السماويَّات والهوائيَّات ، فالزَّمان أصَارَ[5] جميع ذلك سبباً لفأرة [أخرى] مثلها . وكذلك كلُّ ما عددناه[6]

١١٧ فمن أين يستحيل أن يخلط الإنسانُ[7] بينَ مائيَّة طبيعية ومائيَّةِ جوهَر[8] ؟ إمَّا من طريق التبعيد والتقريب ، ومن طريق الظُّنـون والتجريب ، [أ] وْ من طريق أنْ يقع ذلك اتّفاقا ، كما صنع النَّاطف الساقط من يد الأجير فى مُذَاب الصُّفر[9] حتى أعطاه ذلك اللّون ، وجلَب ذلك النَّفع[10] ، ثم إنَّ

---

(١) س : « عن » .

(٢) ط : « مع استبقاء مده صفات » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٣) ط : « التسافد » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٤) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « المقابلات » .

(٥) أصار : جعل . ل : « من الزمان ما صار » .

(٦) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « كلما عددنا » .

(٧) ط : س : « يحلها إنسان » ، وصوابه فى ل .

(٨) ط ، س : « مأية » ، وصوابه فى ل .

(٩) الناطف : ضرب من الحلوى يصنع من اللوز والجوز والفستق ، ويسمى أيضا القبيطى والقباطى والقبيط — بضم القاف وتشديد الباء فيهن — والقبيطاء كحميراء . انظر القاموس واللسان مع الألفاظ الفارسية ١٢٣ وحاشية الصبان على شرح الأشمونى للألفية (٤ : ٨٨) وحواشى تهذيب الصحاح (نطف) . والصفر ، بالضم : النحاس .

(١٠) ل : « البقع » .

الرِّجالَ دبرْته وزادَتْ ونقَصَتْ ، حتى صارَ شَبَهَا ذهبيًّا . هذا مع النّوشاذر المولّد من الحجارة السُّود[١] .

فلو قلتم: إنَّ ذلك قائمُ الجوازِ فى العقل[٢] مطّرد فى الرَّأى ، غير مستحيل فى النَّظَر[٣] . ولكنَّا وجدْنا العالَمَ بما فيه من النَّاس منذ كانا فإنَّ النَّاس يلتمسون [هذا] وينتصبون له[٤] ، ويَكلَفون به . فلو كان هذا الأمرُ يجىء من وجه الجمع والتوليد[٥] والتركيب [والتجريب ، أ[٦]] وْ من وجه الاتفاق ، لقد كان ينبغى أنْ يكونَ ذلك قد ظهر من ألوفِ سنينَ وألوف ؛ إذْ كان هذا المقدارُ أقلَّ ماتؤرِّخ به الأمم ، ولكان[٧] هذا مقبولاً غيرَ مردود . وعلى أنَّه لم يتبيَّنْ لنا منه أنَّه يستحيل أنْ يكون الذَّهبُ إلاَّ من حيث وجد[٨] . وليس قُربُ كونِ الشىءِ فى الوهْم بموجب لكونِه ، ولا بعدُه فى الوهْم بموجبٍ لامتناعه .

ولو أنَّ قائِلاً قال : إنَّ هذا الأَمرَ[٩] [إذ] قد يحتاج إلى أنْ تتهيّأ له طباع الأَرض، وطباع الماء ، [وطباع الهواءِ]، وطباع النار، ومقادير حركات

---

(١) النوشاذر ، كذا جاء بالذال المعجمة . وانظر ما سيأتى فى ٥ : ٣٤٩ ط ، س : « والحجارة السود » .

(٢) ل : « القائم الجواز » . ط ، س : « قائم الجوهر فى العقل » ، وجمعت بينهما .

(٣) ل : « العقل » .

(٤) ل : « وينصبون له » .

(٥) ط ، س : « والتفريق »، والأشبه ما أثبت من ل .

(٦) الزيادة من ل ، س .

(٧) ط ، س : « وكان » .

(٨) ل : « وجه »، محرفة .

(٩) ل : « الأصل » .

الفلك ، ومقدارٌ من طول الزمان . فمتى لم تجتمعْ هذه الخصالُ وتكمُلْ هذه الأُمور لم يتمَّ خلق الذَّهب . وكذلك قد يستقيم أنْ يكون قد تهيَّأ لواحدٍ أن يجمع بين [مائتى] شكلٍ [من] الجواهِرِ ، فمزجها على مقاديرَ ، وطبخَها على مقادير ، وأغبّها مقدارًا[١] من الزمان ، وقابلت مقدارًا من حركات الأجرام السماويَّة ، وصادفت العالم بما فيه على هيئة[٢] ، وكان بعضُ ماجرى على يده اتفاقا وبعضه قصدًا ، فلما اجتمعت جاء منها ذهبٌ فوقَعَ ذلك فى خمسة آلاف سنة مرّة ، ثمَّ أراد صاحبُه المعاوَدَة فلم يقدِرْ على أمثال مقادير طبائع تلك الجواهِرِ ، ولم يضبط مقاديرَ ماكان قصَدَ إليه فى تلك المرَّة[٣] ، وأخطأ ما كان وقَعَ له اتِّفاقا[٤] ، ولم يقابل من الفلك مثلَ تلك الحركات ، ولا من العالَم مثل تلك الهيئة ، فلم يُعَدْ له ذلك .

فإن قال لنا هذا القَول [قائل] وقال: بَيِّنُوا[٥] لى موضعَ إحالته ، ولا تحتجُّوا بتباعد [اجتماع] الأُمور فيه ، فإنَّا نقر لكم بتباعدها . هل كان عندنا فى ذلك قولٌ مقنع ، والدَّليل الذى تَثْلج به الصُّدور ؟! وهل عندنا فى استطاعة النَّاس أن يولِّدوا مثل ذلك[٦] ، إلاَّ بأن يُعرَض هذا القول على العقول

---

(١) أغبها : جعلها تغب ، أى تمكث . ط ، س : « وأعانها مقدار » .

(٢) س : « هيئته » .

(٣) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « المدة » .

(٤) ل : « وأخطأ ما وقع له اتفاقا » .

(٥) ط ، س : « أثبتوا » .

(٦) ل : « أن يولدوا ناسا » ، وهو تحريف .

السليمة ، والأفهام التّامّة ونردّه إلى الرسُل[١] والكتب ؟ ! فإذا وجدنا هذه الأُمورَ كلها نَافِيَةً له[٢] كانَ ذلك عندنا هُوَ المقنع . وليس الشأن فيما يظهر اللِّسانُ من الشكّ فيه والتّجويز له ، ولكن ليردّه إلى العقل[٣] ؛ ١١٨ فإنّه سيَجده منكرا ونافيا [له] ، إذا[٤] كان العقل سليماً من آفة المرض ، ومن آفة التخبيل .

(ضروب التخبيل)

والتخبيل ضروب[٥] : تخبيلٌ من المِرَار[٦] ، وتخبيل من الشّيطان ، وتخبيل آخر كالرجل يعمِدُ إلى قَلبٍ رَطْبٍ لم يتوقّح ، وذهن لم يستمِرّ[٧] ، فيَحْمِله على الدقيق وهُو بَعْدُ لايفى بالجليل ، ويتخطّى المقدِّمات متسكِّعا[٨] بلا أمَارة ، فرجَع حَسيراً[٩] بلا يقين ، وغَبَرَ زَمَاناً لايعرف إلّا [الشكوك و]

---

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٢) كذا على الصواب فى ل ، وفى ط ، س : « باقية » .

(٣) ل : « ذهنه » .

(٤) فى الأصل : « فإذا » .

(٥) ل : « ضربان » ، وإنما هى « ضروب » .

(٦) المرار : جمع مرة بالكسر ، وهى مزاج من أمزجة البدن إذا قوى اختل معه التفكير .

(٧) يتوقح : يصلب . يستمر : يقوى .

(٨) متسكعا : متحيرا . ط ، س : « متكشفا » محرفة عن « متكسعا » .يقال تسكع وتكسع .

(٩) الحسير : المتعب المعيى . ط : « حيران » .

الخواطرَ الفاسدة ، التى متى لاقت القلبَ على هذه الهيئة ، كانت ثمرتها[١] الحيرة . والقلبُ الذى يفسُد فى يومٍ لا[٢] يداوَى فى سنة ، والبناءُ الذى يُنقَضُ فى ساعةٍ لايبنى[٢] مثله فى شهر .

(قولهم : نبيذٌ يمنع جانبه)

ثم رجع بنا القول إلى ذكر الذبان

قيل لِعَلُّويه كلبِ المطبخ : أىُّ شىءٍ معنى قولهم : « هذا نبيذٌ يمنع جانِبَه » ؟ قال : يريدُون أن[٣] الذّبّان لايدنو منه . وكان الرّقاشى حاضراً ، فأنشدَ قول ابن عبدل[٤] :

عَشَّشَ الْعَنْكَبُوتَ فى قَعْرِ دَنِّى ... إنَّ ذا مِنْ رَزِيَّتِى لَعَظِيمْ

لَيتنى قد غَمَرْتُ دَنى حتَّى ... أُبْصِرَ العَنْكبُوتَ فيهِ يَعُومْ[٥]

غَرقاً لايُغِيثُــهُ الدَّهْرَ إلَّا ... زَبَدٌ فوقَ رأسِــه مركومْ[٦]

---

(١) س : « نمرته » ، تحريف .

(٢) ط : « ولا » والوجه حذف الواو كما فى ل ، س .

(٣) ط ، س : « يريدان » .

(٤) هو الحكم بن عبدل الأسدى تقدمت ترجمته فى (٢ : ١٥٤) . وانظر أبياتاً من هذه القصيدة فى ٥ : ٢٩٧ . وهى مقيدة الروى ، أى ساكنته .

(٥) غمرته : ملأته حتى نهايته . وفى الأصل : « عمرت » . والدن ، بالفتح : الراقود العظيم . ط : « ذنى » وصوابه فى ل ، س . وفى ل : « تعوم » والعنكبوت مؤنثة وتذكر قليلا ، وابن عبدل قد جعلها هنا مذكرة بقرائن كثيرة .

(٦) الزبد : ما يعلو الخمر ونحوها . س : « وبز » محرفة . والمركوم : المتجمع .

مخرجاً كفَّه ينادى ذُباباً أن أغِثْنى فإنَّنى مَغْموم[١]

قال : دَعْنى فلَنْ أُطِيقَ دُنُوًّا من شَرابٍ يشَمُّهُ المزكوم[٢]

[قال] : والذِّبَّان يضرَب به المثلُ فى القَذَرَ وفى استطابة النَّتْن ، فإذا عَجزَ الذُّبابُ عن شمِّ شيءٍ فهو الذى لايكون أنتنُ منه .

ولذلك حينَ رمى ابنُ عبدلٍ محمَّدَ بنَ حَسَّان بنِ سعْد[٣] بالبخر ، قال :

وما يدنُو إلى فيـهِ ذبابٌ ولو طُلِيَتْ مَشافِرُه بقَنْد[٤]

يَرَيْنَ حَلاوةً ويخَفْنَ مَوتاً وَشِيكاً إنْ هَمَمْنَ له بورْد[٥]

(أبو ذبّان)

ويقال لكلِّ أبخر : أبو ذبَّان، وكانت فيما زعموا كنيةَ عبدِ الملك بن مروان[٦] وأنشدوا[٧] قولَ أبى حُزابة[٨] :

---

(١) ط ، س : « مخرج » . ل : « مظلوم » .

(٢) لا يشم المزكوم إلا ماكان غاية فى ظهور الرائحة . ل : « يقطر المزكوم » .

(٣) ط ، س : « سعيد » والصواب ما أثبت من ل والأغانى (٣ : ١٤٥) والبيان (٣ : ٧٤) ونهاية الأرب (١٠ ، ٣٠٠) وعيون الأخبار (٤ : ٦٢) حيث يوجد الشعر .

(٤) ل : « فما » . ومشافره أراد بها شفتيه ، ولكنه تهكم . والقند بالفتح : عسل قصب السكر إذا جمد ، معرب : « كند » .

(٥) ط : « يرون » وصوابه فى ل ، س . ل : « ذعافا » بدل : وشيكا » وقد تقدمت أبيات من هذه القصيدة فى (٢ : ٢٥٠ — ٢٥٣) .

(٦) قالوا : كنى بذلك لشدة بخره ، وموت الذبان إذا دنت من فيه . ويحكى أنه عض يوما تفاحة ورمى بها إلى بعض نسائه ، فدعت بسكين فقطعت موضع عضته ، فقال لها : ما تصنعين ؟ قالت : أميط عنها الأذى ! فطلقها من وقته . انظر ثمار القلوب ١٩٧ .

(٧) ط ، س : « وأنشد » :

(٨) ط ، س : « ابن خرابة » ، وتصحيحه من ل . وقد تقدمت ترجمته فى (١ : ٢٥٥) .

أمسى أبو ذبّانَ مخلوعَ الرَّسَنْ[1]   خَلْعَ عِنانٍ قارحٍ مِنَ الحُصُنْ[2]

* وقد صفَتْ بَيْعَتنا لابن حسن[3] *

١١٩

(شعر فيه هجاء بالذباب)

وقال رجلٌ يهجو هلالَ بنَ عبد الملك الهُنَائيَّ[4] :

ألا مَن يَشترى مِنِّى هِلالًا   مَوَدَّتَه وخُلَّتَه[5] بفَلْسِ

وأبرأ للذى يبتاعُ مِنِّى   هلالًا مِن خِصالٍ فيه خَمْسِ[6]

فمنهنَّ النغانِغُ والمكاوى   وآثارُ الجروحِ وأكْلُ ضِرْسِ[7]

ومن أخْذِ الذباب بإصبعَيهِ   وإن كانَ الذُّبابُ برأسِ جَعْسِ[8]

---

(١) ل: « أضحى » . والرسن ، بالتحريك : الزمام للدابة يوضع على الأنف .

(٢) س : « خلع عناق » ، وهو تحريف صوابه فى ل ، ط . والقارح : الذى انتهت أسنانه ، وإنما تنتهى فى خمس سنين . والحصن : جمع حصان . ط ، س : « الرش » تحريف .

(٣) ط ، س : « لابن الحسن » ، وهما وجهان جائزان فى العربية . جاء فى المخصص (٧١ : ٤٦) فى الكلام على إدخال (أل) ونزعها من الأعلام التى كانت فى أصلها صفات : « والعرب قد تفعل هذا ؛ لأنهم ربما قالوا : العباس وعباس ، والحسن وحسن » .

(٤) الهنائى : نسبة إلى هناءة ، كثمامة ، وهى قبيلة يمنية . انظر المعارف ٤٩ . ط ، س : « الهنانى » ، ل : « الهنأى » ، ووجهه ما كتبت .

(٥) ل : « وخلطته » .

(٦) ل : « ويشترط الذى » ، تحريف .

(٧) النغانغ : جمع نغنغ ، كبرقع ، وهو لحمة فى الحلق . أراد أنه يمرض بها أبداً . والمكاوى : جمع مكواة ، للتى يعالج بها الجروح ونحوها . ل : « والمكادى » ولا تصح . و : « آثار » بدلها فى ل : « آلات » . وأكل الضرس : أراد به فساده .

(٨) الجعس ، بالفتح : الرجيع . ل : « ولو كان » .

(قولٌ فى آية)

قالوا: وضرب الله عزّ وجلّ لضعف النَّاسِ وعجْزهم مثلاً، فقال: ﴿يا أيُّها النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فاسْتَمِعُوا لَهُ إنَّ الذِينَ تَدْعُون مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَه وَإنْ يَسْلُبْهُمَ الذُّبَابُ شَيْئاً لايَسْتَنْقِذوهُ مِنْه ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمطْلُوبُ﴾ فقال بَعْضُ النَّاس: قَدْ سَوّى بين الذّبّان والنَّاسِ فى العجْز. وقالوا: فقدْ يولِّد النّاس من التَّعفين الفَراشَ [وغيرَ الفَراش[1]] وهذا خلقٌ، على قوله: ﴿وَإذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْر﴾، وعلى قوله: ﴿أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾، وعلى قول الشاعر [2]:

وأرَاكَ تَفْرِى مَا خَلَقْتَ وبَعْـ ... ـضُ الْقوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لايَفرِى[3]

قيل لهم: إنما أراد الاختراع، ولم يرد التَّقدير[4].

---

(١) الزيادة من ل، س.

(٢) هو زهير، من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان. فى ديوانه ص ٦٠ – ٦٤.

(٣) تفرى: تقطع. خلقت: قدرت وهيأت. يقول: إذا تهيأت لأمر أمضيته وأنفذته.

(٤) أى إن المراد من الخلق فى الآية الأولى هو الاختراع لا التقدير. وأما فى الآيتين بعدها والشعر فالمراد التقدير، لا الاختراع والابتداع.

(قولٌ فى شعر)

وأمّا قول ابن ميّادة :

ألا لانُبالى أنْ تُخندِفَ خندِفٌ ولسْنا نُبالِى أن يَطِنّ ذُبابها[1]

فإنّما جعل الذُّباب هاهنا مثلا ، وقد وضعَه[2] فى [غير] موضع تحقير [له] و [موضع] تصغير . وهو مثل قوله :

بنى أسَدٍ كونُوا لمن قد علمتم مَوَالِىَ ذلَّتْ للهَوَانِ رِقابُها[3]

فلو حاربتْنا الجنُّ لم نرفع العَصَا عن الجنِّ حتّى لاتَهِرَّ كلابُها[4]

وليس يريد [تحقير[5]] الـكلاب .

(استطراد لغوى)

ويقال : هو ذباب العين ، وذباب السَّيف . ويقال تلك أرضٌ مَذَبَّة ، أىْ كثيرة الذُّباب .

---

(١) تخندف : تمشى مشية كالهرولة ، ومن ذلك ما سميت القبيلة خندفا . ل : « تخندق » س : « تجيد » ، والوجه ما فى ط . وفى س : « تطن ذبابها » ، والذباب يذكر ويؤنث ؛ إذ كل جمع يـكون بينه وبين واحده الهاء فإنه يذكر ويؤنث .

(٢) ط ، س : « وصفه » ، وصوابه فى ل .

(٣) ل : « كن » ، ويتجه بها المعنى أيضاً .

(٤) ط ، س : « ولو » ط : « القنا » وهو جمع قناة .

(٥) ليست بالأصل . والـكلام فى حاجة إلى مثلها .

وقال أبو الشَّمقْمَقِ فى هِجائه لبعض من ابتُلى به :

أسمج النَّاسِ جميعاً كلِّهم كذُبَابٍ ساقطٍ فى مَرَقَهْ

[ويقال إن اللبن إذا ضرب بالكندس[١] ونضح به بيت لم يَدْخله ذبَّان] .

(أبو حكيم وثمامة بن أشرس)

وسمعت أبا حكيم الكيمائى[٢] وهو يقول لثمامةَ بنِ أشرس : قلنا لكم إنَّنا ندلكم على الإكسير[٣] ، فاستثقلتم الغُرْم ، وأردتم الغُنم بلا غُرم . وقلنا لكم : دَعُونا نصنع هذه الجسور [صنعةً لاتنتقض أبداً ، فأبيتم . وقُلنا لكم : ماترجُون من هذه المسنّيات[٤]] التى تهدمها المُدود[٥] ، وتخرِّبها المرادىّ[٦] ؟ ! نحنُ نعمَل لكم مسنّياتٍ[٧] بنِصف هذه المئُونةِ ، فتبقى لكم

(١) الكندس ، كقنفذ : عروق نبات داخله أصفر وخارجه أسود .

(٢) ط : « الكيماوى » . س : « الكيمائى » .

(٣) فى مفاتيح العلوم ١٥٠ : « ملح الإكسير : هو الدواء الذى إذا طبخ به الجسد المذاب جعله ذهبا أو فضة ، أو غيره إلى البياض أو الصفرة » .

(٤) المسنيات : الأحباس تبنى فى الأودية .

(٥) المدود : جمع مدّ ، بالفتح ، وهو السيل أو كثرة الماء .

(٦) المرادى : جمع مردى ، كشرطى ، وهو خشبة تدفع بها السفينة . ويسميها عوام مصر « المدرى » بكسر الميم والقصر . ط : ل : « المدارى » وصوابه فى س .

(٧) المسنيات قد فسرت . ط : « مسببات » س : « مسنات » وصوابه فى ل .

أبداً . ثمَّ قولوا للمُدرد أن تجتهد جهدَها ، وللمَرَادِيِّ[١] أنْ تبلغ غايتها [فأبيتم] . وقولوا لى:[٢] الذُّباب ماترجُون منها[٣] ؟ و [ما] تشتهون من البَعُوض ؟ وما رغْبَتُـكُمْ فى الجرجِس[٤] ؟ لم لاتدَعُونى أخرجُها من ١٢٠ بيوتـكم بالمئُونَة اليسيرة ؟ وهو يقول هذَا القولَ وأصحابُنا يضحكون ، وابن سافرى جالسٌ يسْمع[٥] ، فلما نزلنا أخذ بيده ومضى به إلى منزله ، فغدَّاه وكساه وسَقاه ، ثمَّ قال له : أحببتُ[٦] أنْ تخرج البَعُوضَ من دارى . فأمَّا[٧] الذُّباب فإنى أحتمله . قال : ولم تحتمل الأذى وقد أتاك اللهُ بالفَرج[٨] ؟ قال : فافعلْ . قال : لابدَّ لى من أن أخلط أدوية [وأشترى أدوية]. قال : فـكم تريدُ ؟ قال : [أُريد] شيئاً يسيراً . قال : وكم ذاك[٩] ؟ قال : خمسون ديناراً[١٠] . قال : ويحك ! خمسون يقال لها يسير[١١] ؟ ! قال:

---

(١) المرادى سبق تفسيرها فى ٣٨٥ . ط ، ل : « للمدارى » وصوابه فى س .

(٢) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « إلى » .

(٣) ط ، س : « منه » .

(٤) الجرجس : لغة فى القرقس ، وهو البعوض الصغار . ط ، س : « رغبكم » .

(٥) ابن سافرى ، هو كذلك فى ل والبخلاء ١٧٦ . وفى ط ، س : « ابن مسافر » . وفيهما أيضاً : « يستمع » .

(٦) ل : « أحب » .

(٧) ط فقط : « وأما » .

(٨) كذا فى ل . وفى ط ، س : « قد جاءك الله بالفرج » .

(٩) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فـكم مبلغه » .

(١٠) ط ، س : « أريد خمسين ديناراً » .

(١١) ل : « وخمسون يسير » .

أنت ليسَ[١] تشتهي الرَّاحــة من قذَر الذِّبَّان ولسع البعوض ! ثمَّ لبس نعليه[٢] وقام على رجليه . فقال له : اقعد . قال : إن قعدْتُ قبل أن آخذَها ثمَّ اشتريت دواءً بمائَة دينار لم تنتفعْ به[٣] ؛ فإنِّى لست أدَخِّنُ هــذه الدُّخْنة[٤] ، إلاَّ للذين إذا أمرتهم بإخراجهنَّ أخرَجُوهن . ولا أكتمكَ ما أُريدُ ؛ إنِّى لست أقصد إلاَّ إلى العُمَّار[٥] . فما هو إلاَّ أنْ سمع بِذكر العُمَّار[٦] حتى ذهب[٧] عقله ، ودعا له بالـكيس [وذهب][٨] ليزن الدَّنانير ، فقال له : لا تشقَّ على نفسك ! هاتها بلا وزنٍ عددًا[٩] ، وإنَّما خاف أن تحدث حادثَةٌ ، أو يقع شغل ، فتفوت . فعدَّها وهو زَمِعٌ[١٠] فغلط بعشرة دنانير ، فلمـا انصرف وزنها وعدَّها فوَجَدَ دَنانِيرَه[١١] تنقص ، فبكَرَ عليه يقتضيه الفَضْل[١٢] ، فضحك أبوحكيم حتَّى كاد يموت ، ثُمَّ قال :

---

(١) كذا فى ل ، س . وفى ط : « لست » .

(٢) ل : « خفه » .

(٣) ط ، ل : « تنفع » .

(٤) ط : « أدخل » ل : « الدخن » .

(٥) العمار : سكان البيوت من الجن فيما يزعمون . ط ، س : « القمار » وتصحيحه من ل .

(٦) ط ، س : « فما هو إلا صلك سمعه بذكر القمار » ، وفيه تحريف .

(٧) ط ، س : « فذهب » .

(٨) هذه من س .

(٩) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « وعدد » .

(١٠) زمع : دهش . ل : « فيعدها وهو زيغ »، تحريف .

(١١) ط : « فوجدنا دنانير »، محرف .

(١٢) بكر عليه ، جاء إليه بكرة فى أول النهار . ط ، س : « فكتب إليه »، محرف والفضل : الفرق .

تسألني عن الفرع وقد استُهلكَ الأصل ؟ ! [ولم يزل] يختلفُ إليه ويدافعُه حتَّى قال له ثمامة : ويلك أمجنونٌ[(١)] أنت ؟ ! قد ذهب المالُ والسُّخرِيه مستورة . فإن نافرْتَه فضَحْتَ نفسَك ، وربحتَ عداوة شيطانٍ هُوَ واللهِ أضَرُّ عليكَ من عُمَّارِ بيتِك ، الذين ليسَ يخرجون عنك[(٢)] الذبابَ والبعوضَ بلا كُلفة ، مع حقِّ الجوار . قال : هم سكَّانى وجيرانى . قالوا : لو كان سمع منك أبو حكيم هذه الكلمة لكانت الخمسون دينارًا مائَةَ دينار ! !

(شعر فى أصوات الذُّباب وغنائِها)

ومما قيل فى أصوات الذباب[(٣)] وغِنائها ، قال المثقِّب العبدىُّ[(٤)] :

وتسمَعُ للذِّبابِ إذا تغنَّى ... كَتغريد الحمامِ على الغُصونِ

وقال آخر :

حُوٌّ مَسارِبُهُ تَغَنَّى فى غَياطِله ذبابُه[(٥)]

---

(١) ط ، س : « ويلك يامجنون » .

(٢) ط : « ليسوا يخرجون عنه » .

(٣) س : « الذبان » .

(٤) المثقب العبدى : شاعر جاهلى من شعراء البحرين ، مسكن قبيلة عبد القيس . واسمه محصن ، بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الصاد المهملة . وأبوه ثعلبة ابن وائلة بن عدى . والمثقب : اسم فاعل من ثقب ، سمى بذلك لقوله :

رددن تحية وكنن أخرى ... وثقبن الوصاوص للعيون

خزانة البغدادى (٤ : ٤٣١ بولاق) ومعجم المرزبانى ٣٠٣ والشعراء ٨٨ .

(٥) حو : جمع أحوى ، وهو الضارب إلى السواد لشدة خضرته . والمسارب : المراعى والغيطل : الشجر الملتف .

وقال أبو النجم :

أُنفٌ ترى ذُبَابها تعَلّه[1] من زَهَرِ الرَّوْضِ الذى يكَلِّلُهْ[2]

وقال أيضاً :

[والشيخ تهديه إلى طحمائه][3] فالرَّوضُ قد نوَّر فى عَزَّائه[4]

مختلفَ الألوان فى أَسمائِه[5] نَوْرًا تخال الشَّمْسَ فى حمرائِه[6]

مكلَّلاً بالوردِ من صفرائِه يجاوب المكَّاءَ من مُكَّائِه[7]

صوتُ ذُبابِ العُشْبِ فى دَرْمائِه[8] يَدْعُو كأنَّ العَقْبَ مِنْ دُعائه[9]

صوتُ مُغَنٍّ مَدَّ فى غِنائه

١٢١ وقال الشَّمَّاخ :

يكلفها أَلاَّ تخفِّضَ صَوْتَها أَهازيجُ ذِبَّانٍ عَلَى عُودِ عَوْسَجِ[10]

بعيدُ مَدَى التّطريبِ أَوَّلُ صَوْتِه سَحِيلٌ وأَعلاهُ نَشِيجُ المحْشرجِ[11]

---

(١) أنف : أى روضة أنف بضمتين ، وهى التى لم يرعها أحد . وأسكن النون للشعر . ط : « أتعترى » وصوابه فى ل ، س ، واللسان (أنف) . وتعلّه : من علله بالطعام : شغله به . وضمير « ذبابها » عائد إلى الروضة الأنف . ط ، س : « ذبابة » محرفة . وفى اللسان : « ذبانها » .

(٢) يكلله : يحفه من كل جانب . ل : « من زهر النور »، تحريف .

(٣) فى هذه الزيادة تحريف .

(٤) العزاء : الأرض التى لبدها المطر فشددها . انظر اللسان . ط : « عزائنه » وتصحيحه من س . ل : « حوائه » .

(٥) ل : « من أسمائه » .

(٦) أى تخال أنت الشمس فى أزهاره الحمراء ، فلونهما واحد . ل : « تحار الشمس » .

(٧) المكاء بضم الميم والتشديد : ضرب من القنابر له صفير حسن .

(٨) الدرماء : نبت ليس بشجر ولا عشب ، ينبت على هيئة الكبد .

(٩) العقب ، بالفتح : بمعنى التوالى والملاحقة . ط ، س : « كذى العقب من بكائه » ، صوابه من ل .

(١٠) أهازيج : جمع أهزوجة ، وهو هنا صوت طيران الذباب . ط : « أهاريج » بالراء وصوابه فى س . والبيتان ساقطان من ل . ولم أجد هذا البيت فى ديوان الشماخ ، وبدله فى صفة امرأة :

منعمة لم تلق بؤس معيشة ولم تغتزل يوماً على عود عوسج

(١١) مدى التطريب : غاية ترجيع الصوت . والسحيل : أشد نهاق الحمار . ط : =

(المغنّيات من الحيوان)

والأجناس التي توصف بالغِناء أجناسُ الحمام والبعوض ، وأصناف الذِّبَّان من الدَّبْر ، والنَّحلِ ، والشَّعْراء ، والقَمَع[1] والنُّعَر[2] . وليس لذِبَّان الكلب غِنَاء ، ولا لما يخرُجُ من الباقلاء . قال الشاعر :

تَذبّ عنها بأثيثٍ ذَائِلِ ذِبَّان شَعْرَاءَ وَصِيفٍ ماذِلِ[3]

(ألوان الذِّبَّان)

وذِبَّان الشَّعْرَاء حُمر . قال : والذِّبَّان التى تُهْلِكُ الإبلَ زُرق . قال الشاعرُ[4] :

تربَّعَتْ والدَّهرُ ذو تصفُّقِ[5] حَاليةً بذى سَبيبٍ مونِقِ[6]

إلاّ منَ أصواتِ الذبّاب الأزرقِ[7] أو من نقانق الفَلا المنقْنق[8]

= « سيحل » س : « سجل » وصوابه فى الديوان ١٤ . والنشيج : الصوت يتردد فى الصدر . والحشرج : الذى يغرغر عند الموت . والبيت فى صفة حمار .

(١) القمع بالتحريك : ذباب يركب الإبل والظباء إذا اشتد الحر .

(٢) النعر : ذباب أزرق يلسع الدواب . س : « الثعر » ل : « النغر » وهما تصحيف مافى ط .

(٣) الأثيث : الكثير الشعر . والذائل : الطويل . وقد عنى به : الذيل . وانظر ص ٣١٤.

(٤) الأولى أن يقول : الراجز . والكلام من « قال الشاعر » إلى نهاية الرجز ساقط من ل .

(٥) تربعت : يعنى الإبل أكلت الربيع . والتصفق : التقلب والتحول .

(٦) حالية : مزينة ، أراد روضة . والسبيب واحدته سبيبة ، وهى العضاه تكثر فى المكان . أو أراد بالسبيب : ذوائب الأشجار . والمونق : المعجب .

(٧) ط : « الأزق » ، تطبيع صوابه فى س .

(٨) « نقانق » بدلها فى س : « تفانع » . وأحسبهما محرفتين .

والذِّبّان الذى يسقط على الدواب صُفر[1] .

وقال أرطاة بن سُهَيَّة ، لزُميل بن أمِّ دينار[2] :

أزميل إنِّى إن أكنْ لك جازيا ... أَعْكِرْ عليكَ وإن ترُحْ لاتسْبِقِ[3]

إنِّى امروٌّ تجد الرِّجال عدَاوتى ... وجْدَ الرِّكاب من الذُّبابِ الأزْرق

وإذا مرَّ بك الشِّعر الذى يصلح للمثل وللحفظ[4] ، فلاَ تَنْسَ حظَّكَ من حِفظه .

وقال المتلمِّس :

فهذا أَوَانُ العِرْض حَىَّ ذُبَابُهُ ... زنابيرُه والأزرَقُ المتلمِّسُ[5]

وبه سمِّى المتلمِّس .

---

(١) ط : « أصفر » .

(٢) زميل بن أم دينار : أحد بنى مازن بن فزارة ، أحد بنى عبد مناف . وأبوه أبير بالتصغير ، أو وبير ، أو دبير ، وهو قاتل ابن دارة فى خلافة عثمان ، وهو من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام . المؤتلف والمختلف ١٢٩ ، والإصابة ٣٩٧٣ ، والخزانة ٢ : ١٢٨ سلفية . ط ، س : « بن أم زبير » ، وصوابه فى ل ، والخزانة . وأرطاة بن سهية : هو ابن زفر بن عبد الله الغطفانى المزنى ، شاعر مشهور . وسهية أمه . أدرك الجاهلية ، وعاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان . وكان يكنى أبا الوليد ، وهى أيضاً كنية عبد الملك . فقال من شعر :

وما تبغى المنية حين تأتى ... على نفس ابن آدم من مزيد

وأعلم أنها ستكر حتى ... توفى نذرها بأبى الوليد

فارتاع عبد الملك وظن أنه أراده . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما عنيت نفسى فسكت . ونسب فى الحماسة ١ : ١٤٩ إلى سالم بن دارة .

(٣) ل : « يازمل » ى : « جازيا » بدلها فى ل : « حاديا » ، وهذه الأخيرة لاتصح وأعكر عليك : أغلبك أو أكر عليك . و « ترح » هى فى ط : « تزع » .

(٤) ل : « يصلح لمكانه ، ولأن تحفظه » .

(٥) بهذا البيت سمى المتلمس . وهو شاعر جاهلى اسمه جرير بن عبد المسيح الضبعى كما فى الشعراء . والعرض – بالكسر – : كل واد فيه شجر . وحى ذبابه : من الحياة والمراد هنا الانتعاش ، ويروى : « جن ذبابه » وجنونه : كثرة طنينه . ط : « ذبابة » صوابه فى ل ، س . س : « حتى » وهى تحريف .

وقال ابن ميّادة :

بعَنْتَريسٍ كأنّ الدَّبْرَ يلسَعُها إذا تغــرَّدَ حادٍ خلفَها طَرِدُ[1]

(ما يسمّى بالذّبّان)

والدَّليل على أنّ أجناسَ النَّحْل والدَّبْر كلّها ذِبَّان ، ما حدث [بِه] عبَّاد بن صُهيب ، وإسماعيل المكّيّ[2] عن الأعمش ، عن عطيَّة بن سعيد العَوْفى[3] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كلُّ ذُبابٍ فى النارِ إلاَّ النَّحلة» .

وقال سليمان : سمعت مجاهدًا يكرهُ قتل النَّحل وإحراقَ العِظام . يعنى فى الغزو .

وحدثنا عَنْبسة قال : حدّثنا حنْظَلة السّدُوسيُّ قال : أنبأنا[4] أنسُ ابن مالك ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : « عمر الذّبابِ أربعون يوما . والذُّبَاب فى النار » .

---

(١) العنتريس : الناقة الصلبة القوية الجريئة . وانظر الأغانى ٢ : ١٠٢ .

(٢) ل : « عن إسماعيل المكى » .

(٣) ل : « العونى » وصوابه فى ط ، س كما فى تقريب التهذيب . قال ابن حجر : عطية بن سعد بن جنادة – بضم الجيم بعدها نون خفيفة – العوفى الجدلى – بفتح الجيم والمهملة – ، الكوفى ، أبو الحسن . صدوق يخطئ كثيراً . مات سنة إحدى عشرة يعنى بعد المائة . وترى أنه جعل أباه سعداً لا سعيدا .

(٤) ل : « حدثنا » .

(بحث كلامىّ فى عذاب الحيوان والأطفال[1])

وقد اختلف النَّاس فى تأويل قوله : « والذباب فى النار » وقال قوم : الذّباب خلقٌ خُلق للنّار ، كما خلق الله تعالى نَاساً كثيراً للنّـار ، وخلق أطفالاً للنَّار . فهؤلاء قومٌ خلعوا عُذُرَهم[2] فصارَ أحدهم إذا قال : ذلك ١٢٢ عَدْلٌ من الله عزَّ وجلّ ؛ فقد بلغ أقصى العذر ، ورأى أنَّه إذا أضاف إليه عذابَ الأطفال فقد مجَّده . ولو وجد سبيلاً إلى أَنْ يقول إنَّ ذلك ظُلم لقاله[3] ولو وجد سبيلاً إلى أن يزعم أنَّ الله تعالى يخبرُ عن شَىْءٍ[4] أنّه يكون وهو لا[5] يكون ، ثم يقول إلاَّ[5] أنّ ذلك صدق لقاله . إلاّ أنّه[6] يخاف السَّيف عند هذه ، ولا يخاف السَّيف عند تلك . وإن كانتِ تلكَ أعظمَ فى الفِريةِ مِن هذه .

وبعضهم يزعُم أنَّ الله عزَّ وجلَّ إنَّما عذَّبَ أطفالَ المشركين ليغمَّ بهم آباءهم[7] . ثمَّ قال المتعاقِلون منهم : بل عذّبهم لأنّه هكذا شاء ، ولأنَّ هذا له . فليت شعرى [أ] يحتسب بهذا القول فى باب التمجيد لله تعالى ؛ لأنّ

---

(١) انظر مثل هذا البحث فى الفرق بين الفرق ١٣١ .

(٢) جمع عذار ، وهو من اللجام ماسال على خد الفرس . وخلع العذار كناية عن التشاطر كما فى الأساس .

(٣) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٤) ط : « الشىء » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٦) بدلهما فى ل : « ولكن » .

(٧) كلمة : « بهم » ساقطة من ل . و « آباءهم » رسمت فى ط ، س : « آبائهم » خطأ .

كل من فعل ما يقدر عليه فهو محمود ، وكل من لم يخف سوط أمير فأتى[1] قبيحاً فالذى يحسن[2] ذلك القبيحَ أنّ صاحبَه كان فى [موضع][3] أمن ، أو لأنّه آمنٌ يمتنع[4] من مطالبة السلطان . فكيف وكون الكذب والظُّلم والعبث واللهو والبُخْل[5] كلِّه محال ممَّن لا يحتاج إليه ، ولا تدعوه[6] إليه الدواعى ! !

وزعم أبو إسحاقَ أنّ الطّاعاتِ إذا استوَتْ استوى أهلُها فى الثَّواب ، وأنّ المعاصىَ إذا استوتْ استوى أهلُها فى العقاب . وإذا لم يكن منهم طاعةٌ ولا معصية استوَوْا فى التفضُّل[7] .

وزعم أنَّ أجناس الحيوان [وكلَّ شىءٍ] يحسُّ ويألم ، فى التفضُّل[7] سواء .

وزعم أنّ أَطفالَ المشركين والمسلمينَ كلَّهم فى الجنّة . وزعم أَنّه ليس بينَ الأطفالِ ولا بينَ البهائم والمجانين فرق ، ولا بين السِّباع فى ذلك وبين البهائم فرق .

---

(١) ط : « أتى » تحريف .

(٢) ط : « يحس » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٣) من ل ، س :

(٤) ل : « أم لأنه يمتنع » و « أم » تحريف .

(٥) ط ، س : « والضحك » .

(٦) ط ، س : « تدعو » .

(٧) أى تفضل الخالق بالثواب . ط ، س : « بالتفصيل » محرف .

وكان يقول : إنّ هذه الأبدان السبُعيّة والبهيمية لا تدخل الجنّة ، ولكنّ الله عزّ وجلّ ينقُل تلك الأرواحَ خالصةً من تلك الآفات ؛ فيركِّبها فى أىّ الصُّور أَحَبّ[1] .

وكان أبو كلدة[2] ، ومَعْمَر ، وأبو الهُذَيل ، وصحصح[3] ، يكرهون هذا الجواب ، ويقولون : سواءٌ عند خواصِّنا[4] وعوامِّنا ، أَقلنا : إنَّ أَرواحَ كلابنا تصيرُ إلى الجنّة ، أم قلنا : إنّ كلابَنا تدخل الجنّة[5] . ومتى مااتَّصل كلامُنا بذكر الكلب على أىّ وجهٍ كان ؛ فكأنّا عِندَهم قد زعمْنا أنّ الجَنّة فيها كلاب . ولكنّا نزعم أنّ جميع ما خلَقَ الله تَعالى مِنَ السِّباع والبهائم والحشَرات والهمج [فهو] قبيح المنظرة مؤلم، أَو حسن المَنظرة[6] مُلِذّ؛ فما كان كالخيل والظباء، والطواويس ، والتّدارِجِ[7] فإنَّ تلك [فى] الجَنّة ، ويَلَذُّ[8] أَولِياءُ الله عَزَّ وجلَّ بمَناظرها . وما كان منها قَبِيحاً فى الدُّنيا مؤلِمَ النظر

---

(١) ط ، س : « الصور الحسان أحب » . وكلمة « الحسان » مقحمة .

(٢) أبو كلدة : سبق له حديث فى الجزء الأول ص ٢٣٤ .

(٣) كان صحصح ذا مذهب غريب فى « تفضيل النسيان على كثير من الذكر ، وأن الغباء فى الجملة أنفع من الفطنة ، وأن عيش البهائم أحسن موقعاً فى النفوس من عيش العقلاء » . وتجد حجته لذلك فى البخلاء ص ٥ .

(٤) ل : « خصومنا » .

(٥) ط ، س : « تدخل » بدل : « تصير إلى » . والكلام من « أم » ساقط من س : وبدلها فى ط : « أو » ، والوجه « أم » كما فى ل .

(٦) المنظرة : المنظر ، وبهذه الأخيرة جاءت فى ط ، س .

(٧) التدارج : جمع تدرج ، وهو ضرب من الطير . ط ، س : « التداريج » .

(٨) ط ، س « وتلك » وصوابه فى ل .

جعله الله عذاباً إلى عذاب أعدائه فى النَّار . فإذا[١] جاء فى الأثر : أنَّ الذّباب فى النّار ، وغير ذلك من الخلق ، فإنَّما يراد به هذا المعنى .

١٢٣ وذهب بعضهم إلى أنها تكون فى النَّـار ، وتلَذُّ ذلك[٢] ، كما أنَّ خَزَنَةَ جهنَّمَ والذين يتولَّون من الملائكة التَّعذيبَ ، يلذُّون موضعَهم من النار .

وذهب بعضهم إلى أنَّ الله تعالى يطبَعهُم على استلذاذ النَّار والعيشِ فيها ، كما طبع ديدان[٣] الثَّلج والخلِّ على العيش فى أماكنها .

وذهب آخرون إلى أنَّ الله عزَّ وجلَّ يحدث لأبدانهما علَّةً لاتصل النّار إليها ، وتنعم قلوبهما وأبدانهما من وجه آخر كيف شاء[٤] . وقالوا: [و] قد وجدْنا النّاسَ يحتالون لأنفسهم فى الدُّنيا حِيلاً ، حتى يدخُل أحدُهم بَعضَ الأتاتين[٥] بذلك الطلاء ، ولا تضرُّه النار ، وهو فى معظمِها ، وموضع الجاحم[٦] منها . ففَضْلُ ما بينَ قدرةِ الله وقُدرة عباده أكثر من فضل ما بينَ حَرّ نار الدُّنيا والآخرة[٧] .

---

(١) ل ، ط : « إذ » ، ووجهه من س .

(٢) ط ، س : « تلذ بذلك » وأثبت مافى ل . وهما صحيحتان . قال الزبير بن العوام يرقص ابنه عروة (البيان ١ : ١٨٠) :

أبيض من آل أبي عتيق مبارك من ولد الصديق
ألذه كما ألذ ريقى

(٣) ط : « حيوان » ، وصوابه : فى ل ، س . وديدان الخل سبق الكلام عليها فى ٢ : ١١١ .

(٤) ط ، س : « كما شاء » . وجاءت الضمائر فى ط ، س للعاقل ، أى « لأبدانهم » و « قلوبهم وأبدانهم » وصوابه فى ل .

(٥) الأتاتين : جمع أتون ، كتنور ، وهو : أخدود الخباز والجصاص ونحوه . ط ، س « الناس » وصوابه فى ل .

(٦) الجاحم : التوقد والالتهاب . ط ، س : « الجماجم » وتصحيحه من ل .

(٧) كذا فى ل . والفضل : الزيادة . ط ، س : « كفضل مابين قوة حر نار الدنيا والآخرة » .

وَذهب بعضهم إلى أنَّ سبيلها[١] فيها كسبيل نار إبراهيم ؛ فإنّه لما قُذِف فيها بَعَثَ الله عزَّ وجلَّ مَلَكاً يقال له [ملك] الظلِّ ، فكان يحدِّثه ويُؤْنسه ؛ فلم تصل النار إلى أذاه ، مع قرْبه من طباع ذلك الملَك .

وكيفَمَا دار الأمرُ[٢] فى هذه الجَوَابات ؛ فإن أخسَّها وأشنَعها أحسَنُ مِن قَولِ مَنْ زَعمَ أنّ الله تَعالى يُعَذِّب بنار جهنَّمَ من لم يسخطه ولا يَعقِلُ كيف يكون السخط . ومن العَجَب أنَّ بَعضهُمْ يزعمُ أن الله تعالى إنما عذَّبه ليغمَّ أباهُ[٣] . وإنما يفعل ذلك من لا يقدر على أن يُوصِلَ إليهم ضعف الاغتمام ، وضعفَ الألم[٤] الذى ينالهم بسبب أبنائهم . فأمّا مَن يقدِرُ على إيصال ذلك المقدارِ إلى من يستحقّه ، فكيف يوصله ويصرفه إلى من لا يستحقّه ؟ ! وكيف يصرفه عمّن أسخطه إلى من لم يُسْخِطْه[٥] ؟ ! [هذا] وقد سمعوا قولَ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَوَدُّ الْمجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ . وَمَنْ فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ . كَلاَّ إِنَّها لظَى . نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ﴾ . وكيف يقولُ هذا القَوْلَ مَنْ يتلو القرآن ؟ !

ثمَّ رجع بنا القولُ إلى الذبّانِ وأصنافِ الذّبّان .

---

(١) ط ، س : « سبيلهم » ، وصوابه فى ل .

(٢) ط ، س : « وكيف دار الأمر » .

(٣) ط : « آباءه » ، وصوابه فى ل ، س .

(٤) ل : « ضعف اغتمامهم والألم » .

(٥) ط : « إلى من لا يستخطه دون من أسخطه » س : « إلى من استحقه » ، وهما تحريف ما أثبت من ل .

(جهل الذِّبّان وما قيل فيها من الشعر)

والذّبّان أجهلُ الخلْق ؛ لأنّها تَغْشَى النّارَ من ذات أنفُسِها حتّى تحترق.

وقال الشاعر :

خَتَمْت الْفُؤَادَ عَلَى حُبِّها كذَاكَ الصَّحيفةُ بالخاتَمِ [1]
هـوتْ بى إلى حبها نظرةٌ هُوِىَّ الْفَرَاشَةِ للجاحِمِ

وقال آخر :

كأنَّ مَشافِرَ النَّجَدَاتِ منها إذا مامسَّها قَمَعُ الذُّبابِ [2]
بأيدى مأْتَم متساعداتٍ نعال السبت أو عَذَبَ الثِّياب [3]

١٢٤ (نقد بيت من الشعر)

وقال بعض الشعراء[4] ، يهجو حارثَة بنَ بدرٍ الغُدَانىَّ :

زعمَتْ غُدَانَةُ أنَّ فيها سيِّدًا ضخْمًا يُوَارِيهِ جَنَاحُ الْجُنْدُبِ [5]

---

(١) كذا فى ط ، س : وثمار القلوب ٣٩٩ . وفى ل : « على حبها كختم » . وكانوا يختمون الرسائل بالخاتم على طين خاص ، يسمى طين الختم .

(٢) النجدات : جمع نجدة ، وهى الناقة تكون نجدة على صاحبها . والقمع : ذباب الإبل .

(٣) المأتم : جماعة النسوة فى الحزن . ط : « بأيد متائم » صوابه فى ل ، س . والعذاب : جمع عذبة ، وهى خرقة النائحة . ط ، س : « عرب » محرف . أما « نعال السبت » فلم أجد لها علاقة بالكلام . وماذا عسى تفعل النوائح بنعال السبت ؟ ل : « فعال السبت » !

(٤) هو الأبيرد الرياحى ، كما فى الأغانى (١٢ : ١٠) . وانظر (٦ : ٣٥١) .

(٥) غدانة بالضم : قبيلة . يواريه : يستره . ط ، س : « يوازنه » ، أى يماثله ويساويه . وأثبت ما فى ل وثمار القلوب ٣٢٥ .

وزعم ناسٌ أنّه قال :

يُرويهِ ما يُرْوِى الذُّبابَ فينتَشى سُكْراً ، وتُشْبِعُه كُراعُ الأرنب[1]

قالوا : لايجوز أنْ يقول : « يرويه مايروى الذباب » و « يواريه جَناحُ الجندب[2] » ثم يقول : « ويشبعه كراع الأرنَب » :

وإنما[3] ذكر كُراعَ الأرنب ؛ لأنّ يد الأرنب قصيرة ، ولذلك تسرع [فى] الصُّعود ، ولا يلحقها مِن الـكلاب إلّا كلُّ قصير اليد[4] . وذلك محمودٌ من الـكلب . والفرس تُوصَف[5] بقصر الذِّراع .

(قصة فى الهرب من الذّباب)

وحدّثنى الحسنُ بن إبراهيم العلوىُّ قال : مررتُ بخالى ، وإذا هو وحده يضْحك ، فأنـكرتُ ضحكه ؛ لأنِّى رأيتُه وحده ، وأنـكرته[6] ؛ لأنَّه كان رجلا زمِّيتاً ركِيناً[7] ، قليلَ الضَّحِك . فسألته عن ذلك فقال : أتانى فلانٌ

---

(١) ط ، س : « ويشبعه كراع الجندب » . والـكراع بالضم : قائمة الدابة . وتجمع على أكرع ثم على أكارع . وهى مؤنثة يصح فى فعلها التذكير والتأنيث . لـكن كلمة « الجندب » تحريف صوابه من ل والثمار ومن سياق الـكلام .

(٢) الجندب : ضرب من الجراد . ط ، س : « يوازنه جناح الجندب » .

(٣) قبل هذا فى ط ، س : زيادة لا حاجة إليها ، وهو : « وأما سماعى فهو الرواية الأولى :

يرويه ما يروى الذباب فينتشى سكراً وتشبعه كراع الأرنب»

(٤) ل : « اليدين » .

(٥) ط ، س : « يوصف » .

(٦) ط س : « فأنـكرته » .

(٧) الزميت : العظيم الوقار . والركين : الرزين . ل : « سكيتا » .

يعنى شيخاً مدينيًّا[١] — وهو مذعورٌ فقلت له : ما وراءك ؟ فقال : أنَا واللهِ هاربٌ من بيتى ! قلت ولِمَ ؟ قال : فى بيتى ذبابٌ أزرق ، كلما دخلتُ ثَارَ[٢] فى وجهى ، وطار حولى وطنَّ عند[٣] أذنى ، فإذا وجد منِّى غفلةً لم يُخطئْ مُوقَ عينى . هذا واللهِ دأبُه ودأبى دهراً معه[٤] . قلت له : إنّ شبه الذباب بالذباب كشبه الغرابِ بالغُراب ؛ فلعلَّ الذى آذاك اليومَ أن يكونَ غيرَ الذى آذاك أمسِ ، ولعلَّ الذى آذاك أمسِ غيرُ الذى آذاك أوَّل [من[٥]] أمسِ ، فقال : أعتِقُ ما أملك إن لَمْ أكن أعرفه [بعينه] منذُ خمس عَشرة سنة[٦] . فهذا هو الذى أضحكنى !

(قصة فى سفاد الذباب)

وقال الخليلُ بن يحيى : قد رأيت الخنزيرَ يركَبُ الخنزيرةَ عامَّة نهارِه ، ورأيتُ الجمل يركبُ النّاقَة ساعةً من نهاره[٧] . وكنت قبل ذلك أغبِط

---

(١) ل : « مدنيا » وانظر ما أسلفت من التحقيق فى (٢ ، ٢٩٢) .

(٢) ط : « دار » وهو تحريف .

(٣) ط : « على » .

(٤) ل : « منذ دهر » .

(٥) من ل ، س .

(٦) ل : « حجة » ، وهى بالكسر : السنة .

(٧) ل : « من نهار » .

العصفور والعصم[١] — فإنَّ الذَّكرَ وإنْ كان سريعَ النُّزولِ عن ظهر الأنثى فإنّه لِسُرعةِ العودة ، ولكثرةِ العدد، كأنّه فى معنى الخنزير والجمل — حتَّى رأيتُ الذُّبابَ وفطِنتُ له، فإذا هو يركب الذُّبابَةَ عامَّةَ نهارِه . فقال له محمد ابن عمر البكراوى[٢] : ليس ذلك هو السِّفاد[٣] . قال : أمَّا الذى رأت العينانِ فهذا حكمُه . فإنْ كنتَ تريدُ أنْ تطِيب نفسُك بإنكار ما تعرفُ ممّا قسَم الله عزّ وجلّ بين خلْقه ، من فضول اللَّذَّة[٤] ، فدونك .

(سفاد الورل)

ويزعمون أن للوَرل فى ذلك ما ليس عند غيره .

---

(١) كذا فى ط ، س . ولم أجد « العصم » مفرداً أو جمعا ، فيما لدى من مراجع الحيوان ، ووجدت « المصع » كصرد وقفل جمعا . ل : « مصعة » كهمزة وغرفة . وهو طائر أخضر، كما فى القاموس . وانظر المخصص (٨ : ١٤٣) . وفى ل : « الصعو والخنزير » ، وكلمة : « الخنزير » خطأ . وأما الصعو فهو ضرب من صغار العصافير .

(٢) البكراوى : نسبة إلى بكرا باذ . وانظر ما سبق فى ٣٤ . قال الإصطخرى : « جرجان قطعتان : إحداهما المدينة، والأخرى بكرا باذ، وبينهما نهر يجرى يحتمل أن تجرى فيه السفن». كذا فى معجم البلدان . قال ياقوت : « ينسب إليه البكراوى والبكرا باذى ». ل : « محمد ابن عمرو النكراوى » . وفى النسبة تصحيف كما رأيت .

(٣) ل : « لعل ذلك ليس هو السفاد » .

(٤) ط : « فضل الله » س « فضول الله » وأثبت ما فى ل .

(٥) الورل : دابة على خلقة الضب ، لكنه أعظم منه ، وهو من أكثر الحيوان سفاداً ط ، س : « للولى » وصوابه فى ل .

١٢٥ (قصّة آكل الذِّبّان)

وأنشدَ ابن داحة فى مجلس أبى عَبيدة ، قولَ السَّيِّد الحميرىِّ :

أترى ضهاكا وابنها وابن ابنها[١] وأبا قحافة آكِلَ الذّبّان

كانوا يَرون ، وفى الأمور عجائبٌ يأتى بهنّ تصرُّفُ الأزمانِ

أنّ الخِلافةَ فى ذؤابةِ هاشمٍ فيهم تصير وهَيْبَةَ السُّلطانِ[٢]

وكان ابن داحة رافضيًّا ، وكان أبو عبيدة خارجيًّا صُفْريا ، فقال له: مامعناه فى قوله : « آكل الذّبّان » ؟ فقال : لأنّه كان يذبُّ عن عطر ابن جُدْعان[٣] . قال : ومتى احتاج العطّارون إلى المذابّ ؟ ! قال : غلطتَ إنّما كان يذبُّ عن حَيْسة ابن جدْعَان . قال : فابن[٤] جُدعان وهشامُ

---

(١) ل : « أترى صهاكا وابنها وأب ابنها » .

(٢) س : « من ذؤابة » . ل : « من وراثة » ، وفيها أيضا : « فيهم تكون » .

(٣) ابن جدعان ، هو عبد الله بن جدعان ، وكان من أشراف قريش فى الجاهلية وممن وفد على كسرى . وهو صاحب الجرادتين : المغنيتين المشهورتين فى الجاهلية . ومدحه أمية بن أبى الصلت بقصيدته التى أولها :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى حياؤك إن شيمتك الحياء

فأعطاها إياه . وكان مشهوراً بالكرم . قالوا : كان سمى بحاسى الذهب ؛ لأنه كان يشرب فى إناء من الذهب ، فقالوا فى المثل : « أقرى من حاسى الذهب » . الأغانى (٨ : ٢ - ٤) وبلوغ الأرب (١ : ٨٧) . س : « جذعان » وفى المواضع الثلاثة ، تصحيف .

(٤) ل : « فإن ابن » .

ابن المغيرة ، كان يُحاسُ لأَحدهما الحَيْسةُ على عدَّة أنطاع[1] ، فكان يأكلُ منها الرَّاكبُ والقائمُ والقاعدُ[2] فأين كانت تقعُ مِذَبَّةُ أبي قُحافَةَ من هذا الجبل ؟! قال : كان يذبُّ عنها ويدورُ حوالَيها . فضحكوا منه ، فهجر مجلسهم سنةً[3] .

(تحقير شأن الذُّبابة)

قال : وفى باب تحقير [شأن] الذبابة وتصغير قدرها، يقول الرسول[4] : « لو كانت الدُّنيا تُساوى عند الله تعالى جَناحَ ذبابةٍ[5] ما أعطى الكافرَ منها شيئاً » .

---

(١) الحيسة : المرة من الحيس ، وهو أن يخلط التمر بالسمن والأقط فيعجن ثم يندر نواه ، وربما جعل فيه سويق . والأنطاع : جمع نطع ، بالكسر ، وبالفتح ، وبالتحريك وكعنب ؛ وهو بساط من الجلد المدبوغ .

(٢) قالوا أيضاً : « كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب ، بل كانت جفنة يأكل منها الراكب على البعير وسقط فيها صبى فغرق ومات » . بلوغ الأرب (١ : ٨٩) . وقد يبدو هذا الخبر غريبا ، لكنا نجد تعزيزاً له من الحديث ، جاء فى غريب الحديث لابن قتيبة أن الرسول قال : « كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمى »، يعنى فى الهاجرة .

(٣) ط ، س : « مجلسه » . س : « ثم هجر » .

(٤) هذا الحديث الآتى ، حديث صحيح رواه الترمذى ، ونقله عنه السيوطى فى الجامع الصغير ٧٤٨٠ ولفظه : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء » . فى الأصل : « يقول الرجل » . وهو تحريف كما رأيت

(٥) ط ، س : « ذباب »، ووجهه ما أثبت من ل .

(أعجوبة فى الذِّبان بالبصرة)

وعندنا بالبصرة فى الذبّان[1] أعجوبة، لو كانت بالشّاماتِ[2] أو بمصر لأدخلوها فى باب الطِّلّسْم ؛ وذلك أنّ التّمْرَ يكونُ مصبوباً فى بيادر التمر فى شقّ البساتين ، فلا ترى على شيءٍ منها ذُبَابَةً لَافى اللّيل ، ولا فى النّهار ، ولا فى البَرْدَين[3] ، ولا فى أنصاف النهار . نعم وتكون هناك المعاصر[4] ، ولأصحاب المعاصر ظِلال ، ومن شأن الذُّباب الفِرارُ من الشّمس إلى الظِّلّ . وإنّما تلك المعاصر بين تمْرة [و] رُطَبَة، ودِبْس [وتجير][5] ، ثمّ لاتكاد تَرَى فى تلك الظّلال والمعاصر، فى انتصاف[6] النهار، [ولا] فى وقت طلب الذِّبّان الكِنَّ ، إلّا دونَ ما تَراه فى المنزل الموصوف بقلّة الذبّان .

وهذا شيءٌ يكون موجوداً فى جميع الشِّقِّ الذى فيه البساتين . فإن تحوّل[7] شيء من [تمر] تلك الناحية[8] إلى جميع ما يقابلها فى نواحى البصرة ، غشيَه من الذّبان ما عسى ألاّ يكون بأرض الهند أكثرُ منه

---

(١) ط : « الذباب » .

(٢) الشامات : هى بلاد الشام . وانظر ما سبق فى حواشى ١ : ٧٣ .

(٣) البردان : الغداة والعشى . ط ، س : « البرد » وتصحيحه من ل .

(٤) المراد بالمعاصر هنا معاصر التمر ، وكانوا يعصرونه لاستخراج الدبس ، وهو عسل التمر .

(٥) التجير : ثفل كل شيء يعصر . وهو فارسى معرب، كما فى المعرب للجواليقى ٤١ .

(٦) ل : « أنصاف »، كما سقطت كلمة « تكاد » .

(٧) ل : « حول » .

(٨) ط ، س : « البادية »، والوجه ما أثبت من ل

وليس بين جزيرة نهر دُبَيس[١] ، وبين موضع الذبّان إلاّ فيض البصرة ، ولا بين مايكون من ذلك بنهر أذرب[٢] وبين موضع الذبّان ممّا يقابله ، إلّا سيحان[٣] ، وهو ذلك التمر وتلك المعصرة ، ولا تكون تلك المسافة إلاّ مائة ذراع أو أزيَدَ شيئاً أو أنقَصَ شيئاً .

(نوم عجيب لضُروبٍ من الحيوان)

وأعجوبة أُخرى ، وهى عندى أعجبُ من كلّ شيءٍ صدَّرنا به جملة القَوْل فى الذباب . فمن العجب أن يكون بعض الحيوان لاينامُ كالصافر[٤] والتُّنَوِّط[٥] ؛ فإنَّهما إذا كان اللّيلُ فإن أحدهما يتدلَّى من غصن الشّجرة ، ويضمُّ عليه رجليه ، وينكِّس رأسه، ثمَّ لايزال يصيحُ حتَّى يبرُقَ النُّور . والآخرُ لايزالُ يتنقَّل فى زوايا بيته ، ولا يأخذه القرار ، خوفاً على نفسه ، فلا يزال كذلك . وقد نتفَ قبلَ ذلك ممَّا على ظهور ١٢٦

---

(١) نهر دبيس ، بالتصغير ، نهر بالبصرة . ودبيس : مولى لزياد ابن أبيه . كما فى معجم البلدان .

(٢) كذا فى ط . س : « أدرب » ، ل : « أردر » .

(٣) قال البلاذرى : سيحان نهر بالبصرة ، كان للبرامكة وهم سموه سيحان . وقد سمت العرب كل ماء جار غير منقطع : سيحان . معجم البلدان . ط ، س : « فرسخان » وصوابه فى ل .

(٤) الصافر : طائر من أنواع العصافير ، وسيكمل الجاحظ نعته . ط : « كالعصافير » ووجهه ما أثبت من ل ، س .

(٥) التنوط : طائر شبيه بالصافر المتقدم ذكره . وانظر ما سيأتى .

الأشجار مما يشبه الليف[1] فنفشَه ، ثمَّ فتَلَ منه حبلاً ، ثمَّ عمِلَ منه كَهَيئَةِ القُفَّة ، ثمَّ جعله مُدَلًّى بذلك الحبل ، وعقَدَه بطَرَف غُصنٍ من تلك الأغصان ؛ إلاَّ أنَّ ذلك بترصيعٍ ونسْج ، ومُدَاخَلَةٍ عجيبة ؛ ثمَّ يتَّخذ عشَّه فيه ، ويأوى إليه مخافة على نفسه .

والأعرابُ يزعمون أنَّ الذِّئبَ شديدُ الاحتراس ، وأنَّه يُراوِح بينَ عينَيه ، فتكونُ واحدة مطبقة[2] نائمة ، [وتكون] الأُخرى مفتوحة حارسةً . ولا يشكُّون أنَّ الأرنب تنامَ مفتوحة العينين .

وأمَّا الدَّجاج والكلاب فإنما تعزُب[3] عقولهما فى النَّوم ، ثمَّ ترجع إليهما بمقدار رجوع الأنفاس . فأمَّا الدَّجاج فإنها تفعَلُ ذلك من الجبن[4] وأمَّا الكلب فإنَّه يفعل ذلك من [شدّة] الاحتراس .

وجاءوا كلهم يخبرون أن الغرانيقَ والكراكيَّ لاتنامُ أبداً إلاَّ فى أبعدِ المواضعِ من النَّاس ، وأحْرَزِها مِن صغار سباع الأرض ، كالثعلب وابن آوى . وأنها لا تنام حتى تقلِّد أمرَها رئيساً وقائدا ، وحافظاً وحارساً ، وأن الرئيس إذا أعيا رفَعَ إحدى رجليه ؛ ليكون أيقَظَ له .

---

(١) ط ، س : « يشتبه بالليف » .

(٢) ل : « منطبقة » .

(٣) تعزب : أى تبعد وتغيب . ل ، ط : « تعرف » س : « يعرف » وصوابه ما أثبت مطابقا لما سيأتى ص ٤٠٨ س ٦ .

(٤) ط ، س : « فإنه يفعل » ، والوجهان جائزان .

(سلطان النوم)

وسلطان النَّوم معروف . وإن الرَّجل ممن يغزو [١] فى البحر ، ليعتصمُ بالشِّراع وبالعُود ، وبغير ذلك ، وهو يعلم أن النَّومَ متى خالطَ عينَيهِ استرخَتْ يدُه، ومتى استرخَتْ يَدُه بايَنَهُ الشيءُ الذى كان يركبه ويَستَعْصِمُ به [٢] ، وأنه متى بايَنه [٣] لم يقدرْ عليه،ومَتَى عَجز عن اللَّحاق [به] فقد عطِب [٤] . ثمَّ هو فى ذلك لايخلو ، إذا سَهِر ليلة أو ليلتين ، من أنْ يغلِبه النَّومُ ويقهرَه ، وإمَّا أنْ يحتاج إليه الحاجةَ التى يريه الرأى الخوّانُ ، وفسادُ العقْلِ المغمُورِ بالعِلَّة الحادثة ، أنّه قد يُمكن [٥] أنْ يُغفِيَ وينتبهَ فى أسرع الأَوقات ، وقبلَ أنْ تَسترخِيَ يَدُهُ كلَّ الاسترخاء ، وقبلَ أن تباينَه الخشَبةُ إن كانتْ خشبة .

---

(١) ط ، س : « يغرق » وصوابه فى ل . وفى س أيضاً « فأى رجل » تحريف .

(٢) كذا فى س . وفى ط : « يركبه واستعصم به » ل : « مركبه واستعصم به » .

(٣) باينه : فارقه ، وبعد عنه . ط : « يأتيه » وصوابه فى ل ، س .

(٤) عطب : هلك. ط ، س : « ومن عجز » وصوابه فى ل .

(٥) « يريه » هى فى ط ، ل : « يريد » محرفة . و « الخوان » هى فى ل : « الفاسد » . و « يمكن » هى فى ط ، س : « تمكن » محرفة .

(العجيبة فى نوم الذباب)

وليس فى جميع ما رأينا وروَينا ، فى ضروبِ نومِ الحيوان ، أعجبُ من نَوم الذِّبّان ؛ وذلك أنَّها ربما جعلت مأْواها [بالليل] دَرْوَنْد الباب [١] وقد غشَّوه ببطانَةِ ساجٍ أملسَ كأنَّه صَفاةٌ ، فإذا كان اللَّيلُ لزقت [٢] به ، وجعلت قوائمها مما يليه ، وعلَّقت أبدانها إلى الهواء . فإن كانتْ لا تنام البتَّةَ ولا يخالطُها عُزُوب [٣] المعرفة فهذا أعجب [٤] : أنْ تكونَ أمّةٌ من أمم الحيوانِ لا تعرف النَّومَ ، ولا تحتاج إليه . وإن كانت تنام ويعزُب عنها ما يعزُب [٥] ١٢٧ عن جميع الحيوان سوى ما ذكرنا ، فما تخلو من أن تكون قابضةً على مواضع قوائمها [٦] ، ممسكة [٧] بها ، أو تكون مرسلةً لها [مخلِّية عنها] . فإنْ كانت مرسِلةً لها فكيف لمَ تسقطْ وهى أثقلُ من الهواء ؟ ! وإن كانت ممسكةً لها فكيف يجامع التشدُّد والتثبيت [٨] النَّوم ؟ !

---

(١) الدروند كلمة فارسية. وفى اللسان (نجف): «ابن الأعرابى: النجاف هو الدروند والنجران. وقال ابن شميل : النجاف الذى يقال له الدوارة ، وهو الذى يستقبل الباب من أعلى الأسكفة » . وانظر نهاية الأرب ١ : ٣٧٦ ومعجم البلدان (سد يأجوج ومأجوج) ط : « دورة » تحريف .

(٢) ط : « لزمت » .

(٣) العزوب : البعد . وفى ل : « غروب » .

(٤) ل : « عجب » .

(٥) ل : « يغرب » فى الموضعين .

(٦) فى الأصل : « قائمها » .

(٧) ل: «متمسكة » .

(٨) س : « والتثبت » .

(بعض ما يعترى النائم)

ونحن نرى كلَّ مَن كان فى يده كيس أوْ[١] دِرهم أو حبلٌ ، أو عصا فإنَّه متى خالط عينَيْه[٢] النَّومُ استرخَتْ يده وانفتحت أصابعُه[٣] . ولذلك يتثاءب المحتالَ للعبْد الذى فى يده عِنان دابَّةِ مولاه ، ويتناوم له وهو جالس ؛ لأنَّ مِن عادة الإنسان إذا لم يكن بحضرتِه مَن يشغله ، ورأى إنساناً[٤] [قُبَالَتَه] يتثاءبُ أوْ يَنْعس، [أن يتثاءب وينعَس مثله[٥]] . فمتى استرخَتْ يدُه أو قبضتَه عن طَرَف العِنان ، وقد خامَرهُ سُكْرُ النَّوم ، ومتى صار إلى هذه الحال — ركب المحتالُ الدّابَّة ومرّ بها .

باب

القول فى الغربان

اللهم جنِّبنا التكلُّفَ ، وأعِذْنَا مِن الخطَأ ، واحْمِنا العُجْبَ بما يكون منه ، والثِّقةَ بما عندنا ، واجعلْنا من المحسنين .

---

(١) ط ، س : « كيس دراهم » .

(٢) ط ، س : « عينه » .

(٣) ط فقط : « وتفتحت أنامله » .

(٤) س : « من » . وفى ل : « ينود » بدل : « يتثاءب » . ينود : يتمايل من النعاس .

(٥) هذه التكملة من س .

نذكر على اسم الله جُمَلَ القولِ فى الغِربان ، والإخبار عنها ، وعن غريبِ ما أُودِعتْ من الدّلالة ، واستُخْزِنت من عجيب الهداية[١] .

وقد كُنَّا قدَّمنا ما تقول العربُ فى شأنِ منادَمةِ الغُرابِ الدِّيكَ وصداقتِه له ، وكيف رهَنه عند الخمَّار ، وكيف خاسَ به وسخِر منه وخدعه[٢] وكيف خرج سالماً غيرَ غارم ، وغانماً غيرَ خائب[٣] ، وكيف ضربت به العربَ الأمثالَ ، وقالت فيه الأشعار ، وأدخلتْه فى الاشتقاقِ لزجْرها عند عيافتها وقِيافتها ، وكيف كان السبب فى ذلك[٤] .

(ذكر الغراب فى القرآن)

فهذا إلى ماحكى اللهُ عزَّ وجلَّ من[٥] خبر ابنَىْ آدمَ ، حينَ قرَّبا قرباناً فحسَدَ الذى لم يُتقبَّلْ منه المتقبَّلَ منه ، فقال عند ما همَّ به مِن قتلِه ، وعند إمساكِه عنه ، والتَّخليةِ بينَه وبين ما اختارَ لنفسه : ﴿إِنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ . ثمَّ قال : ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ .

---

(١) الكلام من مبدإ : « اللهم » ساقط من ل .

(٢) خاس به : غدر به وخانه .

(٣) « وغانما غير خائب » ساقطة من ل .

(٤) انظر لمثل هذا الكلام (٢ : ٣١٩ ، ٣٢٠) . والكلام من : « وقالت » ساقط من ل .

(٥) ل : « عن » .

﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِى الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ حتّى قال القائل ، وهو أحد ابنَىْ آدم ما قال . فلولا أنَّ للغُراب[1] فضيلةً وأمورًا محمودةً ، وآلةً وسبباً ليس[2] لغيره من جميع الطَّير لما وضعه اللهُ تعالى فى موضعِ تأديبِ الناس ، ولَمَا جعله الواعِظَ والمذَكِّرَ بذلك .

وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿فبَعَثَ اللهُ غَرَاباً يَبْحَثُ فِى الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ ، فأخْبر أنّه مبعوثٌ ، وأنّه هو اختاره لذلك مِنْ بينِ جميعِ الطَّير . ١٢٨

قال صاحب الدِّيك : جعلتَ الدَّليلَ على سوء حاله وسقوطِهِ[3] الدَّليلَ على حُسنِ حاله وارتفاعِ مكانه . وكلما كان ذلك المقرَّعُ به أسفلَ كانت الموعظةُ فى ذلك أبلغَ . ألا تَرَاهُ يقول : ﴿يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ .

ولو كان فى موضعِ الغُرابِ رجلٌ صالحٌ ، أو إنسانٌ عاقلٌ ، لما حَسُن به أن يقولَ : يا ويْلتَى أعجَزت أنْ أكونَ مثلَ هذا العاقِلِ الفاضلِ الكريمِ الشَّريف . وإذا[4] كان دوناً وَحقيراً فقال : أعجزتُ وأنا إنسانٌ أن أُحسِنَ ما يحسنه هذا الطائر ، ثمّ طائرٌ من شِرار الطير . وإذا أراهُ[5] ذلك

---

(١) ل : « فى الغراب » .

(٢) ط ، س : « وأشياء ليست » .

(٣) ط : «وسقوط » وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « إذ » وصوابه فى ل ، س .

(٥) ط : « أراد » .

فى طائرٍ أسودَ محترقٍ[١] ، قبيحِ الشَّمائلِ ، رديء المِشْيَة[٢] ، ليس من بهائم الطَّير المحمودة ، ولا من سباعها الشريفة ، وهو بَعْدُ طائرٌ يتنكَّد به ويتطيَّر منه ، آكلُ جيف[٣] ، رديءُ الصَّيد . وكلما كان أجهلَ وأنْذَل[٤] كان أبلغَ فى التَّوبيخ والتَّقريع .

وأمَّا قوله : ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ فلم يكنْ به على جهة الإخبار أنّه كانَ قَتَلَهُ ليلاً ، وإنما هو كقوله : ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ﴾. ولو كانَ المعنى وقع على ظاهر اللَّفظ دونَ المستعمَلِ فى الكلامِ من عادات الناس ، كان مَن فرَّ مِن الزَّحفِ ليلاً لم يلزمْه وَعيد[٥] . وإنما وقع الكلامُ على ما عليه الأغلبُ من ساعاتِ أعمال الناس ، وذلك هو النَّهارُ دون اللَّيل .

وعلى ذلك المعنى قال صالح بن عبد الرحمن[٦] ، حين دفَعوا إليه جَوَّاباً[٧] الخارجىَّ ليقتله ، وقالوا : إن قتله برئت الخوارجُ منه ، وإن ترك قتْله فقد

---

(١) ل : « محرق » .

(٢) للغراب مشية رديئة . وفى القصص التمثيلى أنه أعجبه مشية العصفور أو القطاة فرام تقليدها ففعل . ثم أراد الرجوع إلى مشيته الأولى فنسى ، فلا هو حافظ على مشيته الأولى ، ولا هو أدرك مشية العصفور . انظر شعراً فى ذلك بطراز المجالس ١٩٩ . ط : « الشبه » وصوابه فى ل ، س .

(٣) ط ، س : « الجيف » .

(٤) ل : « أخمل وأرذل » .

(٥) ل : « وعيده » .

(٦) صالح بن عبد الرحمن هو كاتب الوليد بن عبد الملك .

(٧) ط ، س : « خواتا » .

أبدى لنا صفحتَه . فتأوّل صالحٌ عند ذلك تأويلاً مستنكراً[١] : وذلك أنّه قال : قد نجِدُ التّقيَّة تَسيغ الكفر[٢] ، والكفر باللّسان أعظمُ من القتْـل والقذْفِ بالجارحة . فإذا جازت التّقيَّة[٣] فى الأعظم كانت فى الأصغر أجوَزَ . فلما رأى هذا التأويل يطّرد له ، ووجد على حالٍ بصيرته ناقصة ، وأحسّ[٤] بأنّه إنما التمس عُذْراً ولزّق الحجّة تلْزِيقا [فلمّا عزمَ على قتل جوّاب ، وهو عنده واحدُ الصُّفرية فى النُّسك والفضل] قال : إِنى[٥] يومَ أقتُل جَوَّاباً على هذا الضّربِ من التأويل لَحريصٌ[٦] على الحياة ! ولو كان حين قال إنى[٥] يوم أقتل جوّاباً إنما عنى النهارَ دون اللّيل ، كان عنـد نفسه إذا قتلهُ تِلكَ القِتلة ليلاً لم يأثم بهِ . وهذا أيضاً كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ ﴾ .

ولو كان هذا المعنى إنما يقع على ظاهر اللّفظ دونَ المستعمَلِ بين الناس ، لـكان إذا قَال من أوّل الليل : إنى فاعِلٌ ذلك غداً فى السَّحر ، أو معَ الفجر ١٢٩ أو قال الغداة[٧] : إنى فاعِلٌ يومى كلَّه ، وليلتى كلها ، لم يكنْ عليه حِنْث ، ولم يكن مخالفاً إذا لم يستثنِ[٨] ، وكان إذن لا يكون مخالفاً إلاَّ فيما وقع عليهِ

(١) ل : « مستكرها » .
(٢) التقية : الخوف والخشية من الهلاك . تسيغ الكفر : تبيحه . أى إن من هدد بالقتل إن لم يكفر ، ساغ له الكفر ظاهرا . ل : « أجد البقية تسع فى الكفر » ط ، س : « نجد التقية تسيغ بالكفر » . والوجه فى العبارة ما ذكرت .
(٣) ل : « البقية » . وانظر التنبيه السابق .
(٤) ط ، س : « وأخبر » وصوابه فى ل .
(٥) ط : « أى » وتصحيحه من ل ، س .
(٦) ط : « الحريص » وله وجه .
(٧) ل : « بالغداة » .
(٨) المراد بالاستثناء هنا ، قول : « إن شاء الله » . ط : « يستسن » محرفة .

اسمُ غد . فأمّا كلٌّ[1] ما خالفَ ذلك فى اللّفظ فلا . وليس التّأويل كذلك لأنّه جلَّ وعلاَ إنما ألزَمَ عبدَه أنْ يقول : إن شاء الله ؛ ليتّقىَ عادةِ التألّى[2] ولئلاّ يكونَ كلامُه ولفظُهُ يشبه لفظَ المستبدِّ والمستغْنى ، وعلى أن يكون عِنْد[3] ذلك ذاكرَ اللهِ ؛ لأنهُ عبــدٌ مدبَّرٌ ، ومقلَّب ميسَّر[4] ، ومصرَّفٌ مسخّر .

وإذا كان المعنى فيه ، والغايَةُ التى جَرَى إليها اللفظ ، إنمـا هو على ما وصفنا ، فليس بينَ أن يقول أفعَلُ ذلك بعْدَ طرْفَةٍ ، وبين أن يقولَ أفعَلُ ذلك بَعْدَ سنةٍ فرقٌ .

وأمّا قوله : ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ فليس أنّه كان هنالك ناسٌ قتَلوا إخوتَهُـمْ ونَدِموا فصارَ هذا القاتلُ واحداً منهم ؛ وإنما ذلك على قوله لآدمَ وحَوّاء عليهما السلام : ﴿وَلا تقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، على معنى أن كلّ مَن صَنَعَ صنيعكما فهو ظالم .

(الاستثناء فى الحلف)

وعجبت من ناسٍ ينكرون قولَنا فى الاستثناء ، وقد سمعوا اللهَ عزَّ وجلَّ يقُولُ : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ . وَلاَ

(١) ط ، ل : « كلما » ، وصوابه فى س .

(٢) التقى : الحذر . ط ، ل : « لبقى » س : « لتقى » ، ووجهته بما ترى . والتألى : الحلف . ل : « التالى » ط ، س : « المتألى » ، والوجه ما ذكرت . والمعنى : ليحذر تعود الإنسان الحلف واستسهاله .

(٣) ط ، س : « عنده » وصوابه فى ل .

(٤) انظر الاستدراكات .

يَسْتَثْنُونَ . فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ . فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ ، مع قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَداً إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ .

(تسمية الغراب ابن دأية)

والعربُ تسمِّى الغرابَ ابن دأية ؛ لأنَّه إذا وجَدَ دَبَرَةً[1] فى ظهر البعير ، أو فى عنقه قرحة سقط عليها، ونقَرَهُ وأكله[2] حتَّى يبلغ الدَّايات[3] .

قال الشاعر[4] :

نَجِيبةَ قَرْمٍ شادَهَا القَتُّ والنَّوَى ... بيثربَ حتَّى نَيُّهَا متظَاهر[5]

فقلتُ لها سِيرِى فما بِكِ عِلَّة ... سنَامكِ ملمومٌ ونابُكِ فَاطِرُ[6]

فمِثْلَكِ أو خيراً تركْتُ رذِيَّة ... تقلِّب عينيها إذا مرَّ طائر[7]

---

(١) الدبرة ، بالتحريك : القرحة .

(٢) ط ، س : « وعقره » وهى صحيحة أيضاً ، يقال عقر الكلأ : أكله ، ويقال أيضاً : عقره : جرحه .

(٣) جاءت هذه الكلمة ومفردها فى السطر السابق خالية من الهمز ، وأصلها الهمز . والدأيات : فقر الكاهل والظهر .

(٤) هو أبو الربيس الثعلبى ، أو الجون المحرزى . خزانة الأدب (٢ : ٥٣٢) حيث قصة الشعر .

(٥) نجيبة قرم : يقول: هذه الناقة قد أنجبها قرم من الإبل ، وهو بالفتح والراء : الفحل الكريم . ط ، س : وكذا أصل البيان (٣ : ٣٠٦): « قوم » ، وصوابه ما أثبت من ل . شادها القت والنوى : أى نماها تناول هذا العلف . والنى المتظاهر : الشحم الذى ركب بعضه بعضاً .

(٦) ملموم : مجتمع . وفطر ناب الناقة : انشق وظهر .

(٧) الرذية ، بالذال : الناقة المهزولة من السير . وإنما تقلب عينيها خوف أن تنقرها الطير . وانظر شرح القصائد السبع الطوال ص ٣٩ .

ومثله قول الرّاعى :

فلو كنت معذوراً بنصْرِك طيَّرت صقورِىَ غِرْبان البَعـيرِ المقيدِ

هذا البيت لعنترة ، فى قصيدةٍ له[١] . ضرب ذلك مثلاً للبعير المقيَّد ذى الدّبَر ، إذا وقعَت عليه الغِرْبان .

(غرز الريش والخِرق فى سنام البعير)

وإذا كان بظهر البعير دَبَرَةٌ غرزوا فى سَنامه إمَّا قوادمَ رِيش[٢] أسود وإمَّا خرَقا سُوداً[٣] ؛ لتفزع الغِرْبانُ منْهُ ، ولا تسقط عليه . قال الشاعرُ ، وهو ذو الخِرَق الطُّهَوىّ[٤] :

لما رَأتْ إبِلِى حَطت حمولتها هَزْلَى عِجافاً عليها الرِّيشُ والخِرَقُ[٥]

---

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) قوادم الريش : أربع أو عشر فى مقدم الجناح . ط ، س : « قوادم » وانظر ما سيأتى .

(٣) كذا فى ل . وفى ط « خرقة سوداء » . وفى س : « خرقاء سوداء » وهذه الأخيرة محرفة .

(٤) هذه الجملة ساقطة من ل . وذو الخرق قائل هذا الشعر : اسمه خليفة بن حمل ابن عامر بن حميرى ؛ فإن من لقب بهذا اللقب من بنى طهية ثلاثة شعراء أحدهم هذا ، والثانى قرط بن قرط ، والثالث شمير بن عبد الله بن هلال . انظر الخزانة (١ : ٥٠ — ٥١ سلفية) والمؤتلف والمختلف ١٠٩ ثم ١١٩ . وجاء فى الخزانة أن الآمدى لم يذكر الشعر الذى منه البيت الآتى . وقدسها البغدادى ؛ فإن الشعر مذكور فى ص ١٠٩ من المؤتلف والمختلف ، فى غير مظنته .

(٥) العجاف : جمع أعجف وعجفاء على الشذوذ ؛ لأن أفعل وفعلاء لايجمعان على فعال . والأعجف : الذى ذهب سمنه . وقبل البيت :

ما بال أم حبيش لاتكلمنا لما افترقنا وقد نثرى فنتفق

قالتْ ألا تبتغى عيشاً نعيشُ به عمَّا نلاقى ، فشرُّ العِيشة الرَّنَقُ ١٣٠

[الرَّنَق ، بالرَّاء المهملة ، وبالنون ، هو الكدِرُ غير الصافى] .

وقال آخر[1] :

كأنَّها رِيشـــةٌ فى غاربٍ جَرَزٍ فى حيثُما صرفَته الرِّيح ينصرف[2]

[جَـرَز : عظيم . قال رؤبة :

* عن جَرَزٍ منه وجوزٍ عارِ *[3]]

(غرز الريش فى أسنمة إبل الملوك وخرائطهم)

وقد توضع[4] الرِّيش فى أسنمتها وتغرَز فيها لغير ذلك ؛ وذلك أنَّ الملوك كانت تجعل الرِّيشَ علامـــةً لحباء الملك[5] ؛ تحميها بذلك وتشرِّف صاحبها[6] .

---

(١) ل : « وفى ذلك يقول الآخر » .

(٢) الغارب : أعلى مقدم السنام . ل : « غارز » وليس له وجه . والجرز بالتحريك سيفسر . ط ، س : « جرد » تحريف ما فى ل . ط ، س : « ضربته الريح » ، وأثبت ما فى ل .

(٣) الجوز : الوسط . والبيت فى صفة جمل سمين فضخه الحمل الثقيل . وقد نسب فى اللسان (جرز ، ورى) إلى العجاج لا رؤبة . وقد روى البكرى الأرجوزة فى أراجيز العرب ١٥٧ منسوبة إلى العجاج كما فى اللسان . وقبل البيت :

* وانهم هاموم السديف الوارى *

(٤) ط : « يوضع » ، والأولى التوحيد فى التأنيث كما أثبت من ل ، س .

(٥) كذا فى ل . والحباء ، بالكسر : العطاء . ط ، س : « لجمالها » .

(٦) ط : « تحميها بذلك بشرف أصحابها » . ل : « تحميها بذلك ويشدن صاحبها » .

قال الشاعر :

يَهَبُ الجِلادَ برِيشِها ورِعَائها كاللَّيْلِ قبلَ صَبَاحِهِ المتبلِّجِ [١]

ولذلك [٢] قالوا فى الحديث : فرجع النَّابغة من عند النُّعمان وقد وهبَ له مائةً من عَصَافيره [٣] برِيشها :

وللرِّيش مكانٌ آخر : وهو أنَّ الملوكَ إذا جاءتْها الخرائطُ بالظَّفَر [٤] غرزَتْ فيها قوادمَ ريشٍ سُود .

(غربان الإبل)

وقال الشاعر :

سأرفَعُ قولاً للحُصَـين ومَالكٍ تـطيرُ به الغِربان شَطْرَ المواسمِ [٥]

---

(١) الجلاد من الإبل : الغزيرات اللبن . والرواية فى البيان (٣ : ٩٦) : « الهجان » . والرعاة بالضم والرعاء بالضم ويكسر : جمع راع . وقد روى البيت بالوجه الأول فى ط ، س . وبالثانى فى ل ، والبيان . وجعلها كالليل لما فوق أسنمتها من الريش السود ، كما جعل أبدانها كالصبح تحت الظلام . وهو خيال ركب تركيبا بارعا . أو جعلها كالليل لأنها سود ، كما فى الشعراء ١١٠ . وفيها أيضا : « ولم يكن بأرض العرب بعير أسود إلا له » : أى للنعمان .

(٢) س : « وكذلك » .

(٣) هى إبل نجيبة كانت له ، وقال ابن سيده : أظنه أراد من فتايا نوقه . قالوا : كان النعمان غاضبا على النابغة لقصيدته المشهورة التى وصف فيها المتجردة ، ثم ذهب غضبه عليه عند ماغنت النعمان قينة بشعر للنابغة ، ووهب له العصافير . انظر الأغانى (٩ : ١٦٥) والتنبيه السابق وما سيأتى فى (٥ : ٢٣٣) .

(٤) الخرائط : جمع خريطة ، وهى وعاء من أدم وغيره يشرج على ما فيه ، أى يشد .

(٥) رواية اللسان عن ابن الأعرابى : « للحصين ومنذر » . والمواسم : أسواق العرب فى الجاهلية حيث كانوا يجتمعون .

وتروَى به الهيمُ الظِّماءُ ، ويَطَّبى   بأمْثَالِهِ الغازِينَ سَجْعُ الحمائمِ [1]

يعنى غِرْبانِ الإبل [2] . وأمَّا قوله : « وتروى به الهيمُ الظِّماء » فمثل قول المـاتحِ [3] :

علِقْتَ يا حارث عِنْـدَ الوِرْدِ   بجــاذلٍ لارَفِلِ التَّرَدِّى [4]

* ولا عَيِيٍّ بابتِناء المَجْدِ [5] *

---

(١) يطبيهم سجع الحمائم : يستميلهم غناء الحمام الذى يسجع بهذا الشعر . و « الغازين » هنا بمعنى القاصدين . ط ، س : « بأمثالها » ، وإنما الضمير راجع إلى القول . ل : « الغاوين » .

(٢) فى الأصل : « الليل » ، وإنما هى غربان الإبل ، وغراب البعير هو حد الورك الذى يلى الظهر . أى إن هذا الشعر يذهب به على الإبل إلى المواسم . ومعنى تطير : تسرع . وإنمـا خص الأوراك لأنهم كانوا يحملون الرسائل فى حقيبة تحتقب ، وتشد على عجز البعير . كما قال الآخر :

وإن عتاق العيس سوف يزوركم   ثناء على أعجازهن معلق

(٣) الماتح ، بالتاء : الذى ينزع الدلو وهو بجوار البئر . والمائح ، بالهمز : الذى يدخل البئر فيملأ الدلو . ط : « المسائح » ل : « المايح » والأولى تحريف ، والثانية ليست مرادة . والرجز فى البيان (١ : ٤) مسبوقا بعبارة : « وقال الراجز وهو يمتح بدلوه » . ووجه المثلية أن كلا منهما خاطب نفسه ، قال الأول « وتروى » يخاطب نفسه ، وكذا الثانى : « علقت » .

(٤) الجاذل : الواقف مكانه لايبرح ، شبه بالجذل الذى ينصب فى المعاطن لتحتك به الإبل الجربى . ومثله « الجاذى » ، وبهذه الأخيرة جاء فى س مع الهمز أى « جاذئ » وفى البيان : « بجابئ » . والجابئ . الذى يطلع فجأة . وقد عنى رجلا . والرفل : الذى يجر ذيل ثوبه . والتردى : لبس الرداء . وفى الأصل : « لاوجل التود » وصوابه من البيان . وجاء بعد هذا البيت فى ل :

* فجاءنى لارفل التردى *

وأقول : إنه مقحم وإن به تصحح نهاية هذا البيت .

(٥) العيى : العاجز . ط : « يمنى » س : « يمينى » ، وصوابه ماأثبت من البيان . وفى ل : « عييا » .

(شعر فى تعرض الغِربان للإبل)

وقالوا فى البعير إذا كان عليه حِملٌ من تمْـر أو حبٍّ ، فتقدَّم الإبلَ بفضل قُوَّته ونشاطه[١] ، فعرض ما عليه للغربان[٢] . قَال الرَّاجز :

قد قلتُ قولاً للغُرابِ إذْ حَجَلْ عليكَ بالقَود المسانِيف الأُوَل[٣]

* تَغَدَّ ما شئتَ على غير عَجَلْ[٤] *

ومثله[٥] :

يقدُمُها كلُّ أَمُونِ مطعان[٦] حمراءَ من مُعَرِّضَاتِ الغِرْبَانْ[٧]

---

(١) ط : « فيقدم » . ل : « لفضل » : مكان « بفضل » .

(٢) س : « الغربان » .

(٣) القود : الطوال الأعناق . ط ، س : « بالعود » وصوابه فى ل والمخصص (١٠ : ١٦٧) وتنبيه البكرى ٤٨ والمحاسن للبيهقى (٢ : ٨٤) . وفى مجالس ثعلب ١٣٦ : «عليك بالإبل» . والمسانيف : المتقدمة، جمع مسناف . س ، ط : « المسانف » .

(٤) ط ، س : « من بعد مامشت على غير عجل » ، وتصحيحه من المراجع المتقدمة . قال الكسائى — وقد سأله الرشيد عن هذا الشعر — : « إن العير إذا فصلت من خيبر وعليها التمر يقع الغراب على آخر العير فيطردها السواق . يقول هذا ، تقدم إلى أوائل العـير فكل على غير عجل » المحاسن للبيهقى . وللرجز بقية فى تنبيه البكرى ، فراجعه .

(٥) الرجز الآتى يروى للأجلح بن قاسط ، كما فى اللسان (عرض) . وقال ابن برى : « وهذان البيتان فى آخر ديوان الشماخ » . قلت أنا : هما فى أخرياته ص ١١٦ منسوبان إلى الجليح بن شميذ رفيق الشماخ. ونسبا فى مشارف الأقاويز ٢٠٨ — ٢٠٩ إلى الجعيل . وجاء قوله فى آخر الرجز يخاطب نفسه :

* يا ابن جليح كن دليل الركبان *

ويظهر أنه اجتلب كلمة : « ابن » تحسيناً للكلام ، وضبطا للوزن .

(٦) ل : « تقدمها » . والأمون : الوثيقة الخلق . س : « أموق » تصحيف . ل : « علاة » ، وهى رواية القالى والبكرى . والعلاة : الشديدة الصلبة ، مشبهة بالعلاة وهى السندان . والمظعان ، السهلة السير . ل : « مدعان » ، صوابه « مذعان » بالذال ، وهى المنقادة لقائدها .

(٧) قال البكرى : « الحمر أجلد الإبل » . والمعرضات : التى تقدم الإبل فتقع الغربان عليها فتأكل ما حملته ، كأنها عرضت ماتحمله للغربان .

(أمثال فى الغراب)

ويقال : « أصحُّ بدناً مِنْ غُراب » ، و « أبصَرُ مِنْ غُراب » ، و « أصفى عيناً من غراب » .

وقَال ابن ميَّادة :

ألا طرَقَتْنَا أُمُّ أوسٍ ودونَها حِرَاجٌ من الظلْماء يعشى غُرَابُها[1]

فبِتْنا كأنَّا بَيْنَنا لَطَمِيَّةٌ من المِسْكِ ، أو دارِيَّةٌ وعِيابُها[2]

يقول : إذا كان الغراب لايبصر فى حِراج الظَّلْماء[3] . وواحد الحِراج حَرَجة ، وهى هاهنا مثَلٌ ، [حيث[4]] جعَلَ كلَّ شىءٍ التفَّ وكثُفَ من الظلام حِراجا ، وإنَّما الحِراجُ من السِّدْرِ وأشباه السّدر .

يقول : فإذا لم يبصِرْ فيها الغرابُ مع حِـدَّةِ بَصره ، وصفاء مُقْلته فما ظنُّك بغيره ؟ !

١٣١ وقال أبو الطَّمَحان القَيْنىُّ[5] :

إذا شاء راعيها استقى مِنْ وَقِيعةٍ كَعين الغراب صَفْوُها لم يكدَّرِ

---

(١) س : « جراح من الظلماء يغشى »، وصوابه فى ط ، ل .

(٢) اللطمية : العنبرة لطمت بالمسك فتفتقت به . ل وكذا فى كتاب الصيدنة ص ٦ : « بيتتنا لطيمة » . واللطيمة : العير تحمل الطيب . والتبييت أصله من بيت العدوّ : أوقع بهم ليلا . والدارية : منسوبة إلى دارين ، فرضة بالبحرين كان يحمل إليها المسك من ناحية الهند . وعنى بها العطور ، أو العير . والعياب : جمع عيبة ، وهى وعاء من أدم يوضع فيه الثياب ونحوها . ط ، س ، وكذا كتاب الصيدنة : « كعابها » ولم أر لها وجها .

(٣) ط : « الظماء »، وصوابه فى ل ، س ، وثمار القلوب ٣٦٤ .

(٤) الزيادة من ثمار القلوب .

(٥) من أبيات فى الأغانى (١١ : ١٢٨) .

(استطراد لغوى)

والوقيعة : المكان الصلب الذى يُمسك الماء ، والجمع الوقائع . قال : وأنشَدَنَا أبو عمرِو[1] بن العلاء ، فى الوقائع :

إذا ما استبالوا الخيلَ كانَتْ أكفُّهم   وقائعَ للأَبْوالِ والمـاءُ أبرَدُ

يقول : كانوا[2] فى فلاةٍ فاستبالوا الخيل فى أكفهم ، فشربوا أبوالها من العطش .

ويقال شهدَ الوقِيعة والوقْعَة بمعنًى واحد . قال الشاعِرُ[3] :

لعمرى لقد أبقَتْ وقِيعةَ راهطٍ   على زُفَرٍ داءً من الشَّرِّ باقيا[4]

وقال [زُفَر بنُ[5]] الحارث :

لَعَمرى لقد أبقتْ وقِيعةَ راهطٍ   لِمَرْوانَ صـدْعاً بيننا متَنائِيا[6]

---

(١) أبو عمرو بن العلاء تقدمت ترجمته فى (٢ : ٢٢٥) . ط ، س : « وأنشد أبو محمد » وصوابه فى ل . وانظر الاشتقاق ١٧٧ من تحقيقى .

(٢) ط ، س : « إذا كانوا »، والوجه حذف « إذا » كما فى ل .

(٣) هو جواس بن القعطل الكلبى . المؤتلف والمختلف ٧٤ والتنبيه والإشراف ٢٦٨ .

(٤) وقعة راهط هى المعروفة بوقعة مرج راهط . انظر لها الأغانى (١٧ : ١١١ — ١١٤) والعقد (٣ : ١٤٥) ومروج الذهب (٢ : ١٠٧ بهية) . ط ، س : « على دفر »، وصوابه فى ل ، والعقد (٣ : ١٤٧) والمؤتلف ٧٤ .

(٥) هذه الزيادة الضرورية اعتمدت فيها على المراجع المتقدمة وحماسة البحترى ١٧ .

(٦) مروان هذا هو ابن الحكم الأموى والد عبد الملك . ط : « بينا » ، وصوابه فى ل ، س ، والمراجع المتقدمة . ط ، س : « متباينا » وصوابه فى ل والمراجع المتقدمة ؛ فإن البيت من قصيدة يائية ، منها البيت المشهور :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى   وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وقال الأخطل :

لقَدْ أوقع الجحَّافُ بالبِشْرِ وقْعَةً إلى اللهِ مِنها المشتَكَى والمعوَّلُ[١]

(أمثال من الشعر والنثر فى الغراب)

وفى صحَّة بدَن الغراب يقولُ الآخر[٢] :

إنَّ مُعاذَ بنَ مَسلِمٍ رجُلٌ قدْ ضَجَّ مِنْ طُولِ عُمْرِهِ الأَبَدْ[٣]

[قَدْ[٤]] شاب رأسُ الزَّمانِ واكتهَل الدّهْـ ـرُ وأثْوابُ عُمْرِهِ جُدُدُ

يا نَسْر لُقْمانَ كَمْ تَعِيشُ وكَمْ تَسْحَبُ ذَيل الحَيَاةِ يا لُبَدْ[٥]

---

(١) الجحاف هذا هو ابن حكيم السلمى، قاد قومه وأغار على بنى تغلب بموضع يسمى البشر بين الفرات والشام ، فقتل منهم مقتلة عظيمة . انظر معجم البلدان والعمدة ١٦٧ وأمثال الميدانى (٢ : ٣٦٧ ، ٣٥٥) . ط ، س : « الجحاب بالشر » صوابه فى ل والمعجم . وانظر نقد البيت فى الموشح ١٦٥ – ١٦٦ .

(٢) هو الخزرجى كما فى الحيوان (٦ : ٣٢٧) ، وقد ذكر ابن خلكان (فى ترجمة معاذ بن مسلم) أن صاحب الشعر هو أبو السرى سهل بن أبى غالب الخزرجى . قال ابن خلكان فى ترجمته (وذكرها فى نهاية ترجمة معاذ) : إنه نشأ بسجستان وادعى رضاع الجن ، وزعم أنه بايعهم للأمين بن هارون الرشيد بالعهد ، فقرّبه الرشيد وابنه الأمين وزبيدة ، وله أشعار حسان وضعها على الجن والشياطين والسعالى . وقال له الرشيد : إن كنت رأيت ما ذكرت فقد رأيت عجبا ، وإن كنت ما رأيته فقد وضعت أدبا . وتجد الأبيات فى العقد (٣ : ٥٢) وبغية الوعاة ٣٩٣ منسوبة إلى محمد بن مناذر . وهى بدون نسبة فى المعانى الكبير ٥٨ وأمالى الزجاجى ١٧ من تحقيقى .

(٣) معاذ بن مسلم هذا هو المعروف بالهراء ، كان نحويا كوفيا ، وكان يتشيع . قرأ عليه الكسائى وروى عنه . عمر معاذ بن مسلم طويلا . وتوفى سنة سبع وثمانين ومائة ، وهى سنة نكبة البرامكة .

(٤) من ل ، س ، والجزء السادس ، وعيون الأخبار (٤ : ٥٩) وثمار القلوب ٣٧٧ وأمثال الميدانى (١ : ٤٥٤) .

(٥) لبد ، كزفر : آخر نسور لقمان ، قالوا فى أساطيرهم : عمر لقمان عمر سبعة أنسر =

قد أصبحَتْ دارُ آدمٍ خرِبَتْ وأنتَ فيها كأنَّك الوَتِدُ[١]
تسألُ غِربانَها إذا حَجَلَتْ كيفَ يكونُ الصُّدَاعُ والرَّمَدُ

ويقال: «أرضٌ لا يَطير غرابها[٢]». قال النَّابغة:

وَلِرَهْطِ حرّاب وقَدٍّ سَوْرَةٌ في المجدِ ليس غُرَابُها بمُطَارِ[٣]

جعله مثلاً. يعني أنَّ هذه الأرضَ تبلُغ مِن خِصبها أنَّه إذا دخلَها الغرابُ لم يخرُج منها؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ يريدُه فيها[٤].

وفي زهوِ الغُراب يقول حسَّان، في بعضِ قريش[٥]:

إنَّ الفَرافِصَةَ بنَ الأَحْوَصِ عِندَه شَجَنٌ لأمِّك مِن بَناتِ عُقَابِ[٦]
أجَمَعْتَ أنَّكَ أنتَ ألأَمُ مَنْ مشى في فحشِ مُومِسةٍ وزهْوِ غُرَابِ[٧]

= كلما مات واحد خلفه آخر، وكان كل منها يعيش ثمانين سنة. انظر الدميري.

(١) الوتد يبقى بعد دروس المنزل.

(٢) ط: «ويقال في أرض لا يطير غرابها»، والوجه حذف (في) كما في ل، س

(٣) حراب: رجل من بني أسد، وكذلك قد، بالفتح، وهو أحد شعرائهم ترجمه المرزباني في المعجم ٣٣٩. والسورة، بالفتح: الارتفاع. والرواية في الديوان بشرح البطليوسي: «ليس غرابهم».

(٤) قال البطليوسي: «وقيل الغراب ها هنا سوادهم». ونقل الميداني عن أبي عبيد أن المراد بالمثل الشدة. انظر الأمثال (٢: ٣١٦).

(٥) ط، س: «في بعض بني قريش»، وكلمة «بني» مقحمة. والشخص المراد هو الحارث بن هشام بن المغيرة، كما في الديوان ٥٩.

(٦) عقاب: عبد كان لبني تغلب، وكان له بنات وقع بعضهن عند الفرافصة بن الأحوص الكلبي فكنّ إماء له، وكانت واحدة منهن ولدت لرجل من بني تغلب ابنة تزوجها مخربة بن جندل. ومخربة هذا والد أسماء والدة الحارث بن هشام. فحسان يهجو الحارث بأن له نسباً في الإماء. و «عنده شجن» أراد أنه يجلب لها الشجن عند ماتتذكر نسبها. ط، س: «بن أحوص» وأثبت ما في ل والديوان.

(٧) يقال: «أزهى من غراب؛ لأنه إذا مشى اختال ونظر في عطفيه». ثمار القلوب ٣٦٥. ورواية المخصص (٣: ١٠٣): «في فحش زانية»، وفيه وفي الديوان ٦٠: «وزوك غراب». والزوك: المشي المتقارب الخطو مع تحرك الجسد.

ويقال : « وجَد فلانٌ تَمْرَةَ[1] الغُراب » ، كأنّه يتّبع عندهم أطيَب التمر[2] .

ويقال : « إنَّه لأَحْذَرُ مِنْ غراب » و : « أشدّ سَواداً من غراب » . ١٣٢

وقد مَدحوا بسَوادِ[3] الغراب . قال عنترة :

فيها اثنتانِ وأرْبَعُون حَلوبَةً سُودا كَخَافِيةِ الغرابِ الأسْحَمِ

وقال أبو دوَاد[4] :

تنفى الحصى صُعُداً شَرْقِيَّ مَنْسِمِها نَفْيَ الغُرابِ بأعلى أنفه الغَرَدا[5]

والمغاريد : كَمْءٌ[6] صِغار . وأنشَد[7] :

يَحُجُّ مأْمومةً فى قَعْرِها لَجَفٌ فاستُ الطَّبيبِ قذَاها كالمغارِيدِ[8]

وقد ذكرنا شدَّة منقاره ، وحدَّةَ بصره فى غير هذا المكان .

---

(١) كذا فى ل واللسان (ت م ر) ومثله فى أمثال الميدانى (١ : ٣٦٩ ، ٢ : ٢٨٧) . يضرب لمن يظفر بالشىء النفيس ، ولمن يجد أفضل ما يريد . ط ، س وكذامحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) : « ثمرة » بالمثلثة .

(٢) ط ، س ، « الثمر » بالمثلثة . وانظر التنبيه السابق .

(٣) ما عدا ل : « سواد » .

(٤) كذا على الصواب فى ط . وفى ل ، س : « أبو داود » تحريف . وأبو دواد : شاعر جاهلى اسمه جارية بن الحجاج أو حنظلة بن الشرق . وهو أحد نعات الخيل المجيدين . وكانت العرب لا تروى شعره ولا شعر عدى بن زيد لأن ألفاظهما ليست بنجدية . خزانة الأدب (٤ : ١٩٠ بولاق) والشعراء لابن قتيبة .

(٥) ل : « ينفى » ويصح إذا قرئ بالبناء للمجهول . ومنسم الناقة كمجلس : خفها . والغرد : ضرب من الكمأة صغار ، وأراد بالأنف هنا المنقار . ط : « نق الغراب » وصوابه فى ل ، س . ل : « الغردة » .

(٦) ط : « كم » ، صوابه فى ل ، س . والمغاريد : جمع مغرود ، بالضم : لغة فى الغرد .

(٧) البيت الآتى قائله عذار بن درة الطائى . اللسان (ح ج ج) .

(٨) وصف هذا الشاعر طبيبا يداوى شجة بلغت أم الرأس فى قعرها . تلجف أى تقلع ، كما تتلجف البئر فينقلع طيها من أسفلها . وذلك الطبيب يجزع من هولها فالقذى يتساقط من استه كالمغاريد . انظر اللسان (ح ج ج) والكامل ٦٤ ليبسك ، ومعجم الأدباء (١٥ : ٧٣ — ٧٤) حيث الكلام طويل فى البيت . ط ، س : =

(شعر فى مديح السواد)

وقالوا فى مديح السَّواد ، قال امرؤ القيس :

العــينُ قادحــةَ واليــدُّ سابحــةَ   والْأُذْنَ مصْغِيةٌ واللَّونُ غِربيبُ[١]

وفى السَّواد يقول رَبِيِّعة أَبُو ذؤابٍ[٢] الأسدىّ ، قاتل عتيبة بن الحارث ابن شهاب :

إِّن المــودة والهــوادةَ بيْنَنَا   خلَقٌ كسَحْقِ الْيُمْنَةِ المنجَابِ[٣]

إلَّا بجيشٍ لا يكَتُّ عــدِيدُه   سُودِ الجلودِ من الحديدِ غِضابِ[٤]

= « فحج » ، وصواب الرواية من ل والمراجع المتقدمة . ل : « لحف » مصحف. ط : « قاسى الطبيب » محرف . ويروى : « كالغماريد » مقلوب عن « المغاريد » المخصص (١٣ : ١٨٢) .

(١) ط ، س : « والعين » . واليد ، بالتشديد : لغة فى اليد . س : « والرجل » .

(٢) كان ذؤاب قتل عتيبة بن الحارث اليربوعى فى يوم خو ، وأسرت بنو يربوع فى ذلك اليوم ذؤابا ، أسره الربيع بن عتيبة بن الحارث وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه ، فأتى ربيعة أبو ذؤاب إلى الربيع ، فافتدى ولده بشىء معلوم ، ووعده أن يأتى بذلك سوق عكاظ . وساق ربيعة الفداء إلى السوق فى الموعد فلم يجد الربيع وابنه الأسير ، وكان الربيع تخلف لغرض له ، فقدر ربيعة فى نفسه أن الربيع علم بقتل أبيه فقتله فرثاه بأبيات منها البيتان الآتيان ، وسارت عنه . فبلغت بنى يربوع ، فعرفوا أنه قاتل عتيبة فأقادوه به . ولولا ذلك لنجا . انظر الخبر فى شرح التبريزى للحماسة (٢ : ١٦٦) . والشعر والخبر فيه وفى أمالى القالى (٢ : ٧٢ - ٧٣) . وربيعة أبو ذؤاب هو بضم الراء ، قال أبو محمد الأعرابى : « ليس فى العرب ربيعة غيره » وهو ابن عبيد بن سعد (أو هو ابن أسعد) بن جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين . شرح الحماسة والمؤتلف ١٢٥ ط ، س : « ربيعة بن أيوب » ، تحريف صوابه فى ل .

(٣) الهوادة : اللين . كسحق اليمنة ، أى كالثوب السحق البالى منها . اليمنة بالضم : نوع من برود اليمن .

(٤) إلا بجيش : يقول لانهدأ إلا إذا حكمنا الحرب . لا يكت : لا يعد ولا يحصى .

(شعر ومثل فى شيب الغراب)

وفى المَثَل : « لا يكونَ ذلك حتَّى يشيبَ الغُراب » . وقال العرْجىُّ :

لا يحولُ الفؤادُ عنـــه بوُدٍّ أبداً أو يَحولَ لون الغُرابِ

وقال ساعدةَ بن جُؤَيّة :

شابَ الغراب ولا فؤادك تَاركٌ عَهْدَ الغَضُوبِ ولا عتابُكَ يُعتِبُ[١]

(معاوية وأبو هوذة الباهلىّ)

وممــا يُذكَر للغراب ما حدّث به أبو الحسن[٢] ، عن أبى سليم[٣] ، أنَّ معاويةَ قال لأبى هوذة[٤] بن شمّاس الباهلىِّ[٥] : لقد هممت أن أحمِلَ جمْعاً من باهلةَ فى سفينةٍ ثم أغرقهم ! فقال أبو هَوْذة : إذَنْ لاترضى باهلةُ بعِدّتِهِـمْ من بنى أمية ! قال : اسكت أيُّها الغرابُ الأبقع ! وكان به برص —

---

(١) أراد : طال عليك الأمر حتى كان مالا يكون أبداً، وهو شيب الغراب . عن اللسان . ط ، س : « تاركا » ولا تصح وصوابها فى ل واللسان (شيب وعتب) . و « عهد » هى فى ل : « ذكرى » وفى اللسان « ذكر » . ويعتب ، بالضم والبناء للفاعل ، بمعنى يجلب إليك العتبى ، وهى الرضا ، يقول : إن عتابك فى غير طائل . وقد ضبطت فى اللسان بالبناء للمفعول فى الموضعين . وفسرها بقوله : « أى لا يستقبل بعتبى » .

(٢) أبو الحسن ، يريد به على بن محمد المدائنى الأخبارى المعروف .

(٣) ل : « أبى سليمان » .

(٤) هذه الكلمة جاءت فى الأصل بالدال المهملة فى مواضعها الثلاثة . والوجه ما أثبت .

(٥) « ابن شماس » ساقطة من ل .

فقال أبو هوذة : إنّ الغراب [الأبقع] ربَّما درج إلى الرَّخمةِ حتى ينقرَ دِماغها ، ويقلع[1] عينَيْها ! فقال يزيد بن معاوية : ألا تقتُلُه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : مَهْ ! ونهض معاوية . ثمَّ وجَّهه بعدُ فى سرِيَّة فقتل . فقال معاوية ليزيد : هذا أخفَى وأصوب !

(شعر فى نقر الغراب العيون)

وقال آخرُ[2] فى نقْر الغراب العُيونَ :

أتوعد أسرتى وتركتَ حُجْراً ‌ ‌ يُرِيغُ سوادَ عَينيهِ الغُرابُ[3]

ولو لاقيت عِلباءَ بنَ جَحْشٍ ‌ ‌ رضيتَ من الغَنيمةِ بالإيابِ[4]

١٣٣ وقال أبو حيَّة — فى أنَّ الغراب يسمُّونه الأعور تطيُّرا منه — :

وإذا تَحَلُّ قَتودها بتَنوفةٍ ‌ ‌ مَرَّت تلِيح من الغُرابِ الأعورِ[5]

لأنَّها تخاف من الغربان ؛ لمَا تعلمُ من وقوعها على الدَّبَر .

---

(١) س : « ويقتلع » .

(٢) هو عبيد بن الأبرص يرد على امرئ القيس . انظر الخزانة (٢ : ٤٠٣ بولاق) والعمدة (١ : ٦٥) .

(٣) يريغ : يطلب . س « يريع » مصحفة .

(٤) س : « علياء » تصحيف . وفى البيت إقواء كما ترى . ومن عجيب ماروى فى شأن الإقواء : قول صاحب القاموس : « وقلت قصيدة لهم بلا إقواء »، يعنى العرب .

(٥) قتود الناقة : أدوات رحلها . والتنوفة : الفلاة . وتليح : تشفق وتحاذر . ط ، س : « يحل قتودها » . ط : « غرت » مكان « مرت » والأولى تحريف .

(شعر فيه مدح بلون الغراب)

ومما يَمْـدَح به الشُّعراءُ بلون الغراب[1] قال أبو حيَّة :

غرابٌ كانَ أَسْوَدَ حالـكِيًّا ألَا سَقْيًا لِذلك مِنْ غُرابِ

وقال أبو حيَّة[2] :

زمانَ عَلَيَّ غرابٌ غُـدَافٌ فَطيَّرَهُ الدَّهْرُ عَنِّى فطَارا

فلا يُبعِدِ الله ذاك الغُـدافَ وإن كان لا هو إلَّا ادِّكارا[3]

فأصبحَ موضعُهُ بائضاً مُحِيطا خِطاماً مُحيطا عذارا[4]

وقال أبو حيَّةَ فى غير ذلك ، وهو مما يُعدّ للغراب :

كأَنَّ عَصِيمَ الدَّرس منهنَّ جاسدٌ بما سال من غربانهنَّ من الخَطْر[5]

---

(١) ط ، س : « الشعر » وليست مرادة ، بل المراد الشعراء كما فى ل . ط : « لون » وصوابه فى ل ، س .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وقال آخر » . وقد روى المرتضى فى أماليه (٢ : ١٠٠) تسعة أبيات من قصيدة أبى حية منسوبة إليه . وقبل البيت الأول :

زمان الصبا ، ليت أيامنا رجعن لنا الصالحات القصارا

(٣) كذا فى الأصل . وفى أمالى المرتضى : « وإن هو لم يبق إلا ادكارا » .

(٤) بائضا، من باض النبت : إذا صوح . ل ، س : « محيطا غدارا » .

(٥) العصيم : الدرن والوسخ والبول إذا يبس على فخذ الناقة . الدرس : الجرب أول مايظهر. وفى الأصل : « الورس » ووجهه ما أثبت . انظر اللسان (درس ٣٨٣) والمخصص (٧ : ١٦٣). وجاسد : لاصق، وفى الأصل: « حاسد » . والخطر : بالفتح ويكسر : ما يتلبد على أوراك الإبل من أبوالها وأبعارها .

(استطراد لغوى)

والغراب ضروب، ويقع هذا الاسمُ فى أماكن، فالغراب[1] حدُّ السكين والفأسِ ، [يقال] فأسٌ حديدة الغراب . وقال الشّماخ :

فأَنحَى عليها ذاتَ حدٍّ غرابها عَدُوٌّ لِأَوْسَاطِ العِضَاهِ مشارزُ[2]

المشارزة : المعاداة والمخاشَنة .

والغراب : حدُّ الورِك ورأسه الذى يَلى الظهر[3] ، ويبْدأ[4] من مؤخّر الرِّدف . والجمعُ غِربان . قال ذو الرُّمَّة :

وقَرَّبْنَ بالزُّرقِ الحمائِل بعدَ ما تَقَوَّب من غِربانِ أوراكِها الخَطْرُ[5]

تقوَّب[6] : تقشر ماعلى أوراكها من سلْحِها وبَولها ؛ من ضَربها بأَذنابها .

---

(١) ط : « فالغرب » ، وصوابه فى ل ، س .

(٢) أنحى : أمال . وذات حد : الفأس . والعضاه : شجر عظيم . والبيت فى صفة قواس تناول فرعا وجعل يشذبه بالفأس ليصنع قوسا . ل : « عدولا لأوساط » ، صوابه فى ط ، س والديوان ٤٧ .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ورأسه الفقارة التى تلى الظهر » .

(٤) ط ، س : « تبدأ » ، ل : « ويبدو » ، وجعلته كما ترى .

(٥) الزرق : أكثبة رملية بالدهناء . والحمائل ، بالحاء المهملة : جمع حمولة بالفتح ، وهى الإبل التى تحمل . ومثل هذه الرواية فى اللسان (خطر ، زرق) . ورواه ابن سيده فى المخصص (٧ ، ٢٣ ، ١٤ : ١١٧) : « الجمائل » بالجيم ، وقال هو جمع جمال بالكسر. والخطر فسر فى الصفحة السابقة .

(٦) س : « يقول » .

(غراب البَيْن)

وكلُّ غراب فقد يقال له غراب البين إذا أرادوا به الشؤم ، أمَّا غراب البين نفسه ؛ فإنَّه غرابٌ صغير . وإنَّما قيل لكلِّ غراب غراب البَين ، لسقوطها فى مواضعِ منازلهم إذا بانوا عنها . قال أبو خَوْلة الرِّياحِىّ[1] :

فليس بِيربوع إلى العَقْل فاقَةٌ ولا دَنَس يَسودُّ منه ثيابُها[2]

فكيف بنَوكَى مالك إن كفَرتم لهم هذه ، أم كيف بعدُ خِطابها[3]

مَشَائم ليسُوا مُصلِحِين عشيرةً ولا ناعبٍ إلّا ببينٍ غرابها[4]

(الوليد بن عقبة وعبد الله بن الزبير)

ومن الدَّليل على أنّ الغرابَ من شرارِ الطَّير ، ما رواه أبو الحسن قال : ١٣٤ كان ابنُ الزبير يقعُد مع معاويَةَ على سريره ، فلا يقدر معاويةَ أن يمتنع

---

(١) أبو خولة : كنية الأخوص ، بالخاء المعجمة ، الرياحى اليربوعى ، كما فى الخزانة (٤ : ١١٩ سلفية) . ل : « أبو خوالة » محرف . وفى البيان (٢ : ٢٦٠) « أبو الأحوص الرياحى » ، صوابه : « الأخوص الرياحى » كما فى الخزانة (٤ : ١١٨ سلفية) . وروى السيوطى فى شرح شواهد المغنى ٢٩٥ نسبته إلى أبى ذؤيب الهذلى . وقد ذكر صاحب الخزانة سبب الشعر وقصته . والأخوص الرياحى شاعر إسلامى .

(٢) المراد بالعقل هنا : الدية . والرواية فى الخزانة والبيان : « سوى دنس » . و « منه » هى فى الأصل « منها » وتصحيحه من البيان وشرح شواهد المغنى .

(٣) أراد بمالك : بنى دارم بن مالك ، وكانوا قتلوا رجلا من بنى غدانة بن يربوع .

(٤) أراد بالمشائم بنى مالك لا بنى يربوع . وفى الخزانة : « مشائيم » . وأنت تراه قد جر « ناعب » توهما منه أن الباء قد دخلت على المعطوف عليه وهو « مصلحين » فإن الباء تزاد فى خبر ليس . وقد رواه سيبويه فى كتابه (١ : ١٥٤ ، ٤١٨) بالجر كما هنا . ورواه فى (١ : ٨٣) ، « ولا ناعبا » على الأصل .

منه ، فقال ذات يومٍ : أمَا أحدٌ يكفينى ابنَ الزبير ؟ فقال الوليدُ بن عقبة : أنا أكفِيكه[1] يا أميرَ المؤمنين . فسبق فقعَد فى مقعَدِه على السرير ، وجاء ابنُ الزبير فقعَدَ دونَ السرير ، ثمَّ أنشد ابنُ الزبير :

تسمَّى أباناً بعد ما كان نافِعاً وَقَدْ كانَ ذَكْوَانُ تَكَنَّى أبا عمرٍو[2]

فانحَدَرَ الوليدُ حتى صار معه ، ثم قال :

ولولا حُرَّةٌ مهَدَتْ عَلَيْكمْ صفِيَّةُ ما عُدِدْتم فى النَّفِيرِ[3]

ولا عُرِفَ الزبيرُ ولا أبوه ولا جلسَ الزبير على السريرِ

وددْنا أنَّ أمَّكمْ غرابٌ فكنتم شرَّ طيرٍ فى الطّيورِ

(القواطع والأوابد)

قال أبو زيد : إذا كان الشتاء قطعت إلينا الغِربَان ، أى جاءت بلادنا[4] ، فهى قواطعُ إلينا ، فإذا كان الصيف فهى رواجع . والطير التى تقيم بأرض[5] شتاءَها وصيفها أبداً فهى الأوابد . والأوابد أيضاً

---

(١) ط ، س : « آكفيك » .

(٢) ط ، س : « يسمى » و « يكنى » .

(٣) صفية هذه هى بنت عبد المطلب ، عمة الرسول . وهى أم الزبير بن العوام . يقول لولا ما أدركتم من شرف الأم ما عددتم فى النفير . والعبارة تنظر إلى المثل السائر « فلان لا فى العير ولا فى النفير » ، يضرب لمن لايستصلح لأمر من الناس ، ولمن هو صغير القدر . انظر اللسان (نفر) وأمثال الميدانى (٢ : ١٥٤ — ١٥٥) .

(٤) ل : « من بلادنا » ، تحريف .

(٥) ل : « بأرضنا » .

هى الدواهى، يقال جاءنا بآبدةٍ . ومنها أوابد الوحْش . ومنها أوابد الأشعار . والأوابد أيضاً : الإبل إذا توحَّش منها شئٌ فلم يُقدَر عليه إلَّا بعقْر . وأنشد أبو زيدٍ فى الأوابد[1] :

ومَنْهل وَرَدْته التِقَاطَا[2] طام ٍ فـلمْ ألْقَ به فُرَّاطَا[3]

* إلَّا القطا أوابداً غَطَاطا[4] *

(صوت الغراب)

ويقال نغق الغراب ينغِق نغيقا ، بغين معجمة ؛ ونعب ينعب نعيباً بعين غير معجمة . فإذا مرَّت عليه السِّنونَ الـكثيرةَ وغلُظ صوته قيل شحَج يشحَج شحيجاً[5] . وقال ذو الرُّمَّة :

ومُسْتَشْحِجَاتٍ بالفِراقِ كأنَّها مَثَا كِيلُ من صُيَّابةِ النُّوبِ نُوَّحُ[6]

والنُّوبة توصف بالجزع .

---

(١) صاحب الرجز نقادة الأسدى ، كما فى اللسان (فرط ، لقط) .

(٢) التقاطا : فجأة بدون احتساب أو رجاء .

(٣) الفراط : المتقدمات إلى الماء . ط ، س : « فلم نلف » . اللسان : « لم أر إذ وردته » و « لم ألق إذ وردته » . ل : « قراطا » بالقاف ، تصحيف .

(٤) ل : « أبدا » . والغطاط ، بالفتح : الطوال الأرجل ، البيض البطون ، الغبر الظهور ، الواسعة العيون . ورواية اللسان فى الموضعين : « إلا الحمام الورق والغطاطا » .

(٥) س : « سحج يسحج سحيجا » ، تصحيف .

(٦) يعنى الغربان . س : « مستسحجات » تصحيف . والصيابة ، بضم الصاد وتشديد الياء : الصميم والخيار . س : « صبابة الثوب » وصوابه فى ل ، ط ، واللسان والمخصص (٣ : ١٥٣ ، ٤ : ٣٠ ، ٨ : ١٣٤) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٦٩) .

(أثر البادية فى رجال الروم والسند)

وأصحابُ الإبل يرغبون فى اتّخاذ النوبة والبربر والرُّوم للإبل ؛ يرون أنهم يصلُحون على معايشها ، وتصلح على قيامهم عليها .

ومن العجب أنَّ رجال[1] الرُّوم تصلح فى البدْو مع الإبل ، ودخول الإبل بلادَ الروم هو هلاكها .

فأمَّا السِّندَ فإنَّ السِّندِيَّ صاحبَ الخرْبَة[2] إذا صار إلى البدو ، وهو طفل ، خرجَ أفصحَ من أبى مَهْدِيّة[3] ، ومن أبى مطرِّف[4] الغنَوىّ . ولهم طبيعةٌ فى الصَّرْفِ ؛ لاترى بالبصرة صيرَفِيًّا إلّا وصاحب كِيسه[5] سِنْدِىٌّ .

---

(١) ط ، س : « حال » .

(٢) خربة السندى : ثقب شحمة أذنه . ط ، س : « الحربة » مصحفة . قال ذو الرمة من بائيته المشهورة :

كأنه حبشى يبتغى أثراً أو من معاشر فى آذانها الخرب

وقد سبقت هذه الكلمة فى (٢ : ٣٤٠، ٣٤١) ، وفى أول رسالة فخر السودان : «خرتة» وهى والخربة بمعنى .

(٣) أبو مهدية سبقت ترجمته فى (٢ : ٢١٤) . س : « أبى مهرية »، تصحيف .

(٤) ل : « ومن مصرف » .

(٥) س : « كسبه » . تحريف ما فى ط ، ل . وجاء فى رسائل الجاحظ ٨١ ساسى : « ومن مفاخرهم أن الصيارفة لا يولون أكيستهم وبيوت صروفهم إلا السند وأولاد السند . . . ولا يكاد أحد أن يجد صاحب كيس صيرفى ومفاتيحه ، ابن رومى ولا ابن خراسانى » .

(نبوغ السِّند)

واشترى محمّد بنَ السّكن ، أبا رَوْح[١] [فَرَجاً] السِّندى ، فكسب له المالَ العظيم . فقَلَّ صيدَلانىٌّ[٢] عندنا إلّا وله غلامٌ سِندىٌّ . فبلغوا أيضاً فى البَرْبَهار[٣] والمعرفة بالعقاقير ، وفى صحّة المعاملة ، واجتلاب الحُرفاء مبلغاً حسنا . ١٣٥

وللسِّندِ فى الطّبخ طبيعةٌ ، ما أكثرَ ماينجبُون فيه .

وقد كان يحيى [بن خالد] أراد أن يحوِّل إجراءَ الخيل عن صبيان الحُبشان والنُّوبة ، إلى صبيان السند ، فلم يفلحوا فيه ، [وأراد تحويل رجال السّند إلى موضع الفرّاشين من الرُّوم[٤] ، فلم يفلحوا فيه] .

وفى السِّند حلوق[٥] جياد ، وكذلك بنات السِّند .

---

(١) ط ، س : « أبا رواح » ، وصوابه من ل ورسائل الجاحظ ٨١ ساسى .

(٢) الصيدلانى : بائع الأدوية ، وتبدل اللام نونا فيقال « صيدنانى » أيضاً . وجاء فى ل : « صيدنانى » .

(٣) كذا ضبطها العلامة المحقق الأب أنستاس مارى الكرملى ، وقال : المراد بها توابل بر الهند . قلت : وجاءت هذه الكلمة فى رسائل الجاحظ ٨١ ساسى : « صيارفة البصرة وبنادرة البربهارات » . وانظر أنساب السمعانى ٧١ . وفى ط ، س : « البربها » ، بإسقاط الراء محرفة .

(٤) يراد بالفراش من يتعهد فراش البيت وأثاثه . انظر حول ديوان البحترى ص ٣٩ .

(٥) أراد أصحاب حلوق : جمع حلق ، أى أن لهم أصواتا حسنة . ل : « أخلاق » تحريف . وجاءت مثل هذه العبارة فى رسائل الجاحظ ٦٣ ، قال : « وليس فى الأرض أحسن حلوقا منهم » وفى ص ١١٨ : « ومن مفاخر الزنج حسن الحلق وجودة الصوت » .

(استطراد لغوى)

والغراب يسمَّى أيضاً حاتماً . وقال عَوف بن الخَرِع[1] :

ولـكنَّما أهْجُو صفىَّ بنَ ثابت   مَثَبَّجةً لاقت من الطَّيرِ حاتما[2]

وقال المرقِّش ، من بنى سَدُوس[3] :

ولقد غَدَوتُ وكنتُ لا   أغـــدُو على وَاقٍ وحاتِم

[فإذا الأشائمُ كالأيا   مِنِ والأيامِنُ كالأشائِمْ

وكذاك لا خـير ولا   شرٌّ على أحـدٍ بدائِمْ]

---

(١) هو عوف بن عطية بن الخرع (وزان كتف) التيمى ، نسبة إلى تيم بن عبد مناة ، شاعر جاهلى . الخزانة (٣ : ٨٢ بولاق) . فى الأصل « الجزع » تصحيف ، صوابه فى القاموس (خرع) والخزانة والمفضليات ، وقد اختار له المفضل الضبى فى ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٤١٢ ثلاث قصائد حسان .

(٢) المثبجة : البوم ، كما فى القاموس . ط ، س : « منيحة » ، وفى ل : « متيحة لاقته من الطير » ، صوابه من الأصمعيات ١٦٩ .

(٣) بدله فى ط ، س : « وقال آخر » . وتجد الشعر منسوبا إلى المرقش فى عيون الأخبار (١ : ١٤٥) وتأويل مختلف الحـديث ١٢٩ . ولم يعين المراد أهو المرقش الأصغر أم الأكبر ، لكن إطلاقه يرجح أنه الأصغر فإنه « أشعرهما وأطولهما عمراً » . معجم المرزبانى ٢٠١ . وتجد الشعر فى حماسة البحترى ٢٥٥ معزوا إلى المرقم الذهلى ، وهو خزز بن لوذان كما فى المؤتلف ١٠٢ حيث توجد هذه النسبة أيضاً . والشعر بدون نسبة فى أمالى القالى (٣ : ١٠٦) وزهر الآداب (٢ : ١٦٩) .

وأنشد لُحَثيم بن عَدِيّ[١] :

وليس بهيَّابٍ إذا شـدَّ رحْلَه يقولُ عدانِي اليومَ واقٍ وحاتِمُ[٢]

ولـكنَّه يَمضِي على ذاكَ مُقْدِماً إذا صَدَّ عَنْ تِلكَ الهَنَاتِ الُخثارِمُ[٣]

والُخثَارم : هو المتطيِّر[٤] من الرِّجال . وأما قوله : « واقٍ وحاتِمُ » فحاتم هو الغراب ، والواقى هو الصُّرَد ؛ كأنَّه يرى أنَّ الزَّجْر بالغُراب إذا اشتقَّ مِن اسمه الغَرْبة[٥] ، والاغتراب ، والغريب ، فإنَّ ذلك حتم . ويشتق من الصُّرَد التصريد[٦] ، والصُّرَد [و] هو البرد . [ويدلك[٧]] على ذلك قوله :

دعا صرَدٌ يوماً على غصْنِ شوْحَطٍ وصاح بذاتِ البَيْنِ منها غرابُها[٨]

فقلتُ : أتصريدٌ وشَحْطٌ وغرْبَةٌ فهذا لعمرى نَأْيُها واغترابُها[٩]

---

(١) كذا على الصواب فى ل والاقتضاب ٣٥٤ واللسان (وقى ، وحتم ، وخثرم) . ويعرف أيضاً بالرقاص الكلبى ، كما نقل مصحح اللسان عن التكملة . وفى ط ، س : « لحاتم بن عدى » ، وهو تحريف . يمدح بالشعر مسعود بن بحر الزهرى . وقبله :

وجدت أباك الخير بحراً بنجوة بناها له مجداً أشم قاقم

(٢) عدانى : منعنى عن المضى إلى ما أقصد . والواقى ، كالقاضى : الصرد ، وهو طائر أبقع ضخم الرأس ضخم المنقار شديده ، فوق العصفور ويصيد العصافير ، غذاؤه من اللحم .

(٣) عن تلك الهنات : أى بسبب تلك الأمور . ط ، س : « الهناة » ، صوابها فى ل واللسان والاقتضاب والمخصص (١٣ : ٢٥) وتأويل مختلف الحديث ١٢٨ . والخثارم ، بضم الخاء ويروى بفتحها . فالأول مفرد والثانى جمع ، مثله جوالق وجوالق ، وقراقر وقراقر ، وعذافر وعذافر .

(٤) ط ، س : « المتكبر » ، وصوابه فى ل واللسان والقاموس وتأويل مختلف الحديث ١٢٨ .

(٥) ط ، س : « عن اسمه الغرابة » محرفة .

(٦) التصريد : التقليل ، وفى السقى : دون الرى .

(٧) الزيادة من ل ، س .

(٨) الشوحط : شجر تتخذ منه القسى . وفى زهر الآداب (٢ : ١٦٨) : « على غصن بانة » ، ولا يستقيم هذا مع البيت الآتى . ط ، س : « فيها » ، وصوابه من ل وزهر الآداب . وضمير « منها » للحبيبة .

(٩) التصريد فسر قريباً . والشحط : البعد .

[فاشتَقَّ التَّصْرِيدَ مِنَ الصُّرَدِ ، وَالْغُرْبَةَ مِنَ الْغُرَابِ ، والشَّحْطَ مِنَ الشَّوْحَطِ] .

ويقال أُغْرِب الرّجُل : إذا اشتدَّ مرضُه ، فهُوَ مُغْرَب[1] .

قال : والعنقاء المغْرِب ، العُقاب ؛ لأنّها تجيء من مكانٍ بعيد .

(أصل التطير في اللغة)

قال : وأصل التطيُّر إنما كان من الطَّير [و] من جهة الطَّير ، إذا مرَّ بارحًا [أ] وْ سانحا[2] ، أو رآه يتفلى وينتَتِف ، حتَّى صاروا إذا عاينوا الأعورَ من النَّاس أو البهائم ، أو الأعضبَ أو الأبترَ ، زجَروا عند ذلك وتطيَّروا عندها ، كما تطيَّروا من الطير إذا رأوها على تلك الحال . فكان زجر الطَّير هو الأصل ، ومنه اشتقوا التطيّر ؛ ثمَّ استعملوا ذلك في كلِّ شيء .

(أسماء الغراب)

والغراب لسواده إن[3] كان أسود ، ولاختلاف لونه إن[3] كان أبقَع ، ولأنَّه غريب يقطع إليهم[4] ، ولأنّه لا يوجد في موضع خيامهم

(١) ل : « أغرب على الرجل » وليس مراداً ، في القاموس : أغرب عليه : صنع به صنع قبيح . ط ، س : « اشتد ضحكه » ، وهو تحريف صوابه في ل ؛ في القاموس : « أغرب بالضم : اشتد وجعه » .

(٢) البارح : مامر من ميامنك إلى مياسرك . والسانح عكسه . وكان يتشاءم بالأول ويتيمن بالثاني عند أهل نجد ، وكان أهل الحجاز يتفاءلون بالأول ويتشاءمون من الثاني .

(٣) ل : « إذا » .

(٤) ط : « لايقطع » تحريف ، وانظر ما سبق في ص ٤٣٢ .

يتقمَّم ، إلَّا عندَ مباينتِهم لمساكنهم ، ومزَايَلَتِهِمْ لدُورهم ؛ ولأنّه ليس شيءٌ ١٣٦
من الطّير أشدَّ على ذوات الدَّبَر من إبلهم من الغِربان ، ولأنّه حديدُ البصر
فقالوا عند خوفهم من عينه « الأعور » . كما قالوا : « غراب » لاغترابه وغربته
« وغراب البَين » ؛ لأنَّه عندَ بينونتهم يوجَد فى دُورهم .

ويسمُّونه « ابنَ داية » ؛ لأنَّه ينقُب عن الدَّبَر حتَّى يبلغ إلى دايات العنق
وما اتّصل بها من خرُزات[1] الصُّلبِ ، وفَقَار الظهر .

(مراعاة التفاؤُل فى التسمية)

وللطِّيَرة[2] سمَّت العربُ المنهوش بالسَّليم ، والبرِّيّة بالمفازة ، وكنَوا
الأعمى أبا بصير ، والأسود أبا البيضاء ، وسمّوا الغراب بحاتِم ؛ إذْ كان
يحتِم الزَّجر به على الأمور . فصار تطيُّرهم من القَعيدِ والنَّطيح[3] ومن جَرْد
الجراد[4] ، ومن أنَّ الجرادة[5] ذاتُ ألوان ، وجميع ذلك — دونَ
التَّطيُّرِ بالغراب .

---

(١) الخرزات : جمع خرزة ، بالضم وتجمع أيضاً على خرز ، كغرف ، وهى مابين الفقرات . ط : « خرزان »، وصوابه فى ل ، س . وانظر ماسبق من الكلام على ابن دأية فى ص ٤١٥ .

(٢) الطيرة : مايتشاءم به من الفأل الردىء .

(٣) القعيد : ماجاء من ورائك من ظبى ، أو طائر . والنطيح : ماجاء من أمامك من الطير والوحش .

(٤) ل : « وجرد الجرادة » .

(٥) ط ، س : « الجراد » .

(ضروب من الطِّيَرة)

ولإيمان العرب بباب الطِّيَرَة [والفأل] عقَدُوا والرَّتائم[١] ، وعشَّروا إذا دخَلوا القُرى تَعشِيرَ الحِمار[٢] ، واستعملوا فى القِداح الآمر ، والناهى ، والمتربِّص[٣] . وهنَّ غيرُ قداح الأيسار .

(قاعدة فى الطِّيَرة)

ويَدُلُّ على أنهم يشتقُّون من اسم الشيء الذى يعاينونَ ويسمَعون ، قولُ سَوَّار بن المضرَّب[٤] :

تغنَّى الطَّائرانِ ببينِ لَيلَى ... على غصنينِ من غَرْبٍ وبَانِ

---

(١) الرتائم : جمع رتيمة : وهى أن يعقد الرجل إذا أراد سفرا شجرتين أو غصنين ويقول: إن رجع وهما على حالهما كانت زوجته محتفظة بوفائها ، وإلا فلا . أو هى خيط يشد على الإصبع تستذكر به الحاجة . والمعنى الأول هو المراد فى الطيرة والفأل .

(٢) عشر الحمار : تابع النهيق عشر نهقات ووالى بين عشر ترجيعات فى نهيقه . وكانوا يزعمون أن من قرب أرضا وبئة فوضع يده خلف أذنه وعشر ثم دخلها أمن الوباء . قال عروة فى ديوانه من مجموع خمسة الدواوين ص ٩٩ :

لعمرى لئن عشرت من خشية الردى ... نهاق الحمير إننى لجزوع

ويظهر أن أصله عادة لليهود من العرب ، كما قال عروة :

وقالوا احب وانهق لا تضيرك خيبر ... وذلك من دين اليهود ولوع

(٣) تحدث ابن قتيبة فى كتاب الميسر ٣٩ - ٤٠ عن الآمر والناهى ولم يذكر « المتربص » .

(٤) قال التبريزى : « مضرب بفتح الراء ، أى ضرب مرة بعد مرة » وقد ذكره =

فكان البانُ أن بانَتْ سُلَيمَى ... وفى الغَرْب اغترابٌ غيرُ دانِ

فاشتقّ كما ترى الاغتراب من الغَرْب ، والبينونَة من البان .

وقال جرانُ العَود :

جَرَى يوم رُحْنا بالجمَال نُزِفُّها ... عُقابٌ وشَحَّاجٌ من البين يَبْرَحُ[١]

فأمَّا العُقاب فهى منها عقوبةٌ ... وأمّا الغُراب فالغَريبُ المطوَّحُ[٢]

فلم يجد فى العُقاب إلّا العقوبة . وجعل الشَّحاجَ[٣] هو الغراب البارح وصاحب البين ، واشتقّ منه الغريب المطوَّح .

ورأى السَّمهرىُّ[٤] غرابا عَلَى بانةٍ ينتف رِيشَه ، فلم يجد فى البان إلّا البينونة ، ووجد فى الغُراب جميعَ معانى المكروه ، فقال :

رأيتُ غراباً واقِعاً فوقَ بانَةٍ ... يُنتِّفُ أعلى ريشهِ ويُطايِرُهْ[٥]

= صاحب المؤتلف فقال : « سوار بن المضرب السعدى أحد بنى ربيعة بن كعب ابن زيد مناة بن تميم ، الشاعر المشهور، القائل :

وإنى لا أزال أخا حروب ... إذا لم أجن كنت مجن جانى »

ط ، س : « بشار بن المضرب » صوابه فى ل . والشعر فى عيون الأخبار (١ : ١٤٩) منسوب إلى الملوط ، وفى الكامل ٨٤ ليبسك ونثار الأزهار ٧٥ إلى جحدر العكلى . وانظر أمالى القالى (١ : ٢٨١ — ٢٨٢) .

(١) ل والشعراء ٦٩٧ : « يوم جئنا » . نزفها : نحثها على السير السريع ، يقال أزفه : حمله على الزفيف . ط ، س : « يزفها » ، وأثبت مافى ل والديوان ٣ والشعراء .

(٢) المطوح : البعيد .

(٣) ط : « السحاج » ، وصوابه فى ل ، س . شحج : نعق .

(٤) كذا فى ل وهو المطابق لما فى شرح التبريزى للحماسة ١ : ٢١١. وهو السمهرى بن بشر العكلى . وفى ط ، س : « السهمى » ، تحريف . والمعروف نسبة هذه الأبيات إلى كثير عزة فى قصة طويلة تجدها فى زهر الآداب (٢ : ١٦٩) ومحاسن البيهقى (٢ : ٢٢ — ٢٣) والمستطرف (٢ : ١٦٩) وعيون الأخبار (١ : ١٤٧) والشريشى (٢ : ٢١٥) .

(٥) الرواية فى المخصص (٨ : ١٣١) وشرح التبريزى للحماسة : « ينشنش أعلى ريشه » نشنش ريشه : نتفه فألقاه .

فقلتُ ، ولو أنى أشاء زَجَرْتُه بنفسى، للنهدىِّ: هل أنتَ زاجرُه[١]

فقال : غرابٌ باغتراب من النَّوى وبالبان بينٌ من حبيب تعاشرُه[٢]

فذكر الغرابَ بأكثرَ مِمَّا ذُكر [به] غيرُه، ثمَّ ذكر بعدُ شأنَ الرِّيش وتطايرَه . وقال الأعشى :

ما تَعِيف اليَومَ فى الطَّيرِ الرَّوَحْ مِنْ غرابِ البَينِ أو تيسٍ بَرَحْ[٣]

فجعل التَّيس من الطَّير ، إذ تَقَدَّمَ ذكر الطَّير ، وجعله من الطَّير فى معنى التطيُّر .

وقال النَّابغة :

١٣٧ زَعَمَ البوارِحُ أنَّ رِحْلَتَنَا غدًا وبِذَاكَ خبَّرَنا الغرابُ الأسْودُ

وقال عنترة :

ظَعَنَ الذين فراقَهُمْ أتوقَّعُ وَجَرَى بِبَيْنِهِمْ الغُرابُ الأبقَعُ
حَرِقُ الجناحِ كأنَّ لَحْيَىْ رأسِه جَلَمانِ بالأخْبارِ هَشٌّ مُولَعُ[٤]

---

(١) النهدى : رجل من بنى نهد ، وهم من أزجر العرب ، كان لقى كثيرا فى الطريق وزجر له ، أى تكهن . ط : « للهندى » تحريف .

(٢) كذا فى ل والمراجع المتقدمة ، خلا زهر الآداب ، ففيه : « تجاوره » . وفى ط ، س : « نحاذره » ، أى نحاذر البين .

(٣) ط : « نعيف » س : « يعيف » ، والرواية ما أثبت من ل واللسان (روح عيف) ، والمخصص (٩ : ٥٧) ، ومحاسن البيهقى (١ : ٩٩) وتعيف : من العيافة وهى الزجر والتطير . والروح بالتحريك : اسم جمع لرائح أو أراد الروحة مثل الكفرة فطرح الهاء ، كما فى المخصص . والبيت صدر قصيدة للأعشى فى ديوانه ١٥٩ يمدح بها إياس بن قبيصة الطائى . وانظر قصة الشعر فى محاسن البيهقى .

(٤) ط ، س : « خرق » ، تصحيف . وقد أسلفت القول على هذا البيت فى (١ : ٣٤) .

فزَجَرتُه أَلاَّ يُفرِّخَ بيضُـه[١] أبَدًا ويُصْبِـحَ خائفاً يتفجَّعُ
إنَّ الذين نعَبْتَ[٢] لى بفراقِهمْ هُمْ أسهرُوا ليلى التِّمامَ فأَوْجَعُوا[٣]

فقال : « وجرى ببينهم الغراب » لأنَّه غريب ، ولأنه غراب البين ، ولأنّه أبقع . ثم قال : « حَرِق[٤] الجناح » تطيرًا أيضاً من ذلك . ثمَّ جعل لَحْيَىْ رأسِهِ جِلمَين ، والجلَم يقطع . وجعله بالأخبار هَشًّا مُولَعًا ، وجعَل نعيبه [و] شحِيجَه كالخبر المفهوم .

(التشاؤم بالغراب)

قال : فالغراب أكثرُ من جميعِ ما يُتَطيَّرُ بِهِ فى باب الشؤم . ألا تراهم كلما ذكروا ممَّايتطيرُون منه شيئاً ذكروا الغراب معه ؟!

وقد يذكرون الغرابَ ولا يذكرون غيره ، ثمَّ إذا ذكروا كلَّ واحدٍ من هذا الباب لايمكنهم أنْ يتطيرُوا منه إلاّ من وجهٍ واحد ، والغراب كثيرُ المعانى فى هذا الباب ، فهو المقدَّم فى الشؤم .

---

(١) ط : « طيره » . وفى الديوان ١٥٧ : « عشه » . والبيت ساقط من ل .

(٢) س : « نعيت » ، تصحيف .

(٣) ليلى التمام : الشديد الطول . وهذه رواية ط ، س والديوان . وفى ل : « ليل التمام » وكلاهما صحيح . وفى حديث عائشة : « كان يقوم الليلة التمام » .

(٤) ط ، س : « خرق » ، وصوابه فى ل . وانظر التنبيه الرابع من الصفحة السابقة .

(دفاع صاحب الغراب)

قال صاحبُ الغراب : الغرابُ وغير الغراب فى ذلك سواءٌ . والأعرابىُّ إن شاء اشتقَّ من الكلمة ، وتَوَهَّمَ فيها الخيرَ ، وإن شاء اشتقَّ منها الشرَّ .

وكلُّ كلمةٍ تحتمِلُ وجوهاً .

ولذلك قال الشاعر :

نظرتُ وأصحابى ببطن طويلع ضُحَيًّا وقد أفْضى إلى اللَّبَبِ الحَبْلُ [(1)]

إلى ظبيةٍ تَعطو سَيَالاً تَصورُه بجاذِبها الأفنانَ ذو جُدد طِفل [(2)]

فقلتُ وعِفت : الحبلُ حبلُ وِصالها تجذَّذ من سلماك وانصرَم الحَبْل [(3)]

وقلت : سيال ! قَدْ تسلَّت مودَّتى. تصورُ غُصُوناً ! صارجثمانها يَعلو [(4)]

---

(١) ل : « وقد جاوزت بطن طويلع » . الحبل : الرمل المستطيل . واللبب : ما كان قريبا من حبل الرمل . يقول : وقدجزنا الحبل إلى اللبب . ويصح أن يراد لبب الناقة وحبلها ، وأن الحبل قطع حتى صار إلى اللبب . ط ، س : « إلى اللبب الحمل » ، ووجهه ما فى ل .

(٢) السيال ، كسحاب : ضرب من الشجر تحبه الظباء . تصوره : تميله . الجدد : الخطوط والعلامات . س : « ذو حرحر » . ل : « ذو جدل » ، تحريف ما فى ط .

(٣) عفت ، من العيافة والزجر . تجذذ : تقطع . ط ، س: « تجدّد » ، يقال جده قطعه . سلماك : نسب سلمى الحبيبة إليه . س : « ساماك » ل : « سامال » صوابه ما أثبت من ط . ل : « وانصرم الوصل » .

(٤) ط : « سيالا » ، خطأ .

وعِفت الغرِيرَ الطِّفلَ طِفلاً أتت به فقلت لأصحابى: مضيُّكم جَهْلُ[1]
رُجوعِىَ حَزْمٌ وامترائِىَ ضِلَّةٌ كذلك كانَ الزَّجْرُ يَصْدُقُنى قَبْلُ[2]

وقال ابن قيس الرُّقيَّات :

بَشَّرَ الظَّبىُ والغُرابُ بسُعْدَى مَرحَبًا بالذى يَقُول الغرابُ

وقال آخر[3] :

بَدَا إذ قَصَدْنَا عَامِدِينَ لأَرضنا سنيحٌ فَقال القَوْم : مرَّ سنيحُ[4]
وهابَ رجالٌ أن يقولوا وَجَمْجَمُوا فَقلت لهم : جارٍ إلَىَّ ربيحُ[5]
عُقابٌ بإعقاب من الدّار بَعْدَ مَا مَضَت نِيَّةٌ لاتستطاعُ طَرُوحُ[6] ١٣٨
وقالوا : دمٌ ! دامت مودَّة بيننا وعادَ لَنا غضَ الشبابِ قريحُ[7]
وقال : صحابى : هُدهُدٌ فوق بانَة! هدًى وبَيانٌ فى الطريق يَلوحُ
وقالوا : حمامات ! فحُمَّ لقاؤُها وطلحٌ ! فنيلت والمطىُّ طَلِيحُ[8]

---

(١) ط : « الطفل طفل » صوابه فى ل ، س . توقع أنها زوجت وولدت فانقطع أمله من ودها .

(٢) الامتراء : الشك . والضلة بالكسر : الضلال ، وبالفتح : الحيرة . س : « خلة » .

(٣) هو أبو حية النميرى . زهر الآداب (٢ : ١٦٧ — ١٦٨) والشريشى (٢ : ٢١٥) .

(٤) ط ، س : « لأهلها » ، وأثبت ما فى ل وزهر الآداب . السنيح : ما جاء من المياسر إلى الميامن .

(٥) الجمجمة : ألا يبين المرء كلامه . ل : « ورجعوا » وجار ، من الجرى .

(٦) الإعقاب : التبديل . يقول : سيبدلون الدار . ط ، س : « النار » ، وصوابه فى ل وزهر الآدب . ونية طروح : بعيدة .

(٧) س : « قريح » ل : « غض الشباب قديح » ، ولم أهتد إلى الوجه فى ذلك . وفى زهر الآداب : « ودام لنا حلو الصفاء صريح » .

(٨) حم : قدر وقضى . المطى : الإبل . طليح : أعياه السفر . ط ، س : « فزيرت » وأثبت ما فى ل ومحاسن البيهقى (٢ : ٢٤) .

قالوا : فهو إذا شاء جعل الحمام من الِحمام والحميم والحمى. وإن شاء قال : « وقالوا حماماتٌ فحُمَّ لقاؤها » . وإذا شاء اشتق[1] البين من البان . وإذا شاء اشتقَّ منه البيان[2] .

وقال آخر[3] :

وقالوا: عقابٌ ! قلتُ عُقْبَى من الهوى دنَتْ بعد هَجْرٍ منهمُ، ونَزوحُ[4]

وقالوا : حمامات ! فحُمَّ لِقاؤُها وعادَ لنا حُلوُ الشَّبابِ رَبِيحُ[5]

وقالوا : تَغَنَّى هدهدٌ فوقَ بانة ! فقلتُ : هُـدًى نغدُو به ونَرُوحُ

ولو شاء الأعرابيّ [أن يقول[6]] إذا رأى ســوادَ الغراب : سواد سودد ، وسواد الإنسان : شخصه ، وسواد العراق : سعَف نخله ، والأسودان الماء والتمر ، وأشباه ذلك — لقاله .

قال : وهؤلاء بأعيانهم الذين يصرِّفون الزَّجر كيف شاءوا ، وإذا لم يجدوا مِن وقوع شيء بعدَ الزَّجر بُدًّا — هم الذين إذا بدا لهم فى ذلك بَداء[7] أنكروا الطِّيرَةَ والزَّجْر البتّة .

---

(١) ط ، : « أشق » ، وصوابه فى ل .

(٢) يشير إلى البيت الخامس من الأبيات السابقة .

(٣) كذا جاء . والحق أنه من القصيدة الأولى ، وأنه رواية أخرى فى بعض أبياتها .

(٤) النزوح : البعد .

(٥) ل : « وقالوا حمام قلت حم لقاؤها » .

(٦) الزيادة من س .

(٧) بدا له فى الأمر بدوا ، وبداء ، وبدأ ، وبداة : نشأ له فيه رأى . ط : « بدء » محرفة . س : « بدأ » ، وأثبت ما فى ل .

(تطير النابغة وما قيل فيه من شعر)

وقد زعم الأصمعيُّ أنَّ النَّابِغَةَ خرج مع زَبَّان بنِ سيَّار[1] يريدان الغَزو، فبينما هما يريدان الرحلة إذْ نظر النَّابغةُ وإذا على ثوبه جرادةٌ تجرد ذاتُ ألوان، فتطيَّر وقال: غيرى الذى خَرجَ فى هذا الوجه! فلما رجع زَبَّان من تلك الغَزْوة سالمًا غانماً، قال:

تخـبَّر طيْرَهُ فيهـا زيادٌ ... لتخْبِرَه وما فيها خَبِيرُ[2]

أقام كأنَّ لقْمان بنَ عادٍ ... أشار له بحِكْمته مُشِـيرُ

تعـلَّمْ أنَّه لا طـيْرَ إلاَّ ... على متطيِّرٍ وهو الثُّبـور

بلى شىءٌ يوافِقُ بعضَ شىءٍ ... أحايينا وباطله كـثيرُ[3]

فزعم كما ترى زَبَّان – وهو من دهاة العرب وساداتهم – أنَّ الذى يجِـدونه إنَّما هو شىءٌ من طريق الاتفاق، وقال:

تعـلَّمْ أنَّه لا طـيْرَ إلاَّ ... على متطيِّرٍ وهو الثُّبُور

---

(١) هو زبان بن سيار بن عمرو الفزارى، ذكره ابن قتيبة فى المعارف ٥١. وهو صهر للنابغة، قال فى شعر له:

ألا من مبلغ عنى خزيما ... وزبان الذى لم يرع صهرى

وكانت أخت هرم بن سنان تحت زبان. ط، ل: «يسار»، وصوابه فى س والحيوان (٥: ٥٥٥) والبيان (٣: ٣٠٤).

(٢) تخبر طيره: سألها أن تخبره. ط: «تخبر طيره»، س: «تخير طيره»، والطيرة بالكسر الاسم من تطير. وزياد هو النابغة، ابن معاوية الذبيانى.

(٣) كذا فى ل والبيان (٣: ٣٠٥) والحيوان (٥: ٥٥٥) والعمدة (٢: ٢٠٢) والمستطرف (١: ٨٤) وعيون الأخبار (١: ١٤٦). وفى ط: «وأحيانا». وفى س: «وأحيانا رداك»، وما فى س محرف.

وهذا لاينقض الأوّلَ من قوله : أمّا[1] واحدة فإنه إنْ جعل ذلك من طريق العِقاب للمتطير[2] لم ينقُضْ قوله فى الاتّفاق . وإن ذهب إلى أنّ مثلَ ذلك قد يكون ولا يشعر بِهِ اللاّهى عن ذلك والذى[3] لا يؤمن بالطيرة ، ١٣٩ فإنّ[4] المتوقِّع فهو فى بلاء مادامَ متوقعا . وإن وافق بعضُ المكروه جعَله من ذلك .

(تطير ابن الزبير)

ويقال إنَّ ابن الزبير لما خرج مع أهله من المدينة إلى مكَّة ، سمع بعضَ إخوته ينشد :

وكلُّ بنى أُمٍّ سيُمْسُون ليلةً ولم يَبْقَ من أعْيانِهِمْ غيْرُ وَاحِدِ

فقال لأخيه : مادعاك إلى هذا ؟ قال : أما إنى ما أردته ! قال : ذلك أشدُّ له .

وهذا منه إيمانٌ شديد بالطيرة كما ترى .

---

(١) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « إلا » .

(٢) س : « للتطير » .

(٣) ل : « وأنه » محرف .

(٤) فى الأصل : « فأما » .

(بعض من أنكر الطيرة)

وممّن كان لايرى الطيرة شيئاً[1] المرقش ، من بنى سدوس ، حيثُ قال :

[إنى غدوتَ وكنت لا أغدو على واق وحاتمْ]
فإذا الأشائمُ كالأيا مِنِ والأيامِنُ كالأشائمْ
فكذاك لا خيْرٌ ولا شرٌّ على أحدٍ بدائمْ[2]

قال سَلامة بنُ جندل[3] :

ومَن تعرَّض للغِرْبان يزْجُرُها على سلامَتِه لا بدَّ مشئوم

وممّن كان ينكر الطِيرة ويوصى بذلك ، الحارثَ بن حلّزة ، وهو قوله — قال أبو عبيدة : أنشدَنيها [أبو] عمْرو ، وليست إلاّ هذه الأبيات ، وسائرُ القصيدهِ مصنوع مولّد — وهو قوله :

يا أيها المزْمِعُ ثم انثَنَى لايَثْنِكَ الحازِى ولا الشاحِجُ[4]

---

(١) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « ومن كان لا يرى الطير » .

(٢) سبقت الأبيات والقول فيها ص ٤٣٦ .

(٣) كذا والصواب أن البيت لعلقمة الفحل كما فى أمالى المرتضى (٣ : ٣٧) والديوان ١٣١ من قصيدته التى مطلعها :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

(٤) الحازى : زاجر الطير ، أو الكاهن . ط ، س : « الحادى » محرف . والشاحج : الغراب يشحج بصوته .

ولا قعيــد أعضبُ قَرْنُهُ هاجَ له من مَرْبَعٍ هَائِجَ[١]

بينَا الفَتَى يَسْعَى ويُسْعى له تَاحَ له من أَمْرِه خَالِــجُ[٢]

يترِكُ مارَقَّح مِن عيشــه يعيثُ فيــه هَمَجٌ هامِجُ[٣]

[لا تكسع الشَّول بأغبارها إنكَ لا تَدْرِى من الناتجُ[٤]

وقال الأصمعى : قال سَلْم بن قتيبة[٥] : أضللت ناقةً لى عَشراء ، وأنَا بالبدو[٦] ، فخرجت فى طلبها ، فتلقانى رجلٌ بوجهه شَينٌ من حَرْق النار ، ثمَّ تلقَّانى رَجُلٌ آخذ بخِطام[٧] بَعيره ، [وإذا][٨] هو ينشد :

فَلئِنْ بغَيت لهــ البغا ةَ فما البغاةَ بواجِدِينا[٩]

---

(١) القعيد : ما جاء من ورائك من ظبى أو طائر . والأعضب : المكسور القرن . ل : والبيان (٣ : ٣٠٣) : « من مرتع » . س : « مربع » محرفة .

(٢) تاح : قدر ، أوتهيأ . والخالج : الموت يختلج المرء وينتزعه .

(٣) رقح : أصلح . ط ، س : « يعيش فيه » وأثبت ما فى ل واللسان والبخلاء ١٣٨ . وفى البيان : « يعبث فيه » .

(٤) الكسع : ضرب الماء على الضرع ليرتفع اللبن فتسمن الناقة ، أو يسمن أولادها فى بطنها . والشول ، بالفتح : جمع شائلة ، وهى التى أتى عليها من حملها ، أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها . والغبر بالضم : بقية اللبن فى الضرع . انظر الكامل ٢١٣ ليبسك وأمثال الميدانى (١ : ٣٣٦) .

(٥) سلم بن قتيبة بن مسلم ، كان واليا على خراسان أيام هشام بن عبد الملك . وأبوه قتيبة ابن مسلم كان واليا عليها زمن الحجاج . تهذيب التهذيب وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٤٦ . ط : « سلام بن قتيبة » وفى سائر النسخ : « مسلم بن قتيبة » ، تحريف . والقصة الآتية فى تأويل مختلف الحديث ١٢٩ وسندها : « أبو حاتم قال نا الأصمعى عن سعيد بن مسلم عن أبيه » ، صوابه « بن مسلم » .

(٦) فى تأويل مختلف الحديث : « وأنا بالطف » . والطف : ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق .

(٧) ط ، س : « آخر » صوابه فى ل . والرجل هو هانئ بن عبيد من بنى وائل كما فى تأويل مختلف الحديث .

(٨) من س .

(٩) البغاة : جمع باغ ، وهو هنا الذى يطلب الشىء ويبحث عنه . ل : « بغت له » . وقد نسب البيت فى عيون الأخبار ١ : ١٤٥ إلى لبيد .

ثم من بعد هذا كلِّه ، سألت عنها بعضَ من لقِيتُه ، فقال لى : التمسْها عند تلك النار . فأتيتهم فإذا هُمْ قد نتجوها حُوارًا[١] ، وقد أوقدُوا لها نارًا فأخذْتُ بخِطامها وانصرفتُ .

(النَّظَّام وعدم إيمانه بالطيرة)

وأخبرنى أبو إسحاقَ إبراهيم بنُ سيَّارٍ النَّظَّام قال : جعْت حتَّى أكلت الطين ، وما صِرت إلى ذلك حتَّى قلبت قلبِى[٢] أتذَّكر : هلْ بها رجلٌ أصيبُ عنده غَدَاءً أو عَشاء[٣] ، فما قدرت عليه . وكان علىَّ جُبَّةٌ وقميصان ، فنزعتُ القميصَ الأسفلَ فبعته بدريهمات ، وقصدْتُ إلى فُرْضَةِ الأهواز ، أريد قَصبةَ الأهواز ، وما أعرف بها أحدا . وما كان ذلك إلاّ ١٤٠ شيئًا[٤] أخرجه الضَّجَرَ وبعضُ التعرُّض . فوافيتُ الفُرضةَ فلم أصِبْ فيها سفينةً ، فتطيَّرتُ مِن ذلك . ثم إنى رأيتُ سفينةً فى صدرها خَرْقٌ وهشم فتطيرتُ من ذلك أيضًا ، وإذا فيها حمولة ، فقلت للملاَح : تحملنى ؟ قال : نعم قلت : ما اسمك ؟ قال : «داوداذ[٥]» ، وهو بالفارسية الشَّيطان ، فتطيرت من

(١) الحوار ، بالضم ويكسر : ولد الناقة حين تضعه ، أو إلى أن يفطم .

(٢) قلبت قلبى ، أى فكرت كثيرا . والقلب : العقل .

(٣) بها ، أى بالبصرة ، أو بهذه الدنيا . ط : « وعشاء » .

(٤) ط ، س : « شىء » .

(٥) ط ، س : « داود » .

ذلك . ثم ركِبت معه ، تصكّ الشَّمالَ وجْهى ، وتُثير بِالليل[١] الصَّقيعَ على رأسى . فلمَّا قرُبنا من الفرْضة صِحْت : ياحمَّـال ! ومعى لحافٌ لى سَمَل ، ومضْربةُ خلق ، وبعضُ مالا بُدَّ لمثلى منه . فكان أوّل حمَّـال أجابنى أعور فقلتُ لبقَّار كان واقفا : بكم تكرِى[٢] ثورَك هـذا إلى الخان ؟ فلما أدناه من متاعى إذا الثَّورَ أعضبُ القرن ، فازدَدْتُ طيرة إلى طيرَة ، فقلت فى نفسى : الرَّجوعَ أسلمُ لى . ثمّ ذكرتُ حاجتى إلى أكل الطين فقلت : ومن لى بالموت ؟! فلما صرتُ فى الخان وأنا جالس فيه ، ومتاعى بينَ يدَىَّ وأنا أقول : إنْ أنَـا خَلَفته فى الخانِ وليس عنده من يحفُظه فُشّ[٣] البابُ وسرق ؛ وإن جلست أحفظُه لم يكن لمجيئى[٤] إلى الأهوازِ وَجْه . فبينا أنا جالسٌ إذ سمعتُ قرْعَ البابِ ، قلت : من هذا عافاك الله تعالى ؟ قال : رجلٌ يريدُك ، قلت[٥] : ومن أنا ؟ قال : أنت إبراهيم . فقلتُ : ومَن إبراهيم ؟ قال : [إبراهيم] النَّظَّام . قلت : هذا خَنَّاق ، أو عدوٌّ ، أو رسولُ سلطان ! ثم إنى تحامَلتُ وفتحتُ البابَ ، فقال : أرسَلَنى إليك إبراهيمَ بن عبد العزيز ويقول :

نحنُ وإن كُنَّا اختلفْنَا فى بعضِ المقالة ، فإنَّا قد نَرجِعُ بعد ذلك إلى حقوقِ الأخلاقِ [و] الحرِّيَّة[٦] . وقد رأيتك حينَ مررتَ [بى][٧]

---

(١) ط ، س : « وينثر الليل » .

(٢) س : « تكرينى » . والكراء : الأجرة. وانظر الاستدراكات .

(٣) فش القفل ؛ فتحه بدون مفتاح . شفاء الغليل .

(٤) ط س : « لمجىء » .

(٥) ط : « قتلت » تحريف .

(٦) الحرية : كون الإنسان حراً ، وهو من أقدم المصادر الصناعية .والحر : العتيق الكريم .

(٧) من ل ، س .

على حال كرهتُها منك ، وما عرفتُك حتَّى خبَّرنى عنك بعضُ مَن كان معى وقال : ينبغى أنْ يكونَ قد نزَعَتْ[1] [بك] حاجة . فإنْ شئتَ فأقِمْ بمكانك شهرًا أو شهرين ، فعسى أنْ نبعثَ إليكَ ببعضِ ما يكفيك زمنًا[2] مِن دهرك . وإن اشتَهيت الرُّجوعَ فهذه ثلاثون مِثقالاً ، فخذْها وانصرف ، وأنتَ أحقُّ مَن عَذَرَ .

[قَال] : فهجم والله علىَّ أمرٌ كاد ينقضنى[3] . أما واحِدَةً : فأنِّى لم أكنْ ملكتُ قبلَ ذلك ثلاثينَ دينارًا فى جميع دهرى . والثَّانية : أنّه لم يطَلْ مقامى وغيبتى عَن وطنى ، وعن أصحابى الذين هم على حال أشكل بى وأفهَمُ عنِّى . والثَّالثة : ما بيّن لى من أنَّ الطيرَة باطل ؛ وذلك أنّه قَدْ تتابع علىَّ منها ضروبٌ ، والواحدة منها كانت عنْدَهُمْ مُعْطِبة .

قال : وعلى مثل ذلك الاشتقاقِ يعمَلُ الذين يعبِّرون الرُّؤيا .

(عجيبة للغربان بالبصرة)

وبالبصرة من شأنِ الغِرْبانِ ضروبٌ من العجَب ، لو كان ذلك بمصر أو ببَعض الشامات[4] : لكان عندَهم من أجوَدِ الطِّلَّسم . وذلك أنّ

---

(١) ط ، س : « نزعته » صوابه فى ل .

(٢) ل : « زمينا » تصغير زمن .

(٣) ينقضنى : أى يذهب قوتى وعزمتى . س : « ينقض » ط : « ينغصنى » تحريف ما أثبت من ل .

(٤) الشامات هى بلاد الشام . وانظر ما سبق فى ص ٤٠٤ .

١٤١ الغِربانَ تقطع إلينا فى الخريف ، فترى النَّخْلَ وَبَعضُها مَصرومة[١] ، وعلى كلِّ نَخلةٍ عدَدٌ كثيرٌ من الغربانِ ، وليس منها شيءٌ يقرُب نَخْلةً واحدةً من النّخل الذى لم يُصرَم ، ولو لم يَبقَ عليها إلاّ عِذقٌ واحد . وإنَّما أوكار جميع الطير المصوِّت فى أقلاب[٢] تلك النّخل ، والغراب أطيَرُ وأقوى منها ثم لايجترىء أن يسقُطَ عَلَى نخلةٍ منها ، بعْدَ أنْ يكون قَدْ بقى عليا عِذْق واحدٌ .

(منقـار الغراب)

ومنقار الغُرَاب معْوَل ، وهو شديدُ النَّقْر . وإنّه ليَصِلُ إلى الـكمأةِ المنْدَفِنَة فى الأَرض بنَقْرَة واحِدَة حتى يشْخِصها . ولهوَ أبْصرُ بمواضع الكماة مِن أعْرابيٍّ يطلبها فى منبتِ[٣] الإجرِدِّ والقَصِيص[٤] ، فى يَومٍ له شمس حارَّة . وإنَّ الأعـرَابىّ ليحتاجُ إلى أن يرى ما فوقها من الأرض فيه بَعْضُ الانتفاخِ والانصدَاع ،وما يحتاجُ الغرَاب إلى دليل[٥] . وقال أبودُوادٍ الإيادىّ:

تَنْفِى الحَصَى صُعُدًا شرقِىَّ منْسِمها نَفْىَ الغرَابِ بأعلى أنْفِهِ الغَـرَدَا[٦]

---

(١) مصرومة : قطع ثمرها . ل : « فترى الأرض ونصفها مصرم » .

(٢) الأقلاب : جمع قلب ، وهو السعف الذى يطلع من قلب النخلة .

(٣) ط ، س : « منبعث » .

(٤) الإجرد : نبت يدل على الـكمأه . والقصيص : شجر ينبت فى أصله الـكمأة ، قالوا : سمى بذلك لدلالته على الـكمأة كما يقتص الأثر .

(٥) ل : « إلى ذلك الدليل »

(٦) سبق الـكلام فى هذا البيت ص ٤٢٥ . ل : « الغرده » .

ولو أنّ الله عزّ وجلّ أذِن للغراب أن يسقط عَلَى النّخاة وَعليها الثّمَرة لذهبت ، وفى ذلك الوقت لو أنّ إنساناً نقر العِذْقَ نقرةً واحِدَةً لانتَثرَ عامَّةُ ما فيه ، ولهلكتْ غلاّتُ الناس . ولكنّك ترى منها على كلِّ نخلة مصرومةٍ الغِربانَ الكثيرة ، ولا ترى على التى تليها غرابا واحدا ، حتى إذا صرموا ماعليها تسابقْن إلى ما سقط من التمر فى جوف اللّيف[١] وأصولِ الكرَب[٢] لتَستخرجَه كما يستخرج المِنْتَاخُ الشّوكَ[٣] .

(حوار فى نفور الغربان من النخل)

فإن قال قائل : إنما أشباح تلك الأعذاقِ المدلاّةِ كالخِرَق السُّود التى تُفزع الطيرَ أنْ يقعَ عَلَى البُزُور[٤] ، وكالقوادمِ السُّودِ تغرَزُ فى أسنمةِ ذواتِ الدّبَرِ من الإبل ؛ لكيلا تسقط عليها الغِربان . فكأنّها[٥] إذا رأتْ سوادَ الأعذاقِ فزِعتْ كما يفزَع الطيرُ من الخِرَق السُّود .

---

(١) ل : « اللب » .

(٢) الكرب ، بالتحريك : أصول السعف الغلاظ العراض .

(٣) المنتاخ ، كمنفاخ : المنقاش الذى ينزع به الشوك . ط ، س : « كما يستخرج الشاك الشوكة » ، وفيها تحريف .

(٤) كذا على الصواب فى ل . وفى ط : « التى تغرز والطيران يقع على البزور » وهى عبارة مختلة . والكلام من مبدإ « تفزع » إلى : « السود » ساقط من س. وانظر لمثل هذا الكلام ص ٤١٦ .

(٥) ط : « وكأنها » .

قال الآخر : قَدْ نجدُ جميعَ الطير الذى يفزَع بالخرق السُّود فلا يسقط عَلَى البزور ، يقعُ كله عَلَى النّخل وعليهِ الحمل ، وهلْ لعامَّة الطَّير وُكور [١] إلّا فى أقلابِ [٢] النَّخلِ ذواتِ الحمل .

قال الآخر : يشبه أن تكونَ الغِربانُ قطعَتْ إلينا من مواضعَ ليس فيها نَخْلٌ ولا أعذاق ، وهذا الطير الذى يُفزَع بالخِرَقِ السُّود إنَّما خُلِقتْ ونشأت فى المواضع التى لم تَزل تَرَى فيها النَّخِيلَ والأعذاق . ولا نعرف لذلك علة سوى هذا .

قال الآخر : وكيف يكون الشأن كذلك [و] من الغِربانِ غربانٌ أوابدُ بالعِراق فلا تبرَحُ تَعشِّش فى رءوس النَّخل ، وتبيضَ وتفْرِخُ ، إلاّ أنَّها لا تقرب النَّخلة التى يكون عليها الحمل .

والدّليل عَلَى أنها تعشش فى نخل البصرة، [و] فى رءوس أشجار البادية قَولُ الأَصمعىِّ :

١٤٢ ومن زردَكِ مثلِ مكن الضِّبابِ يُناوح عِيدانَه السيمكان [٣]
ومن شَكر فيه عُشُّ الغرابِ ومن جَيْسَرانٍ وبنْدَاذجان [٤]

---

(١) ل : « أوكار » . ويجمع الوكر أيضاً على أوكر ، ووكر ، كغرف .

(٢) الأقلاب : جمع قلب بالضم ، وهو السعف الذى يطلع من قلبها . ط : « أقلال » وصوابه فى ل ، س .

(٣) الزردك : كلمة فارسية . ومعناها الجزر ، وهو نبات معروف تؤكل أصوله وتربى . والجزر ليس عربى اللفظ ، معرب . كما فى القاموس . ط ، س : « زرنك » محرف . والضباب : بالكسر : جمع ضب . ومكنه ، بالفتح : بيضه . و « السيمكان » هى فى ل : « التشمكان » .

(٤) شكر ، هو من شكرت النخلة شكراً — من باب تعب : كثر فراخها . وفى الأصل : « سكر » ويصح بتأول؛ فإن من النخل يصنع بعض السكر ، بالتحريك : وهو ما يسكر من النبيذ . وواو « ومن » الثانية ساقطة من ل . و « جيسران » هى فى ط ، س : « خيشوان » وفى ل : « جيسوان » ، صوابه ما أثبت. والجيسران : جنس من أفخر النخل ، فارسيته « كيسران » الألفاظ الفارسية ٤٩ وعيون الأخبار (٣ : ٢٩٧) . و « بنداد جان » هى فى ط ، س : « بيذان جان » .

وقال أبو محمَّد الفقعسِيُّ ، وهو يصفُ فحلَ هَجْمة[1] :

يتبعُها عَدَبَّسٌ جُرَائِضُ[2] أكلفُ مربدٌّ هَصُورٌ هائضُ[3]

* بحَيْثُ يعتَشُ الغُرابُ البائِضُ[4] *

(ما يتفاءل به من الطير والنبات)

والعامَّة تتطيَّرُ من الغراب إذا صاح صيحةً واحدةً ، فإذا ثَنَّى تفاءلتْ به .

والبُوم عند أهل [الرَّيِّ وأهل] مَرْوٍ يُتفاءَل بهِ ، [وأهل البصرة يتطيرُون منه . والعَربيُّ يتطيَّر من الخلاف ، والفارسيّ يتفاءل إليه] ؛ لأنَّ اسمه بالفارسية « باذامك » أى يَبقى[5] ، وبالعربية خِلاف ، والخِلاف غيرُ الوفاق .

والريحان يُتفاءل به ؛ لأنَّه مشتقٌّ من الرَّوح ، ويتطيَّر منه لأنَّ طعمه مُرٌّ ، وإنْ كان فى العَينِ والأنفِ مقبولا .

---

(١) الهجمة : جماعة من الإبل أقلها أربعون .

(٢) العدبس : الشديد الموثق الخلق . والجرائض ، بالضم : الأكول الذى يحطم كل شىء بأنيابه . ورواية اللسان (جرض) :

* يتبعها ذوكدنة جرائض *

(٣) المربد : الذى لونه بين السواد والغبرة . ط ، س : « أكلف نهاض هصور ناهض » .

(٤) تكلم فى هذا البيت صاحب المخصص (٩ : ١٢٥) . وفى ط ، س : « بحيث يفتش » ل : « بحيث يعيش » وصوابهما فى اللسان والمخصص . و « البائض » هى فى ط ، س : « النابض » ، وصوابه من ل واللسان والمخصص .

(٥) هذه العبارة جاءت فى ط ، س : « بارمال يريد تبقى » وفى ل : « بيذاى يبقى » . وقد حورتها إلى ما ترى معتمداً على معجم النبات ص ١٦٠ . والخلاف : جنس من الصفصاف . وفى تذكرة داود : « باذامك من الصفصاف » .

وقال شاعرٌ من المحدَثين[١] :

أهدَى له أحبابُهُ أُتْرُجَّةً فبَـكَى وأشفقَ مِنْ عِيافَةِ زَاجرِ[٢]
متطيِّرًا ممَّـا أتاه ، فطعْمه لونانِ باطنُه خلافَ الظَّاهرِ[٣]

والفُرْس تحبُّ الآسَ[٤] وتكره الوَرد ؛ لأنَّ الوردَ لايدومُ ، والآسَ دائم.

قال : وإذا صاح الغرابُ مرَّتين فهو شرٌّ ، وإذا صاح ثلاثَ مرَّاتٍ فهو خير ، على قدر [عدد[٥]] الحروف[٦] .

(عداوة الحمار للغراب)

ويقال : إنَّ بينَ الغراب والحمار عداوةً . كذا قال صاحب المنطق .
وأنشدنى بَعْض النحويِّين[٧] :

عاديتنا لا زلْتَ فى تَبابِ عداوة الحمار للغراب[٨]

---

(١) هو العباس بن الأحنف ، كما فى زهر الآداب (٤ : ٨٧) .
(٢) فى العقد (١ : ٢٩٨) : « أهدى إليه حبيبه » . وانظر الاستدراكات .
(٣) فى العقد :
« خاف التبدل والتلون إنها لونان باطنها . . . »
وفى زهر الآداب :
«متطيراً منها السقام وجسمها لونان باطنهـا . . . »
(٤) الآس : ضرب من الريحان يسمى بمصر « مرسين » .
(٥) الزيادة من ل وحياة الحيوان .
(٦) كذا فى ل وحياة الحيوان . وفى ط : « الجزاء » وفى س : « الجزء » . والمراد عدد حروف الكلمتين : « شر » و « خير » ، فالأولى مركبةمن حرفين ، والثانية مؤلفة من ثلاثه . وقد تبدو هذه العبارة مناقضة لمـا سبق فى ٤٥٧ س ٥ . لكن يظهر أنهما زعمان متخالفان يحكيهما .
(٧) كذا فى ل . وفى ط : « وأنشد لبعض » وفى س : « وأنشدت لبعض » .
(٨) ط ، س: « عداوة الغراب للحمار » : ووجهه فى ل و (٢ : ٥٢) .

(أمثال فى الغراب)

[ويقال : « أصحُّ مِن غراب » . وأنشد ابن أبى كريمة لبعضهم ، وهو يهجو صريع الغوانى مسلم بنَ الوليد :

فما ريحُ السَّذاب أشدُّ بُغْضاً إلى الحيَّاتِ منك إلى الغوانى]

وأنشد[١] :

وأصْلَب هامةً من ذى حُيُود ودُون صداعه حُمَّى الغراب[٢]

وزعم لى داهيةٌ من دُهاة العرب الحوَّائِين ، أنَّ الأفاعىَ وأجناسَ الأحناش ، تأتى أصولَ الشِّيحِ والحَرْمَل ، تستظل [به] ، وتستريحُ إليه .

ويقال : « أغرَبُ من غراب » . وأنشد قول مضرِّس بن لَقيط[٣] :

كأنّى وأصحابى وكَرِّى عليهمُ على كلِّحال من نشاطٍومن سَأَمْ[٤]

غرابٌ من الغِرْبانِ أيَّامَ قِرَّةٍ رَأيْنَ لِحَاماً بالعِراص عَلَى وَضَمْ[٥]

---

(١) ل : « وأنشد فيه » .

(٢) ط : « هامه من ذى جنود » محرف . والحيود : ماشخص من نواحى الرأس . والبيت ساقط من س .

(٣) نسبه إلى جده ، وإنما هو مضرس بن ربعى بن لقيط الأسدى ، له خبر مع الفرزدق كما فى معجم المرزبانى ٣٩٠ ، فيكون إسلاميا أو مخضرما . لكن قال صاحب الخزانة (٢ : ٢٩٣ بولاق) : إنه جاهلى .

(٤) ل : « وكرى إليهم » .

(٥) القرة ، بالكسر : البرد . ط ، س : « فره » صوابه فى ل . واللحام : جمع لحم . والعراص : جمع عرصة بالفتح ، وهى البقعة الواسعة بين الدور . ط : « بالعراض » وتصحيحه من ل ، س . والوضم ، ما وقيت به اللحم عن الأرض من خشب أو حصير .

(حديث الطيرة)

وقد اعترض قومٌ علينا فى الحديث الذى جاء فى تفرقةِ ما بينَ الطيرَةِ والفأل ، وزعموا أنّه ليس لقوله : «كان يَعجبه الفألُ الحسنَ ويكره الطيرة» معنًى . وقالوا : إنْ كان ليس لقولِ القائل : يا هالك ، وأنت باغٍ ، وجهٌ ولا تحقيق ، فكذلك[1] إذا قال : يا واجد ، ليس له تحقيق ، وليس قوله يا مضلّ ويا مهلك ، أحقَّ بأن يكون لا يوجبُ ضلالاً ولا هلا كا من قوله يا واجد ، ويا ظافر ، من ألاّ يكون يوجبَ ظفرًا ولا وُجودا . فإمَّا أنْ يكونَا جميعاً يوجبان ، وإما أن يكونَا [جميعاً] لا يوجبان . قيل لهم : ليس التأويل ما إليه ذهبتم . لو أن النَّاس أمَّلوا فائدة الله عزَّ وجلَّ ورجَوا عائِدَتَه ، عند كلِّ سببٍ ضعيف وقوىّ ، لكانوا عَلَى خير . ولو غَلِطوا فى جهة الرَّجاء لكان لهم[2] بِنفس ذلك الرَّجاء خير . ولو أنَّهُـمْ بدل ذلك قَطعُوا أملهُمْ ورجاءَهم منَ الله تعالى[3] ، لكان ذلك من الشرّ والفأل ، أن يسمع كلِمَةً فى نفسها مستحسنة . ثمَّ [إن] أحبَّ بعدَ ذلك أو عند ذلك أنْ يحدث طمعاً فيما عند الله تعالى ، كان نفس الطمع خلافَ اليأس . وإنما خبَّر أنّه كان يعجبه . وهذا إخبارٌ عن الفطرة كيف هى ، وعن الطبيعة إلى أىِّ شىء تنقلب .

---

(١) س : « وكذلك » .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) كذا على الصواب فى ل ، س . وفى : ط : « ولو أنهم بدلوا ذلك فعطوا » . . الخ .

وقد قيل لبعض الفقهاء[1] : ما الفأل ؟ قال : أن تسمع وأنت مُضِلٌّ : يا واجد ، وأنت خائف : يا سالم . ولم يقل إنَّ الفأل يوجب لنفسه السلامة . ولكنَّهم يحبُّون له إخراجَ اليأسِ وسوءِ الظنِّ وتوقُّعِ البلاءِ من قلبه عَلَى كلِّ حال ـ وحال الطِّيرةِ حال من تلك الحالات ـ ويحبون أن يكون لله راجيا ، وأن يكون حَسَنَ الظَّنّ . فإن ظنّ أن ذلك المرجوّ يُوافقُ بتلك الكلمة ففرح بذلك فلا بأس[2] .

(تطير بعض البصريين)

وقَال الأصمعيُّ : هرب بَعضُ البصريين من بَعض الطَّواعين ، فركب ومضى بأهله نحو سَفَوان[3] ، فسمع غلاماً له أسودَ يحدُو خلفه ، وهو يقول :

لن يُسْبَق اللهُ عَلَى حِمَارِ ولا عَلَى ذِى مَيْعَةٍ مَطَّارِ[4]

أو يأتِىَ الحينُ على مِقدَارِ قَدْ يصبِحُ اللهُ أمامَ السَّارِى[5]

فلما سمع ذلك رجع بهم .

---

(١) هو ابن عون ، كما فى تأويل مختلف الحديث ١٣١ مع اختلاف فى اللفظ .

(٢) ل : « يوافق تلك الكلمة ففرح لذلك فلا بأس » .

(٣) سفوان ، بفتح أوله وثانيه : ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة .

(٤) الميعة : أنشط الجرى . والمطار ، بفتح الميم وتشديد الطاء : السريع العدو . ويصح أن تكون « مطار » بضم الميم وفتح الطاء . يقال : فرس مطار وطيار : حديد الفؤاد ماض . وانظر البيان (٣ : ٢٧٨) . وجاءت الرواية فى زهر الآداب (٤ : ١٣١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٢٥) : « ولا على ذى منعة طيار » .

(٥) الحين : الهلاك . وروى : « الحتف » كما فى زهر الآداب وأمالى المرتضى (٤ : ١١٢) وتأويل مختلف الحديث ١٢٥ . وتجد القصة فى هذه المراجع على وجوه شتى . وأنشد الثعالبى هذا الشطر فى التمثيل والمحاضرة ص ٩ .

(معرفة فى الغربان)

قال : والغِربانُ تسقط فى الصَّحارى تلْتمس الطُّعْم ، ولا تزالُ كذلك ، فإذا وجَبَتِ الشمس[١] نهضت إلى أوكارها معاً . و [ما أ] قلّ ما تختلط البُقْع بالسُّود المصمتة[٢] .

(الأنواع الغريبة من الغربان)

قال : ومنها أجناسٌ كثيرة عظام كأمثال الحِدَاء[٣] السُّود، ومنها صغارٌ. وفى مناقيرها اختلاف فى الألوان والصُّور . ومنها غِربانٌ تحكى كلَّ شىء سمعته ، حتى إنَّها فى ذلك أعجب من الببغاء . وما أكثر ما يَتَخلَّف[٤] منها عندنا بالبصرة فى الصَّيف ، فإذا جاء القيظ قلَّتْ . وأكثر المتَخلِّفات[٥] منها البقع . فإذا جاء الخريف رجعتْ إلى البساتين ؛ لتنال مما يسقط من التمر فى كرَب النَّخل وفى الأَرض، ولا تقرب النَّخلة إذا كان عليها عذق واحد[٦] ، وأكثر هذه الغِربانَ سود ، ولا تكاد ترى فيهنَّ أبقَع .

---

(١) وجبت الشمس : سقطت للمغيب .

(٢) السود المصمتة : الخالصة السواد .

(٣) الحداء ، بكسر الحاء المهملة : جمع حدأة كعنبة . ط : «الحد» ، ل : « الجداء » بالجيم . والوجه ما أثبت من .

(٤) ط ، س : « يختلف » .

(٥) ط ، س : « المختلفات » .

(٦) ليس يفهم من هذا أنها تقرب من النخل ما كان عليه أكثر من عذق . بل المراد أنها لا تقرب النخلة ما دام بعض التمر فى أعذاقه . وانظر ما سبق فى ص ٤٥٤ س ٥ .

(قبح فرخ الغراب)

وقال الأصمعيّ: قال خلف: لم أرَ قطُّ أقبح من فرخ الغراب! رأيته مرَّةً ١٤٤
فإذا هو صغير الجسم[١] ، عظيم الرَّأس ، عظيم المنقار ، أجردُ أسودُ الجلد ،
ساقط النفس ، متفاوتُ[٢] الأَعضاء .

(غربان البصرة)

قال : وبعضُها يقيم عندنا فى القيظ . فَأَمَّا فى الصَّيف فكثير . وأمَّا
فى الخريف فالدُّهم. وأكثر ما تراه فى [أعالى][٣] سطوحِنا فى القيظِ والصَّيف
البُقع ، وأكثر ما تراه فى الخريف [فى النخلِ] و [فى] الشتاء فى البيوت
[السُّود] .

وفى جبل تكريت[٤] فى تلك الأَيَّام ، غِرْبانٌ سودٌ كأمثال الحدَاءِ
[السُّود] عِظَماً[٥] .

---

(١) ل : « فإذا صغير الجسم » .

(٢) متفاوت الأعضاء : مختلفها . ط : « متقارب » ، وصوابه فى ل ، س .
وانظر ما سبق من مثل هذا الكلام فى (٢ : ٣١٨) .

(٣) من ل ، س .

(٤) تكريت : بلدة بين بغداد والموصل ، أقرب إلى بغداد .

(٥) الحداء سبق شرحها فى الصفحة السابقة . ط : « الحدء » تحريف . و « عظما »
هى فى ، ط : « عظماء » وهو تحريف فكه ، صوابه فى ل ، س .

(تسافد الغربان)

وناس يزعمون أنَّ تسافدَها عَلَى[1] غير تسافُد الطير ، وأنَّها تزَاقُّ[2] بالمناقير ، وتلقح من هناك .

(نوادر وأشعار مستحسنة)

نَذْكر شيئا من نوادر وأشعار[3] [وشيئا] من أحاديث ، من حارِّها وباردها .

قال ابنُ نُجيمٍ[4] : كان ابن ميّادة[5] يستحسن هذا البيت لأَرطاةَ ابن سُهَيّة[6] :

فقلت لها يا أمَّ بيضاءَ إنّه ... هُريقَ شبابى واستَشَنَّ أديمى[7]

[صار شنًّا] .

---

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) أصله : تتزاق . ط : « تزاف » ، صوابه فى ل ، س .

(٣) س : « نذكر نوادر أشعار » .

(٤) ط : « قال سحيم » س : « قال ابن سحيم » وصوابه ما أثبت من ل . وابن نجيم ، هو يحيى بن نجيم الذى سبقت ترجمته فى (٢ : ٣٥١) .

(٥) « ابن ميادة » ساقط من ل .

(٦) س : « أرطاة بن سمية » ،وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة أرطاة فى ٣٩١ .

(٧) ط ، س : « استشق »، تحريف ما أثبت من ل .

وكان الأصمعيُّ يستحسن قولَ الطِّرمَّاح بن حكيم ، فى صفة الظَّليم[١] :

مجتاب شمْلة بُرْجُدٍ لسَرَاتِه قَدْرًا وأسلم ما سِوَاهُ البَرجُدُ[٢]

ويستحسن قولَه فى صفة الثَّور :

يبدو وتُضمِره البلادَ كأنَّه سيفٌ عَلَى شرفٍ يُسلُّ ويغمد[٣]

وكان أبو نُواسٍ يستحسنُ قولَ الطِّرمَّاح :

إذا قُبِضَتْ نفسُ الطِّرمَّاحِ أخلَقَتْ عُرَى المجدِ واستَرخَى عنانُ القصائدِ[٤]

وقال كثيِّر :

إذا المالَ لم يُوجِبْ عليكَ عطاؤُه صَنِيعَةَ بِرٍّ أو خلِيل تُوامِقُه[٥]

مَنَعْتَ وبعضُ المنْعِ حزْمٌ وقُوَّةٌ فلم يفتلتك المالَ إلَّا حقائقُه[٦]

---

(١) الظليم : الذكر من النعام . « بن حكيم » ساقط من ل .

(٢) يقول : قد لبس ذلك الظليم كساء أسود مخملا من الريش فوق ظهره ، وجعل الشملة على قدر ظهره . وأسلم ماسواه البرجد : أى ترك البرجد ما سوى الظهر : من الرجلين والعنق ، فلم يستره . وساقا الظليم وعنقه عارية من الريش . ط : « فدر وسلم » ، وصوابه فى ل ، س والعمدة (١ : ٢٠٣ ، ٢ : ٧٩) .

(٣) البلاد هنا : المواضع . والشرف : المكان العالى . وانظر الموازنة بين هذا البيت وأشباهه فى العمدة (١ : ١٩٨) والصناعتين ٨٣ وشرح ديوان النابغة ١٩ .

(٤) أخلقت : بليت . « عنان » هى فى ط : « عنا » وتكميلها من ل ، س .

(٥) ل : « صنيعة نعمى ، أو خليل توافقه » . وفى العقد (٦ : ١٧٥ تأليف) : « صنيعة قربى أو صديق توافقه » .

(٦) الحقائق : الحقوق . ورواية العقد : « ولم يستلبك المال » . وقد روى صاحب زهر الآداب البيتين برواية عجيبة فى (٣ : ٢٤٧) .

وقال سهل بن هارون ؛ يمدح يحيى بن خالد :

عدوٌّ تِلادِ المــال فيما ينوبه   منوعٌ إذا ما منعُه كان أحزَمَا(١)

قال : وكان رِبعىٌّ بن الجارود يستحسن قولَه :

فخير منكَ مَن لا خير فيه   وخير من زيارتك القُعودُ(٢)

وقال الأعشى :

قد نطعُن العَيْرَ فى مكنونِ فائله   وقد يَشِيطُ على أرماحنا البَطَلُ(٣)

١٤٥ لاتنتهون ولن يَنْهَى ذوى شَطَطٍ   كالطَّعْنِ يذهبُ فيه الزَّيتُ والفُتُل(٤)

---

(١) التلاد ، بالكسر : المال القديم الموروث . ط ، س : « إذا مانعته » تحريف ما فى ل . والبيت مع قرين له فى البيان (٣ : ٣٥٢)، ومع بيتين فى الحيوان (٥ : ٦٠٤) .

(٢) ل : « من زيادتك » .

(٣) العير ، هنا : السيد . والفائل ، بالفاء : عرق فى الفخذ ، وهو مقتل . أراد أنهم حذاق فى الطعن . انظر المخصص (٢ : ٤٢) واللسان (فيل) والرواية فيه :

* قد نخضب العير من مكنون فائله *

ل : « نطعن الخيــل » س : « مكنون قابله » ، كلاهما محرف . ويشيط : يهلك .

(٤) كذا فى ط ، س والخزانة (٤ : ١٣٢ بولاق) وفى ل : « لا ينتهون » والرواية فى الـكامل ٤٤ ليبسك وأمالى ابن الشجرى (٢ : ٢٢٩ ، ٢٨٦) والخزانة (٤ : ٢٦٣ بولاق) والغيث المنسجم (١ : ٥٢) : « أتنتهون » وقد استشهد الجميع بالبيت على اسمية الـكاف فى « كالطعن » وأن « الطعن » مجرور بالإضافة . والفتل : جمع فتيلة ، وهى فتيلة الجراحة . يقول : لا يزجرهم غير طعن جائف .

وقال العلاء بن الجارود[١] :

أظهروا للنَّاسِ نسكا وعلى المنقوش داروا[٢]
وَلَهُ صاموا وصَلَّوْا ولَهُ حَجُّوا وزارُوا
وله قاموا وقالوا وله حلّوا وساروا
لو غدا فوق الثريَّا ولهم ريش لطاروا

وقال الآخر[٣] فى مثل ذلك :

شمر ثيابَك واستعدَّ لقابلٍ واحككْ جبينك للقضاءِ بثُومِ[٤]
وامشِ الدَّبيبَ إذا مشَيت لحاجةٍ حتَّى تصيبَ وديعةً ليتيم

وقال أبو الحسن : كان يقال : « من رقّ وجهُه رقّ عِلمُه » .

وقال عمر : «تفقَّهوا قبلَ أن تسودوا» .

وقال الأصمعى : « وُصلت بالعلم ، وكسبت بالملح[٥] » .

ومن الأشعار الطيبة قول الشاعرِ فى السماك والخادم :

مقبل مدبر خفيف ذَفيف دسم الثَّوبِ قد شوَى سَمكاتِ[٦]

---

(١) ل : « العلاء بن الحداد » . والأبيات منسوبة فى العقد (٢ : ١٤١) إلى محمود الوراق .

(٢) روى « سمتا » بدل « نسكا » فى ل والعقد (٤ : ٣٣٧) و : « دينا » فى العقد (٢ : ١٤١) . والمنقوش : الدينار . وبالأخيرة ، أى « الدينار » جاءت الرواية فى العقد (٢ : ١٤١) .

(٣) هو مساور الوراق كما فى العقد (٣ : ٢١٦) والبيان (٣ : ١٧٥) . ونسبا فى الشريشى (١ : ٢٠٦) إلى محمود الوراق .

(٤) القابل : المستقبل . والجبين إذا حك بالثوم ظهرت فيه سمة سمراء توهم الأغرار أن صاحبها عريق فى التقوى كثير السجود . ولا يزال بعض المتظاهرين بالصلاح يفعلون ذلك فى عصرنا هذا ؛ ليجعلوا أنفسهم ممن قيل فيهم : « سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » .

(٥) ط ، س : « وصلت بالملح وكسبت بالعلم » . وأثبت ما فى ل . وفى البيان (١ : ١٩٩) : « وصلت بالعلم ونلت بالملح » .

(٦) يقال خفيف ذفيف ، وخفاف ذفاف ، إتباع . والمراد بهما السريع . ط : « جفيف » س : « دفيف » وصوابه فى ل واللسان (٩ : ١٩٩) ل : « أدسم الثوب » .

من شبابيط لجــةٍ ذاتِ غَمْر حُدُب من شُحومها زَهِماتِ[(١)]

ففكِّر فيهما فإنَّهما سيُمْتِعَانك ساعةً[(٢)] .

وقال الشاعر[(٣)] :

إنْ أجزِ علقمةَ بن سَيْفٍ[(٤)] سعيَهُ لا أجزِه ببلاءِ يومٍ واحدِ

لأحَبَّنى حُبّ الصبىِّ ورمَّنى رَمَّ الهَدِىِّ إلى الغنىِّ الواجد[(٥)]

ولقَدْ شفيتُ غليلتى ونقَعتها من آل مسعودٍ بماءٍ بارد

وقال رجل من جرم :

نبئتُ أَخوالى أرادوا عمومتى بشنعاءَ فيها ثاملُ السُّمِّ مُنقَعا[(٦)]

سأركبها فيــكم وأُدعَى مفرِّقاً وإن شئتم مِن بعدُ كنت مجمِّعا[(٧)]

---

(١) الشبابيط : جمع شبوط : ضرب من السمك سبق الـكلام عليه فى (١ : ١٥٠ ، ١٥١ ، ٢٣٣) . ط ، س : « شبابيك » محرفة . حدب : جمع حدباء وهى الخارجة الظهر الداخلة البطن والصدر . والزهمات : السمينة الـكثيرة الشحم . وفى الأصل : « زمنات » وليس لها هنا وجه .

(٢) ط : « ففـكر بينهما فانهما سميعتانك ساعة » ، تحريف وتطبيع .

(٣) هو رجل من بهراء اسمه فدكى بن أعبد ، وهو المرناق الطائى. معجم المرزبانى ٤٧٥ والصحاح (لمم). كان مجاورا لعلقمة بن سيف العتابى ، وكان له إبل فسرقت ، فلما علم علقمة بذلك سعى فى استردادها من مختلسها فلم يوفق ، فأخرج من ماله مائة بعير ودفعها إلى فدكى عوضا. فقال هذا الشعر يمدحه. الحماسة (٢ : ٢٦٧ وشرحها ٤ : ٧٠ — ٧١) والصحاح واللسان (لمم).

(٤) فى الأصل: « زيد » وصوابه فى البيان (٣ : ٢٣٣) والحماسة وشرحها .

(٥) رمنى ، بالراء : أصلح حالى . والهدى : العروس تزف وتهدى إلى زوجها . ط ، س : « ذمنى ذم البذى » ، ل : « زمنى زم الهدى » وصواب الرواية من الحماسة والبيان . ل : « إلى الفتى » . والفتى : الشاب .

(٦) فى ط ، س : « نبئت إخوانى » وأثبت ما فى ل ، وهو أشبه بقول العرب . ط : س ، « أرادوا نقيصتى بشنعة » و « بشنعة » تحريف . والثامل : هو المنقع ، أى المعتق . ط ، س : « تابل » .

(٧) ل : « فإن شئتم » .

وقال يونس بن حبيب : ما أكلتُ فى شتاءٍ شيئاً قطُّ إلاَّ وقد برد ، ولا أكلتُ فى صيفٍ شيئاً إلاَّ وقَدْ سخن .

وقال أبو عمرو المدينى[1] : لو كانت البلايا بالحِصَص، ما نالنى كما نالنى : اختلفت الجاريةُ بالشاة إلى التَّيَّاس آختلافًا كثيرًا ، فرجعت الجاريةُ حاملاً والشاة حائلا .

وقال جعفر بن سعيد[2] الخلافُ موكَّل بكلِّ شىء [يكون] ، حتى القَذاة[3] فى الماء فى رأس الكوز ، فإن أردتَ أن تشرب الماءَ جاءتْ إلى فيك ، وإن أردتَ أن تصبَّ من رأسِ الكوزِ لتخرُج رَجَعت . ١٤٦

(حديث أبى عمران وإسماعيل بن غزوان)

وقال إسماعيل بن غَزْوان : بكَرْتُ اليوم إلى أبى عمران ، [فلزمتُ الجادَّةَ] ، فاستقبلنى واحدٌ فلَزِمَ الجادَّةَ التى أنا عليها ، فلما غشينى[4] انحرفتُ عنه يَمْنَةً فانحرَفَ معى ، فعُدتُ إلى سَمْتى فَعاد ، فعُدتَ فَعاد ثمَّ عُدت فَعاد . فلولا أنَّ صاحبَ بِرذون فرَّق بيننا لكان إلى الساعة يكدُّنِى[5] . فدَخلت على[6] أبى عمران فدعا بغَدَائه ، فأهويتُ بلقْمتى إلى

---

(١) ط ، س : « أبوعمر المدنى » . وهذا الخبر والخبر الذى قبله فى الحيوان (٥ : ٥٩١) .

(٢) كذا فى ل . وفى ثمار القلوب ٤٩٤ حيث نقل القول : « جعفر بن سعد » وفى ط ، س : « جعفر بن محمد » . وجعفر بن سعيد هذا أحد البخلاء الذين ذكرهم الجاحظ فى كتابه ٨٨ ، ١٠٩ . ونعته فى البيان (١ : ١٠٦) بأنه : « رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه » .

(٣) القذاة : مايقع فى الشراب . ط ، س : « القذا » وصوابه فى .

(٤) ل : « أغشبنى » تحريف .

(٥) يكدنى : يلح فى طلبى . ط ، س ، « يدكنى » تحريف .

(٦) ط ، س ، « إلى » .

الصِّباغ[١] فأهوى إليـه بعضُهم ، فنحَّيت يدى فنحَّى يده ، ثمَّ عُدْتُ فَعاد ، ثمَّ نحيتُ فنحَّى ، فقلت لأبى عمران : ألا[٢] ترى ما نحن فيه ؟ قال سأحدِّثك بأعجبَ من هـذا ، أنا منذُ أكثرَ مِنْ سنة[٣] أشفقُ أن يرانى [ابن أبى] عون الخيَّاط ، فلم يتَّفق لى أن يرانى مرَّةً واحدة ، فلما [أن] كانَ أمسِ ذكرتُ لأبى الحارث الصُّنع[٤] فى السلامةِ من رؤيته ، فاستقبلنى أمسِ أربَعَ مَرَّات !

(نوادر وبلاغات)

وذكر محمّد بن سلام ، عن محمّد بن القاسم قال : قال جرير[٥] : أنَا لا أبتدى ولـكنِّى أعتدى[٦] .

وقال أبو عبيدة : قال الحجَّاج : أنَا حدِيدٌ حَقود حسود ![٧]

قال : وقال قدَيد بن مَنيع ، لُجدَيع[٨] بن علىٍّ : لكَ[٩] حكم الصبىّ على أهله !

---

(١) الصباغ ، بالـكسر : ما يصطبغ به من الإدام ، وصبغ اللقمة صبغا : دهنها وغمسها . ل : « الصماغ » وليس لها وجه .

(٢) ل : « أما » .

(٣) ط ، س : « أنا أكثر منذ سنة » ل : « أنا منذ سنة » وقد جعلتها كما ترى .

(٤) أى ماصنع لى من السلامة من رؤيته . ط : « الصنيع » .

(٥) هو جرير الشاعر .

(٦) ط ، س : « ولـكن أعتدى » ، وأثبت ما فى ل وما سبق فى ص ٩٩ . يقول : هولا يبتدئ بالهجاء ، ولكنه إذا ردّ على الهاجى اعتدى عليه ، وظلمه إرهابا له .

(٧) الحيوان (٥ : ٥٩٢) . وبلفظ آخر فى البيان (٣ : ٢٥٥) .

(٨) جديع هذا هو ابن خال يزيد بن المهلب . البيان (٢ : ٢٤٠ ، ٢٤٦) . ل : « الحديد » وفى ثمار القلوب ٥٣٨ — حيث نقل النص — : « لخديع » والصواب ما أثبت .

(٩) ط ، س : « لكم » ، وأثبت ما فى ل والثمار . وفى الثمار : « لك علىّ » .

وقال أبو إسحاق[١] — وذكرَ إنسانًا — : هو والله أَزَقُ من رَبيب مَالِك[٢] ، وأخرق من امرأة ، وأظلم من صبى .

وقال لى أبو عبيدة : ما ينبغى أن يكون [كان] فى الدنيا مثل هـذا النَّظام[٣] . قلت : وكيف ؟ قال : مرَّ بى يوما فقلت : واللهِ لأمتحننَّه ، ولأسمعَنَّ كلامه ؛ فقلت له : ما عيبُ الزُّجاج — قال: يُسرِع إليه الكسر ، ولا يقبل الجبْر — من غير أن يكون فكَّر أو ارتدع !

قال : وقال جَبَّار بن سُلمى بن مالك[٤] — وذكر عامر بن الطفيل[٥] فقال : كان لا يضلُّ حتَّى يضلَّ النَّجم ، ولا يَعطشُ حَتَّى يَعْطَشَ البَعير[٦] ، ولا يهاب حتَّى يهاب السيل ؛ كان والله خيرَ ما يكون[٧] حينَ لا تظنُّ نفسٌ بنفسٍ خيرًا .

---

(١) هو النظام . وانظر البيان (١ : ٢٤٧) .

(٢) أزق : من النزق وهو الطيش والتسرع . والربيب : المربوب ، وابن امرأة الرجل من غيره . وهذا المثل محرف فى ط ، س : ففى الأولى : « أترف من زينب بنت مالك » وفى الثانية : « أزق من زينب بنت ملكة » ، وتصحيحه من ل . وجاء فى أمثال الميدانى (١ : ١٣٦) : « أترف من ربيب نعمة » .

(٣) ط ، س : « قال لى أبو عبد الله » . س : « مثل ذلك » ل : « مثل ذاك » .

(٤) هو جبار بن سلمى (بضم السين ، وقيل بفتحها) بن مالك بن جعفر بن كلاب ، أحد الصحابة . أسلم بعد وقعة بئر معونة لسبب طريف ، بعد ما كان شديد العداوة للمسلمين . انظر الإصابة ١٠٥١ والسيرة ٦٥٠ ، ٩٣٩ جوتنجن والبيان (١ : ٥٤). فى ط ، س ، « حماد بن مالك بن سليمان مالك » ل : « جبار بن مالك ابن سلمى ». وانظر شروح سقط الزند ص٥٠٠ .

(٥) فى البيان : « حين وقف على قبر عامر بن الطفيل » .

(٦) ط ، س : « الجمل » ، وأثبت ما فى ل والبيان .

(٧) ل : « كان » .

وقال ابنُ الأعرابىّ : قال أعرابى : اللهمَّ لا تُنْزِلْنى ماءَ سَوءٍ فأكونَ امرأ سَوء ! يقول : يدعونى قِلّتُهُ إلى منعه .

وقال محمَّد بن سلّام ، عن حمّاد بن سلمة ، عن الأزرق بن قيس : إنَّ الأحنف كان يكرَه الصَّلاة فى المقصورة ، فقال له بعضُ القوم : يا أبا بحر ، لم لا تصلى فى المقصورة ؟ قال : وأنت لم لاتصلِّى فيها ؟ قال : لاأُترك[1] !

وهذا الكلامُ يدل على ضروب من الخير كثيرة[2] .

ودخل عبد الله بن الحسن عَلى هشامٍ فى ثيابِ سفَرِه ، فقال : اذكر حوائجك . فقالَ عبد الله : ركابى مُناخةٌ ، وعَلَىَّ ثيابُ سفرى ! فقال : إنّك لا تجدنى خيرًا [منّى] لك الساعة[3] .

١٤٧ قال أبو عبيدة : بلغ عمرَ بن عبد العزيز قدومُ عبدِ الله بن الحسن ، فأرسل إليه : إنى أخاف عليك طواعينَ الشام ، وإنّك لا تُغنِمَ أهلَك خيرًا لهم منك[4] فالحقْ بهم ، فإنّ حوائجهم ستسبقك[5] .

وكان ظاهر ما يكلِّمونَهُ بِهِ ويُرُونه إيّاهُ جميلا مذكورًا[6] ، وكان معناهم الكراهة لمقامه بالشام ، وكانوا يرون جمالَهُ ، ويعرفون بيانَه وكمالَهُ ، فكان ذلك العَملُ من أجودِ التّدبير فيه عندَ نفسه :

---

(١) ط : « لا ترك » .

(٢) ط : « على طرق » س : « على كنز من الخير كثير » .

(٣) ط ، س : « إنه لا تجدنى خيراً لك من الساعة » . وموقع هذه القصة فى ل بعد القصة الآتية .

(٤) ل : « لن تغنم أهلك خيرا منك » .

(٥) ل : « ستتبعك » . وانظر الحيوان (٤ : ١٣٨) .

(٦) كذا فى س . وفى ط : « مايكلمون به ويرونه جميلا مذكوراً » . وفى ل : « ما يتكلمون به ويبرونه جميلا مذكوراً » .

(شعر فى الزهد والحكمة)

وأنشـد :

تُليح من الموتِ الذى هو واقعٌ وللموتِ بابٌ أنتَ لا بدَّ داخلُه[(١)]

وقال آخر :

[أكلكُمُ أقام على عجوزٍ عشنْزَرَةٍ مقلَّدةٍ سِخابَا[(٢)]

وقال آخر] :

الموتُ بابٌ وكل الناس داخله فليتَ شعرىَ بعدَ الباب ما الدَّارُ[(٣)]

لو كنتُ أعلم مَنْ يَدرى فيخبرَنى أجنَّةُ الخُلْدِ مأوانا أم النَّارُ[(٤)]

وقال آخر :

اصبرْ لكلِّ مصيبةٍ وتجـلّدِ واعلمْ بأنَّ المرءَ غيرُ مخلَّدِ

فإذا ذكرتَ مصيبة تشجى بها فاذكُرْ مصابَكَ بالنبىِّ محمدِ

وقال آخر :

والشمس تَنْعَى سـاكِنَ الـ دُّنيا ويُسعِدُها القَمَـر

---

(١) ألاح يليح : خاف وحاذر . ل : « لا شك داخله » . وانظر مجالس ثعلب ٣٤٩.

(٢) عنى بالعجوز الدنيا . والعشنزرة : السيئة الخلق ، بضم الخاء واللام . والسخاب : بالكسر : القلادة من سك وقرنفل ومحلب ، بلا جوهر .

(٣) كذا فى ل والأغانى (١٩ : ١٤) . وفى ط : « الموت باب لنا لا بد ندخله » وفى س : «لنا لابد لنا أن ندخله » وما فى س تحريف .

(٤) ل : « مثوانا » . قالوا : لم يتمثل الحسن البصرى بشعر إلا هذا البيت . انظر الأغانى .

أين الذين عليهمُ رَكَمُ الجنادِلِ والمَدَر (١)
أفناهمُ غَلَس العِشا ء يهزُّ أَجْنِحَةَ السَّحَرْ (٢)
ما للقلوب رقيقــةً وكأنَّ قلبَك مِن حَجَرْ
ولقلَّما تَبْقى وعو دُكَ كلَّ يومٍ يُهتَصر (٣)

وقال زهير :

ومَن يُوفِ لا يُذمْ ومَنْ يُفْضِ قلبه إلى مطمئن البرِّ لا يتجمجم (٤)
ومن يَغترب يحسَب عدوًّا صديقه ومن لا يكرِّم نفسَه لا يكرَّمِ
ومهما تكنْ عندَ امرئٍ من خايقةٍ وإنْ خالها تَخْفَى على النَّاسِ تُعلِمِ
ومن لا يزلْ يسترحلْ النَّاسَ نفسَه ولا يُعفِها يوماً من الذّمِّ يندمِ (٥)

[وقال زهير أيضاً :

يطعنهم ما ارتَموا حتى إذا طُعِنوا ضارب حتَّى إذا ماضارَبُوا اعتنقا (٦)]

---

(١) الركم ، بالتحريك : المتراكم .
(٢) الغلس : الظلام آخر الليل . والعشاء من زوال الشمس إلى طلوع الفجر . ل : « العشى » . وهى بمعنى العشاء المتقدم ؛ فى المصباح : « العشى من الزوال إلى الصباح » .
(٣) اهتصار الغصن : عطفه . ل : « يمتصر » . وفى ط : « ولعل ما تبقى » صوابه فى ل ، س .
(٤) لا يتجمجم : لا يتردد .
(٥) يسترحل الناس نفسه : يجعل نفسه كالراحلة للناس يركبونه ويذمونه . وروى : « يستحمل الناس » ، أى يحمل الناس على عيبه .
(٦) انظر الكلام على هذا البيت فى الاستدراكات .

وقال [١] :

وجارَ البيتِ والرَّجلُ المنادِي [٢] أمامَ الحيِّ عَقدُهما سواءُ
جوارٌ شاهدٌ عدْلٌ عليكم وسيَّانِ الكَفالةُ والتَّلاءُ [٣]
فإنّ الحقَّ مَقطَعُهُ ثلاثٌ : يَمينٌ ، أو نِفارٌ ، أو جِلاءُ [٤]

فتفهَّمْ هذه الأقسامَ الثّلاثة ، كيف فصَّلها هذا الأعرابيُّ !

وقال أيضاً :

فلو كان حمدٌ يُخلِدُ النّاسَ لم تمُتْ ولكنَّ حمْدَ المرءِ ليسَ بمُخْلِدِ ١٤٨
ولكنَّ منهُ باقياتٍ وِراثَةً فأورِثْ بنيك بعضَها وتزوَّدِ
تزوَّدْ إلى يوم المماتِ فإنَّه وإنْ كرهتْه النَّفسُ آخِرُ معْهَدِ

وقال الأسديُّ :

فإنِّي أحبُّ الُخلدَ لو أستطيعُه وكالُخلْد عندي أن أموتَ ولم أُلَمْ [٥]

وقال الحادرة :

فأثنُوا علينا لا أبا لأبيكمُ بإحساننا إنَّ الثَّناءَ هو الُخلْد [٦]

وقال الغنويّ :

فإذا بلغتمْ أهلَكم فتحدَّثوا ومن الحديثِ مهالكٌ وخُلودُ [٧]

---

(١) أى زهير بن أبى سلمى .
(٢) المنادى : المجالس ؛ من النادى والندى وهو المجلس . ط : « المناوى » وهو تحريف . يقول : حق الجليس كحق الجار .
(٣) التلاء ، بالفتح : الضمان . وانظر اللسان (تلا) .
(٤) انظر الكلام على هذا البيت فى الصناعتين ٣٣١ والعمدة (١ : ٣٠) والعقد (٣ : ٣٨٦) والبيان (١ : ٢٤٠) وعيون الأخبار (١ : ٦٧) .
(٥) وكذا فى البيان (٣ : ٣٢٠) . ل : « لو أموت » .
(٦) البيان (٣ : ٣٢٠) .
(٧) ما عدا ل : « بلغتم أرضكم » ، و « متألف وخلود » .

وقال آخر [١] :

فقتلاً بتقتيلٍ وعقرًا بعقرِكم جزاءَ العُطَاسِ لا يموت من اتَّأرْ [٢]

وقال زهير :

والإثمُ من شرٍّ ما تصولُ بِه والبرُّ كالغَيثِ نبتُه أَمِرُ [٣]

أى كثير . ولو شاء أن يقول :

* والبرُّ كالماءِ نبتُه أمِرُ *

استقام الشعر ، ولكن كان لا يكون له معنى . وإنّما أراد أن النبات يكون على الغيثِ أجود [٤] . ثمَّ قال :

قد أشهَدُ الشَّاربَ المعذَّلَ لا معروفُهُ مُنكَر ولا حصِرُ [٥]

فى فتيةٍ ليِّنى المآزرِ لا ينسَوْنَ أحلامَهم إذا سَكِرُوا [٦]

يشوُون للضَّيف والعُفاةِ ويُو فون قضاءً إذا هُمُ نَذَروا [٧]

---

(١) هو مهلهل كما فى البيان (٣ : ٣٢٠) .

(٢) س : « وعقدا بعقدكم » . محرف . ما عدا ل : « جزاء العطاش » تحريف. وانظر حواشى البيان ، واللسان (عقب ١١٠ جزى ١٥٩) . واتأر : أدرك ثأره . والمعروف فى المعجمات : « اثأر » بالثاء المثلثة . لكن ما أثبت من ل جائز فى العربية . انظر الاستدراكات والتذييل . وفى ط ، س : « ارتا » محرف .

(٣) ط : « امره» وصوابه فى ل ، س . والرواية عند القالى (١ : ١٠٣) والبحترى ٣٤٧ : « من شر يصال به » .

(٤) الغيث : المطر الغزير . ط ، س : « أراد أن يكون عن الغيث أجود » .

(٥) المعذل : الذى يعذل كثيرا ويلام لإسرافه . س : « المعدل » وليس بشىء . والحصر : البخيل .

(٦) المآزر : جمع مئزر ، والمراد بها هنا النفوس ، كما قال نفيلة – وأراد بالإزار النفس :

ألا أبلغ أبا حفص رسولا فدى لك من أخى ثقة إزارى

(٧) العفاة : جمع عاف : وهو كل طالب فضل أو رزق .

يمدحُ كما ترى أهلَ الجاهليّة بالوفاء بالنُّذور[١] .

أنشدنى حبّان بن عِتْبان[٢] ، عن أبى عبيدة ، من الشّوارد التى لا أربابَ لها ، قوله :

إن يغْدِرُوا أو يفجُروا أو يبخَلوا لم يحفِلوا

يَغـدُوا عليكَ مرجَّلِيـنَ كأنّهُمْ لم يفعَلُوا

كأبى بَراقِشَ كلَّ يو مٍ لونَه يتخيَّلُ[٣]

وقال الصَّلَتان السعدىُّ ، وهو غير الصَّلَتان العبْدىِّ :

أشابَ الصغيرَ وأفنَى الكَبيـرَ كَرُّ الغَداةِ ومرُّ العشِى ١٤٩

إذا ليـلةٌ هرَّمَت يومـها أتى بعـد ذلك يوم فَتِى[٤]

نروح ونغـدُو لحاجاتنـا وحاجةُ مَن عاشَ لا تنقضى[٥]

تموت مـعَ المرءِ حاجاتُه وتبقى له حَاجـةٌ ما بقِى[٦]

إذا قلتَ يَوْماً لدى مَعْشرٍ أرُونى السَّرِىَّ أرَوْكَ الغنى

---

(١) ط ، س : « بالنذر » ولا تصح .

(٢) ل : « حيان بن عيين » .

(٣) أبو براقش : طائر كالعصفور حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار يتلون فى كل ساعة ، يكون أحمر وأزرق وأخضر وأصفر . ولعل السبب فى ذلك ما قال الأزهرى : أنه شبيه بالقنفذ أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود فاذا انتفش تغير لونه ألوانا شتى . والرواية فى اللسان : « كل لون لونه » ط ، س : « يتبدل » . وانظر الأبيات ورواياتها وما قيل فيها ، فى ديوان المعانى (١ : ١٨٢) والبيان (٣ : ٣٣٣) وأمالى القالى (٣ : ٨٣) وعيون الأخبار (٢ : ٢٩) وخزانة الأدب (٣ : ٦٦٠ بولاق) والصناعتين ١٠٣ ومحاضرات الراغب (١ : ١٥٠) .

(٤) هذا البيت ساقط من ل .

(٥) ط : « لحاجتنا » تحريف .

(٦) ط ، س : « يموت » .

أَلم تَرَ لقمانَ أوصَى بنيـ ـهِ وأوصيت عمرًا فنعم الوَصى[1]

وسِرُّك ما كانَ عندَ امرئٍ وسرُّ الثَّلاثَةِ غير الخفى

أنشدنى محمَّدُ بن زياد الأعرابىّ :

ولا تَلبِثُ الأطماعُ مَن ليس عنده من الدِّين شىءٌ أن تميل به النَّفْسُ

ولا يُلْبثُ الدَّحْس الإهاب تحوزه بجُمْعِك أن ينهاه عن غيرك الترس[2]

وأنشدنى أبو زيدٍ النحوىُّ لبعض القدماء[3] :

وَمهْمَا يكنْ رَيْب المَنُونِ فإنَّنِي أرى قَمرَ اللَّيلِ المعذَّرَ كالفتَى[4]

يعودُ ضئيلاً ثم يرجعُ دائباً ويعظم حتَّى قيل قد ثابَ واستوَى

كذلك زَيْدُ المرءِ ثمَّ انتقاصه وتكرارُه فى إثره بَعْدَ مامضَى[5]

وقال أبو النَّجم :

---

(١) ل : « ونعم الوصى » . وانظر الأبيات ورواياتها فى عيون الأخبار (٣ : ١٣٢) ومعاهد التنصيص (١ : ٢٧) والعقد (٢ : ١٢٣) والحماسة (٢ : ٥٦) والكامل ٥٤٠ ليبسك .

(٢) الدحس : الفساد . والشطر الأخير محرف . ل : « أن تنهاه كعبرة الرأس » .

(٣) هو حسان السعدى كما فى نوادر أبى زيد ١١١ — ١١٢ . ونسب الشعر فى أمالى المرتضى (٢ : ٧٦) إلى بعض شعراء طيىء . وعينه ياقوت فى (دير حنظلة) بأنه حنظلة بن أبى عفراء . وساق نسبه إلى طيىء . وقال فى شأن حنظلة هذا « كان قد نسك فى الجاهلية وتنصر وبنى هذا الدير » .

(٤) المعذر : ذو العذار ، وهو هنا الهالة التى تطيف به . وفى الجزء السادس من الحيوان ص ٥٠١ : « المقدر » ، وما هنا صوابه . والرواية فى النوادر والأمالى والمعجم و ل: « المعذب » وكأن عذابه فيما يتكرر من طلوعه واختفائه ودءوبه على ذلك . وفى مثل ذلك قال أمية فى عذاب الشمس :

تأبى فلا تبدو لنا فى رسلها إلا معذبة وإلا تجلد

لاتستطيع أن تقصر ساعة وبذاك تدأب يومها وتشرد

(٥) الزيد : الزيادة . ط : « بعد ماضى » ، وصوابه فى ل ، س .

مَيَّزَ عَنهُ قُنْزُعاً عن قُنْزُعِ [١] مَرُّ اللَّيالِي أبْطِئي وأسرِعي [٢]

أفناهُ قِيلُ اللهِ للشَّمْسِ اطلُعي ثمَّ إذا واراكِ أُفْقٌ فارجِعي

وقال عمرو بن هند [٣] :

وإنّ الذى ينهاكم عن طلابها يُناغِي نِسَاءَ الحَيِّ فى طُرَّةِ البُرْدِ [٤]

يعَلَّلُ والأيَّام تَنْقُص عُمْرَه كما تَنقُصُ النِّيرانُ من طَرَفِ الزَّنْد [٥]

وقال ابن ميَّادة :

هل ينطقُ الرَّبع بالعَلياءِ غيّره سافِى الرِّياحِ ومستَنٌّ له طُنُب [٦]

وقال أبو العتاهية :

* أسرَعَ فى نقص امرئ تمامُه *

وقال :

ولمرِّ الفناءِ فى كلِّ شيءٍ حركاتٌ كأنَّهنَّ سكُون [٧]

وقال ابن ميَّادة [٨] :

---

(١) القنزع : الشعر حوالى الرأس . ل : « قزعا عن قزع » . والقزع : كل شىء يكون قطعا متفرقة . ورواية اللسان : « طير عنها » .

(٢) كذا فى ل واللسان . فى ط ، س : « جذب الليالى أبطئى أو أسرعى » .

(٣) كذا فى ط و س : وص ٤٨ من هذا الجزء . وفى ل : « عبد هند » .

(٤) يناغى : يغازل . س : « عن طلائها » .

(٥) س : « يعلل بالأيام » .

(٦) المستن : أراد به السحاب السريع الإمطار . والطنب : حبل السرادق . وقد جعل السحاب كالسرادق فكأنه قد ضرب على الأرض لإحاطته . يقول : قد أفسد ذاك الربع الرياح والأمطار . ط ، س : « ومستف » ، تحريف ما أثبت من ل ومعجم الأدباء (١١ : ١١٤) والأغانى (٢ : ١٠٢) .

(٧) س : « ولمر القناء » ط : « ولمر القناة » ، ووجهه ما أثبت من ل .

(٨) روى فى معجم البلدان برسم (قنع) نسبته إلى مزاحم العقيلى .

أشاقَك بالقِنْعِ الغَداةَ رُسومُ دَوارِسَ أدنى عهدِهنَّ قديمُ (١)

يَلحْنَ وقد جرَّمْنَ عشرين حِجَّةً كما لاحَ فى ظهرِ البنَان وشُوم (٢)

وقال آخر :

فى مرفَقيها إذا ما عُونِقتْ حَجَمٌ عَلَى الضَّجيع وفى أنيابها شنَب (٣)

وقال ابن ميَّادة فى جعفر [ومحمد] ابنى سليمانَ (٤) ، وهو يعنى أمير المؤمنين المنصور :

وفَى لكما يا ابْنَى سليمان قاسم بِجدِّ النُّهَى إذ يقسِم الخيرَ قاسِمُهْ (٥)

فبيتكُمَا بَيتٌ رفيع بناؤهُ متى يَلق شيئاً مُحْدَثاً فهو هادمُهْ (٦)

لكُمْ كبْش صِدق شذَّبَ الشَّولَ عنكُم

وكسَّر قَرْنَىْ كلِّ كبشٍ يصادمُهْ (٧)

---

(١) القنع ، بالكسر : جبل وماء باليمامة . والرسوم : آثار الديار .

(٢) جرمن عشرين حجة : قطعن عشرين سنة . ط ، س : « حرمن » ط : « عتبى حجة » رصوابهما فى س .

(٣) فى المعجم : « إذا ماعولجت » . والحجم بالحاء ثم الجيم المفتوحتين : لم أجد نصا فيه . ولعله من حجم ثدى الجارية : نهد وارتفع . أراد أنها مكسوة المرفقين باللحم . ل وكذا الأغانى : « جم » وهو كثرة اللحم ، أو عدم ظهور العظم . س : « حم » محرف . والشنب : بالتحريك : الرقة والحدة .

(٤) ط ، س : « فى جعفر بن سليمان » وتصحيحه وإكماله من ل .

(٥) يقول : ذلك القاسم حين قسم الخير وفى لكما بحظ العقل . وفى بالشىء : أعطاه كاملا . وهذا البيت شديد التحريف فى الأصل . فنى ط ، س : « وما لكم » وفى ل : « وفاه لكما » وفى ط ، س : « بجد النبى » وفى ل : « تجد النهى » . وقد عالجته بما ترى .

(٦) فى الأصل : « فبينكما » محرف : ل : «متى يلق بيتا مجدكم » .

(٧) الكبش : عنى به المنصور . شذب : طرد . والشول من الإبل : التى نقصت ألبانها . يريد : طرد عنكم الحساس من الناس . ط فقط : « شذب الشوك » وهو معنى لايصح فى المدح .

باب
فى من يهجى ويذكر بالشؤم

قال دِعبِل بن علىّ ، فى صالح الأفقم(١) — وكان لا يصحبُ رجلاً إلّا ماتَ أو قُتِل ، أو سقَطَتْ منزلته — :

قل للأمينِ أمينِ آل محمَّدٍ قول امرئٍ شفقٍ عليه محامِ(٢)
إيَّاكَ أن تُغترَّ عنك صنيعة فى صالح بن عطيَّة الحجَّامِ(٣)
ليس الصَّنائعُ عندَه بصنائعٍ لكنهنَّ طوائلُ الإسلامِ(٤)
أَضربْ به نحرَ العدوِّ فإنَّه جيشٌ من الطَّاعونِ والبِرسامِ(٥)

وقال محمد بن عبد الله فى محمد بن عائشة(٦) :

لِلهلالِىِّ قتيلٌ أبدًا فى كُلِّ عامِ
قَتَلَ الفضلَ بنَ سهلٍ وعلىَّ بنَ هشامِ
وعجيفاً آخر القومِ بأكناف الشآمِ

---

(١) الأفقم : الذى تقدمت ثناياه العليا فلم تقع على السفلى . وفى الأغانى : « الأضجم » ، وهو المعوج الفم . ل : « صالح بن على الأفقم » صوابه «ابن عطية» كما فى الأغانى ، والشعر .

(٢) يريد بالأمين الخليفة المعتصم ، كما فى الأغانى (١٨ : ٦٤) وروايته :

قل للإمام إمام آل محمد قول امرئ حدب عليك محام

والتعبير عن الخليفة بلفظ « أمين » سبق مثله فى ص ٦٣ س ٤ .

(٣) تغتر : تؤخذ وتنال على غرة . ل : « يفتر » . وفى الأغانى (١٨ : ٤٦) : « أنكرت أن تفتر » !

(٤) طوائل : جمع طائلة ، يقال بينهم طائلة أى عداوة وترة .

(٥) البرسام ، بالكسر : علة يهذى فيها . قلت : هى بالفارسية برسام بالفتح ، بمعنى التهاب الصدر ، مركب من بر وهو الصدر ، وسام بمعنى الالتهاب ، وهو بالمعنى الدقيق : التهاب غشاء الرئة : The pleurisy .

(٦) ل : « بن محمد بن عائشة » .

وغدا يطلب مَن يقـ تَل بالسَّيفِ الُحسامِ[١]
فأعَاذَ اللهُ منــه أحمدًا خيرَ الأنام

[يعنى أحمد بن أبى دواد] .

وقال عيسى بن زينب فى الصخرى[٢] ، وكان مشئوما :

يا قوم مَنْ كان له والدٌ يأكلُ ما جمَّعَ مِنْ وَفْرِ[٣]
فإنَّ عندى لابنِه حيلةً يموتُ إن أُصْحِبَهُ الصخرى[٤]
١٥١ كأنما فى كفّه مِبردٌ يبرُد ما طال من العُمْر

(شعر فى مديح وهجاء)

وقال الأعشى :

فما إنْ على قلبه غَمرةٌ وما إن بعظمٍ لهُ من وَهَنْ[٥]

وقال الكميت :

ولم يقلْ عِنْدَ زَلَّةٍ لهمُ كُرُّوا المعاذيرَ إنَّما حَسِبُوا[٦]

وقال آخر :

فلا تعذرانى فى الإساءةِ إنَّه شِرارُ الرِّجال مَنْ يسىءُ فيُعذرُ

---

(١) ل : « وبدا يطلب » .

(٢) ط ، س : « الصحرى » .

(٣) الوفر : المال الكثير . ط : س : « مايجمع فى الدهر » .

(٤) أصحبه : جعل صاحبا له . ط : « صحبة » . ط ، س : « الصحرى » .

(٥) س : « يعظم » ، تحريف.

(٦) الواو فى أول البيت ساقطة من ط ، س . ل : « بعد زلة » . ط : « حسوا » س : « حسنوا » وصوابه فى ل .

وقال [كلثوم بن عمرو] العتَّابى(١) :

رحــل الرَّجاءُ إليك مغتربا حُشِدَتْ عليه نوائبُ الدَّهْرِ(٢)

ردَّت عليك ندامتى أمَـلى وَثَنَى إليك عِنانَه شُكْرِى(٣)

وجعلت عَتْبَكَ عتْب موعظةٍ ورجاءَ عفوك مُنْتَهَى عُذْرِى

وقال أعشى بكر(٤) :

قَلَّدتك الشِّعرَ يا سـلامة ذا الـــإفضالِ والشَّىءُ حيثُ مَاجُعِلا(٥)

والشِّعرُ يَسْتَنْزِلُ الكريمَ كما اسْـ تَنْزَلَ رعْدُ السَّحابةِ السَّبَلا(٦)

لوكنت ماءً عِدًّا جَمَمتَ إذا ما ورَدَ القومَ لم تكُنْ وشلا(٧)

أنجَبَ آباؤه الـكرامُ به إذْ نَجلاهُ فَنِعْمَ ما نَجلا

استأثَرَ اللهُ بالبَقاءِ وبالحمْـ دِ وَوَلَّى الملامَةَ الرَّجُلا(٨)

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) ط : « مرتغبا » س : « مرتقبا » . حشدت : جمعت . ط ، س : « حسدت » ، وليس بشىء .

(٣) ل : « ردت إليه » و « ثنى إليه » .

(٤) ل : « وقال الأعشى » . وهما سيان ، فإن الأعشى المشهور يقال له أعشى بكر ، ويقال له أيضاً أعشى قيس . فهو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف ابن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل . ينسب حينا إلى قيس بن ثعلبة ، وآخر إلى بكر بن وائل . وقد أخطأ دى ساسى فى جعلهما شخصين فى فهرس الأغانى .

(٥) كلمة « الشعر » ساقطة من ط . وفى الخزانة (٤ : ٣٥٨) : « ذو التفضال » ، وفى العمدة (١ : ١٠) : « ذا فائش » . وسلامة ذو فائش : أحد ملوك حمير .

(٦) السبل ، بالتحريك : المطر .

(٧) الماء العد ، بكسر العين : القليل ، بلغة بكر بن وائل . جم : كثر . س : « جمعت » تحريف . والوشل : الماء القليل .

(٨) يروى : « بالوفاء وبالعد » . وبهذا البيت يستشهد على أن الأعشى كان مذهبه مذهب أهل العدل . انظر أمالى المرتضى (١ : ١٦) .

وقال الكذّاب[١] الحِرْمازىّ [لقومه ، أو لغيرهم[٢]] :

لو كنتمُ شاءً لكنتمْ نَقَدًا[٣] أو كنتمُ ماءً لكنتم ثَمَدا[٤]

* أو كنتمُ قولاً لكنْتُم فَنَدَا[٥] *

وقال الأعشى فى الثياب[٦] :

فعلى مثلها أزورُ بنى قيـ ـسٍ إذا شَطَّ بالحبيبِ الفِراقُ[٧]

المهينين ما لَهم فى زمانِ الـ ـسَّوءِ حتَّى إذا أفاقَ أفاقوا

وإذا ذو الفضول ضنَّ على المو لى وصارتْ لخِيمها الأخْلاقُ[٨]

ومشَى القومُ بالعِمادِ إلى الرَّزْ حَى وأعيا المُسيمَ أيْنُ المَسَاقِ[٩]

أخذوا فضْلَهمْ هناكَ وقد تَجـ ـرى على عِرْقِها الكِرامُ العِتاقُ[١٠]

---

(١) وكذا فى الحيوان (٥ : ٤٦٢) . ونسب فى الأزمنة والأمكنة (٢ : ٢٧٧) إلى العين المنقرى . والكذاب هو عبد الله بن الأعور ، أحد بنى الحرماز بن مالك بن تميم . ط : « الكرار » س : « الكراز » وهو على الصواب فى ل . قالوا : سمى بذلك لكذبه .

(٢) هم بنو فقيم ، كما جاء فى أول الرجز فى كل من أمثال الميدانى (١ : ٢٦٠) والأضداد ٣٥٦ :

* فقيم ياشر تميم محتداً *

(٣) النقد : جنس من الغنم قصار الأرجل ، قباح الوجوه ، يكون بالبحرين .

(٤) الثمد : الماء القليل . وهذه الرواية انفردت بها ل . وفى ط ، س وأمثال الميدانى والأضداد وثمار القلوب : « زبداً » .

(٥) الفند : الكذب . وفى الرجز زيادة فى ثمار القلوب وأمثال الميدانى (١ : ٢٦٠ ، ٤١٣) .

(٦) « فى الثياب » ساقط من ل . والحديث عن الثياب فى آخر بيت من هذه المقطوعة .

(٧) شط به : بعد . س : « شك » تحريف .

(٨) الخيم ، بالكسر : السجية والطبيعة . وفى الديوان : « لحقها » أى لحقيقتها . ل : « بحقها » .

(٩) العماد : الأخبية . والرزحى : النوق الشديدات الهزال . والمسيم : الذى يرعى الإبل . والأين : الإعياء . والمساق : السوق .

(١٠) قد ، هنا ، تحقيقية .

وإذا الغيثُ صَوبُهُ وضَعَ القِدْ ... حَ وجُنَّ التِّلاعُ والآفاقُ[(١)] ١٥٢

لم يزدْهُمْ سفاهةً شُرْبُ الخمْ ... رِ ولا اللَّهْوُ فيهمُ والسِّباقُ[(٢)]

واضِعًا فى سرَاةِ نَجْرانَ رَحْلِى ... ناعماً غيرَ أنَّنِي مُشتاقُ

فى مطايا أربابُهنَّ عِجَالٌ ... عن ثَواءٍ وهَمُّهنَّ العِراقُ

دَرْمَكٌ غُدوَةً لَنا ونشيلٌ ... وصَبُوحٌ مباكِرٌ واغتِبَاقُ[(٣)]

وندامى بيضُ الوُجوهِ كأنَّ الـ ... ـشَّربَ مِنْهُمْ مَصاعِبٌ أفناقُ[(٤)]

فيهمُ الخِصْبُ والسَّماحةُ والنجْ ... دَةُ جَمْعاً والخاطِبُ المِسْلاقُ[(٥)]

وأبيُّونَ لا يُسامُون ضيْمًا ... ومَكيثُون والحُلومُ وِثاقُ[(٦)]

وترى مجلساً يَغَصُّ به المحْ ... رَابُ بالقَوْمِ والثِّيابُ رِقاقُ

---

(١) القدح ، بالكسر ، هو قدح الميسر . كانوا ينحرون ويضربون بالقداح ، فإذا أخصبوا تركوا ذلك ؛ وذلك أن الميسر إنما يكون فى الجدب . شرح ديوان الأعشى ١٤٤ فينا . جنت التلاع : كثر فيها النبت وحسن .

(٢) ليس يريد أنهم كانوا ذوى سفاهة فزادهم الشرب ، ولكن أراد أن الشرب لايجلب إليهم السفاهة ، بل يحتفظون معه بحميد خصالهم :

وإذا شربت فاننى مستهلك ... مالى وعرضى وافر لم يكلم

(٣) الدرمك : لباب الدقيق ، أراد الطعام المصنوع منه . و « غدوة » هى فى الأصل : « غدره » ، وتصحيحها من الديوان . والنشيل : مانشل من لحم القدر بمائه .

(٤) الشرب ، بالفتح : جماعة الشاربين . ل : « الشرب فيهم » . والمصاعب : الفحول المكرمة . والأفناق : جمع فنيق ، وهو بمعنى المصعب .

(٥) ل واللسان : « فيهم الحزم » . والخاطب المسلاق : الخطيب البليغ . ويروى : « السلاق » بمعناه ، كما فى اللسان . ورواية س : « المصلاق » بالصاد ، وهى لغة . يقال : مصلاق وصلاق أيضاً .

(٦) المكيث : الرزين . والحلوم وثاق : أى عقولهم محكمة .

وقال أيضاً فى الثّياب[1] :

أزورُ يزيدَ وعبدَ المسيحِ ... وقيساً هُمُ خَيرُ أربابها

وكعبةَ نَجْرَان حَتم عليـ ... ـكِ حتّى تناخِي بأبوابِها[2]

إذا الحِبَرَاتَ تلوّتْ بِهِمْ ... وجرُّوا أسافلَ هُدَّابِها

وفى الثّياب يقول الآخر :

أُسَيْلِم ذا كمْ لاخفا بِمكانه ... لعينٍ تُرَجِّى أو لأذن تَسَمَّعُ[3]

من النَّفَرِ البِيضِ الذين إذا انْتَمَوْا ... وهابَ الرِّجال حَلْقَةَ البابِ قَعْقَعوا[4]

جلا الأذْفَر الأحوى من المسك فرقَه ... وطيب الدِّهانِ رأسَه فهو أنْزَع[5]

إذا النَّفر السُّود اليَمانون حاوَلوا ... له حَوك بِرديْهِ أجادُوا وأوسعَوا[6]

[وقال كثيّر :

يجرِّر سِرْبالا عليه كأنّه ... سبيٌّ هلالٍ لم تفتق شرانقه[7]]

وقال الجعدى :

أتَانِى نصرهمْ وَهمُ بَعيدٌ ... بِلَادُهم بأرضِ الخيْزُرَانِ

---

(١) الأبيات منسوبة إلى أعشى بنى تغلب فى معجم الأدباء (١١ : ١٣٢) .

(٢) يخاطب ناقته . تناخى : تبرك . ط ، س : « تحل » ولها وجه .

(٣) خفا : مقصور خفاء . ط ، س : « حقا » ، وصوابه فى ل والبيان (١ : ١٩٦ و ٣ : ٣٠٥) والكامل ١٠٣ والعقد (٥ : ٣٤٣) ورسائل الجاحظ ٧٩ ساسى والبخلاء ٢١٣ . « ترجى » من الرجاء وهو الأمل . ل : « تدحى » ، البيان « تدجى » الرسائل : و « تداحى » ولعلها « تراعى » .

(٤) الرواية فى المراجع المتقدمة : « من النفر الشم » وجعلهم نفرا لقلتهم . والكرام قليل .

(٥) الأذفر : الشديد سطوع الرائحة . ط : « فوقه » تحريف . والأنزع : الذى انحسر الشعر عن جانبى جبهته . ل : « فهو أفرق أنزع » .

(٦) اليمانية يوصفون بالسواد . ل والعقد : « أرقوا وأوسعوا » ، وفى خزانة الأدب (٢ : ٥٢٣ بولاق) نقلا عن البيان : « أدقوا » ، وفى البيان : « أطالوا » . وانظر ما كتب البغدادى عن الشعر فى الخزانة .

(٧) السبى : جلد الحية تسلخه. والهلال : الحية . والشرانق : ما تسلخه . وانظر ما سيأتى فى (٤ : ١٧٧) .

يريد أرضَ الخِصب والأغصانِ اللَّيِّنة[1] .

وقال الشاعر[2] :

فى كفِّهِ خَيْزُرانٌ رِيحُها عَبِقٌ ... بكَفِّ أرْوَعَ فى عِرنينه شمم[3]

لأن المَلِكَ لا يَختَصِرُ[4] إلَّا بِعُودٍ لدْنٍ ناعِمٍ . وقال آخر :

تجاوبُها أخرى على خَيْزُرانَةٍ ... يكادُ يدنيها من الأرضِ لينها[5]

١٥٣

وقال آخر[6] :

نَبتُّم نَباتَ الخيزُرانىِّ فى الثَّرَى ... حديثاً، متى ماياْتِكَ الخَيرُ يَنْفَعِ[7]

وقال المسَيَّبُ بن علس[8] :

قِصَار الهمِّ إلَّا فى صديقٍ ... كأنَّ وطابَهُمْ مُوشَى الضِّبابِ[7]

(١) فى اللسان : « وذلك أنه كان بالبادية وقومه الذين نصروه بالأرياف والحواضر . وقيل : أراد أنهم بعيد منه كبعد بلاد الروم » .

(٢) ط ، س : « وقال أصحر الشاعر » وانظر ما أسلفت من التحقيق فى ص ١٣٣ .

(٣) كذا فى ط ، س . وفى ل : « ريحه عبق » . وانظر الاستدراكات .

(٤) الاختصار : أخذ المخصرة ، بالكسر ، وهى مايتوكأ عليه الخطيب ويشير به من عصا ونحوها . ل : « يتخصر » وهى صحيحة أيضاً . جاء فى الحديث : « فإذا أسلموا فاسألهم قضبهم الثلاثة التى إذا تخصروا بها سجد لهم » .

(٥) انظر حواشى البيان (٣ : ٦٢) .

(٦) هو النجاشى الشاعر ، كما فى خزانة الأدب (٤ : ٥٦٤ بولاق) والعقد (٤ : ١٢) .

(٧) ط والعقد : « ثبتم ثبات » ط . ل « بنتم بتات » تحريف ما أثبت من س والخزانة وكتاب سيبويه (٢ : ١٥٢) . والخيزرانى : لغة فى الخيزران ، وهو الطرى الناعم من النبات . حديثا : أى نباتا حديثا . يقول : لستم ذوى حسب قديم ، يهجوهم بذلك . والنجاشى صاحب الشعر قحطانى من بنى الحارث بن كعب المذحجى يهجو بهذا الشعر بنى صعصعة بن معاوية العدنانيين . وقبل البيت :

يا راكبا إما عرضت فبلغن ... بنى عامر منى وأبناء صعصع

« ينفع » هى فى ط : « ينفعا » . وهى رواية سيبويه استشهد بها على إلحاق نون التوكيد الخفيفة بينفع مع أنها جواب شرط ، وليس ذلك من مواضع دخولها .

(٨) س : « وقال آخر » ل : « وقال الآخر » .

(٩) ط ، س : « فصار » ل « قصاد » يقول : ليس لهم هم إلا فى رعاية صديقهم وإكرامه . والوطاب : سقاء اللبن . والضباب ، بالكسر : جمع ضب . الموشى : الذى استخرج من جحره برفق . ط ، ل : « موق » ، والأشبه ما أثبت من س .

(عين الرضا وعين السخط)

وقال المسيب بن علس :

تامتْ فؤادك إذ عَرَضت لهــا حَسَــنٌ برأى العــين ما تَمِقُ[١]

وقال ابن أبى ربيعة :

* حَسَنٌ فى كلِّ عَينٍ من تودْ[٢] *

وقال عبد الله بن معاوية[٣] :

وعَين الرِّضا عن كلِّ عَيبٍ كليلةٌ ولـكِنَّ عَينَ السُّخطِ تُبْدِى المَساوِيَا

وقال رَوْح أبو همَّام[٤] :

وعينَ السُّخْطِ تبصِرُ كلَّ عيبِ وعينُ أخِى الرِّضَا عن ذاكَ تَعْمى[٥]

---

(١) تامت الفؤاد : استعبدته . ط ، س : « قادت » . ومق يمق : أحب .

(٢) صدر هذا البيت كما فى الديوان ٧٦ :

* فتضاحكن وقد قلن لها *

(٣) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، ولد فى خلافة معاوية، ومعاوية هو الذى سماه . وقد خرج عبد الله فى أيام يزيد بن الوليد ، وقصد إلى خراسان وكان قد ظهر بها أبو مسلم فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده ثم قتله . وكان شاعراً مجيداً ، أكثر البحترى من الاختيار له فى حماسته ..والبيت الآتى من أبيات قالها فى الحسين ابن عبد الله بن عبيد الله بن العباس ، وكان الحسين وعبد الله يتهمان بالزندقة ، فقال الناس : إنما تصافيا على ذلك ، ثم دخل بينهما ما تهاجرا من أجله . انظر الأغانى (١١ : ٧٢) وثمار القلوب ٢٦١ وسرح العيون (٢ : ١١٣) .

(٤) اسمه روح بن عبد الأعلى، وكنيته أبو همام ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ١٦٤ ليبسك ٢٣٤ مصر . وديوانه خمسون ورقة . ط ، س : « بن همام » وهو على الصواب فى ل . وانظر تزيين الأسواق ص ١٤ .

(٥) ل : « تظهر كل عيب » .

(شعر وخبر)

وقال الفرزدق :

أَلَاَ خَبِّرُونى أيُّها النَّاسُ إنَّمَا سألتُ ومَنْ يَسْأَلْ عن العِلمِ يَعْلَمِ[1]

سؤالَ امرئٍ لم يُغْفِلِ العِلمَ صدرُهُ وماالسائلُ الواعِي الأحاديثَ كالعَمِى[2]

وقيل لِدَغْفَلٍ[3] : أنَّى لك هذا العلم ؟ قال : لسانٌ سَئُولٌ ، وقلبٌ عقول[4] .

وقال النابغة :

فآبَ مُضِلوهُ بعينٍ جليَّةٍ وغُودِرَ بالجَوْلَانِ حَزْمٌ ونائلُ[5]

---

(١) ط ، س : « ومن يسأل من الناس يعلم »، وأثبت رواية ل والديوان ٧٥٩ . وصدره فى الديوان : « ألا يا اخبرونى » .

(٢) ط ، س : « لم يعقل »، تحريف ما أثبت من ل والديوان . وفى الديوان : « وما العالم الواعى » . والسؤال الذى عناه الفرزدق فى بيت بعد هذا . وهو :

ألا هل علمتم ميتا قبل غالب قرى مائة ضيفاً ولم يتكلم

غالب : أبو الفرزدق . مائة ضيفاً : أى مائة ضيف .

(٣) هو دغفل بن حنظلة النسابة الذى سبق ذكره فى ص ٢٠٩ . أدرك النبى ولم يسمع منه شيئاً ، ووفد على معاوية فسأله عن مسائل فأجابه ، وكان منها هذا السؤال . انظر أمثال الميدانى (٢ : ٢٧٣) ط ، س : « لرجل » . على أن الجاحظ فى البيان (١ : ٨٤) قد نسب القول إلى عبد الله بن عباس ، وعقب على ذلك بقوله : « وقد رووا هذا الكلام عن دغفل بن حنظلة العلامة . وعبد الله أولى به » . قلت : ونسبته إلى دغفل مذكورة فى عيون الأخبار (٢ : ١١٨) .

(٤) سئول : كثير السؤال . عقول ، شديد الفهم أو الحفظ .

(٥) بعين جلية : أى بخبر صادق وأنه مات . والجولان : موضع بالشام دفن فيه النعمان ابن الحارث بن أبى شمر الغسانى . غودر الحزم والنائل : أى دفن بدفن النعمان الحزم والعطاء .

مُضِلوه: دافنوه، على حدِّ قوله تعالى[1] : ﴿ أَءِذا ضَلَلْنَا فِى الْأَرْضِ ﴾

وقال المخبَّل :

أضلَّتْ بنو قيس بنِ سَعْدٍ عميدَهَا   وفارسَها فى الدَّهْرِ قيسَ بنَ عاصمِ

وقال زهيرٌ — أو غيره — فى سِنانِ بن أبى حارثة :

إن الرَّزيَّةَ لا رزِيَّةَ مثلها   ما تبتغى غطفانُ يومَ أضلَّتِ

ولذلك زعم [بعضُ النَّاس] أنَّ سِنانَ بنَ أبى حارثةَ خَرِفَ فذَهبَ على وجهه ، فلم يُوجَد .

(من هام عَلَى وجهه فلم يوجد)

ويزعمون أنَّ ثلاثَة نفَرٍ هامُوا على وُجوههم فلم يُوجَدُوا : طالب بن أبى طالب ، وسنان بن أبى حارثة[2] ، ومرداس بن أبى عامر .

وقال جرير :

وإنى لأستَحْيِي أخى أنْ أرى له   علىَّ من الفضلِ الذى لا يَرى ليا

١٥٤ وقال امرؤ القيس :

وهل يَعِمَنْ إلَّا خَلِيٌّ منَعَّمٌ   قليلُ الهمومِ ما يبيتُ بأوْجالِ[3]

وقال الأصمعى . هو كقولهم : « استرَاحَ مَنْ لا عَقْلَ له ! » .

وقال ابن أبى ربيعة[4] :

---

(١) ل : « على قوله » .

(٢) انظر الحيوان (٦ : ٢٠٩) والأغانى (٩ : ١٤٤) .

(٣) ل : « وهل ينعمن » . والأوجال : المخاوف .

(٤) انظر البيان (٣ : ٣١٨) .

وأعجبَهَا مِنْ عيشها ظِلُّ غرفةٍ ... وريَّانُ مُلْتفُّ الحدائق أخْضَرُ
ووالٍ كفاها كلَّ شيءٍ يَهُمُّها ... فليستْ لشيءٍ آخِرَ اللَّيلِ تسهَرُ[١]

باب

فى مديح الصَّالحين والفُقَهاء

قال ابنُ الخيَّاط[٢] ، يمدح مالك بنَ أنس :

يأبى الجوابَ فما يُرَاجَعُ هَيْبَةً ... والسائلونَ نَوَاكِسُ الأذْقَانِ
هَدىُ التقيِّ وعزَّ سلطانِ التُّقى ... فهو المطاعُ وليس ذا سُلْطانِ[٣]

وقال ابن الخياط[٢] فى بعضهم :

فتًى لم يجالس مالكاً منْذُ أنْ نَشَا ... ولم يقتبِسْ من علمه فهو جاهلُ

وقال آخر :

فأَنْتَ باللَّيل ذئبٌ لا حَرِيمَ له ... وبالنَّهارِ على سمْتِ ابن سِيرِين[٤]

وقال الخليل بن أحمد وذكروا[٥] عندَه الحظَّ والجِدَّ ، فقال : أمَّا الجِدُّ

---

(١) ط ، س : « الدهر » ، صوابه من ل والديوان والخزانة (٢ : ٤٢١ بولاق) .

(٢) اسمه عبد الله بن سالم المكى ، كما فى زهر الآداب (١ : ٦٩) . ط ، س : « أنس بن الخياط » . وفى الكامل ٤٠٩ ليبسك : « ابن الخياط المدينى » . فلعله مكى مدينى . والبيتان يرويان أيضاً لعبد الله بن المبارك ، فى العقد (١ : ٢٦٨) وزهر الآداب فى رواية . وانظر عيون الأخبار (١ : ٢٩٤) .

(٣) قال المبرد : « أراد : له هدى التقى » . وفى محاسن البيهقى (٣ : ١٢١) : « هذا التقى » . وانظر للبيت السابق الاستدراكات .

(٤) السمت : الطريق وهيئه أهل الخير . وأراد أن يقول ، « على ورع ابن سيرين » فلم يستقم له . هذا ما رأى الثعالبى فى ثمار القلوب ٧٠ . وانظر البيان (٣ : ١٧٣) .

(٥) س : « وذكر » . ط : « وكان » ، وهذه تحريف عجيب .

فلا أقول فيه شيئا ، وأمّا الحظُّ فأَخزَى اللهُ الحظَّ ؛ فإنَه يبلِّد الطالبَ إذا اتّكل عليه ويبعد[1] المطلوب إليه من مذمّةِ الطّالب .

وقال ابن شبرمة[2] :

لو شئت كنت كَكُرْز في تعبُّدِه ... أو كابنِ طارق حولَ البيت والحَرم

قد حالَ دونَ لذيذِ العَيش خوفهما ... وسارعَا في طلاب العزِّ والكرَم[3]

وقال آخر[4] يرثى الأصمعيّ :

لا دَرَّ دَرُّ خطوبِ الدّهرِ إذْ فجَعَتْ[5] ... بالأصمعيِّ لقدْ أبقتْ لنا أسَفَا

عِش ما بدا لك في الدُّنيا فلستَ ترى ... في الدَّهر منهُ ولا مِن عِلْمِهِ خَلَفا

وقال الحسنُ بن هانئ ، في مرثية خَلفٍ الأحمر :

١٥٥ لو كان حَيٌّ وائلاً من التَّلَف ... لوألتْ شغْوَاءُ في أعلى الشَّعف[6]

أمُّ فُريخٍ أحرزَتْه في لَجف[7] ... مُزَغَّبِ الألغادِ لم يأْكل بكفّ[8]

---

(١) ط ، س : « ويبعد » .

(٢) هو عبد الله بن شبرمة بن حسان القاضى ، كان قاضياً لأبي جعفر المنصور على سواد الكوفة وكان شاعراً ، حسن الخلق ، جواداً ، ولد سنة ٧٢ وتوفى سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب.

(٣) ل : « في طلاب الفوز » .

(٤) هو أبو العالية الحسن بن مالك الشامى ، كما في وفيات الأعيان (١ : ٢٩٠) وتاريخ بغداد ٥٥٧٦ .

(٥) ط : « إذا فجعت » ، تحريف .

(٦) ط : « لو كان حى » صوابه في ل ، س . وألت : نجت . ط ، س : « لواءلت » وهى صحيحة بمعنى الأولى . والشغواء : العقاب ، سميت بذلك لتعقف منقارها . ط ، س : « شعواء » ، صوابها في ل . والشعف : جمع شعفة بالتحريك ، وهى رأس الجبل . ط « في ذرى الشعف » .

(٧) يقول : لها فرخ حفظته في صخرة مشرفة على غار . كلمة « في » ساقطة من ل .

(٨) الألغاد : جمع لغد ، وهو هنا ظاهر لحم الحلق . ط : « الأكفاو » ل ، س : « الألفاد » ، وصوابه ما أثبت موافقا لما في ديوان أبي نواس ١٣٢ .

هاتيك أم عصماءُ   فى أعلَى الشّرَف[١]

تظلُّ فى الطُّبَّاق   والنَّزْعِ الألفْ[٢]

أودى جماعُ العِلمِ مُذ أودَى خلف   قلَيْذَمٌ من العيالم الُخسُف[٣]

وقال يرثيه فى كلمةٍ [له][٤] :

بتُّ أعزِّى الفؤادَ عن خَلفِ   وباتَ دمْعى إلّا يَفِض يَكِفِ[٥]

أنسى الرَّزايا مَيتٌ فجعتُ به   أضحَى رهينًا للتُّربِ فى جَدَفِ[٦]

كان يسنِّى برِفْقه غلَقُ الـ   ـأفهَامِ فى لا خرقٍ ولا عُنفِ[٧]

يجوبُ عنك التى عَشِيتَ لها   حَيْرَانَ، حتَّى يشفيكَ فى لُطفِ[٨]

---

(١) العصماء من الوعول : ما فى ذراعيها أو إحداهما بياض وسائرها أسود أو أحمر . والشرف : المكان المرتفع .

(٢) الطباق ، كرمان : شجر ينبت فى جبال مكة . والنزع : نبت . س: «والمنزع » ل: « والنذع » محرفتان . والألف : الملتف . ل : « الأقف » تحريف .

(٣) القليذم : البئر الغزيرة الكثيرة الماء . ط : « قلندم » س : « فلتدم » صوابه فى ل والديوان . والعيالم : جمع عيلم ، وهى البئر الواسعة الكثيرة الماء عنى أنه غزير العلم . وفى الديوان ومحاضرات الراغب (١ : ٤٩ ، ٢ : ٢٣٦) : « العياليم » . والخسف : جمع خسيفة ، وهى البئر حفرت فى حجارة ، فنبعت بماء غزير لاينقطع .

(٤) رثاه بها قبل موته ، وكان خلف أستاذه ، فعرضها عليه فاستجودها . وأنشدها أبا عبيدة فقال : ما أحسنها ! وطوبى لمن يرثى بمثلها ! فقال : مت راشداً وعلىّ أن أرثيك بخير منها .

(٥) وكف الدمع : قطر . ط ، س : « أن لا يغض » ، صوابه فى ل والديوان .

(٦) الجدف : الجدث ، وهو القبر . ل: « رهين التراب » .

(٧) يسنى : يفتح . والغلق : ما يغلق به الباب . ط : « كما ينسى برفقه خلق » كما البيت محرف بالديوان .

(٨) يجوب : من جاب الرجل المفازة : قطعها . عشى : لم يبصر . ل والديوان : « من قبل » موضع « حيران » .

لا يَهِمُ الحاء فى القراءة بالخا ء ولا لا مَها مع الألف[١]
ولا مضلًّا سُبْلَ الكلامِ ولا يكون إسناده عن الصُّحُفِ[٢]
وكان مِمَّن مضى لنا خَلَفا فليسَ إذْ مات عنهُ مِن خلفِ[٣]

وقال آخر فى ابن شبرُمة[٤] .

إذا سأَلتَ النَاسَ أينَ المكرمَهْ والعزُّ والجُرثومةُ المقدَّمَهْ[٥]
وأينَ فاروقُ الأُمورِ المحكمه[٦] تتابَعَ النَّاسُ على ابن شُبرُمَهْ

(شعر مختار)

وقال ابن عرفطة :

ليَهنِيكَ بُغْضٌ للصَّديق وظِنَّةٌ وتحديثُك الشَّيْءَ الذى أنتَ كاذبُه[٧]
[وَأَنَّكَ مشنوءٌ إلى كلِّ صاحبٍ بَلاكَ ، ومثلُ الشرِّ يكره جانبُهْ]
وإنَّك مِهْدَاءُ الخنا نَطِف النَّثَا شديدالسِّبابِ رافعُ الصَّوتِ غالبُه[٨]

---

(١) كذا، فى ط ، س ، والديوان ، وأخبار أبى نواس ٢٧ : « يهم » من الوهم ، وفى ل : « يهمز » .
(٢) كانوا يقولون : « لا تأخذوا العلم من صحفى » . ط ، س : « على الصحف » ورواية الديوان وأخبار أبى نواس :
ولا يعمى معنى الكلام ولا يكون إنشاده عن الصحف
(٣) ط ، س : « وكان فيما مضى لنا خلف » ، وصوابه فى ل والديوان والأخبار .
(٤) سبقت ترجمته فى التنبيه الثانى من ص ٤٩٢ .
(٥) الجرثومة : الأصل .
(٦) الفاروق : الذى يفرق ويفصل .
(٧) ل : « ليهنك بعض فى الصديق » . وانظر القول فى الشعر وشرحه ص ١٠٢ — ١٠٣ .
(٨) ط ، س : « وأنك مهدى الخنا نطف الحشا » ، تحريف صوابه فى ل . وانظر ١٠٣ .

وقال النّابغة الجعدىّ :

أبَى لِى البَلاءُ وأنِّى امروٌ إذا ما تَبيَّنتُ لَمْ أرْتب

وليس يريد أنّه فى حال تبيُّنُه[1] غيرَ مُرتاب ، وإنّما يعنى أنّ بصيرتَه لا تتغيّر .

وقال ابنُ الجَهم ، ذات يوم : أنا لا أشكُّ[2] ! قال له المكىّ : وأنا لا أكاد أوقن !

وقال طرَفة :

وكرِّى إذا نادى المُضافُ مُحَنّبا كسيد الغَضَى فى الطَّخْية المتوَرِّدِ[3]

وتقصيرُ يَوم الدَّجنِ والدّجنَ معجِب ببَهكنةٍ تحتَ الخِباءِ الممَدَّدِ[4]

أرى قبرَ نحّامٍ بخيلٍ بماله كقَبْرِ غَوِىٍّ فى البَطَالةِ مُفْسِدِ ١٥٦

لَعمرُك إنّ الموتَ ما أخطأَ الفتَى لكالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْياه باليَد[5]

أرى الموتَ أعداد النُّفوسِ ولا أرَى بعيدًا غدًا ، ما أقرَبَ اليومَ من غد

---

(١) ط ، س : « بيانه » ، تحريف ما فى ل .

(٢) ل : « أنا أكاد أشك » .

(٣) المضاف : الذى أضافته الهموم . والمحنب : فرس محدودب الذراع قليلا . س : « مجنبا » تحريف . والسيد : الذئب . والغضى : شجر . والطخية : الظلمة . والمتورد : الذى يطلب أن يرد الماء . ل : « كسيد الغضا نبهته » .

(٤) البهكنة : المرأة التامة الخلق . ط ، س : « ببكهنة » ، محرف . ل : « الخباء المعمد » أى ذى العمد .

(٥) الطول : الحبل . وثنياه : طرفاه . س : « لكالطول المرجى » تحريف .

وظلْمُ ذَوِى القُربَى أشدُّ مضاضة ⁂ على المرْءِ من وقع الحسامِ المهنَّد[١]

وفى كثْرة الأيدى عن الظلم زاجرٌ ⁂ إذا خطرَتْ أيدى الرِّجالِ بمشهد[٢]

باب

القول فى الجعلان والخنافس[٣]

وسنقولُ فى هذه[٤] المحقرات من حشرات الأرض ، وفى المذكور من بغاث الطَّير وخشاشه ، مِمَّا يقتات العذِرَة ويُوصفَ باللؤم[٥] ، ويُتَقَزَّزُ من لمسه[٦] وأكلِ لحمِه ؛ كالخنفساء والجُعَل ، والهَدَاهِدِ[٧] والرَّخَم ؛ فإنَّ هذه الأجناس أَطلَبُ للعذرة من الخنازير .

فأوَّل ما نَذْكُرُ من أعاجيبها صداقةُ ما بين الخنافس والعقارب ، وصداقةَ ما بين الحيّات والوزَغ .

وتزعُم[٨] الأعرابُ أنْ بين ذكورةِ الخنافس وإناث الجعلان تسافدًا[٩] وأنهما ينتجان خلْقا ينزع إليهما جميعا .

---

(١) قيل إن هذا البيت لعدى بن زيد وليس لطرفة . التبريزى .

(٢) لم يروه التبريزى ولا الزوزنى . ووجدته فى محاضرات الراغب (١ : ١٣٣) وحماسة البحترى ١٥٤ منسوبا إلى عدى بن زيد العبادى . ط ، س : « على الظلم » . خطرت : تحركت واهتزت . ط ، س : « حضرت » وليس بشىء . والمشهد : محضر الناس .

(٣) ل : « القول فى المحقرات من حشرات الأرض » .

(٤) ط ، س : « باب » .

(٥) ط : « يقتات » و « يوصف » .

(٦) ط ، س : « يتقذر بلمسه » .

(٧) الهداهد بالفتح : جمع هدهد . وبالضم : لغة فى الهدهد . ل : « الهدهد » .

(٨) ط ، س : « وزعم » .

(٩) ط ، س : « وذكورة الجعلان تسافد » ، وصوابه فى ل .

وأَنشد خُشْنَامُ[1] الأعور [النحْوِىُّ] عن سيبويه النَّحوىّ ، عن بعض الأعراب فى هِجَائِهِ عدوًّا له كان شديدَ السَّواد :

عاديتَنا يا خُنْفسا كام جُعَلْ[2] عداوةَ الأوعالِ حيَّاتِ الجَبَلْ

من كلِّ عَوْدٍ مُرهَفِ النّابِ عُتُلْ[3] يَخْرِقُ إنْ مسّ وإنْ شَمَّ قَتَلْ[4]

ويُثبت أَكلَ الأوعالِ للحيَّـات الشِّعرُ المشهور ، الذى فى أيدى أصحابنا ، وهو :

عَلَّ زيـدًا أن يُلاقى مَرَّةً فى التماسٍ بعضَ حيَّاتِ الجَبَلْ[5]

غاير العينينِ مَفْطوح القَفا ليس مِن حيّات حُجْرٍ والقلل[6]

يتوارَى فى صُـدوعٍ مَرَّةً رَبِذُ الخطْفةِ كالقِدحِ المُؤَلْ[7]

وترى السمّ على أشـداقِه كشعاعِ الشَّمْسِ لاحَتْ فى طَفَلْ[8]

طرد الأرْوَى فما تقربُهُ ونَفَى الحيَّاتِ عن بيضِ الحَجَلْ

(١) ط ، س : « حسام » .

(٢) كامها : سفدها . ط ، س : « أم الجعل » محرف .

(٣) العود ، بالفتح ، أصله المسن من الجمال . والعتل : الشديد . وعنى به الحية .

(٤) مثله قول يحيى بن أبى حفصة فى الحية — والحية تذكر وتؤنث فتقول : هى الحية ، وهو الحية — :

أصم ما شم من خضراء أيبسها أو مس منحجر أو هاه فانصدعا

وانظر الحيوان (٢ : ١٣٧ — ١٣٨) . ل : « يحرق » بالحاء .

(٥) ط ، س : « فى التماسى » ، صوابه فى ل .

(٦) مفطوح : عريض . ط ، س : « مقطوع » تحريف . ل : « والغلل » .

(٧) الربذ : السريع . ل : « وترى » ط ، س : « وبذى » ، والوجه فيهما ما أثبت . والقدح أراد به السهم . والمؤل : أصله المؤلل ، وهو المحدد .

(٨) ط : « وترى السهم » ، صوابه فى ل ، س . والطفل ، بالتحريك : الغروب .

وإنّما ذكر الأروى من بين جميع ما يسكن الجبالَ من أصناف الوحش ، لأنَّ الأرْوَى من بينها تأكُلُ الحيّات ؛ للعداوة التى بينها وبين الحيّات .

(استطراد لغوى)

١٥٧ والأرْوَى : إناث الأوعال ، واحدتها أُروّية . والناسُ يُسمُّون بناتِهم باسم الجماعة ، ولا يسمُّون البنتَ الواحدةَ باسم الواحدة منها : لا يسمُّون بأرويَّة ، ويسمُّون بأرْوَى . وقال شمّاخ بن ضِرَار :

فما أرْوَى وإنْ كَرُمَتْ علينا ... بأدنَى من مُوَقَّفةٍ حَرُون[1]

وأنشد[2] أبو زَيدٍ فى جماعة الأورِيّة :

فمالكِ من أرْوى ، تعاديت بالعَمَى ... ولا قَيتِ كلاباً مُطِلاًّ ورَاميا[3]

يقال : تعادى القومُ وتفاقَدُوا : إذا مات بعضُهم على إثْرِ بعض .

وقالت فى ذلك ضُباعةُ بنتَ قُرْط[4] ، فى مرثية زوجِها هشام ابن المغيرة :

---

(١) الموقفة : الأروية التى فى قوائمها خطوط كأنها الخلاخيل . والوقف : الخلخال . والحرون : التى لاتبرح أعلى الجبل . يقول : ليست هذه المرأة بأقرب منالا من هذه الأروية الصعبة المنال .

(٢) ط ، س : « وقال » ، وصوابه فى ل .

(٣) ل : « تداعيت » تحريف يخالف السياق. والبيت فى اللسان (عدا) . والكلاب : الصائد بالكلاب . والمطل : من قولهم أطل فلان على فلان بالأذى ، إذا دام على إيذائه . س : « مظلا » .

(٤) هى ضباعة بنت عامر بن قرط ، كان تزوجها عبد الله بن جدعان فى الجاهلية ، ثم طلقها وتزوجها هشام بن المغيرة ، فلما مات أسلمت وهاجرت ، وخطبها الرسول ثم بدا له فتركها . انظر الإصابة . ٦٧٠ قسم النساء .

إنَّ أبا عثمانَ لم أنسَه   وإنَّ صمتاً عن بُكاهُ لَحُوبُ[١]
تفاقَدُوا من معشرٍ ما لهمْ   أىُّ ذَنوبٍ صَوَّبُوا فى القَليب[٢]

(طلب الحيَّات البيض)

وأما قوله :

* وَنَفَى الحَيَّاتِ عَنْ بَيْضِ الحجَل *

فإنَّ الحيَّات تطلبُ بَيضَ كلِّ طائرٍ وفِراخَه . وبيضُ كلِّ طائرٍ ممَّا يبيض على الأرض أحبُّ إليها . فما[٣] أعرفُ لذلك عِلَّةً إلَّا سهولةَ المطْلَب .

والأيائِل تأكل الحيَّاتِ ، والخنازيرُ تأْكل الحيَّاتِ وتعاديها .

(عداوة الحمار للغراب)

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ بينَ الحمارِ والغراب عداوة . وأنشدنى بعضُ النحويِّين[٤] :

عاديتنَا لا زِلْتَ فى تَبابِ   عَداوَةَ الحِمَارِ للغُرابِ

---

(١) ط : « صمتى » ، وأثبت ما فى ل ، س والعمدة (١ : ١٨٨) . والحوب ، بالضم : الإثم . وفى الكتاب : « إنه كان حوبا كبيراً » . ل : « لجوب » تحريف .

(٢) الذنوب ، بالفتح : الدلو العظيمة . والقليب : البئر . إن أطلق الروى بالتحريك كان فى الشعر إقواء ، وإن قيد بالإسكان امتنع الإقواء .

(٣) ل : « ولا » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وأنشدنى » . وانظر ما سبق فى ص ٤٥٨ .

وأنشد ابنُ ابى كريمةَ لبعض الشُّعراء فى صريع الغوانى :

فما ريحُ السَّذَابِ أشَدُّ بُغْضاً   إلى الحيَّاتِ مِنْكَ إلى الغَوَانِى[١]

(أمثـال)

ويقال : « ألجُّ من الخنفساء » ،و «أفحَشُ من فاسية» ، وهى الخنفساء و « أفحش من فَالية الأفاعى[٢] » .

والفساء يُوصف به ضربانِ من الخَلْق : الخنفساء ، والظَّرِبان .

وفى لجاج الخنفساء يقولُ خَلفٌ الأحمر[٣] :

لَنا صاحِبٌ مُولَعٌ بالخلافِ   كثِيرُ الخطاءِ قَليلُ الصَّوابِ[٤]

ألجُّ لجاجاً من الخنفَسَاء   وأزْهى إذا مَامَشَى مِنْ غرابِ[٥]

(طول ذَماء الخنفساء)

وقال الرقاشي : ذكرت صبر الخنزير على نفوذ السهام فى جنبه[٦] ، فقال لى أعرابىٌّ : الخنفساء أصبر منه ، ولقد رأيت صبيًّا من صبيانكم البارحة

---

(١) ط ، س : « منه إلى الغوانى » ،وأثبت ما فى ل . وانظر ص ٤٥٩ .

(٢) فالية الأفاعى : ضرب من الخنافس رقط تألف الحيات والعقارب فى جحرة الضب.

(٣) يهجو العتبى ، كما فى الدميرى . وللعتبى ترجمة فى (١ : ٥٣ — ٥٤) . وفى معجم الأدباء (١٦ : ١٦١) أنهما فى هجاء أبى العيناء . وبعدهما هناك بيتان آخران .

(٤) الخطاء : الخطأ .

(٥) أعاد إنشاده فى (٦ : ٤٦٩) .

(٦) ل : « جنبيه » .

وأخذَ شوكةً وجعل فى رأسها فَتيلةً ، ثمَّ أوقد فيها ناراً[١] ، ثمَّ غرزَها فى ظهر الخنفساء ، حتَّى أنفذ[٢] الشَّوْكة . فغبَرْنَا ليلتَنا[٣] وإنَّها لَتجولُ فى الدَّارِ وتُصْبِح[٤] لنا . و [اللهِ] إنِّى لأظنُّها كانتْ مُقْرِباً[٥] ؛ لانتفاخ بطنها ١٥٨

(استطراد لغوى)

قال : وقال القَنَانىُّ[٦] : العَوَاساء : الحامل من الخنافس ، وأنشد :

* بَـكْرًا عواساءَ تَفاسَا مُقْرِبا[٧] *

---

(١) ط ، س : « أوقدها نارا » .

(٢) س : « أبعد » .

(٣) غبر : مكث . ط ، س : « فعبرنا » ، ووجهه من ل .

(٤) تصبح : تضيء . وانظر ماسيأتى فى ص ٥٠٨ .

(٥) المقرب : الحامل التى دنا ولادها .

(٦) القنانى هذا هو أستاذ الفراء ، كما فى معجم البلدان (قنان) . وله ذكر فى اللسان (نبل ١٦٣) ، وهو بفتح القاف بعدها نون مفتوحة . ط ، س : « العتابى » وهو كلثوم ابن عمرو العتابى المترجم فى (٢ : ٢٩٦) ، وصوابه ما أثبت من ل ؛ لمطابقته لما فى المخصص (٢ : ١٨) والمقصور ٧٨ والغريب المصنف ١٥٧ ؛ ٢٤٤ فى كل منها : « وأنشد القنانى » .

(٧) العواساء ، بالفتح : الحامل من الخنافس . تفاسا : أصلها تتفاسأ ، أى تخرج ظهرها . وروى : « تفاسى » أصلها تتفاسى ، كما فى اللسان (عوس ، فسى) والمقصور لابن ولاد ، أى تخرج هنها . وروى : « تبازى » أصلها تتبازى ، كما فى المخصص ، أى تخرج عجيزتها . ط : « قماسا » س : « نفاسا » ، صوابهما فى ل .

(أعاجيب الجعل)

قال : ومن أعاجيب الجعل[١] أنَّه يموت من ريح الوَرد ، ويعيشُ إذا أعيد إلى الرَّوث . ويضرَب بشدَّة سوادِ لونِه المثل . قال الرَّاجزُ وهو يصفُ أسودَ سالخا[٢] :

مُهَرَّت الأشداق عَود قد كَمَلْ[٣] كأنَّما قُمِّصَ من لِيطِ جُعَلْ[٤]

والجُعَل يظَلُّ دهراً لا جَناحَ له ، ثم ينبت له جناحان ، كالنمل الذى يَغْبُر دهْرا لا جناح له ، ثم ينْبت له جناحان ، وذلك عند هَلَكتِه[٥] .

(الدعاميص)

والدّعاميص[٦] قد تغبُر حيناً بلا أجنِحة ، ثم تصير فراشاً وبَعوضاً . وليس كذلك الجراد والذِّبَّان ؛ لأنَّ أجنحتَها تنبتُ على مقدار من العمر ومرور من الأيام[٧] .

---

(١) ط ، س : « ومن أول أعاجيب الجعل » .

(٢) الأسود : الحية العظيمة . والسالخ : الذى يسلخ جلده ، وذلك يكون فى كل عام .

(٣) مهرت الأشداق : واسعها . ط ، س : « منهرت الشدقين » ، وهى رواية البيان (٣ : ٢٢٥) .

(٤) قمص : ألبس قيصاً . والليط ، بالكسر : قشر الجعل . ط ، س : « قصص » صوابه فى ل والبيان .

(٥) ل : « علامة هلكته » . و « زمانا » مكان « دهراً » المتقدمة . والكلام من « كالنمل » إلى « جناحان » ساقط من س .

(٦) الدعموص : خلق يكون فى الماء ثم يستحيل بعوضاً وفراشا .

(٧) كلمة « من » ساقطة من ل .

وزعم ثمامة ، عن يحيى بن خالد : أنَّ البرغوث[1] قد يستحيلُ بعوضة .

(عادة الجعل)

والجعل يحرسُ النّيام ، فكلما قام منهمْ قائمٌ فمضى لحاجته تبِعه ، طمعاً فى أنّه إنّما يريد الغائط. وأنشد بعضهم قول الشاعر[2] :

يبيتُ فى مجلس الأقوامِ يرْبؤُهم كأنّه شرطىٌّ باتَ فى حَرَسِ[3]

وأنشد بعضهم[4] لبعض الأعراب فى هجائه رجلًا بالفسولة ، وبكثرة الأكل ، وبعِظَم حَجْمِ النَّجو :

حتَّى إذا أضْحَى تدرَّى واكتَحَلْ[5]

لجارَتيــه ثمَّ وَلَّى فنَثَلْ[6]

* رِزْقَ الأُنَوقَيْنِ القَرَنْبَى وَالُجعَلْ[7] *

---

(١) ل : « أنه زعم أن البرغوث » .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وأنشد لبعضهم » .

(٣) يربؤهم : يرقبهم ، أو يكون لهم ربيئة أى عينا . ط ، س : « فى منزل » ، وأثبت ما فى ل وما سبق فى (١ : ٢٣٦) .

(٤) ط ، س : « وأنشدوا » .

(٥) تدرى : سرح شعره . ط : « تلدى » ، صوابه فى ل ، س . وفى ط : « ثم إذا أضحى » . وسبق الرجز فى (١ : ٢٣٥) .

(٦) نثل : أصله للفرس ، يقال نثل : راث . وفى الأصل : « نشل » ، وتصحيحه من الجزء الأول .

(٧) ل : « روق » ، صوابه فى ط ، س . وقد سبق فى الجزء الأول : « ذرق » وما هنا صوابه .

سَمِى القَرَنبى والُجعل – إذ كانا يقتاتان الزِّبْل – أَنُوقين[١] . والأنوق : الرَّخمة ، وهى [أحد ما] يقتات[٢] العَذرة . وقال الأعشى :

يا رَخَماً ، قاظَ على يَنْخوب[٣] يُعْجِلُ كفَّ الخارئ الُمطِيبِ

المطيب : الذى يستطيب[٤] بالحجارة ، أى يَتَمَسَّح[٥] بها . وهم يسمُّون بالأنوق كلَّ شىء يقتات النّجْو والزِّبل ، إلَّا أنَّ ذلك على التشبيه لها بالرّخم فى هذا المعنى [وحدَهُ] . وقال آخر :

يا أيهذا النّابحى نَبْحَ القَبَلْ[٦] يدعُو علىَّ كلما قام يُصَلّْ

رافعَ كفَّيهِ كما يفرى الُجعَلْ[٧] وقد ملأتُ بطْنَهُ حتى أتل

* غيظاً فأمسى ضغْنُه قد اعْتدل *

والقَبَل : ما أقبل عَليكَ من الجبل . وقوله أتَلَ ، أى امتلأ [عليك] غَيْظا فقصَّر فى مِشيتِه . وقال الجعدىّ :

١٥٩ منَعَ الغدرَ فلم أهمُمْ به وأخُو الغَدْر إذا هَمَّ فعَلْ

خشيةُ اللهِ وأنِّى رجلٌ إنما ذكرى كنار بقَبَلْ[٨]

---

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) كذا فى ل . وفى س : « وهى مايقتات » ط : « وهى تقتات ».

(٣) قاظ بالمكان : أقام به صيفا . وينخوب : موضع ، ذكره ياقوت ، وأنشد البيت . والرواية المعروفة : « مطلوب » كما فى اللسان (طيب ، قاظ) والدميرى وأمثال الميدانى (٢ : ٢٥٠) ، وهو اسم جبل . ط ، س : « منجوب » تحريف مافى ل .

(٤) ط ، س : « يتطيب » ، صوابه فى ل .

(٥) ط : « يتطيب » ، وليست صحيحة . س : « يمسح » ، وأثبت مافى ل .

(٦) القبل : الجبل يستقبلك . أى كن ينبح الجبل . ط ، س : « المانحى نبح » صوابه فى ل ، واللسان (قبل) ونوادر أبى زيد ٤٩ .

(٧) يفرى ، بالفاء : يصنع . ط ، س : « يقرى » صوابه فى ل والنوادر .

(٨) ل : « نار بقبل » ، أراد أنه معروف مشهور .

وقال الرَّاجز — وهو يهجو بعضهم بالفُسولة ، وبكثْرة الأكل، وعِظَم[1] حجْمِ النَّجْو — :

* باتَ يعشِّى وَحْدَه ألْفى جُعَل[2] *

وقال عنترة :

إذا لاقيتَ جمعَ بنى أبان فإنِّى لائمٌ للجعْدِ لاحِى
كسوتُ الجَعْدَ جَعْدَ بنى أبان رِدائى بعد عُرْىٍ وافتضاحِ[3]

ثم شبَّهه بالجعل فقال :

كأنَّ مؤشَّرَ العَضدَيْنِ جَحْلا هدُوجا بينَ أقلبةٍ مِلاحِ[4]
تضمنَ نعمتى فغدا عليها بُكورًا أو تهجَّر فى الرَّواحِ

وقال الشمَّاخ :

وإن يُلقِيَا شأْوًا بأرْضٍ هَوَى له مُفرَّضُ أطراف الذِّرَاعَينِ أفلجُ[5]

---

(١) س : « وبعظم » .

(٢) قبله كما سبق فى (١ : ٢٣٦) :

* إذا أتوه بطعام وأكل *

(٣) الرداء : هنا السيف ، وكان الرجل إذا قتل رجلا مشهوراً وضع سيفه عليه ليعرف قاتله . فن ذلك ماسمى السيف رداء ، وفى ذلك يقول متمم :

لقد كفن المنهال تحت ردائه فتى غير مبطان العشيات ، أروعا

والرواية فى ديوان عنترة : « سلاحى » . وكان عنترة أعار الجعد سلاحا فأمسكه الجعد ولم يرده إليه . ط : « بعد عراى وافتضاحى » . وصوابه فى ل ، س والديوان ٥٤ . والمراد : بعد عرى الجعد وافتضاحه .

(٤) مؤشر : مرقق . والجحل بتقديم الجيم : العظيم من الجعلان . ط ، س : والديوان، واللسان (أشر) : « حجلا » صوابه فى ل واللسان (جحل، قلب) والمخصص (١٧ : ٣٥) . والهدوج : الذى يمشى رويدا فى ضعف . ط ، س : « عروجا » صوابه ما أثبت من جميع المصادر السابقة . والأقلبة : الآبار ، جمع قليب . ملاح : جمع ملح : ذى ملوحة .

(٥) يلقيا : من الإلقاء . والضمير عائد إلى عير وأتانه . انظر ديوان الشماخ =

(استطراد لغوى)

والشأو هاهنا : الرَّوث ؛ كأنّه كثر [ه] حتّى ألحقَه بالشأوِ الذى يخرج من البئر ؛ كما يقول أحدهم إذا أراد أن يُنْقِى البئر : أخرِجْ من تلك البئر شأْوًا أو شأْوين ، يعنى من التراب الذى قد سقَط فيها ، وهو شىءٌ كهيئة الزَّبِيل(١) الصَّغير .

والشأو : الطِّلْق(٢) . والشأو : الفَوْت(٣) .

والمفرّض الأفلج(٤) الذى عنى ، هو الجعل ؛ لأنَّ الجعلَ فى قوائمه تحزيز ، وفيها تَفْريج(٥) .

= (١٢ - ١٦) . ط ، س : « تلفيا » صوابه فى ل والديوان . والمفرض : المحزز . س : « معرض » ط : « معرف » ، صوابه فى ل والديوان واللسان (فرض) . والأفلج : البعيد مابين القوائم . ط ، س : « أفلح » بالحاء ، وهو تحريف مافى ل والديوان . والبيت من قصيدة جيمية مطلعها :

ألا ناديا أظعان ليلى تعرج فقد هجن شوقاً ليته لم يهيج

وفى البيت كما ترى إقواء ، إذ رويها الجيم المكسورة .

(١) كذا فى ل ، س . وفى ط : « الزنبيل » وهما صحيحتان ، يقال زبيل ، وزبيل كسكين ، وزنبيل وزنبيل بكسر الزاى أو فتحها ، وهى القفة أو الجراب .

(٢) الطلق ، بالكسر وبالتحريك : الشوط ، تقول : عدا طلقا أو طلقين .

(٣) الفوت ، بالفتح : السبق . شأآه : سبقه . ط ، س : « القوت » صوابه فى ل .

(٤) ط ، س : « المعرض الأفلح » ، صوابه فى ل . وانظر أوائل الشرح من هذه الصفحة .

(٥) ط ، س : « تعريج » ، تصحيحه من ل .

(معرفة فى الجعل)

وللجعل جناحان لايكادان يُرَيانِ إلّا عند الطَّيران ، لشدَّةِ سوادهما ، وشبَهِهما بجلده ، ولشِدَّة[1] تمكُّنهما فى ظهره .

قال الشاعر ، حيثُ عدَّدَ الخوَنَة ، وحثَّ الأميرَ[2] على محاسبتهم :

واشدُدْ يديكَ بزيْدٍ إن ظفِرْتَ به

واشْفِ الأراملَ من دُحروجة الجُعلِ

والجعل لايدحرج إلاّ جعرًا[3] يابساً ، أو بعرة .

وقال سعد بن طريف[4] ، يهجو بلالَ بنَ رَباح مولى أبى بكر[5] :

وذاكَ أسودُ نوبىٌّ له ذَفَرٌ كأنّه جُعَلٌ يمشى بِقِرْواحِ[6]

وسنذكر شأنَه وشأن بلالٍ فى موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

---

(١) ط ، س : « وشدة » .

(٢) ط ، س : « الأمين » .

(٣) الجعر ، بالفتح : النجو . ط ، س : « بعرا » .

(٤) سعد بن طريف : صحابى ، ترجم له فى الإصابة ٣١٦٣ . ل : « سعد بن مطر » ، صوابه فى ط ، س .

(٥) هو بلال بن رباح الحبشى ، المؤذن ، كان أبو بكر اشتراه إنقاذاً له من عذاب سيده المشرك ، ثم أعتقه فلزم الرسول وأذن له وشهد معه جميع المشاهد . مات سنة عشرين . ط ، س : « بنى بكر » ، صوابه فى ل .

(٦) الذفر ، بالتحريك : خبث رائحة الإبط . ط : « زفر » س : « ظفر » صوابه فى ل . والقرواح ، بالكسر : الفضاء من الأرض .

(أبو الخنافس وأبو العقارب)

وكان بالكوفة رجلٌ من ولد عبد الجبَّار بن وائل بن حُجْر الحضرمىّ[١] يكنى أبا الخنافس راضياً بذلك[٢] ، ولم تكن الكنية لقبا ولا نَبَزًا ، وكان من الفُقَهاء ، وله هيئةٌ ورُواءٌ . وسأَلتُه[٣] : هل كان فى آبائه من يكنى أبا الخنافس؟ ١٦٠ فإنَّ أبا العقارب[٤] فى آل سلم مولى[٥] بنى العباس كثيرٌ على اتّباع أثر . وكان أبو الخنافس هذا اكتنى به ابتداءً .

(طول ذَماء الخنفساء)

وقال لى [أبو] الفضل العنبرىّ : يقولون : الضَّبُّ[٦] أطول شىءٍ ذَماء ، والخنفساء[٧] أطولُ منه ذَماء ؛ وذلك أنّه يُغرَز فى ظهرها شوكةٌ ثاقِبة[٨] ، وفيها ذُبالةٌ تستوقدُ وتُصْبِحُ[٩] لأهل الدَّار ، وهى تدِبُّ بها

---

(١) عبد الجبار ، ذكره ابن حجر فى الإصابة فى أثناء ترجمته لوالده : (وائل بن حجر بضم الحاء ـــ الحضرمى المتوفى فى خلافة معاوية) ، ولم يذكره بشىء سوى أنه روى هو وأخوه علقمة عن أبيهما وائل . الإصابة ٩١٠١ .

(٢) ل : « وهو راض بكنيته » .

(٣) ل : « وسألت » .

(٤) ل : « أبا العقاب » ، تحريف .

(٥) س : « موالى » .

(٦) ط ، س : « للضب » .

(٧) ط ، س : « والخنافس » .

(٨) ل : « نافذة » .

(٩) تصبح : تنير . وانظر ص ٥٠١ .

وتجول ! وربَّما كانت فى تضاعيف حبل قَتٍّ ، أو فى بعض الحشيش والعُشب والخَلا ، فتصيرُ فى فم الجمل فيبتلعها من غير أن يَضْغَمَ الخنفساء[١] ، فإذا وصلت إلى جوفه وهى حيَّةٌ جالت فيه ، فلا تموت حتَّى تقتله .

فأصحاب الإبل يتعاورون تلك الأوارىَّ[٢] والعُلوفاتِ ؛ خوفاً من الخنافس .

(هجاء جواس لحسَّان بن بحدل)

وقال جَوَّاس بن القَعْطل[٣] فى حسَّان بن بَحْدَل[٤] :

هل يُهلكنِّى لا أبالكم ... دَنِسُ الثياب كطابخِ القِدْرِ[٥]

جُعَلٌ تمطَّى فى عَمَايته ... زَمِرُ المروءةِ ناقصُ الشِّبْرِ[٦]

لزَبابَةٍ سوداء حنظلةٍ ... والعاجزِ التَّدبيرِ كالوَبْرِ[٧]

---

(١) ضغم يضغم ، من باب منع : عض .

(٢) الأوارى : جمع آرى ، وهو محبس الدابة . ل : « الأوانى » تحريف . وفيها : « يتعهدون » مكان « يتعاورون » .

(٣) هو جواس بن القعطل بن سويد بن الحارث الكلبى ، وله شعر فى وقعة مرج راهط سبق بعضه فى ص ٤٢٢ . ط ، س : « حواس » ط : « ابن المتعطل » ل ، س : « المقعطل » صوابه ما أثبت من المؤتلف ٧٤ والأغانى (١٧ : ١١٢) والقاموس فى مادتى (جوس ، قعطل) . وانظر اشتقاق الاسم فى شرح التبريزى للحماسة (٤ : ٣٣) .

(٤) ط : « بجدل » س : « نحدل » وصوابه فى ل . وكان حسان بن بحدل أحد ولاة بنى أمية على فلسطين والأردن . ولما جاءت بيعة مروان بن الحكم سنة ٦٤ ، امتنع عنها وأراد عقدها لخالد بن يزيد بن معاوية . وكان هوى كلب مع مروان بن الحكم .

(٥) ل : « لا أبا لأبيكم » ، تحريف يفسد الوزن . وانظر (٦ : ٣٦٩) .

(٦) العماية ، بالفتح : الضلال والجهالة . ل : « عبايته » . زمر المروءة : ضعيفها . والشبر ، بالفتح : القد ، والعطاء .

(٧) الزبابة : ضرب من الفأر ، يشبه بها الجاهل ، كما فى اللسان والدميرى . يقول : =

فأَمَّا الهجاءُ والمدح ، ومفاخرة السُّودان [و] الحمران ، فإنَّ ذلك كلّه مجموعٌ (فى كتاب الهجَناء والصُّرَحاء) .

و [قد] قدَّمنا فى صدر هذا الكتاب جملةً فى القول فى الجِعْلانِ وغيرِ ذلك من الأجناس اللئيمة والمستقْذَرة ، فى باب النَّتن والطِّيب ، فكرهنا إعادته فى هذا الموضع [١] .

باب
القول فى الهدهد

وأما القول فى الهدهد ، فإنَّ العربَ والأعرابَ كانوا يزعمون أنَّ القَنزعةَ التى على رأسه ثوابٌ من الله تعالى على ما كان من بِرِّه لأُمِّه ! لأنَّ أمَّه لما ماتتْ جَعل قبرَها على رأسه ، فهذه القنزعة عوضٌ عن تلك الوَهْدة .

والهدهد طائرٌ مُنتن الرِّيحِ والبدَن ، من جوهره وذاته ؛ فربَّ شىءٍ يكونُ مُنتِنا من نفسه ، من غيرِ عرَض يعرِضُ له [٢] ، كالتيوس والحيَّاتِ وغير ذلك من أجناس الحيوان .

فأَمَّا الأَعراب فيجعلون ذلك النَّتْنَ شيئاً خامرَه بسبب [٣] تلك الجيفةِ

= أمه كأنها زبابة : دويبة على قدر السنور غبراء حسنة العينين شديدة الحياء . وقد جعل أباه كالوبر تحقيراً له . ومنه قول أبان بن سعيد بن العاص : « واعجبا لوبر تدلى علينا من قدوم ضأن ! » . قدوم ضأن : موضع . ط : « الوبر » وصوابه من ل ، س .

(١) بعد هذا فى ط ، س : « والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب » .

(٢) ل : « من عرض » ، صوابه فى ط ، س .

(٣) ط ، س . « لسبب » .

التي كانت مدفونةً في رأسه . وقد قال في ذلك أميَّة أو غيرُه[١] من شعرائهم :

فأمَّا أميَّة فهو الذي يقول :

تَعَلَّمْ بِأَنَّ اللهَ ليس كصُنْعِهِ	صَنيعٌ ولا يَخْفَى على اللهِ مُلحِدُ[٢]	١٦١
وبكلِّ منكرةٍ لهُ مَعْرُوفةٌ	أخرى عَلَى عينٍ بما يتعمَّدُ[٣]	
جُدُدٌ وتوشيمٍ ورسمُ علامـةٍ	وخزائنٌ مفتوحةٌ لا تنفدُ[٤]	
عمن أراد بهـا وجاب عيانَه	لا يستقيم لخالق يتزيَّد[٥]	
غيم وظلماء وغيث سَحابةٍ	أزْمانَ كفَّنَ واستَرَادَ الهدهُدُ[٦]	
يبغي القَرَارَ لأمِّـهِ ليُجِنَّها	فبنى عليها في قفاهُ يُمَـهِّدُ[٧]	
مَهْدًا وَطيئاً فاستقلَّ بحمْلِهِ	في الطَّيرِ يحملها ولا يتأوَّدُ[٨]	
من أمِّهِ فجُزى بصالحِ حملها	ولدًا ، وكلف ظهره ما تفقد[٩]	
فتراه يَدْلَحُ ما مشى بجنازةٍ	فيها وما اختلف الجَديد المسند[١٠]	

---

(١) ط ، س : « أو » ، والوجه الواو كما في ل .

(٢) ل : « عليه ملحد » ولعل في البيت تحريفا ، فإنه مخالف لما بعده في الوزن .

(٣) في الديوان : « في كل منكرة » ، ل : « بها يتعمد » .

(٤) ط ، س : « وتوسيم » . س : « لاتفلد » ، ل : « لاتقلد » صوابه من ط ، والديوان .

(٥) ل : « وحاد غياية » . الديوان : « وجاب عنانها » .

(٦) ط ، س : « وغيم سحابة » . ط : « أن مان » ، صوابه في س ، ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٤٧) . ط ، س : « كفر واستزاد » ل : « كفن واستزار » ، وأثبت ما في نهاية الأرب والديوان . استراد : أصل معناها الخروج لطلب الكلأ .

(٧) ط ، س : « يبقى » ، صوابه في ل والديوان ونهاية الأرب . يجنها : يضعها في الجنن ، بالتحريك ، وهو القبر . ط والديوان : « في قفاها » صوابه في ل ، س ونهاية الأرب .

(٨) يتأود : يتعطف ويتلوى . يقول : هي خفيفة المحل .

(٩) الديوان : « فجرى لصالح حملها » . ط : « لاتعقد » : نهاية الأرب : « ما يعقد » .

(١٠) يدلح ، بالحاء : يمشي بحمله مثقلا . ط : « يضبح » أصله من ضبح الخيل . ل ، =

(معرفة الهدهد بمواضع المياه)

ويزعمون أنَّ الهدهد هو الذى كان يدلُّ سليمان عليه السلام على مواضع المياه فى قعور الأرَضين [1] إذا أرادَ استنباط شىء منها .

(سؤال ومثل فى الهدهد)

ويروُونَ أنَّ نَجْدَةَ الحَرُورىَّ أو نافعَ بن الأزرق قالَ [2] لابن عباس : إنَّك تقول إنَّ الهدهُدَ إذا نقَرَ الأَرضَ عرَفَ مسافةَ ما بينَهُ وبين الماء ، والهدهُدُ لا يُبْصِر الفخَّ دُوَينَ التراب ، حتى إذا نقر التَّمْرَة [3] انضمَّ عليه

= س ونهاية الأرب : « يدلج » ولا تصح ، صوابها من الديوان . المسند : الدهر . والجديد : الدائم الجدة لايبلى أبداً . وجاءت مثل هذه العبارة فى قول الهذلى :

وقالت : لن ترى أبداً تليدا بعينك آخر الدهر الجديد

ومنه الجديدان : الليل والنهار ؛ لأنهما لايبليان أبداً . ط : « ا لجديد المنشد » صوابه فى جميع المصادر المتقدمة .

(١) ط ، س : « المياه » . ل : « قعود الأرضين » ، وما فى ل تحريف .

(٢) ط ، س : « ونافع بن الأزرق قالا » . ونجدة هو ابن عامر الحرورى الحنفى ، كان من الخوارج الحرورية ، وإليه تنسب الفرقة النجدية . خرج باليمامة سنة ٦٦ فى جماعة كبيرة ، فأتى البحرين وقاتل أهلها ، وقتل شابا . ولد سنة ٣٦ وتوفى سنة ٦٨ . وأما نافع فهو ابن الأزرق الحنفى ، أحد الشجعان الأبطال ، كان أمير قومه وفقيههم . وإليه تنسب فرقة الأزارقة التى اشتبكت مع المهلب بن أبى صفرة فى حروب قاسية . قتل يوم دولاب على مقربة من الأهواز سنة ٦٥ .

(٣) فى ثمار القلوب ٣٨٤ : « نقر الحبة » .

الفخُّ ! فقال[1] ابنُ عبَّاس : « إذا جاء القدرُ عمىَ[2] البَصرُ » .

ومن أمثالهم : « إذا جاءَ الحَيْنُ غطَّى العين[3] » .

وابن عباسٍ إن كان قال ذلك فإنَّما عنى هدهُدَ سليمانَ عليه السلام بعينه ؛ فإنَّ القولَ فيه خلافُ القولِ فى سائر الهداهد .

وسنأتى على ذكر هذا الباب من شأنه فى موضعه إن شاء الله تعالى[4] .

وقد قال الناس فى هُدهُدِ سُليمانَ ، وغرابِ نوح ، وحِمَار عُزَير ، وذئبِ أُهبان بن أوس[5] ، وغير ذلك من هذا الفنّ ، أقاويلَ[6] ، وسنقول فى ذلك بجملةٍ من القول فى موضعه [إن شاء الله] .

(بيت الهدهد)

وقد قال صاحبُ المنطق وزعَمَ فى كتاب الحيوان ، أنَّ لكلِّ طائرٍ يعشِّش شكلاً يتَّخذ عشَّه منه ، فيختلف ذلك على قدر[7] اختلاف المواضع

---

(١) ط ، س : « فقال لها » .

(٢) كذا فى ط ، س وثمار القلوب . ل : « عشى » .

(٣) الحين ، بالفتح : الهلاك . ط : « إذ جاء » صوابه فى ل ، س .

(٤) انظر الحيوان (٤ : ٧٧ — ٨٠) .

(٥) أهبان هذا ، هو أحد الصحابة . زعموا أن الذئب كلمه ثم بشره بالرسول . قالوا : كان فى غنم له ، فعدا الذئب على شاة منها ، فصاح فيه أهبان ، فأقعى الذئب وقال له : أتنزع منى رزقا رزقنيه الله ! ! . وانظر بقية الخبر فى ثمار القلوب ٣٠٩ . مات أهبان بن أوس فى ولاية المغيرة بن شعبة حيث كان واليا عليها لمعاوية . وذكر ابن الكلبى وأبو عبيد والبلاذرى والطبرى ، أن مكلم الذئب صحابى آخر اسمه أهبان ابن الأكوع . الإصابة ٣٠٥ .

(٦) ل : « بأقاويل » .

(٧) ل : « حسب » .

وعلى [قدر] اختلاف صور تلك القراميص والأفاحيص . وزعم أنَّ الهدهُدَ من بينها يطلب الزِّبل ، حتَّى إذا وجده نَقَلَ منه ، كما تنقل الأَرَضَةُ من التُّراب ، ويبنى منه بيتاً ، كما تبنى الأَرَضَة ، ويضع جُزْءًا على جُزْء[1] ، فإذا طال مُكثه فى ذلك البيت ، وفيه أيضاً ولد ، أو فى مثله[2] ، وتربّى ريشه وبدنه[3] بتلك الرائحة ، فَأخلِقْ به[4] أيضاً أن يُورِث ابنَه[5] النَّتْنَ الذى عَلِقَه ، كما أورث جدُّهُ أباه ، وكما أوْرَثَه[6] أبوه . قال : ولذلك يكون منتِناً .

١٦٢

وهذا وجهُ أنْ كان معلوماً أنَّه لا يتَّخِذ عشَّه إلَّا من الزِّبل .

فأمَّا ناسٌ كثير ، فيزعمون أن رُبَّ بدنٍ يكونُ طيِّبَ الرَّائحة ؛ كفأرة المسك التى ربّما كانت فى البيوت . ومن ذلك ما يكونُ مُنْتِنَ البَدَنِ[7] ، كالذى يحكى عن الحيَّاتِ والأفاعى والثَّعابين[8] ، ويُوجَدُ عليه التَّيوس .

---

(١) كذا فى ل . وفى س : « خرءا على خرء » ط : « خرء على خرء » .

(٢) ط ، س : « وفى مثله » ، صوابه فى ل .

(٣) ط ، س : « تربى وبدنه ينمو » ، صوابه فى ل .

(٤) ط ، س : « وأخلق » ؛ والوجه ما أثبت من ل . إذ هو جواب « إذا » .

(٥) ل : « يرث أباه » ؛ صوابه فى ط ، س .

(٦) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٧) « ما يكون » سقط من ل .

(٨) ل : كالذى يحكى عن الحيات » فقط .

(اغتيولس)

وذكر صاحب المنطق أنَّ الطير الكبير ، الذى يسمى باليونانية اغتيولس[١] ، يحكم عُشَّه ويُتقنُه ، ويجعله مستديرًا مُداخَلًا كأنَّهُ كُرَة معمولة[٢] .

وروى[٣] أنَّهم يزعمون أنَّ هذا الطائرَ يجلِبُ الدَّارَصِينِيَّ من موضعه ، فيفْرُشُ به عشَّه ، ولا يعشِّش إلَّا فى أعالى الشَّجَرِ[٤] المرتفعةِ المواضع .

قال : وربَّما عَمَد الناسُ إلى سهامٍ يشدُّونَ عليها[٥] رَصاصاً ، ثمَّ يرمون بها أعشتَها ، فيسقط عليهم الدَّارصينيُّ ، فيلتقطونَه[٦] ويأخذونَه .

(من زعم البحريين فى الطير)

ويزعَمُ البحْرِيُّونَ أنَّ طائرَين يكونان ببلاد السُّفَالة[٧] ، أحدُهما يظهر قبلَ قُدوم السفن إليهم ، وقبل أن يُمكِنَ البحرَ من نفسه ، لخروجهم فى متاجِرِهم[٨] فيقول الطائرُ : قُرب آمَدْ[٩] ، فيعلمون بذلك أنَّ الوقت قدْ دنَا ، وأنَّ الإمكان قد قرب .

---

(١) ط ، س « : اعتيولس » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٣) ط ، س : « ورووا » وصوابه فى ل .

(٤) ل : « الشجرة » .

(٥) ط ، س : « فيشدون بها » .

(٦) ل : « فليقطونه » .

(٧) السفالة ، بالضم : آخر مدينة تعرف بأرض الزنج . ياقوت . ط ، س : « الصقالبة » ل : « السقالة » . والصواب ما أثبت .

(٨) ط ، س : « ومتاجرهم » صوابه فى ل .

(٩) قرب : بالفارسية ، هى كلفظها العربى وبمعناها العربى. وآمد بالفارسية : بفتح الميم بمعنى الوصول والقدوم . ل : « أرت آمد » . وانظر مثيل هذا فى كامل ابن الأثير (٩ : ١٧) فى حوادث ٣٧٥ .

قالوا : ويجىء بهِ طائرٌ آخر ، وشكل آخر ، فيقول: سمارو[١]. وذلك فى وقت رجوع من قد غابَ منهم ، فيسمُّون هذين الجنسين من الطَّير : قرب[٢] ، وسمارو ، كأنَّهم سمَّوهما بقولها ، وتقطيع أصواتهما ، كما سمَّت العرَبُ ضرباً من الطَّير القطا ؛ لأن القَطاَ كذلك تصيح[٣] ، وتقطيع أصواتها[٤] قَطاَ ، وكما سمَّوا الببغاء بتقطيع الصَّوتِ الذى ظهر منه[٥] .

فيزعمُ أهلُ البحر أَنّ ذينك الطائرين لا يطير أحدهما أبداً[٦] إلّا فى إناث ، وأنّ الآخَر لا يطير أبداً إلّا فى ذكورة .

(وفاء الشفنين)

وزعم لى بعضُ الأطبَّاء ممّن أصدّق خبره ، أنّ الشِّفنينَ إذا هلكت أنثاه[٧] لم يتزوَّج وإن طال عليه التعزُّب . وإن هاج سَفد[٨] ولم يطلب الزّوَاج .

---

(١) ط ، س : « سماروا » .
(٢) ل : فسموا هذين الجنسين من الطير بأرت » .
(٣) ل : « لأن ذلك الطائر كذلك يصيح » .
(٤) ل : « صوته » .
(٥) كذا جاءت بضمير المذكر . والببغاء مؤنثة .
(٦) ل : « أن أحد ذينك الطائرين لا يطير أبداً » .
(٧) ط ، س : « امرأته » .
(٨) ط : « تسفد » تحريف مافى ل ، س .

(من عجائب الطير)

وحكوا أنَّ عندهم طائرين ، أَحدهما وافى الجناحين وهو لم يطِرْ قطّ ، والآخر وافى الجناحين ، ولكنه من لدُنْ ينهض للطَّيرانِ فلا يزالُ يطيرُ ويقتات [من[١]] الفراش وأشباه الفراش ، وأنّه لا يسقط إلاّ ميِّتاً . إلَّا أنَّهم ذكروا أنّه قَصير العمر .

(كلام فى قول أرسطو)

ولست أدفع خبرَ صاحب المنطق عن صاحب الدارصينى[٢] ، وإن كنت لا أعرف الوجهَ فى أنَّ طائرا ينهَض مِن وكره فى الجبال[٣] ، أو بفارسَ أو باليمن ، فيؤمُّ ويعمَد نحوَ بلاد الدارصينى[٤] ، وهو لم يجاوز موضعه ولا قرُبَ منه . وليس يخلو هذا الطائرُ من أن يكون من الأَوابد [أو من القواطع[٥]] . وإنْ كان من القواطع فكيف يقطع الصَّحصانَ الأملس[٦]

(١) من ل ، س . وانظر ما سبق من الكلام على هذا الطير ص ٢٣٤ .
(٢) ط ، س : « عن خبر صاحب الدراصينى » ، وكلمة « خبر » مقحمة .
(٣) الجبال : اسم للإقليم الذى يمتد ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والرى . عن ياقوت .
(٤) هو شجر هندى يكون بتخوم الصين ينتفع بقشره ذى الرائحة العطرية . ولفظه معرب من « دارجينى » الفارسية .
(٥) ليست بالأصل .
(٦) الصحصحان : البرية الواسعة .

١٦٣ وبطونَ الأوْدِيَةِ ، وأهضامَ الجبال[١] بالتَّدويم فى الأجواء ، وبالمضىِّ على السَّمت ، لطلب مالم يرَهُ ولم يشمَّه ولم يذقْه . وأخرى فإنّه لايجلب منه بمنقاره ورجليه[٢] ، ما يصير فِراشاً له ومِهاداً ، إلاّ بالاختلاف الطويل[٣] . و [بعد فإنّه] ليس بالوطىء الوثير[٤] ، ولا هو له بطعام .

فأنا وإن كنت لا أعرفُ العلَّة [بعينها] فلست أنكر الأُمورَ من هذه الجهة . فاذكرْ هذا[٥] .

(قول أبى الشيص فى الهدهد)

وقال أبو الشِّيص فى الهدهد[٦] :

لا تأمنَنَّ على سِرِّى وسِرِّكمُ ... غَيرى وغَيْرَكَ أوطىَّ القَرَاطِيسِ[٧]

أو طائرٍ سأحَلّيـهِ وأنعتـه ... ما زال صاحبَ تنقير وتدسيسِ[٨]

---

(١) أهضام الجبال : ما دنا إلى السهل من أصلها . فى الأصل : « أهضاب » ، ولا تصح . والكلام من « ولا قرب » إلى هنا ساقط من ل .

(٢) ل : « وبعده فهو لا يجلب بمنقاره ورجليه » .

(٣) ل : « باختلاف طويل » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٥) ط ، س : « فأنكر هذا » صوابه فى ل .

(٦) الأبيات فى نهاية الأرب (١٠ : ٢٤٨) والدميرى وعيون الأخبار (١ : ٤١) والمختار من شعر بشار ١٥٧ .

(٧) أى وغير طى القراطيس .

(٨) فى الأصل وعيون الأخبار : « أو طائراً » وبها يفسد إعراب البيت الآتى . وأثبت ما فى نهاية الأرب والدميرى . سأحليه ، بالحاء : سأنعته . وهذه الرواية أوفق من رواية ل والدميرى ونهاية الأرب : « سأجليه » . والتدسيس : الدس والإدخال ، يدخل منقاره فى الأرض بحثا عن قوته . فى الأصل : « تأسيس » ، وصوابه فى النهاية . وفى الدميرى : « تدريس » !

سودٍ براثِنه ، مِيلٍ ذَوائبُه صُفرحمالِقَه، فى الحسنِ مَغمُوس[1]
قد كانَ هَمَّ سليمانٌ ليذَبَحَه لولا سِعايته فى ملك بلقيس[2]

وقد قدَّمنا فى هذا الكتاب فى تضاعيفه[3] ، عدَّة مقطَّعات فى أخبار الهدهُد[4] .

باب

القول فى الرخم

[و] يقال : إنّ لئامَ الطير ثلاثة : الغِربانُ ، والبوم ، والرَّخَم .

(أسطورة الرخم)

ويقال : إنّه قيل للرَّخمة : ما أحمقك ! قالت : وما حُمْقى ، وأنا أقطَعُ فى أوّلِ القواطع ، وأرْجِع فى أوّلِ الرَّواجِع ، ولا أطير فى التَّحسير[5] ،

---

(١) براثنه : أظفاره . ذوائبه : ريش تاجه . حمالقه : جفونه .

(٢) ل : « لولا سياسته » .

(٣) فى ط ، س : « تضاعفه » .

(٤) الكلام من « وقد قدمنا » ساقط من ل . وانظر ما سبق فى (١ : ٢٤٨) .

(٥) س : « ولا أطير إلا فى التخيير » ، وصوابه فى ط والجزء السابع ١٩ ولمثال الميدانى . والتحسير : سقوط ريش الطائر .

ولا أغتر بالشَّكير[١] ، ولا أسقط على الجفير[٢] .

وقد ذكرْنَا تفسير هذا[٣] . وقال الكميت :

إذْ قيل يا رَخَمَ انطقى فى الطَّير ، إنّك شرُّ طائرْ[٤]

(بعض ملوك العجم والجُلَنْدى الأزدى)

وقال أبو الحسن المدائنى : أمَر بعضُ ملوك العجمِ الجُلَنْدَى بنَ عبدِ العزيز الأزدىَّ ، وكان يقال له فى الجاهلية عرجدة[٥] ، فقال له : صِد لى شرَّ الطير ، واشوِه بشرِّ الحطب ، وأطعِمْه شرَّ الناس . فصادَ رخمةً وشوَاهَا ببَعْر ، وقرَّبها إلى خوزىٍّ[٦] . فقال له الخوزىُّ[٧] : أخطأت

(١) الشكير : أول ما ينبت من الريش . أى لايغرها الشكير فتطير حين ظهوره ، بل تنتظر حتى يصير قصبا . ط : « بالتبكير » س : « بالتكبر » صوابه فى الجزء السابع ونهاية الأرب (١٠ : ٢٠٨) وأمثال الميدانى (١ : ٢٠٦) .

(٢) الجفير : جعبة السهام . ط : « الحقير » صوابه فى ل ، والجزء السابع وأمثال الميدانى . وهى لا تسقط على الجعبة لعلمها أن فيها سهاما .

(٣) انظر الجزء السابع ١٩ — ٢٠ . والكلام من أول الفقرة إلى هنا ساقط من ل .

(٤) ط ، س : « إن قيل » . والبيت يشير إلى المثل : « انْطقى يارخم فإنك من طير الله » ، يضرب للرجل الذى لا يلتفت إليه ولا يسمع منه . أصله أن الطير صاحت فصاحت الرخمة ، فقيل لها يهزأ بها : إنك من طير الله فانطقى ! انظر الدميرى .

(٥) ل : « عجردة » . وفى الإصابة ١٢٩٢ : « عبد جمل » . والجلندى بضم أوله وفتح اللام وسكون النون وفتح الدال ، كان ملك عمان . وأرسل إليه الرسول عمرو بن العاص ليدعوه إلى الدين فأسلم .

(٦) الخوزى : نسبة إلى خوزستان ، وهى بلاد بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان ، كما فى معجم البلدان . قال ياقوت : « والخوز ألأم الناس وأسقطهم نفسا » . ط ، س : « خوزنى » ل : « حوذى » وصوابه ما أثبت .

(٧) ط ، س : « الخوزنى » ، ل : « الحوذى » . وانظر التنبيه السابق وصفحة ١٦٤ .

فى كلِّ شىء أمرك بِهِ الملك : ليس الرَّخمةُ شرَّ الطير ، وليس البعرةُ شرَّ الحطَب ، وليس الخوزىُّ شرَّ الناس . ولكن اذهب فصِد بومة[١] ، واشوها بدفلَى[٢] ، وأطعمْها نبطيًّا ولدَ زِنًى . ففعل ، وأتى الملكَ فأخبره ، فقال : ليس يُحْتَاجَ إلى ولد زِنًى ! يكفيه أن يكون نبطيًّا[٣] !

(الغراب والرخمة)

والغراب يقوَى على الرَّخمة ، والرخمة أعظم من الغراب وأشدُّ . والرَّخمة تلتمس لبيضها المواضعَ البعيدة ، والأماكنَ الوحشيَّة ، والجبالَ الشامخة ، وصُدوعَ الصَّخر . فلذلك يقالُ فى بيضِ الأنوقِ مايقال .

(ما قيل فى بيض الأنوقِ)

وقال عُتبة بن شمَّاس[٤] :

إنَّ أولَى بالحقِّ فى كلِّ حقٍّ ثمَّ أولَى بأنْ يكونَ حَقِيقَا[٥] ١٦٤

---

(١) ط ، س : « ولكن صد له بومة » .

(٢) الدفلى ـ كذكرى : نبت مر قتال .

(٣) جاءت هذه القصة على الوضع الآتى فى معجم البلدان : « روى أن كسرى كتب إلى بعض عماله : ابعث لى بشر طعام على شر الدواب مع شر الناس . فبعث إليه برأس سمكة مالحة على حمار مع خوزى » .

(٤) كذا فى س والكامل ٣٩٩ ليبسك والعقد (٣ : ٣٩٣) . وفى ل : « عيينة بن أسماء » وكتب بعدها بخط صغير « أخرى : عتيبة بن شماس » . ط : « عتيبة بن شماس » .

(٥) وكذا فى سيرة عمر بن عبد العزيز ٨ . ورواية الكامل والعقد : « ثم أحرى » .

مَنْ أبوهُ عبد العزيزِ بنُ مروا ... نَ وَمَنْ كانَ جَدُّه الفارُوقا[1]

ردَّ أموالَنا علَيْنَا وكانَتْ ... فى ذُرى شاهقٍ تفُوت الأنُوقا[2]

وطلبَ رجلٌ من أهل الشام الفريضةَ من معاوية فجادَ له بها[3] ، فسأل[4] لولَدِه ، فأبى ، فسأَل لعشيرته ، فقال معاوية :

طلَبَ الأبْلَقَ العَقُوقَ ، فلمَّا ... لَمْ يَجِدْهُ أرادَ بَيضَ الأَنُوق[5]

وليس يكونُ العَقُوق إلَّا من الإِنَاث ، فإذا كانت من البُلْق كانت بلقاء . و [إنَّما[6]] هذا كقولهم : « زَلَّ فى سَلَى جمل[7] » ، والجمل لا يكون له سلًى[8] .

---

(١) يقول هذا الشعر فى عمر بن عبد العزيز بن مروان . ووالدة عمر هى أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . وهذا البيت مع أبيات أخرى من القصيدة وبدون نسبة فى كتاب البغال ٢٨٦ من رسائل الجاحظ .

(٢) ط ، س : « رد أموالنا إلينا » . وفى ل ، س : « تفوق الأنوقا » . ويروى: « يفوت » التأنيث للذرى ، والتذكير للشاهق .

(٣) « فجاد له بها » ساقط من ل . والخبر برواية أخرى فى الإصابة ١٠٩٨ .

(٤) ط : « فقال » تحريف . س : « فسأله » ، وأثبت ما فى ل .

(٥) ط ، والكامل والشريشى (٢ : ٢٠٤) : « لم ينله » . وقد وضع البيت فى ط وضع النثر خطأ . والأبلق من صفات ذكور الخيل ، وهو ما ارتفع التحجيل فيه إلى فخذيه . والعقوق : من صفات إناثها ، وهى الحامل التى امتلأ بطنها . والأنوق : هى الرخمة . وانظر ما سبق من الكلام على الأنوق فى (١ : ٢٣٥) .

(٦) من ل ، س .

(٧) السلى : ما تلقيه الناقة إذا وضعت : وهى جليدة رقيقة يكون فيها الولد . والمثل يضرب فى بلوغ الشدة منتهى غايتها ، أى وقع فى شر لا مثيل له . زل : زلق . ولفظ المثل فى الميدانى واللسان : « وقع القوم فى سلى جمل » . ويقال : « وقع فى سلى جمل » . وفى القاموس : « وقعوا فى سلى جمل » .

(٨) كتبت هذه الكلمة فى الأصل فى الموضعين بالألف . وصواب كتابتها بالياء .

وقد يرون بَيض الأنوق ، ولـكنَّ ذلك قليلاً[1] ما يكون ، وأقلَّ من القليل ؛ لأنَّ بيضها فى المواضع الممتنعة ، وليست فيها منافع فيتعرض فى طلبها[2] للمكروة .

وأنا أظنُّ أنْ معاوية لم يقل كما قالوا ، ولكنَّهُ قدم فى اللَّفظ بيض الأَنوق ، فقال : « طلب بيضَ الأَنُوقِ ، فلما لم يجدْه طلبَ الأَبْلَقَ العقوق » .

(ما يسمَّى بالهدهد)

وأمَّا قول ابن أحمر :

يمشى بأَوظفَةٍ شديدٍ أسْرُها ... شمٍّ السنابك لا تَقِى بالجدجَد[3]

إذ صبَّحتَه طاوياً ذا شِرَّةٍ ... وفؤادُه زجِلٌ كعَزْفِ الهُدْهُد[4]

---

(١) ط : « قليل » .

(٢) ط ، س : « طلبه » ، صوابه فى ل .

(٣) ط ، س واللسان (وقى) : « تمشى » صوابه فى ل . الأوظفة : جمع وظيف ، وهو ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق . شم : عاليات . والسنبك : طرف الحافر وجانباه من قدام . ويقال : وقى الحافر يقى وقيا ، من باب رمى : حفى ورق من غلظ الأرض . وقيل : لاتقى بالجدجد : لا تتوقاه ولا تهيبه . والجدجد ، بفتح الجيمين : الأرض الصلبة . ط : « رثم السنابك » صوابه فى ل ، س واللسان (وقى) . وروى : « صم » كما فى اللسان (جدد) . ط : « لا يقى » س : « لا تقى » ، صوابه فى ل واللسان فى موضعيه .

(٤) ط : « قد أصحبته طائراً » س : « قد صبحته طائراً » ، وأثبت ما فى ل . وفى اللسان : « ثم اقتحمت مناجدا ولزمته » . زجل : له صوت . ط : « رجل » محرف . والعزف : الصوت . ط ، س : « كعرف » ل : « كعرق » محرفتان عما أثبت من الحيوان (٧ : ٢٦٠) واللسان (هدد) .

فقد يكون ألاّ يكون غَنى بهذا الهدهدَ[١] ، لأَنَّ ذكورَةَ الحمامِ وكلَّ شيء غَنَّى[٢] من الطير وهدَر ودعا ، فهو هُدهُد. ومَنْ رَوَى « كَعَزْفِ الهَدْهَدِ » فليس من هذا فى شيء[٣] .

وقد قال الشاعر فى صفة الحمام :

وإذا اسْتَشَرنَ أَرَنَّ فيها هدهدٌ   مِثْلُ المَدَاكِ خضبته بِجِسَادِ[٤]

(قصة فى ميل بعض النساء إلى المال)

وخطب رجلٌ جميلٌ امرأةً ، وخطبها [معه] رجل دَميم[٥] فتزوّجت الدَّميم[٦] لماله ، وتركته ، فقال[٧] :

---

(١) كذا على الصواب فى ل . ط : « فقد يكون ألا أن يكون عنا هذا الهدهد » ، س : « فقد يكون إلا غنا إلا يكون غنا هذا الهدهد » .

(٢) ط ، س : « غنا » ، صوابه فى ل .

(٣) الكلام من مبدإ « ومن روى » ساقط من ل . والعبارة فى أصلها : « ومن أراد كعرف » . . الخ . والصواب فيها ما أثبت . وهذه الرواية مثبتة فى اللسان (هدد) . قال فى تفسيرها : « والهدهد قيل فى تفسيره : أصوات الجن . ولا واحد له » وفى القاموس عند الكلام على الهدهد : « وبفتحتين : أصوات الجن ، بلا واحد » .

(٤) استشارت : لبست حسنا وسمنا . والمداك ، بالفتح : حجر يسحق به الطيب . ط ، س : « المداد » صوابه فى ل . والجساد ، بالكسر : الزعفران . جعله كالمداك فى ملاسته وصلابته .

(٥) الدميم : القبيح . ط : « ذميم » صوابه فى ل ، س .

(٦) ط : « الذميم » صوابه فى ل ، س .

(٧) الشعر منسوب فى حياة الحيوان ، إلى الأخطل يصف جارية وبعلها . والبيتان فى الكامل ٢٧٢ ليبسك .

أَلاَ يا عبادَ اللهِ ما تأْمُرُونَنِي بِأَحسنِ مَنْ صَلَّى وأقبَحِهِمْ بَعلاَ
يدِبُّ على أحشائها كلَّ ليلة دَبِيبَ القَرَنْبي بات يقرو نقاً سَهْلاَ[1]

(ما يطلب العذرة)

والأَجناس التي تريد العذِرَةَ وتطلبُها كثيرة ، كالخنازير ، والدَّجاج والكلاب ، والجراد ، وغير ذلك . ولكنها لا تبلغ مبلغ[2] الجُعَل والرَّخمة .

(بعض ما يأكل الأعرابُ من الحيوان)

وقال ابن أبي كريمة : كنتُ عند أبي مالك عمرِو بن كِرْكِرَة[3] ، وعنده أعرابيٌّ ، فجرى ذكر القَرَنْبَى . قال : فقلت له : أتعرف القرنْبَى ؟

---

(١) القرنبى : دويبة على هيئة الخنفس منقطة الظهر ، وفى قوائمها طول على الخنفس . وهو مذكر ، ألفه للإلحاق لا للتأنيث . يقرو : يسير متتبعاً . ط ، س ، والدميرى : « يعلو » .

(٢) ل : « بلغ » ، صوابه فى ط ، س .

(٣) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « عمر » . وقد ترجم له ياقوت فى معجم الأدباء (١٦ : ١٣١ ، ١٣٢) ونقل عنه السيوطى فى بغية الوعاة قال : كان يعلم فى البادية ، وورق فى الحضرة . ويقال : إنه كان يحفظ لغة العرب قال أبو الطيب اللغوى : كان ابن مناذر يقول : كان الأصمعى يجيب فى ثلث اللغة ، وأبو عبيدة فى نصفها ، وأبو زيد فى ثلثيها ، وأبو مالك فيها كلها . وإنما عنى توسعهم فى الرواية والفتيا ؛ لأن الأصمعى كان يضيق ولا يجوز إلا أصح اللغات . وقد جلس إليه الجاحظ كما فى البيان (٤ : ٢٣) . ط ، س : « عمر ابن كركرة » ، صوابه فى ل والقاموس والمراجع المتقدمة .

قال : ومالى لا أعرف القرنْبَى ؟ ! فوالله لربّما لم يكنْ غَدائى[1] إلّا القرنبَى يُحَسْحَسُ لى[2] . قال : فقلت [له] : إنّها دويْبَّة تأكل العذرة . قال : ودجاجكم تأْكل[3] العذرة !

١٦٥ [وقال] : قال بعض المدنيِّين لبعض الأعراب : [أ] تأْكلون الحيّاتِ والعقاربَ والجِعْلَان والخنافس[4] ؟ فقال : نأكل كُلَّ شيء إلّا أمَّ حُبين . [قال] : فقال المدنىّ : « لتهْنِ أمَّ الحُبَينِ العافِيَة[5] » .

قال : وحدثنا ابن جُريجٍ[6] ، عن ابن شهاب[7] ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة ، عن ابن عباس ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مِن الدوابِّ أربعٌ لا يُقْتَلن : النملة ، والنَّحلة ، والصُّرَد ، والهدهُد » .

القول فى الخفاش

فأَوَّل ذلك أنّ الخفّاش طائر ، وهو مع أنّه طائرٌ من عَرَضِ الطير فإنَّه شديدُ الطَّيَران ، كثير التكفّى فى الهواء ، سريع التقلُّب فيه ، ولا

---

(١) الغداء ، بالفتح : الأكل أول النهار . ط ، ل : « غذائى » وأثبت ما فى س .

(٢) يحسحس : يوضع على الجمر . ط : « يخشخش » محرف يخشحش التى هى بمعنى « يحسحس » . س : « تخشخش فى فى » ، وله وجه .

(٣) ط : « يأكل » ، وهما صحيحتان .

(٤) كذا على الوجه فى ل . وفى ط ، س : « الخنفساء » .

(٥) أم حبين : دويبة على قدر الكف تشبه الضب . وانظر (٥ : ١٤٣) .

(٦) ط : « وأخبرنا ابن جريج » . وابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشى ، قالوا : أول من صنف الكتب فى الإسلام . ولد سنة ٨٠ وتوفى سنة ١٥٠ . ففى قول الجاحظ نظر .

(٧) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى ، المتوفى سنة ١٢٥ .

يجوز أن يكون طُعمه إلا من البعوض ، وقوتُه إلا من الفَراشِ[1] [وأشباه الفَراش] ، ثُمَّ لا يصيده إلّا فى وقت طيرانه فى الهواء ، وفى وقت سلطانه ؛ لأَنَّ البعوضَ إنَّما يتسلَّط بالليل . ولا[2] يجوز أن يبلغ ذلك إلَّا بسرعة اختطافٍ واختلاس ، وشدَّةِ طيَرَان ، ولينِ أعطاف وشدَّة متن ، وحُسْن تأَتٍّ ، ورفقٍ فى الصَّيد[3] . وهو مع ذلك كلِّه[4] ليس بذى ريش ، [و] إنما هو لحم وجلد . فَطيَرانُه بلا ريش عَجَب ، وكلما كان أشدَّ كان أعجب .

(من أعاجيب الخفاش)

ومن أعاجيبه أنّه لا يطير فى ضوء ولا فى ظلمة . وهو طائرٌ ضعيفٌ قُوَى البصرِ ، قليلُ شعاعِ العين الفاصِلِ[5] من النَّاظِر . ولذلك لا يظهر فى الظُّلمة ؛ لأَنَّها تـكون غامرة لضياء بصره ، غالبةً لمقدار [قوى] شعاعِ ناظره . ولا يظهر نهاراً ؛ لأَنَّ بَصرَه لِضَعفِ ناظِرِه يلتمع فى شدة بياض النهار[6] . ولأَنَّ الشيءَ المتلألئَ ضارٌّ لِعيونِ[7] الموصوفين بحِدَّة البصر ،

---

(١) ل : « وطعمه من البعوض وقوته من الفراش » .

(٢) ل : « فلا » .

(٣) التأتى : الترفق . س : « تأتى » ط : « تأنى » ل : « التأنى » ، ووجهه ما أثبت . ل : « إلا بسرعة الاختطاف والاختلاس ، وشدة الطيران ، ولين الأعطاف ، وشدة المتن ، وحسن التأنى والرفق فى الصيد » .

(٤) ل : « وهو فى ذلك » .

(٥) ل : « الفاضل » ، تحريف .

(٦) ط ، س : « يضعف ناظره ويلتمع فى شدة ضوء النهار» ، وصوابه من ل .

(٧) ط ، س : « بعيون » ، وما أثبت من ل أوجه ؛ تفاديا من تـكرار الباء .

ولأَنَّ شعاعَ الشمس بمخالفة[1] مخرج أصوله وذهابه ، يكون رادعاً لشُعاع ناظره ، ومفرِّقاً[2] له . فهو لا يبصر ليلاً ولا نهاراً . فلما علم ذلك واحتاج إلى الكسْب والطُّعم ، التمس الوقتَ الذى لا يكون فيه من الظلام ما يكون غامراً قاهراً ، وعالياً غالباً . ولا من الضِّياء ما يكون مُعْشيا[3] رادعاً ، ومفرِّقا قامِعاً[4] . فالتمسَ ذلك فى وقت غروب القُرص ، وبقيّةِ الشّفق ؛ لأَنّه وقت[5] هيْج البعوض وأشباهِ البعوض ، وارتفاعها[6] فى الهواء ، ووقت انتشارها فى طلبِ أرزاقها[7] . فالبَعوض يخرج للطَّعم ، وطعْمُه دماء الحيوان ؛ وتخرج الخفافيش[8] لطلب الطَّعم ، فيقعُ طالبُ رزق على طالب رزق ، فيصير ذلك هو رزقه[9] . وهذا أيضاً ممَّا جعل اللهَ فى الخفافيش[10] من الأعاجيب .

---

(١) ل : « مخالفة » .

(٢) ط : « ومغرقا » س : « ومفرقة » ، صوابه من ل .

(٣) ل : « ولأن من الضياء » ، محرف . ط : « ما يكون مغشيا » ، صوابه فى ل ، س .

(٤) ط : « ومغرقا » ، صوابه فى ل ، س . و « قامعا » هى فى ط ، س : « مانعا » ، والأشبه ما أثبت من ل .

(٥) ط ، س : « لأنه فى وقت » ، صوابه فى ل .

(٦) ط ، س ، « وهو وقت ارتفاعها » .

(٧) ط ، س : « وطلب أرزاقها » .

(٨) ط ، س : « الخنافيس » ، صوابه فى ل .

(٩) ل : « مرزقه » .

(١٠) ط ، س : « الخفاش » .

(علاقة الأذن بنتاج الحيوان)

ويزعمون أن السُّكَّ [1] الآذان والممسوحة ، من جميع الحيوان ، ١٦٦ أنّها تبيضُ بيضاً ، وأنّ كلَّ أشرفِ [الآذان] فهو يلد ولا يبيض . ولا ندْرِى لِمَ [كان] الحيوانُ إذا كان أشرفُ الآذان [2] [وَلَد] ، وإذا كان ممسوحاً باض .

ولآذان الخفافيش حَجْمٌ ظاهر ، وشُخُوص [3] بيِّن . و [هى و] إنْ كانتْ من الطَّير فإنَّ هذا لها ، وهى [4] تحبل وتلِد ، وتحيض ، وترضع .

(ما يحيض من الحيوان)

والناس يتقزّزون [5] من الأرانب والضِّباع ؛ لمكانِ الحيض .

وقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ ذواتِ الأربع كلَّها تحيضُ ، على اختلافٍ فى القلَّة والكثرة [6] .

---

(١) السك : جمع أسك : وهو الذى صغرت أذنه ولصقت برأسه .

(٢) الأشرف الآذان : الطويلها . ل : « الأذن » .

(٣) شخوص : ارتفاع . ط ، س : « شخص » .

(٤) ط : « فهى » ، صوابه فى ل ، س .

(٥) ط : « يتقذرون » . والتقذر : أن يرى الشىء قذراً ، يقال تقذره لاتقذر منه . فالصواب « يتقززون » . كما أثبت من ل ، س .

(٦) ط ، س : « على اختلاف أجناسها » .

[والزَّمان] ، والحمرة والصفرة ، والرقَّة والغلظ . قال : ويبلغ من ضنِّ أنثى الخفافيش بولدها ومن خوفها عليه ، أنَّها تحمله تحتَ جناحها ، وربَّما قبضت عليه بفيها ، وربَّما أرضعته وهى تطير ، وتقوى من ذلك ، ويقوى ولدُها على مالا يقوى عليه الحمام والشَّاهْمُرْك[1] ، وسباع الطير .

(معارف فى الخفاش)

وقال معمرٌ أبو الأشعث : ربَّما أتأمتِ الخفافيشُ[2] فتحمل معها الولدَين جميعاً ، فإنْ عظُمَا عاقبَتْ بينهما .

والخفّاش من الطَّير ، وليس له مِنقار مخروط[3] ، وله فمٌ فيما بين مناسر السِّباع[4] وأفواه البوم . وفيه أسنانٌ حـداد صِلاب [مرصوفة[5]] من أطراف الحنكِ ، إلى أصول الفك ، إلاَّ ما كان فى نفس الخطم[6] .

وإذا قبضَتْ على الفرخ وَعضَّتْ عليه لتطير به ، عرفت ذَرَب[7] أسنانها ، فعرَفت أىّ نوعٍ ينبغى أن يكون ذلك العضّ ، فتجعله أَزْمًا ،

---

(١) الشاهمرك سبق تفسيره فى ص ٣٣٦ .

(٢) أتأمت : ولدت اثنين فى بطن واحد . ط ، س : « أرتمأت » ، صوابه فى ل .

(٣) ط : « مخروطة » ، تصحيحه من ل ، س .

(٤) المراد : سباع الطير . والمناسر : جمع منسر ، كمجلس ومنبر ، وهو المنقار .

(٥) فى الأصل ، وهو هنا ل : « موصوفة » ، ولعل صوابه ما أثبت .

(٦) ط ، س : « إلا ما كان من نفس الفك الخطم » .

(٧) الذرب : الحدة . ط ، س : « درب » ، صوابه فى ل .

ولا تجعله عضًّا ولا تنْيِيباً ولا ضَغْماً[1] ، كما تفعل الهرَّة بولدها ؛ فإنَّها مع ذَرَبِ أنيابها ، وحدَّة أظْفارِها ودِقَّتِها[2] ، لا تخدش[3] لها جلداً ؛ إلا أنها تُمْسِكُها ضربا من الإمساك ، وتأزم عليها[4] ضربا من الأزْم قد عَرَفته .

ولكلِّ شيءٍ حدٌّ به يصلَح ، وبمجاوزته والتقصيرِ دُونَه يفسُد .

وقد نرى الطَّائر يغوصُ في الماء نهارَه ، ثم يخرج منه كالشَّعرَة سَلَلْتَها من العجين ، غيرَ مبتلِّ الرِّيش ، ولا لثِقِ الجناحَين . ولو أنَّ أرفقَ الناس رِفقاً ، راهَنَ على أن يغمس طائراً منها فى الماء غمسةً واحدة ثمَّ خلَّى سِربه[5] ليكون هو الخارج منه ، لخرج وهو متعجِّن[6] الريش ، مُفْسَد النظم[7] ، منقوضُ[8] التأليف . ولكان أجودَ ما يكون طيراناً أن يكون كالجادفِ[9] . فهذا أيضاً من أعاجيب الخفاش .

---

(١) الأزم : القبض بجميع الفم . والتنييب : العض بالناب . والضغم : العض الشديد . ط ، س : « ولا نشباً ضغطيا » س : « ولا نشباً ضغطا » ، ووجهه ما أثبت من ل .

(٢) ل : « وحدة أطرافها » ، صوابه فى ط ، س . ط ، س : « ورقتها » صوابه فى ل .

(٣) ط : « تندش » ، صوابه فى ل ، س .

(٤) عليها : أى على ولدها . والمراد بالولد هنا الجمع . فى المصباح : « والولد بفتحتين كل ما ولده شيء . ويطلق على الذكر والأنثى ، والمثنى والمجموع » . ط ، س : « عليه » ، صوابه فى ل . ط ، س : « لأنها تمسكها » الخ ، صوابه فى ل .

(٥) السرب : الطريق . ط : « حلى سرتها » س : « خلى سربها » ، صوابه فى ل .

(٦) ط ، س : « منعجن » .

(٧) ط ، س : « النظر » ، صوابه فى ل .

(٨) ط : « منقوص » محرف .

(٩) الجادف : الذى يطير وهو مقصوص الجناحين . ط ، س : « كالجاذف » ، محرف .

(من أعاجيب الخفافيش)

ومن أعاجيبها تركُها ذرى الجبال وبسيط الفيافى[(١)] ، وأقلابَ النخل، وأعالى الأغصان ، ودَغَل[(٢)] [الغياض و] الرياض ، وصُدوعَ[(٣)] الصّخر ، وجزائر البحر ، ومجيئها تطلب مساكن الناس وقربهم ، ثم إذا صارت[(٤)] إلى بيوتهم وقربهم ، قصدت إلى أرفع مكان وأحصَنه ، وإلى أبعد المواضع من مواضع الاجْتِياز[(٥)] ، وأعراض الحوائِج .

(طول عمر الخفاش)

ثمَّ الخفّاشُ بعد ذلك من الحيوان الموصوف بطول العمر ، حتى يجوز

١٦٧ فى ذلك[(٦)] العُقابَ والوَرَشان إلى النسر ، ويجوز[(٧)] حد الفِيَلة والأُسْد وحَميرِ الوحش ، إلى أعمار الحيَّات .

---

(١) ط ، س : « ومن أعاجيبها تركه ذروة الجبال » ، ل : « ومن أعاجيبه تركه ذرى الجبال » ، كلاهما محرف ، ووجهته بما ترى . والبسيط : المنبسط الفسيح . ط : « وتبسط » صوابه فى ل ، س .

(٢) الدغل ، بالتحريك : الشجر الملتف . س : « ودخل » ، وهى صحيحة بضبط الأولى ومعناها .

(٣) ط : « وصدع » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « أصات » ، صوابه فى ل ، س .

(٥) ط ، س : « الاختبار » ، صوابه فى ل .

(٦) ل : « حتى تجوز حد » .

(٧) ل : « وتجوز » .

ومن أعاجيب الخفافيش[١] أنّ أبصارها تصلُح على طول العمر ، ولها صبرٌ[٢] على [طول] فقْد الطُّعم . فيقال[٣] إنّ اللواتى يظهرن فى القَمَر[٤] من الخفافيش المسنَّاتُ المعمَّرات ، وإنّ أولادَهن إذا بلغن لم تقو أبصارُهنَّ على ضياء القمر .

ومن أعاجيبها أنّها تضخَم وتجسُم وتقبلُ الشَّحم[٥] على الكبر وعلى السنّ .

(القدرة التناسلية لدى بعض الحيوان)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ الكلابَ السلوقيَّةَ كلما دخلتْ فى السنِّ كان أقوى لها عَلَى المعاظلة .

وهذا غريبٌ جدا ، وقد علمنا أنّ الغلام أحدُّ ما يكون وأشبَقُ وأنكحُ وأحرصُ ، عندَ أوّل بلوغه . ثم لا يزالُ كذلك حتى يقطعه الكبر [أو إصفاء] أو تعرض له آفة[٦] .

ولا تزال الجاريةُ من لدُنْ إدراكها وبلوغِها وحركة[٧] شهوتها عَلَى شبيه بمقدارٍ واحد من ضعف الإرادة . وكذلك عامَّتهنّ[٨] . فإذا اكتهلن

(١) ط ، س : « الخفاش » .

(٢) ط ، س : « والصبر » .

(٣) ط : « فتقول » س : « فنقول » ، صوابه فى ل .

(٤) ل : « العمر » ، صوابه فى ط ، س .

(٥) ل : « اللحم » .

(٦) ل : « حتى يعطفه الكبر » . والإصفاء : نفاد الماء . وكلمة « له » ساقطة من ل .

(٧) ط ، س : « وحدة » صوابه فى ل .

(٨) ل : «علامتهن » ، وتصحيحه من ط ، س .

وبلغت المرأة حدّ النَّصَف(١) فعند ذلك يقوى عليها سلطانُ الشَّهوةِ والحرصِ على الباهِ ؛ فإنّما تهيج الكهلة عندَ سُكونِ هيْج الكهل(٢) وعند إدبار شهوته ، وكلالِ حدِّه .

(قول النساء وأشباههنّ فى الخفافيش)

وأما قول النّساء وأشباه النساء فى الخفافيش ، فإنهم يزعُمون أنّ الخفاش إذا عضَّ الصبىّ لم ينزِعْ سِنَّه من لحمه حتى يسمعَ نهيقَ حِمارٍ وحشىٍّ(٣) .
فما أنسَى فزَعى مِن سِنِّ(٤) الخفّاش ، ووَحشتى من قربه ! إيماناً بذلك القول ، إلى أن بلغت .

وللنساء وأشباه النساء فى هذا وشبهه خرافاتٌ ، عسى أن نذكر منها شيئا إذا بلغنا إلى موضعه [إن شاء الله] .

(ضعف البصر لدى بعض الحيوان)

ومن الطير [و] ذواتِ الأربع ما يكون فاقد(٥) البصر بالليل ، ومنها ما يكون سَيِّئَ البصر . فأمَّا [قولهم] : إنَّ الفأرة والسنّورَ وأشياءَ أُخَرَ أبصرُ باللَّيل ، فهذا باطل(٦) .

---

(١) النصف ، بالتحريك : ما بين الشابة والكهلة ، ويقدر عمرها بخمس وأربعين سنة .

(٢) الكهلة ، هى فى ط ، س : « الشهوة » ، والوجه ما أثبت من ل . « هيج » هى فى ط : « تهيج » .

(٣) ل : « حمار وحش » ، وهما وجهان صحيحان .

(٤) ل : « من مس » ، وأثبت ما فى ط ، س .

(٥) كذا على الصواب فى س . وفى ط : « ناقد » وفى ل : « نافذ » . وانظر سياق الكلام .

(٦) ليس يناقض هذا القول ما سبق فى ٢٣٧ س ١٣ .

والإنسان رديء البصر باللَّيل ، والذى لا يبصر منهم[1] باللَّيل تسمِّيهِ الفرْس شَبْ كُور[2] وَتأويلُهُ أنَّهَ أعْمَى لَيْلٍ[3] ، وَلَيْسَ لَهُ فِى لُغَةِ العَرَبِ اسم أكْثَرُ مِنْ أنّه يُقالُ لِمَنْ لا يُبْصِرُ باللَّيل [بعينيه] : هُدَبِد[4] . ما سمعتُ إلاّ بهذا ؛ فأمَّا الأغطش[5] فإنّه السَّيِّئُ البصر بالليل والنهار جميعاً .

وإذا كانت المرأة مُغْرَبَةَ الْعَيْنِ[6] فكانت رديَّة البصر ، قيل لها : جَهْرَاء .

وأنشد الأصمعىُّ فى الشاء[7] :

جهراء لا تألو إذا هى أظهَرَتْ ... بَصَرًا ولا مِنْ عَيْلَةٍ تُغنينى[8]

---

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) هذه الكلمة مكونة من مقطعين ، أولهما « شب » بفتح الشين ومعناه الليل . والآخر : « كور » بضم الكاف ، ومعناه الأعمى . عن معجم Palmer ، والألفاظ الفارسية ٩٨ . ط : « بشكور » س : « سيكون » محرفتان صوابهما فى ل وقد زيد فى ل ألف بعد الراء ، مع أن المراد حكاية قول الفرس . وكتبت كذلك متصلة « شبكورا » والوجه فصلها كما ذكرت ، وكما فى القاموس المحيط والمعجم السابق . وقد اشتق العرب منها مصدراً فقالوا : « الشبكرة » أرادوا بها العشاء . وفى اللسان : « المفضل : الهدبد : الشبكرة . وهو العشاء يكون فى العين » .

(٣) ط ، س : « أعمى بالليل » .

(٤) ط ، س : « هديد » صوابه فى ل . وهم يسمون الداء نفسه أيضاً « الهدبد » وكانوا إذا أصاب أحدهم ذلك عمد إلى سنام فقطع منه قطعة ، ومن الكبد قطعة وقلاهما ، وقال عند كل لقمة يأكلها ، بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبابته :

فياسناما وكبد ... ألا اذهبا بالهدبد
ليس شفاء الهدبد ... إلا السنام والكبد

ويزعمون أنه يذهب العشاء بذلك . انظر بلوغ الأرب (٢ : ٣٤٠) .

(٥) س : « الأعكش » ، صوابه فى ل ، ط .

(٦) مغربة ، بفتح الراء : بيضاء . ط ، س : « مقربة » ، وصوابه فى ل . و « العين » هى فى ط : « العنق » محرفة .

(٧) ط ، س : « فى غير النساء » وأثبت ما فى ل . والبيت الآتى قاله أبو العيال الهذلى ، يصف منيحة منحه إياها بدر بن عمار الهذلى . انظر بقية أشعار الهذليين ١٣٠ .

(٨) كلمة « هى » ساقطة من ط ، س . « بصرا » هى فى ط ، س : « نظراً » .

وذكروا أنَّ الأجهر الذى لا يبصر فى الشمس[1] . وقوله لا تأْلو أى لا تستطيع . وقوله أظهرت : صارت فى الظهيرة . والعَيْلة : الفقر . قال : يعنى به شاة[2] .

وقال يحيى بن منصور ، فى هجاء بعض [آل] الصَّعِق :

يا ليتنى ، والمنى ليستْ بمغْنِيةٍ ، كيفَ اقتصاصك من ثأْرِ الأحابيش[3]

١٦٨ أتنكحون مواليهم كما فَعلوا أمْ تَغْمِضُون كإغماضِ الخفافيش[4]

وقال أبو الشمقمق ، وهو مرْوان بن محمد[5] :

أنا بالأهواز محزونٌ وبالبَصْرَة دارِى[6]

فى بنى سعدٍ وسعد حيثُ أهلى وقَرارى

صرتُ كالخفاش لا أُبْصِرُ فى ضوء النهار[7]

وقال الأخطل التغلبىّ :

وَقد غبَرَ العَجْلانُ حيناً إذَا بكى عَلَى الزّادِ ألقته الوليدة فى الكِسرِ[8]

---

(١) ل : « أن الجهراء التى لاتبصر فى الشمس » .

(٢) ط ، س : « نساه » ، صوابه فى ل .

(٣) ط ، س : « من نار » ، صوابه فى ل . والأحابيش : طائفة من قريش ، هم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة .

(٤) ل : « تنحضون كإنحاض » ، صوابه فى ط ، س .

(٥) تقدمت ترجمته فى (١ : ٢٢٥) . ل : « وقال مروان بن محمد هذا أبو الشمقمق الغث البارد » .

(٦) ل : « مخزون » .

(٧) كذا على الصواب فى ل . ط : « إلا فى النهار » ، س : « إلا فى نهارى »

(٨) ألقته : أى الزاد . والكسر ، بالكسر : جانب البيت . وفى شرح الديوان ١٢٩ : « الهاء فى ألقته عائدة إلى العجلان » ، ولعل وجه التفسير ما ذكرت .

فيصبح كالخُفَّاش يدلك عينَه فقبَّحَ من وجهٍ لئيمٍ ومن حَجْرِ[١]

وقالوا : السحاة مقصورة : اسم الخفاش[٢] ، والجمع سحاً[٣] كما ترى .

(لغز فى الخفاش)

وقالوا فى اللُّغز ، وهم يعنون الخفّاش :

أبَى شعَرَاءُ النَّاسِ لا يُخبرونَنى وقد ذَهَبُوا فى الشِّعر فى كلِّ مذهبِ[٤]

بجلدةِ إنسانٍ وصُورَةِ طائرٍ وأظْفَارِ يَرْبُوعٍ وَأنيابِ ثعلب[٥]

(النّهى عن قتل الضفادع والخفافيش)

هشامٌ الدَّسْتَوائِىّ[٦] قال : حدَّثنا قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن عبد الله بن عمر أنّه قال : « لاتقتلوا الضَّفادِعَ فإنَّ نقِيقَهُنَّ تسبيح . ولاتقتلوا الخُفَّاش فإنَّه إذا خرب بيت المقْدِس قال : يارَبِّ سلِّطنى على البحرِ حتّى أغرقَهم » .

---

(١) الحجر بالفتح ، قال ابن الأعرابى : « أراد محجر العين » . ومحجر العين : مادار بها من العظم . ط : « من وجهه » محرفة . ل : « لعين » بدل « لئيم » وما أثبت من ط ، س واللسان (مادة حجر) .

(٢) ط ، س : « اسمع الخفافيش » صوابه فى ل . ل : « وقال : السحاة » الخ .

(٣) سحا ، بفتح السين ، ويقال سحاء بكسرها مع المد . اللسان ، والمقصور والممدود .

(٤) ط ، س : « أيا » ل : « أبا » ، صوابه فى نهاية الأرب (١٠ : ٢٨٤) . وفيها أيضاً : « علماء » مكان « شعراء » ط ، س : « تخبروننى » ، صوابه فى ل . وفى نهاية الأرب : « أن يخبروننى » وما هنا أجود . وفيها أيضاً : « وقد ذهبوا فى العلم » .

(٥) اليربوع : حيوان طويل الرجلين قصير اليدين ، على العكس من الزرافة ، له ذنب كذنب الجرذ يرفعه صعدا ، فى طرفه شبه النوارة ، لونه كلون الغزال .

(٦) هو أبو بكر هشام بن أبى عبد الله سنبر — كجعفر — الدستوائى البصرى البكرى . وكان يرمى بالقدر . روى عن قتادة ، وروى عنه يحيى القطان . ونسبته إلى بيع =

حماد بن سلمة[١] قال : حدَّثنا قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، قال : قال عبد الله بن عمر : « لا تقتلوا الخُفَّاش ؛ فإنّه استأذَنَ فى البحر[٢] : أنْ يأخذ من مائه فيطفىء نار بيت المقدسِ حيثُ حرق . ولا تقتلوا الضَّفادعَ فإنَّ نقيقها تسبيح » .

[قال] : و [حدثنا] عثمان بن سعيد القرشى[٣] قال : سَمعت الحسن يقول : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الوَطْوَاطِ ، وأمر بقتل الأوزاغ » .

قال : والخفاش يأتى الرُّمّانة وهى على شجرتها ، فينقب عنها[٤] ، فيأكل كلَّ شىءٍ فيها حتى[٥] لا يدع إلاّ القشر وحده . وهم يحفظون الرُّمّان من الخفافيش بكلِّ حيلة .

= الثياب الدستوائية ، التى كانت تجلب من دستوا ، بفتح الدال والتاء بينهما سين ساكنة ، وهى من بلاد فارس . مات سنة ١٥٢ أو ١٥٤ وله ثمان وسبعون سنة . ط : « صاحب الدستواى » . والكلمة الأولى صحيحة ، يقال : الدستوائى ، وصاحب الدستوائى ، كما فى تذكرة الحفاظ للذهبى (١ : ١٥٥) . وأما الكلمة الثانية فهى تحريف ما أثبت من ل ، س والمعجم والمعارف ٢٢٣ والتهذيب وتذكرة الحفاظ . وانظر الخبر فى (٥ : ٥٣٦) .

(١) حماد ، هذا ، هو ابن سلمة بن دينار البصرى ، كان من ثقات رواة الحديث . ويقال : إنه كان عالما بالنحو والعربية ، وإن سيبويه استملى عليه . توفى سنة ١٦٤ أو ١٦٧ . ط ، ش : « حماد عن سلمة » صوابه فى ل وتقريب التهذيب والمعارف ٢٢٠ . ل : « قال وحدثنا حماد بن سلمة » . وفى العبارة نظر .

(٢) ل : « استأذن البحر » .

(٣) ط : « عثمان بن سعد القرشى » ، صوابه فى ل ، س وتقريب التهذيب .

(٤) ل : « فيثقب عليها » .

(٥) إلى هنا ينتهى الجزء الثالث من نسخة كوبريلى ، المشار إليها برمز « ل » .

قال : ولحوم الخفافيش موافقةٌ للشواهين والصُّقورة والبوازى[1] ، ولكثير من جوارح الطير ، وهى تسمن عنها ، وتصحّ أبدانُها عليها . ولها فى ذلك عملٌ محمودٌ نافعٌ عظيمٌ النَّفْع ، بيِّنُ الأثر . والله سبحانه وتعالى أعلم .

تمّ المصحف الثالث من كتاب الحيوان

ويليه المصحف الرابع

[وأوله[2]] فى الذّرّ

---

(١) ط ، س : « قال والبازى » . وصوابه من نهاية الأرب (١٠ : ٢٨٤) .

(٢) ليست بالأصل .



تذييل واستـــــدراك

صفحة	سطر	
٢٠	٤	« كُسير وعوَير » . هو مثل عربيّ قديم . وهو بتمامه : « كُسَير وعُوَير وكلٌّ غيرِ خير » . أصله أن امرأة منهم تزوجها أعور فولدت منه خمسة ، ثمَّ طلَّقها فتزوّجت آخرَ ظهر أنّه أعرج . فقالت المثل المذكور . يُضرَب فى الشيء يكره ويذمُّ من وجهين . كذا فى أمثال الميدانى ، ولكن المناسب هنا ماقال العسكريُّ فى جمهرة الأَمثال ١٦٥ : « يُضرَب مثلا فى الخلَّتين المكروهتين ، والرَّجُلين الرَّدِيَّيْنِ » . ونصُّ المثل عنده كما عند الميدانى. وصاحب معجم البلدان رواه : « كُسَير وعوير وثالثٌ ليس فيه خيْرٌ » ، ورأى أنّ كُسيراً وعويراً جبلان فى البحر ، بين البصرة وعُمَان يشفقون علَى المراكِبِ منهما . انظر فيه « كسير » و « عوير »
٩١	٤	معنى هذا البيت مأخوذ من قول أحد الحكماء اليونانيين ، حين وقف يؤبن الاسكندر ، أو الموبذ حين كان يرثى قباذ الملك : « كان أمس أنطقَ منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس » انظر المراجع التى أشرنا إليها فى التعليق ، وكذا مروج الذهب (٢ : ٣٦٨) والمستطرف (٢ : ٢٩٤)
١٠١	٢	« بجوع » هى كذلك فى ط، س . وفى ل : « بجّوخَى » ، وهما موضعان ، أحدهما « جوخاء » بالفتح والمدّ : موضع بالبادية فى ديار بنى عجل كان يسلكه حاجّ واسط ، وقد قصره بعض الشعراء .

صفحة	سطر	
		والثانى جُوخَى بالضم والقصر : اسم نهر عليه كورة واسعة فى سواد بغداد . انظر معجم البلدان
١٧٠	١	سألت حضرة المحقق الكبير الأب أنَستاس مارى الكرملى عن « أبى ريانوس » فكتبَ إلى : « هو على الحقيقة : (أبيرْيُونِيــدِس) أى منســوب إلى : Hyperion المسمّى أيضاً : Helios ، أى الشمس ، وتلفظ « عاليوس » . وما «عاليوس » إلا «عالى» أو «عالٍ» كسعت بعلامة الإعراب فى كلام اليونان . ويطلق هذا اللفظ على كل مايرادوصفه بالعلو أو الطول أو الارتفاع. فالدجاج «أبى ريونوس »أو«أبيريونوس» هو ما يسمّيه اليوم العراقيون بالدجاج الهَرَاتى بمعنى الهَرَوىّ ؛ لأن ديكتها جلبت من هراة ، المشهورة بحسن دجاجها وعلوها وكبرها . فالكلمة إذن يونانية وقد صحفها النساخ لجهلهم إياها .
١٨٧	٩	« الطبرزين » قال العلامة الآب أنستاس : ليس فى العربية طائر باسم طبرزين . والاسم الصحيح هو « طبرادران » وأصح منها بالدال ، أى «دُبْرَادران» أو « دُبرادَران» ومعناهما الأخَوَان ؛ لأن « دو » بالفارسية معناها اثنان ، و « بَرَادر » الأخ ، و «ان» للجمع أو للتثنية ؛ إذ لا فرق عندالفرس بين المثنى والجمع . والحمام لايخاف الدبرادران ولا الكركىّ ، كما هو مقرر فى علم الطير . واسم الدبرادران العربىّ هو الزُّمَّج ، وسمّاه الفرس ما معناه الأخوان ؛ لأنّه إذاعجز عن صيده أعانه أخوه على أخذه ، واسمه

صفحة سطر

بلسان الغربيين من الإنجليز: Goshawk وبالفرنسية: Autour ؛

٣٧٠ ٣، ٤ كنت قد كتبت إلى المحقق الأب أنستاس مارى الكرملى لتحقيق هذه الكلمات الواردة فى عوالم المجوس، فكتب إلى فى ٣٩/٨/٢٧ ما نصه: « وعندى أن هذا المجوسىّ استعمل ألفاظاً يونانية فى كلامه، تعميةً للأبصار، وغشاوة للأفكار، وتبياناً للباحثين، أنه على صلة دائمة بعلوم اليونانيين، ووقوفِه وقوفاً تاماً على مصطلحاتهم وأوضاعهم، مع أنك لو تدبّرتَ أحسنَ تدبُّر هذه الأوضاعَ التى نفثها صدره، أو سمعها سماعاً من أحد أبناء مذهبه من أهل التلفيق والتمويه، لشَفَّت لك عن كذبها وزورها وزيفها، وبانت لك الحقيقة بثوبها الذى أُلبسَتْه.

ونحن نؤيد لك صدق كلامنا هذا، بنقل تلك الحروف على ما هى فى اليونانية، مع دقة ضبطها العَرَبى والغرْبى وشرح معانيها، فنقول:

١ ــ أبُو سَالَس: hyposalos أى تحت البحر، وهو أقرب عالم إلى أرضنا.

٢ ــ أبَرْمَا كِس: hyhermakèc أى العالم الممتد امتداداً فاحشاً.

٣ ــ أُبَرِيدُس: hyperèdus أى الطيب فى النهاية، أو الطيِّب غاية الطيب.

صفحة　سطر

٤ ـ كارِس : kherès أى السيىء الممقوت .

٥ ـ حَرِيرهْ آمِنِس : arèra amenès أى المناسب الحوار .

وزاد بعض علمائهم من فرقة أخرى أَسرِس asyrès أى النجس.

ومنهم من زاد على هذه العوالم الستة عالما سابعاً ليقابل بهذه العوالم السبعة سبعة عوالم السماء المعروفة بالسيارات السبعة أو الأفلاك السبعة ، وسمَّوه : أَبُوجَايُوس : hypogaios أى العالم الذى تحت الأرض .

الأب أنستاس مارى الكرملى

القاهرة فى ٣٩/٨/٢٧.

٣٧٤　٩　قال البيرونى فى كتاب (الجماهر) عند الكلام على الألماس : « وشبهه الكندى بالزجاج الفرعونى » انظره ص ٩٣ . وكلمة « الألماس » هى الوجه فى « الماس » . وللمحقق الكبير الأب أنستاس بحث ممتع فى تحقيق هذه الكلمة . انظر نخب الذخائر ص ٢٠ . ويظهر لى أن المراد بالزجاج الفرعونى هو الألماس الصناعى . وانظر التبصر بالتجارة للجاحظ ص ١٦ .

٤١٤　٤　كلمة « ميسر » جاءت فى الأصل هكذا ، والمعنى مستقيم بها . ومثلها فى (٤ : ٨٥س٩) . وهى تنظر إلى الحديث المشهور : « اعملوا فكلٌّ ميسَّر لما خلق له » . انظر الجامع الصغير ١٢٠٢. ولا موجب للقول بأنها « مسيَّر » .

صفحة	سطر	
٤٥٢	٤	« فقلت لبقّار » كلمة « بقار » ذات مغزًى خاصٍّ فى التشاؤم وتجد فى نهاية الأرب (٣ : ١٣٦) هذه العبارة : « وإنخرج فلقى بقرا فليرجع »، يريد أن البقر مما يتشاءم به ، وهذا النصّ نقله النويرىُّ عن الجاحظ . انظر باب الزجر فى نهاية الأرب (٣ : ١٣٤—١٤٣) .
٤٥٨	٢	الأُتْرُجُّ : ضرب من الفاكهة يكثر بأرض العرب ، وهو مما يغرس غرسا ولا يكون بريّا ، وقد تبقى شجرته عشرين سنة ، وهو صنفان : تفه وحامض ، وهو أبيض الجوف أصفر القشرة ، فيه يقول أبو القاسم الزاهى :

وذات جسم من الكافور فى ذهب
دارت عليه حواشيه بمقدار

كأنها وهى قُدَّامى ممثلة
فى رأس دوحتها تاج من النار

ويقول آخر :

يا حبذا أترجّة تحدث للنفس الطرب
كأنها كافورة لها غشاءٌ من ذهب

ويسمَّى أيضاً « تفاح ماهى » وتفاح مائى . واسمه العلمى : Citrus medica Risso . ورواية البيت الثانى فى حلبة الكميت ٢٦٤ ونهاية الأرب (١١ : ١٨٣) تشبه رواية العقد :

خاف التلوُّن إذ أتته لأنها
لونان باطنها خلاف الظاهر

صفحة سطر

ويشبه هذين البيتين ما قيل فى التطير من السفرجل (حلبة الكميت ٢٥٨) :

أهدى إليه سفرجلا فتطيَّرا منـه فظلَّ نهارَه متحيِّرا

خاف الفراق لأن شطر هجائه سَفَرٌ وحُقَّ له بأن يتطيَّرا

٤٧٤ ١١ « حتَّى إذا طعنوا » هكذا جاءت الرواية فى ط ، ش ، ل ، وكذا العمدة (٢ : ٢٠) والوساطة ٤٤ . والأجود من هذه الرواية رواية الديوان ص ٤١ وعيون الأخبار (١ : ١٩٠) والعمدة (٢ : ٢٢٠) ونقد النثر ص ٩٠ : « حتى إذا طعنوا » . قال الشنتمرىُّ فى تأويل البيت : « يقول : إذا ارتمى الناس فى الحرب بالنبل دخل هو تحت الرمى فجعل يطاعنهم ، فإذا تطاعنوا ضارب بالسيف ، فإذا تضاربوا بالسيوف اعتنق قِرنَه والتزمه » .

٤٧٦ ٤ ش تاء الافتعال إذا وردت بعد الثاء المثلثة ، كان لك فيها أوجه ثلاثة : أولها البيان ، وهو الأصل . وثانيها تحويلها مع الثاء إلى تاء مثناة مدغمة . وثالثها تحويلهما إلى ثاء مثلثة مدغمة . وتقول فى الافتعال من « ثأر » : اثتأر ، واتأر ، واثأر . وفى مفتعل من « ثرد » مثترد ، ومثرد ، ومترد . انظر شرح المفصل لابن يعيش (١٠ : ١٨٤ س ٢٦-٣٠) .

٤٨٧ ٣ « خيزران ريحها عبق » هذه رواية ط ، ش وكذا ديوان الفرزدق من خمسة دواوين العرب ١٩٩ وعيون الأخبار (١ : ٢٩٤) .

صفحة سطر

وأنّث الخيزران لتقدير : « عصا خيزران » . والرواية المعروفة « ريحه عبق » وهى رواية ل . وانظر ص ١٣٣ .

٤٩١ ٦ « نواكس » : جمع ناكس ، وهو من الجمع الشاذّ . وقد أسهب البغدادى فى الحديث عن نحو هذا الجمع فى الخزانة (١ : ١٩٠ – ١٩٥ سلفية) . وفى مجلة الرسالة العدد ٣١٥ ص ١٣٩٤ بحث قيم ، واستدراك طيِّب لهذا الشذوذ الصرفى .

٤٩٣ ١٠ ش « فاستجودها » كذا جاءت العبارة فى كلام حمزة بن الحسن الأصبهانى فى ديوان أبى نواس ١٣٢ ، والقياس والمعروف : « استجادها » ، كما أن المسموع من الشاذ « أجوده » أى وجده جيداً . انظر شرح الشافية للرضى ١٩١ .

٥٣٧ ٤ ش وجاء أيضاً فى تهذيب الكمال ج ١١ من مخطوطة دار الكتب المصرية (٢٥ مصطلح) فى ترجمة هشام الدستوائى : « ودستوا : كورة من كور الأهواز ، كان يبيع الثياب التى تجلب منها فنسب إليها . ويقال له صاحب الدستوائى أيضاً » .

كتبه

مصر الجديدة فى { ٢٠ من رمضان من سنة ١٣٨٥ / ١٢ من يناير من سنة ١٩٦٦ } عبد السلام محمد هارون

أبواب الكتاب

صفحة